الحزب العربي الفلسطيني

وحزب الدفاع الوطني

١٩٢٤-١٩٢٧

تأليف

د. علي سعود عطيه

جمعية الدراسات العربية

آب ١٩٨٥

ان الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة
عن وجهة نظر جمعية الدراسات العربية

حقوق الطبع محفوظة

الغلاف من تصميم
الفنان
سليمان منصور

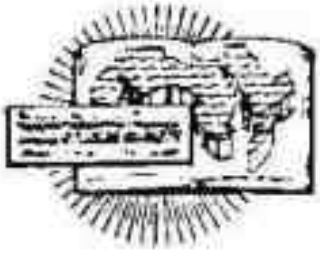

جمعية الدراسات العربية
علمية ـ فكرية
بناية الندى الاورينت هاوس
١٠ شارع ابو عبيدة بن الجراح
تلفون : ٢٨١٠١٢
ص . ب : ٢٠٤٧٩
القدس

الإهـداء

الى زوجتي . تقديرًا وعرفانًا لدورها في اخراج هذه الدراسة الى حيز النور

٢٩٤٦
وزارة الأوقاف والشئون الدينية
مكتبة المسجد الحسني الكبير
بمدينة نصر
تأسست سنة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م
٩٥٦,٠١٢

المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
كلمة الجمعية	٩
كلمة تقدير	١١
الخلاصـــة	١٣
المقدمـــة	١٧
الباب الاول: المجتمع الفلسطيني وطبيعة التنظيمات والممارسات السياسية منذ نهاية الحرب العالمية الاولى حتى قيام الحزبين ١٩١٨ ـ ١٩٣٤	٢٩
المرحلة الاولى ١٩١٨ ـ ١٩٢٣	٣٤
المرحلة الثانية ١٩٢٣ ـ ١٩٢٩	٦٢
المرحلة الثالثة ١٩٢٩ ـ ١٩٣٤	٨٠
حواشي الباب الاول	٩٨
الباب الثاني	١٢٣
قيام الحزبين وسيرهما على طريق التنظيم	١٢٥
الاسس النظرية لتاسيس الحزبين ـ قانون الحزبين ـ	
قانون الحزب العربي	١٤٠
قيادة كل من الحزبين، ظهورهما وشخصياتها وسلطاتها	١٤٧

تكوين الفروع وعملها ١٦٢
الميليشيا، ميليشيا الحزب العربي، فرق الفتوة ١٧٤
حواشي الباب الثاني ١٧٨

الباب الثالث ١٩٣
الممارسات السياسية للحزبين خلال عام ١٩٣٥
حتى قيام الثورة في ابريل ١٩٣٦ ..... ١٩٥
الصراع بين الحزبين ١٩٧
محاولات متعثرة لكل من الحزبين
تنسيق او توحيد الجهود الوطنية ٢٠٦
السلطات القائمة على التظاهرات الاجتماعية
وكتابة المذكرات والاحتجاجات ٢١٣
موقف الحزبين من القسام ٢٢٢
الحزبان والمجلس التشريعي ٢٣٢
حواشي الباب الثالث ٢٤٩

الباب الرابع ٢٦٥
ممارسات الحزبين أثناء ثورة ١٩٣٦ ..... ٢٦٧
دور كل من الحزبين في تنظير الثورة والدعوة لها ٢٧٤
دور الحزبين في المحافظة على الاضراب والمشاركة فيه ٢٨١
الحزبان والمقاومة المسلحة ٢٨٨
دور الحزبين في الجلبة العربية والدولية ٢٩٨
الحزبان والوساطة العربية ٣٠٥
حواشي الباب الرابع ٣٢٨

الباب الخامس ٣٤٣
موقف الحزبين في الفترة الانتقالية ما بين نهاية الاضراب
والمرحلة الاولى من الثورة (اكتوبر ١٩٣٦) الى حل اللجنة
العربية العليا والاحزاب (اكتوبر ١٩٣٧) ٣٤٥
ممارسات الحزبين حتى قدوم اللجنة الملكية ٣٤٥
الحزبان بقاطعان اللجنة الملكية ٣٤٦
اللجنة العربية تعدل عن مقاطعة اللجنة الملكية ٣٤٨
موقف الحزبين في الفترة ما بين مغادرة اللجنة الملكية
الى اصدار قراراتها في ٧ يوليه ٣٥٤
رد فعل الحزبين لقرارات لجنة بيل في التقسيم ٣٥٩
حواشي الباب الخامس ٣٧٢

الخاتمة ٣٧٩

قائمة بالمصادر والمراجع ٣٨٧

كلمـــة الجمعيـــة

يسر جمعية الدراسات العربية في القدس ان تقدم هذا الكتاب الذى يتضمن دراسة علمية وموضوعية حول حزبي "العربي الفلسطيني" و "الدفاع الوطني" وهما الحزبان اللذان لعبا دورا هاما وموثرا في مجرى الحياة السياسية في فلسطين خلال مرحلة الانتداب البريطاني. وتغطي هذه الدراسة الفترة ما بين عامي ١٩٣٤ و ١٩٣٧ اى منذ ظهور الحزبين وصعودهما الى المسرح السياسي وحتى انحلالهما.

* * * * *

ان هذا الكتاب هو في الاصل رسالة قدمها المؤلف الى دائرة التاريخ في الجامعة الاميركية في بيروت كجزء من متطلبات الحصول على درجة دكتوراه في الفلسفة. والكتاب يعالج بموضوعية دور اكبر حزبين ظهرا في تاريخ فلسطين المعاصر.

* * * * *

يستعرض المؤلف في الباب الاول من الكتاب طبيعة التنظيمات السياسية في فلسطين منذ نهاية الحرب العالمية الاولى وحتى قيام الحزبين ١٩١٨ – ١٩٣٤ كما يتعرض في الباب الثاني للاسس النظريه لتأسيس الحزبين وقيادة كل منهما وقوانينهما وفروعهما، بينما يتعرض الباب الثالث للممارسات السياسية

للحزبين خلال عامي ١٩٣٥ و ١٩٣٦ ويشير الى الصراع بينهما وموقفهما ازاء عدد من القضايا. أما في الباب الرابع فان المؤلف يتناول بالتحليل دور الحزبين أثناء ثورة عام ١٩٣٦ سواء في مجال اعداد الخطوات الاولى للاضراب أو تكوين الكوادر الفوسية. كما يشير الى دور كل من الحزبين في التنظير للثورة والدعوة لها ودورهما ازاء المقاومة المسلحة وموقفهما في المجالين العربي والدولي. وفي الباب الخامس والاخير من الكتاب يستعرض المؤلف موقف الحزبين في الفترة الانتقالية ما بين نهاية الاضراب والمرحلة الاولى من الثورة الى حل اللجنة العربية العليا والاحزاب ١٩٣٦ و ١٩٣٧.

* * * * *

ان جمعية الدراسات العربية اذ تضيف هذا الكتاب الى المكتبة العربية فانها تأمل أن تتبعه بعديد من الدراسات التاريخية المتخصصة بفلسطين والتي تعتبر مرجعا ومصدرا للباحثين والدارسين بصفة خاصة والتي تهم المثقفين بصفة عامة.

جمعية الدراسات العربية
القـــدس
نيسان ــ ١٩٨٥

كلمة تقدير

حاولت في الصفحات التالية أن أدرس الحزبين العربي والدفاع في فلسطين منذ ظهورهما عام ١٩٣٤ الى نهاية عام ١٩٣٧.

وقد دفعني الى القيام بهذا العمل الدور الكبير الذي لعبه الحزبان المذكوران في تاريخ فلسطين وعدم وجود دراسات مستقلة عنهما فيما أعلم.

أرجو أن أكون قد سددت ثغرة في دراسات تاريخ فلسطين لا يستغني عنها كل من يدرس فترة الانتداب بل والفترات الاخرى أيضا.

ولا بد من أن أتقدم بالشكر لجميع من شاركوا في ارشادي ومساعدتي في هذه الدراسة وفي مقدمتهم الدكتور محمود زايد الذي أولاني من عنايته ورعايته ما لا مزيد عليه وكذلك اشكر الاساتذة الذين تحشموا مصاعب قراءتها ونقدها من أعضاء لجنة الامتحان التي تألفت من الدكتور محمود زايد بوصفه مشرفا ومن حضرات الاعضاء الدكتور أنيس صايغ والدكتور سمير صيقلي والدكتور مروان بحيري والدكتور رشيد خالدي.

ولن أنسى ما منحني اياه الدكتور سمير صيقلي من وقته وجهده، وتعاطفه اثناء كتابة هذه الرسالة. وما كان لملاحظاته من أثر كبير في خروجها بهذا الشكل.

وأود أن أضيف أنني وحدي المسؤول عما قد يجده القارئ في هذه الرسالة من أخطاء. وما قد يلاحظه من نواحي نقص، فالكمال لله وحده.

د. علي سعود عطية

١٩٧٩

الخلاصـــــــــــة

في أوائل القـرن العشـرين كان المجتمع الفلسطيني يتكون من فئتين رئيستين هما فئة الوجهاء والاعيان وهي فئة محدودة العدد . وفئة العامة التي تشمل غالبية الشعب الفلسطيني . وقد لعبت العائلة دورا كبيرا كركيزة أساسية في تكوين المجتمع . كما كان هذا المجتمع من المجتمعات العربية التي شملها تيار الوعي القومي الذي تمثل في المطالبة بخلق كيان مستقل عن السلطان العثماني وتكوين دولة عربية واحدة .

لكن هذا المجتمع لم يلبث حتى أصيب بتحـدٍ مزدوج تمثل في الاحتلال الانجليزي الذي جاء مصحوبا بوعد بلفور واللجنة الصهيونية . وهنا تداعى العرب الفلسطينيون للدفاع عن أرضهم والتصدي لهذا الخطر الوافد . ومن هنا بدأت أولى التشكيلات السياسية التي شملت الجمعيات الاسلامية المسيحية والنوادي السياسية الاخرى . وقد قامت هذه التشكيلات بكثير من الممارسات السياسية التي تميزت بالقوة والاندفاع في السنوات القليلة التي تلت الاحتلال . وقد شملت هذه الممارسات الدعوة للقضية الفلسطينية والتنظير لها . كما شملت ايفاد الوفود ، وعقد المؤتمرات التي تميزت قراراتها بوجه عـــام بالرفض . كما كان منها أيضا المظاهرات العنيفة والانتفاضات .

وبالرغم من هذا النشاط العارم ، لم تستطع هذه التشكيلات السياسية القضاء على التحدي . ولعل من أهم أسباب ذلك عدم وضوح الرؤية في مجابهة الاستعمار الانجليزي والصهيونية معا وبنفس الدرجة ، بمقدار ما كان التركيز على الصهيونية بالدرجة الاولى . بالاضافة الى ضعف هذه التشكيلات من الناحية التنظيمية وبشكل خاص سيطرة الوجاهات عليها .

وعندما جاءت المرحلة الثانية التي شملت سنوات أواسط العشرينات ومع ميل التحدي الصهيوني في هذه المرحلة الى الضعف مالت الحركة السياسية الفلسطينية الى مزيد من الضعف في ممارساتها . وكانت أبرز هذه الممارسات جولات من التنافس الداخلي بين أجنحة الحركة السياسية التي انشقت على نفسها بعد أن كانت متحدة في المرحلة الاولى . وقد قام هذا التنافس بين

معسكرين أساسيين وهما المجلسيون والمعارضة بقيادة كل من الحسينيين والنشاشيبيين .

وفي أواخر العشرينات ، ومع تصاعد التحدي الصهيوني ـ البريطاني دخلت الحركة السياسية الفلسطينية في منعطف جديد تميز بقاعدة شعبية عريضة للتنظيمات السياسية . كما ان هذه المرحلة التي امتدت الى قيام الثورة شهدت سير الحركة السياسية الفلسطينية نحو الراديكالية ، وقيام الاحزاب ، وكان أبرز ممارسات هذه المرحلة توجيه النضال ضد التنافض الرئيسي وهو الانتداب الانجليزي الذي اعتبرته الحركة السياسية رأس الداء باعتباره هو الذي جلب الصهيونية في ركابه .

وفي ديسمبر ١٩٣٤ ولد حزب الدفاع الوطني ولم تمض سوى أشهر قليلة حتى ولد الحزب العربي الفلسطيني في مارس ١٩٣٥ . وكانت ولادتهما متساوقة مع تطلع الحركة الوطنية الى تنظيم نفسها في تشكيلات سياسية تخلف اللجنة التنفيذية المختلفة تحت مظلتها . كما أن قيام هذين الحزبين لم يخل من كونه مظهرا من مظاهر الخلاف العائلي بين الحسينيين والنشاشيبيين الذين تولوا قيادة هذين الحزبين .

ومع قيام الحزبين سلكا طرق تنظيم خاصة بهما . ووضع الحزب العربي نظرية لتنظيم نفسه في قانون تميز بوضوح اهدافه . كما شمل هذا القانون غايات الحزب الاساسية في الحرية والاستقلال والوحدة العربية . ووضع حزب الدفاع لنفسه أهدافا مشابهة . ولكن هذه القوانين لم تأخذ طريقها الى التنفيذ . وظلت التنظيمات الحزبية تسلك طريقا تقليدية في الغالب . وظهر ذلك في قيادات الحزبين والتي ظلت عائلية الطابع كما أسلفنا . كما أن الفروع التي أقامها كل من الحزبين لم تعمل بصورة فعالة . ولم تحقق مستوى جيدا من الممارسات السياسية اليومية .

عمل الحزبان طيلة ثلاثة أعوام - ففي عام ١٩٣٥ وهو العام الذي تدفقت فيه الهجرة على فلسطين ، وتسلح اليهود بشكل مكثف وترسخت جذور الوطن القومي اليهودي . في هذا العام لم ينجح الحزبان في العمل على توحيد جهود الامة لمواجهة الاخطار الصهيونية كما أن أغلب ممارساتهما قامت على

التظاهرات الاحتماعية وكتابة المذكرات والاحتجاجات . وعندما قام القسام بانتفاضته في نوفمبر ١٩٣٥ لم يجد منهما عونا . وفي هذه المرحلة لم تنجح مفاوضات الحزبين مع المندوب السامي ـ بفعل عوامل كثيرة ـ في تأسيس المحلس التشريعي .

وجاء اعلان الاضراب العام والثورة عام ١٩٣٦ ، ليفجر الطاقات الوطنية الكامنة لدى الحزبين ، كما فجرت الطاقات الكامنة في غالب المجتمع العربي الفلسطيني بل لقد بادر انصار كل من الحزبين ـ مع الاحزاب الاخرى ـ الى تعميم الاضراب وتكوين الكوادر القومية . كما تكونت من قيادة الاحزاب اللجنة العربية العليا ، التي عملت على توجيه العمل الوطني من خلال اللجان القومية في تنظيم فعال .

ساهم الحزبان مساهمة فعالة في كل ممارسات الثورة ، محافظة على الاضراب وروح الثورة ، ودعوة لها بأجهزة صحفية وبشرية ،وعصيانا مدنيا ومظاهرات ساخنة ، ود خول معتقلات ، الى المساهمة بالثورة المسلحة وحرب العصابـــات ،كما كان لهما دور في الحلسة العربية والدولية .

وظل زخمهما متناغما مع زخم الثورة حتى وقت متأخر . ولكن عندما ضعفت الثورة بفعل عوامل داخلية وخارجية قبل الحزبان بوقف الاضراب لدوافع متباينة ذات علاقة بسياسة كل منهما .

وفي المرحلة التي تلت وقف الاضراب دعا الحزبان الى مقاطعة اليهود مقاطعة اقتصادية . الا انه لم يلبث ان بدأ حزب الدفاع في الميل للعمل منفردا والانشقاق عن اللجنة العربية العليا ، وكان لاختلال ميزان القوى بين الحسينيين والنشاشيبين اثر في ذلك . فقد حقق المفتي من خلال اللجنة العربية ، اثناء الثورة اعظم اسباب قوته .

ومهما يكن من أمر فان الطرفين قاطعا اللجنة الملكية التي قدمت في هذه الفترة للتحقيق في احداث الثورة . الا انهما ما لبثا ان عدلا عن هذه المقاطعة بفعل ما لقياه من ضغوط خارجية وداخلية ـ وقدما شهاداتهما أمام اللجنـــة .

وبانتهاء مهمة هذه اللجنة الملكية في يناير ١٩٣٧ وعودتها الى بريطانيا ومع سيطرة جو من الاشاعات التي تنبئ بالتقسيم انشق حزب الدفاع عن اللجنة

وهنا وضح أن حزب الدفاع كان اميل الى مبدأ التقسيم ، لكن الحزب العربي رفض التقسيم وبدأ المفتي عملياته احباطه من محاور متعددة : فلسطينية وعربية ؛ شعبية ورسمية. وكان من جراء ذلك أن تراجع حزب الدفاع عن قبول التقسيم كما تراجع الامير عبد الله الذى كان قد رحب أيضا بالتقسيم .

كانت استعدادات المفتي لاستئناف الثورة من أجل الاجهاز على التقسيم وتحقيق الاستقلال ، والتي رافقها سيطرة موجة من العنف أدت الى مقتل حاكم الجليل أندروز ، مبررا للانجليز لحل اللجنة العربية العليا وسجن اعضائها .وكان هذا الاجراء في حل اللجنة ايذانا بحل الاحزاب ، واختفاء اي دور لاية قيادة سياسية عربية في فلسطين .

المقدمـــــــــة

تعريـــــف بالمصـــادر

هذه دراسة للحزب العربي الفلسطيني وحزب الدفاع الوطني في فلسطين منذ تأسيسهما في أواخر عام ١٩٣٤ وأوائل عام ١٩٣٥ حتى نهايتهما بانحلال اللجنة العربية العليا في نهاية عام ١٩٣٧ .

وهنالك سببان رئيسيان دفعاني الى القيام بهذه الدراسة : الاول هـــو رغبتي في دراسة القضية الفلسطينية والثاني أنه فيما أعلم لم يسبق لاحد أن جعل الحزبين موضوعا لدراسة علمية مستقلة : فقد عدت الدراسات حتى الان بالحركة الوطنية أكثر من عنايتها بدراسة الاحزاب كاحزاب . وعندما كانت تتعرض لدراسة هذه الاحزاب كانت تعالجها باعتبارها أجنحة للحركة الوطنية بدون التركيز عليها كمؤسسة سياسية ذات بناء تنظيمي معين . وعلى هذا فهي لم تحاول ان تدرس هذا البناء التنظيمي دراسة تحليلية ناقدة .

كما أن هذه الدراسات لم تحاول أن تدرس ممارسات الاحزاب باعتبارها تطبيقا لبرامج المؤسسة بمقدار ماحاولت أن تعالج دورها بوجه عام ومن الزاوية الوطنية بصورة خاصة . وعلى هذا ـ ومع ادراكي الكامل ان اصالة الحزب العربي والدفاع أولا وآخرا ، نبع من كونهما جناحين من أجنحة الحركة الوطنية ـ فقد حاولت في هذه الدراسة ان أركز على صفتهما المؤسسة تنظيما وممارسات من خلال الاطار التاريخي الذي عملا ضمنه .

ولقد حرصت من أجل استكمال البحث أن تكون المصادر بقدر الاستطاعة شاملة وأساسية . وعلى هذا فقد رجعت الى المصادر التالية التي سأحاول أن أعطي فكرة موجزة عنها ـ وبمقدار ما تسمح به هذه المقدمة ـ لا سيما وأني حاولت التعقيب على الكثير منها ، ونقده من خلال هذه الدراسة :

أولا : الوثائق الانجليزية غير المنشورة والمنشورة : افاد الكاتب من وثائق مركز السجلات العامة افادة جليلة

وكشفت هذه الوثائق أبعادا في تاريخ الحزبين لم تكن لتكشف لو لم تتح لي فرصة

الاطلاع عليها . فالتقارير المختلفة لوزارة المستعمرات ، ووزارة الخارجية ، ووزارة الطيران ، ومجلس الوزراء ودائرة التحقيقات الجنائية ساهمت في اضافة الكثير لهذه الدراسة . وتقارير دائرة التحقيقات الجنائية كان لها دور جيد في كشف الكثير من فاعليات الحزبين ، لا سيما وان سجلاتهما خير معين للكشف عن ممارسات الاحزاب ، وتنظيماتها ، واتجاهات قياداتها . بل ان كثيرا من النشاطات السرية للاحزاب خاصة ، والحركة الوطنية واتجاهات الرأى العام عامة لا يستطيع ان يتابعها ويلم بها الا اجهزة متخصصة كجهاز دائرة التحقيقات الجنائية . وقد اخذت هذه التقارير اهمية على أعلى المستويات ، فهي عادة كانت تمر على المندوب السامي ، كما انها كانت تعمم على وزارات الدولة المعنية مثل وزارة المستعمرات ووزارة الخارجية .

ولقد اتيحت الفرصة للكاتب أن يحصل على مجموعة كبيرة من هذه الوثائق البوليسية ، من مركز دراسات الشرق الاوسط ، في كلية سنت انتوني ، بجامعة اكسفورد ، وهي أوراق سير تشارلز تيجارت الذى عمل رئيسا للبوليس في فلسطين اثناء المرحلة الثانية من الثورة (١٩٣٧ ــ ١٩٣٩) . وميزة هذه الاوراق انها تركز على العناصر المؤثرة في الحركة الوطنية : شخصيات قيادية ، ومؤسسات حزبية ، وجمعيات وحلقات جهادية ، وتتبع تاريخها منذ وقت مبكر . ومما يزيد في أهمية هذه الاوراق ، الحرص ــ فيما يظهر ــ على جمع اكبر كمية ممكنة من المعلومات من أجل القضاء على الثورة بالقضاء على هذه العناصر المؤثرة فيها . ولذلك فانه جمع مادة كبيرة عن عشرات الشخصيات والجماعات والاحزاب ، وقادة الثورة . كما ان هذه الوثائق تحوى على كثير من التحقيقات مع عدد من رجالات فلسطين قامت بها دوائر البوليس ، الامر الذي يساعد المؤرخ في استكشاف المنظور العام الذى جرت من خلاله الاحداث .

كما اننا نستطيع أن نضيف الى المادة الوثائقية الانجليزية ، التقارير الرسمية المنشورة للحكومة البريطانية ، وبصورة خاصة تقارير حكومة فلسطين التي كانت ترفعها للجنة الانتدابات الدائمة . كما افاد الكاتب من تقارير لجان التحقيق المختلفة من لدن لجنة بالين اول لجنة قدمت الى فلسطين بعد احداث عام ١٩٢٠ عبورا الى لجنة هايكرافت (١٩٢١) ولجنتي شووسيمسون (١٩٢٩) الى

لجنة بيل (١٩٣٧) . وتقرير هذه اللجنة الاخيرة يمكن اعتباره ـ ليس فقط وثيقة سياسية ـ وانما وثيقة تاريخية عظيمة ، جمعت في صفحات معدودة كثيرا من المعلومات القيمة التي لا يستغنى عنها الباحث . ويعتبرها الكثيرون من أصدق المراجع تقديرا لتطور مراحل القضية الفلسطينية لا سيما وهي التي حاولت أن تلم بجزيئات الانتداب في مجملها .

ثانيا : الوثائق العربية غير المنشورة والمنشورة : ولقد حاول الكاتب أن يستقصي الوثائق غير المنشورة ذات العلاقة بالبحث ، والموجودة في مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ومركز الابحاث الفلسطيني ، بيروت ، ومركز الوثائق العراقي ببغداد .

ومن مؤسسة الدراسات الفلسطينية أفاد الكاتب من وثائق خاصة بأكسفورم زعيم جمع فيها بيانات وقرارات تتعلق بفترة مبكرة من نشاط الجماعات السياسية في فلسطين مثل الجمعيات الاسلامية المسيحية والنوادي السياسية ، تعود الى الايام الاولى للاحتلال البريطاني وقدوم اللجنة الصهيونية ، وعقد أول مؤتمر فلسطيني في القدس عام ١٩١٨ . كما أفاد الكاتب من وثائق بيته العظمة ، وبالذات مايتعلق منها بحزب الاستقلال لا سيما وأنه أحد مؤسسه وأحد كبار العاملين في الحقل الوطني والعربي عامة .

ومن مركز الابحاث أفاد الكاتب من وثائق عوني عبد الهادي وأحمد الامام ووثائق أخرى جمعها المركز تتعلق بالقضية الفلسطينية .

وبالنسبة لمركز الوثائق العراقي ، حرص الكاتب على تتبع ما في وثائق الحكومة العراقية مما هو ذو علاقه بالحزبين ومن خلال دور العراق الرسمي في القضية الفلسطينية كما بدا في جهود الوساطة وما تلاها من وقف الاضراب وبهذه المناسبة فان ارشيف الحكومة العراقية ومراسلاتها الخارجية يمكن استقاؤه على أفضل وأرتب ما يكون توثيقا من مركز الوثائق الوطني العراقي .

وبالنسبة للوثائق العربية المنشورة فقد أفاد المؤلف من المادة الوثائقية الفلسطينية والتي ساهم في جمعها ونشرها في السنوات الاخيرة ، أكثر من مؤلف وعنيت بها أكثر من جهة أو مؤسسة . ومن هذه الوثائق تلك التي جمعها عبد الوهاب الكيالي والتي بذل في جمعها من مظانها (صحف ومراجع ومكتب

السجلات العامة في لندن وغيرها) جهدا جيدا . ولقد ركزت هذه الوثائق على ممارسات الحركة الوطنية ، وما سجلت هذه الحركة من بيانات في مناسبات مختلفة ، وما وضعت مؤتمراتها من قرارات ، وما رفعت من مذكرات لجهات كثيرة محلية ودولية ، وهذه الوثائق تسد ثغرة أساسية في المكتبة التاريخية والسياسة الفلسطينية .

كما افاد الكاتب من الوثائق التي قامت بجمعها بعض المؤسسات الرسمية المصرية ، مثل وزارة الاعلام ، التي جمعت مادة وثائقية تحت اسم ملف وثائق القضية الفلسطينية عن اللجنة التنفيذية الفلسطينية ، واللجنة العربية العليا ، وشهادات الشخصيات العربية أمام اللجنة الملكية ، وبلاغات القيادة العامة للثورة الفلسطينية (١٩٣٦ – ١٩٣٩) .

والى هذا فلم يغفل الكاتب الوثائق التي جاءت كملاحق لكثير من المصادر والمراجع مثل ملاحق عزة دروزة في كتابه " القضية الفلسطينية " والتي حوت مادة تفرد بها عن حزب الاستقلال وبياناته التأسيسة ، كما ان كامل خله جمع بعض المادة الوثائقية في ملاحقه في كتابه " فلسطين والانتداب البريطاني " من بعض المظان ، وبالذات من الجمعيات الاسلامية المسيحية واللجنة التنفيذية وأحزاب العشرينات .

ثالثا : الاوراق غير المنشورة : كما أتيح للكاتب الحصول على مجموعات ليست قليلة من الاوراق غير المنشورة بالانجليزية والعربية مما أثارت البحث من اكثر من زاوية . فمن الاوراق غير المنشورة الانجليزية افاد الكاتب من مذكرات تيجارت وهي مخطوطة في مركز الدراسات الشرقية باكسفورد وتصور هذه المذكرات دوره ومحاولاته في حصار الثورة بين فلسطين وسوريا ولبنان ورحلاته وجهوده المتعاقبة في ذلك . كما افاد الكاتب من مذكرات بومن . وما جمعه المندوب السامي ما كما يكل وما جمعه ايضا هربرت صموئيل أول مندوب سام لفلسطين .

ومن الاوراق غير المنشورة العربية ، افاد الكاتب من أوراق عارف العارف

والموجودة ايضا في جامعة أكسفورد ، وهي معنونة بـ " يوميات غزة

" وهذه الاوراق ، تسجل حافل دون فيه مؤرخ من مؤرخي فلسطين ، وانسان ذو تجربة مبكرة في الحقل الوطني ـ وكما تعكس هذه الاوراق ـ فهو لم يكن بعيدا عن المساهمة في الحركة الوطنية خلال الثورة في مرحلتها الثانية ؛ ومهما يكن من أمر عان هذه المذكرات صورة تنبض بالحيوية ، ومع كونها مشوبة احيانا ببعض العاطفة أو الذاتية ، والتي على ما يظهر أملتها عليه غيرته الوطنية وخصومته للمعارضة (أنصار حزب الدفاع) الا انها مع ذلك من أصدق وأشمل المذكرات تصويرا للشخصيات التي يتحدث عنها ، ففي علم الكاتب لم يستطع أحد أن ينقد لسيكولوجية الانتهازية في الحركة السياسية الفلسطينية كما نقد العارف ، فترك بذلك صورا انسانية تنبض بالحياة ، فتصويره على سبيل المثال لشخصية فخري النشاشيبي من القدس والحاج عادل النوا من غزة ، وهي رؤيا متعددة ، تقرير نادر المثال في الادبيات السياسية للقضية الفلسطينية المعاصرة ،

وتاتي أصالة هذه الاوراق أو المذكرات من كونها سجلا يوميا أو شبه يومي للاحداث التي تسجلها ، مقرونة بتعليقات كاتبها النفسية ، ومع ذلك فهي تحوي الكثير من المعلومات التي يرصدها مؤرخ ذو منصب رفيع في الدولة ، يسمح له أن يطلع على دهاليز السياسة ، ويكشف عن رأي كثير من المسؤولين البريطانيين بأشخاص رجال الحركة الوطنية ومعارضيهم ،

والى هذه الاوراق غير المنشورة سنعمد أن أعرف بالفضل لاوراق رجل آخر لا ينقصه الوطنية أيضا ، كما لا ينقصه الوعي ، وقد ترك لنا سفرا كبيرا ، ذلك هو الدكتور حسين فخري الخالدي ،

تقع أوراق الخالدي في حوالي (٦٠٠) صفحة من الحجم الكبير ، وتبدأ التاريخ منذ نهاية الحكم العثماني في فلسطين ، ومع بداية الاحتلال البريطاني ، وتستمد هذه الاوراق أهميتها من أن كاتبها عاش تجربة مليئة بالحيوية ، فقد عمل في ظل الحكومة البريطانية (بعد أن عمل في ظل السلطات العثمانية) طبيبا في القدس ، كما انه عمل رئيسا لبلدية القدس ابتداء من ١٩٣٤ ، وانتخب عضوا في اللجنة العربية العليا ، مندوبا عن حزب الاصلاح ، وكان من بين من نفتهم السلطة الى جزر سيشل فيمن نفت من اعضاء هذه اللجنة ،

هذه التجربة الخصبة أثرت في مذكرات كاتبها ، فوضعت الاحـــداث ـ

في غالب الامر ـ في منظورها التاريخي الصحيح ، والى هذا فان مذكرات الخالدي لا تخلو من الطابع الذاتي شانها في ذلك شان أية مذكرات ، لا سيما عندما يتحدث عن منافسيه في الحقل الوطني والحزبي وبالذات آل النشاشيبي .

والكاتب مدين لهذه المذكرات لكثرة ما تحتويه من معلومات عن الاشخاص والاحداث ، كما أنه ينفرد فيها أحيانا من دون غيره . ولو أنه أتيح لهذه المذكرات أن تسجل بطريقة يومية أو شبه يومية كما فعل عارف العارف لكانت فائدتها تضاعفت أكثر وأكثر .

ولعل ما فات الخالدي أن يفعل ، فعله أكرم زعيتر ـ كما فعله عارف العارف . فمذكرات زعيتر سجلت أحداثها بصفة يومية ، وهي أيضا غنية في مادتها ، وتتم عن جهد صاحبها في الحقل الوطني ، وبخاصة أثناء الثورة الكبرى ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ وما سبقها وما تلاها . وزعيتر مثقف فلسطيني ، عمل بالتدريس ، كما أنه عمل في الحقل الوطني منذ نعومة أظفاره . وكان من بين مؤسسي حزب الاستقلال . وعلى هذا فهو يتحدث عن الاحداث حديث العارف والمشارك فيها مشاركة صميمة . ولعل مذكرات زعيتر تعتبر من أوفى المصادر ان لم تقل أصدقها عن الايام الاولى للاضراب في فلسطين ، حيث كان له دور كبير في قيام اللجنة القومية بنابلس وفي تحريض مدن فلسطين المختلفة ـ من خلال البرقيات والصحافة والخطابة ـ للمشاركة في الاضراب وتكوين اللجان القومية . وقد افاد الكاتب من هذه المذكرات في رصد دور الحزبين العربي والدفاع في ثورة ١٩٣٦ ومبتدياتها بصورة خاصة .

رابعا : المذكرات والاوراق المنشورة : بفضل جهود مركز الابحاث الفلسطينية ـــــــــــــــــ أتيح للباحث أن يطلع على مذكرات وأوراق بعض العاملين والمشاركين في أحداث الثورة ودور كل من الحزبين العربي والدفاع فيها .

وأما أوراق عوني عبد الهادي فقد ألقت أضواء على بعض الاحداث فأثارتها من زاويتها ، وهي أوراق تشكل جزءا من تاريخ القضية الفلسطينية ، لا سيما وأن صاحبها كان علما من أعلام السياسة الفلسطينية ،ورئيس حزب الاستقلال ، وذا باع طويل وتاريخ عريق في حركة القومية العربية عامة .

ولا يقل اثرا عن هذه المذكرات مذكرات أميل الغوري التي نشرها تحت

اسم " فلسطين عبر ستين عاما " والتي حوت معلومات شتى ، وسجلت حقائق عن دور الحزب العربي ، والمفتي ، في القضية الفلسطينية ، كما لم يسجله أي مرجع آخر ـ لوحده ـ حتى الان . وعلى ما يظهر ، فان الغوري ـ الذي عمل سكرتيرا للحزب العربي وكان مقربا من المفتي ، فضلا عن كونه ذا ثقافة كبيرة ودعائما من طراز ممتاز ، اتيح له أن يطلع على ، أو يحتفظ بوثائق للحزب العربي وكان هو أول من كشف الغطاء عنها أو عن بعضها على الاقل ، ومن هنا تأتي أهمية هذا الكتاب . فقد تعرض الغوري لابعاد مختلفة عن حزبه : تنظيما وشخصيات ومؤسسات ، كما أنه خص المفتي بأوسع الصفحات .

ونحن اذا كنا نأخذ شيئا على مذكرات الغوري فهو أنها كانت تتلون بلون حزبي أحيانا . كما أن حرصه على الاشادة بدور المفتي بصورة خاصة ، والحزب العربي بصورة عامة ، يجعله يميل أحيانا الى التبرير . وحتى عندما يحاول أن ينقد المفتي فانه يمسه برفق ، ويقلب بهذا الرفق المظلمة الى حسنة ، فتبدو كالشامة في وجه الحسناء تزيدها حسنا .

ولو ابتعد الغوري عن الذاتية ، ولو تحرى الدقة فيما يذهب اليه ، لترك لنا سفرا ثمينا ، يكشف عن دور فئة بعينها لعبت بما لا شك فيه ـ دورا في تاريخ فلسطين الحديث . ربما كان أكثر من دور أية فئة أخرى . أقول يكشف لنا دور هذه الفئة بصورة ممتازة لا سيما وأن كثيرا من المادة المصدرية لا تتعارض ، في غالب الامر ، مع ما يذهب اليه الغوري .

وعلى أية حال فان هذه الدراسة مدينة للغوري بأنه أعطاها صورة جديدة عن التنظيمات السرية العسكرية الطابع للمجلسين من أنصار الحزب العربي ، وكشف عن حقائق لاول مرة تتعلق بدورها وقياداتها وكوادرها وتمويلها واجتماعاتها وانتشارها وهكذا ....

وهناك مذكرات أخرى منشورة عربية وانجليزية أفاد الكاتب منها فائدة جزئية مثل مذكرات السكاكيني ومذكرات وايزمن وبن غوريون وماينر زكهن وكيش وصموئيل هوارس وستورز ومس نيوتن . وقد أفادت هذه المذكرات بصورة خاصة في تكوين صورة عن الخلفيات التنظيمية والممارسات التي سبقت ظهور الحزبين ابتداء من الانتداب .

خامسا : الصحـــــافة : أفاد الكاتب من الصحافة الفلسطينية بصورة خاصة ، والصحافة العربية بصورة عامة . فهي ـ أي الصحافة ـ مصدر لا غنى عنه للمؤرخ السياسي لفلسطين وذلـــك بالنظـر لناحيتـــين أساسيتين : المقال الناقد الذي يقيم الاحداث والمواقف والاشخاص ، والخبر المفيد ، الذي تنفرد الصحافة عادة بايراده وتنقله عنها وسائل الاعلام والثقافة الاخرى .

ولعل مما يزيد في قيمة الصحافة الفلسطينية أنها لم تكن دائما منفقة (ما عدا أيام الثورة) وتصدر عن رأي واحد . فالصحافة الوطنية الفلسطينية كالحركة الوطنية الفلسطينية ـ في غالب أمرها ـ اتسمت بأنها كانت منقسمة شعبا وتقريبات ، ومذاهب واتجاهات . ونحن اذا علمنا أن كثيرا من الصحف ذات الزمام معين ، مجلسي (معارض ، حزبي عربـــيا و حزب دفاع ، نستطيع القول بأن هذه الصحف التي تمتعت بقسط غير قليل من الحرية ـ وبخاصة عند الهجوم على الزعماء المحليين ـ لم تكن حريصة على كتمان الخبر ولا التحلي عنه

ومع هذا فان المرء لا ينبغي أن ينسى أن الصحافة في مجملها ـ حتى وهي تتحامل ـ كانت تحاول أن تقيس الامور قياسا وطنيا يتناسب مع المفاهيم والمشاعر للقارئ العادي الذي تخاطبه . ومن الملاحظ أنها حرصت طوال الوقت ـ مع وجود الخطرين الكبيرين الانجليزي والصهيوني ـ أن تعمل بصورة أو بأخرى كمصدر للمواطن العادي ، تدله على مواطن الضعف وتحذره من مكامن الخطر .

وقد أفاد الكاتب بصورة رئيسية من ثلاث جرائد " الكرمل " عـــن العشرينات ، و "فلسطين " و "الجامعة العربية " عن الثلاثينيات . والجريدتان الاخيرتان تحتلان أهمية خاصة لان كلا منهما كانت تمثل خطا خاصا بها ، الاولى جريدة المعارضة ، والثانية جريدة المجلســـيين .

سادسا : المصادر الرئيسية والثانوية من المؤلفات : لن نتعرض هنا لهـــذه المصادر بتوسع . ولعله

يكفي أن نذكر أن من أوسع هذه المصادر الاولية أو الرئيسية هي مؤلفات محمد عزة دروزة . ولهذه المؤلفات ميزة أن كاتبها مشارك في الحركة الوطنية منذ بواكيرها ، كما أن مادته تعتمد على مواد أولية كان الكاتب يسجلها أو يجمعها

أولا بأول . (اطلع دروزة كاتب هذه السطور على عدد من مفكراته التي كان يدونها ويجمع ما فيها أولا بأول) . وعلى أية حال يظهر في كتابات عزة دروزة أنه يحكمها خط أساسي . فقد جرت الكاتب أن يحاكم العمل الوطني بالنظر لعلاقة العاملين فيه ، بالانجليز . فأخذ على هؤلاء العاملين مهادنتهم للانجليز منذ وقت مبكر ، وعزا الى ذلك ضعف الحركة الوطنية في مجملها . ولعل تفسير هذا المذهب في موقف دروزة يعود الى كونه من أركان حزب الاستقلال الذين اعتبروا الانجليز رأس البلاء وأساس الداء ... ولعلهم في ذلك على حق كبير .

وبالمقابل فان السفرى يذهب في كتابه " فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية " منحى وسطا لا يميز فيه بين الخطرين ، وانما يعتبرهما من الاهمية بمكانة واحدة ، ان لم يرد الخطر الثاني على الاول .

كما أن مؤلفات صبحي ياسين عن الثورة ـ بالرغم من نزعته القاسية ـ لا يستغنى عنها أيضا .

كما أفاد الكاتب من البحوث المنشورة : كتبا ومقالات . وميزة هذه البحوث أنها موثقة . وتعتمد في غالبيتها على المصادر الاولية بالدرجة الاولى . ومن هذه البحوث ما قام به بورات ، وميزته أنه بالاضافة الى أنه يعتمد على مصادر مكتب السجلات العامة بلندن ، فانه يعتمد أيضا على المصادر الصهيونية فيكشف أبعادا في بحثه بالاضافة الى الابعاد التي يتيحها له اطلاعه على وثائق مركز السجلات . ولا يستطيع المرء أن يأخذ مأخذ أساسيا على بورات الا أنه كان أحيانا يحكم الشواهد الصهيونية أكثر من تحكيمه غيرها من الشواهد ، عند معالجته لبعض القضايا المتعلقة بتطور الحركة الوطنية الفلسطينية . وهنا يظهر أن الكاتب لم يستطع أن يتحرر من أسار مادته المصدرية .

كما أفاد الكاتب ـ من ناحية أخرى ـ من بحوث أخرى قام بها كتاب عرب فلسطينيون مثل الكيالي ، وخلة ، وغيرهما . ولعل المأخذ الاساسي عليهما أنهما لم يحاولا أن يدرسا الحركة الوطنية من داخلها ، بمقدار ما حاولا أن يفسراها تفسيرا خارجا عنها ، مرات كثيرة ، مع أن جهدهما العلمي يبقى جهدا جيدا في مجمله . فالكيالي من أوائل الباحثين الذين اعتمدوا على السجلات البريطانية كما أن خلة أفاد افادة كبيرة من الصحافة العربية .

ويبقى أن نضيف أن هنالك عددا من الكتب التي رجعنا اليها حتى تكتمل

٢٩٢٦
وزارة الاوقاف والشؤون الدينية
مكتبة المسجد العمري الكبير
بمدينة غزة
تجدد سنة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

لنا الصورة عن عهد الانتداب في فلسطين . ومن بين هذه الكتب مؤلفات جون مالرو . ومالرو عموما ـ رغم أن كتبه تشكو من قلة التوثيق ، فهو لم يرجع الى وثائق مكتب السجلات على سبيل المثال ـ أوتي مقدرة كبيرة على الفهم وحسن التفسير مما يجعل كتاباته ، مما لا يستطيع المرء أن يستغني عنه بسهولة عند البحث عن عهد الانتداب في فلسطين .

ولقد كان مقدرا لمصدر آخر ـ عالج فترة الانتداب أيضا ـ أن يكون بنفس الثقل والاهمية ، ذلك هو كتاب كرستوفر سايكس : " الطرق المتقاطعة الى اسرائيل " لو أن هذا الكاتب لم يلون استنتاجاته بلون يميل نحو الانتداب من ناحية ، واحيانا نحو الصهيونية من الناحية الاخرى . ومع هذا فانه للحق نقول أنه نفذ الى جوانب كثيرة من القضية الفلسطينية فأرخ لها بأصالة كاملة وبنفس مؤرخ حقيقي .

وشبيه بهذين الكاتبين هيروتز الذى قام بدراسة جيدة رغم أنها لا تخلو من بعض التحامل على العرب أحيانا ، وهي موثقة توثيقا دقيقا ، مع أنه فاته من الناحية الاخرى أن يرجع الى وثائق مكتب السجلات العامة .

وكتاب جون كمني " فلسطين أو اسرائيل " يعود الى وثائق مكتب السجلات وهذا الكتاب وان خلا أحيانا من روح الحياد والموضوعية ، فانه لا يخلو أحيانا أخرى من الابداع في التفسير وطرح وجهات نظر جديدة ، أو لعلها رؤية جديدة للاحداث ، يحاول أن يدعمها بمادته المصدرية .

وعلى أية حال فان كتابا مثل كتاب أهارون كوهين ، يحمل صفة أفضل ، كما ان أطروحته تستحق البحث : لقد حاول كوهين أن يقول أن الخطأ الاساسي للحركتين العربية والصهيونية ، أنهما لم تتفقا اذ لا بد من أن يتعايش العرب واليهود في فلسطين من أجل مستقبل أفضل للطرفين، فاضاعتا فرصة ذهبية وكان لبريطانيا دور كبير في ذلك وهو أمر شبيه بأطروحة جون كمني ولكن كمني يحمل الطرف العربي ـ بالاضافة الى البترول العربي ـ وزر ذلك ولا يحمله لليهود بنفس الدرجة .

البـــــاب الاول

(١)
المجتمع الفلسطيني وطبيعة التنظيمات والممارسات السياسية منذ نهاية الحرب العالمية الاولى حتى قيام الحزبين
١٩١٨ — ١٩٣٤

كان المجتمع الفلسطيني في مطلع القرن العشرين يتألف بصورة عامة من فئتين رئيسيتين : فئة الوجهاء أو الاعيان وهي محدودة العدد ، وفئة العامة التي تشمل غالبية الشعب الفلسطيني .

أولا : فئة الوجهاء والاعيان : كانت هذه الفئة تشمل وجهاء واعيان المدن والقرى . أما وجهاء واعيان المدن فقد استندت وجاهتهم الى دعائم دينية وادارية واقتصادية . وكانت الدعامة الدينية تقوم في الاساس على الانتساب الى البيت النبوي او الى احد كبار الفاتحين العرب . وقد اعترفت لهم الدولة العثمانية ببعض الامتيازات وعرفوا بالاشراف ورئيسهم النقيب . ومن هذه الامتيازات محاكمة الاشراف في بيت النقيب ، كما أنهم كانوا يدفعون شيئا من الضرائب ويعفون من الاشتراك في الجردة (العسكرية) .(٢) ولقد ساعد على تعاظم نفوذ الوجاهة الدينية ، استفادتها من الاوقاف ، وتوارثها للوظائف الدينية مثل الامامة والخطابة والاذان وخدمة المساجد و" تمسك كل عائلة كبيرة بهذه الوظائف " . (٣) .

ونتأت الدعامة الاقتصادية من الغاء الدولة العثمانية لنظام الالتزام في جمع الضرائب عام ١٨٣٩ ، والغاء حق جمع الضرائب الذى كان بموجب نظام الالتزام في أيدى شيوخ النواحي والقرى . فقد اصبح منح حق جمع الضريبة يتم في مزاد علني وبخول لمن يدفع فيه المبلغ الاكبر . ويبدو أن اعيان المدن استفادوا أكثر من غيرهم من هذا التغيير (٤) .

وقد استمد الاعيان نفوذهم في الادارة من الوظائف الادارية المهمة التي أسندت اليهم في أعقاب العمل بالتنظيمات الذى ابتدأ في عام ١٨٤٠ . وظلوا يشغلونها الى بداية القرن العشرين . ومن أصحاب تلك الوظائف عبد اللطيف

صلاح الذي أسس حزب الكتلة الوطنية عام ١٩٣٤ ، كما سيأتي معنا . فقد شغل منصب السكرتير الاول لمجلس المبعوثان العثماني . وأحمد حلمي عبد الباقي ، أحد مؤسسي حزب الاستقلال عام ١٩٣٢ شغل منصب المدير العام للبنك الزراعي ، ومصطفى الخالدي الذي أسند اليه منصب رئيس بوليس بيروت ومدعيها العام ، وموسى كاظم الحسيني الذي شغل منصب حاكم مقاطعة في اليمن (٥) .

وقد تمتع أعيان القدس بمكانة خاصة ، ربما لان القدس صارت بعد عام (١٨٥٠) متصرفية مستقلة عن حاكم صيدا وحاكم دمشق وارتبطت بالاستانة. فان سادة القدس بدمشق جعل أعيانها يتساوون في المدينتين . كما ان هذه الميزة للقدس جعلت أعيانها يرتفعون عن أقرانهم في مدينة كنابلس مثلا (٦) .

ويتجلى بروز أعيان القدس في المناصب التي تبوأها أفرادها في هذه المدينة في القرن التاسع عشر وحتى أوائل القرن العشرين. فقد شغل آل الحسيني منصب الافتاء منذ منتصف القرن التاسع عشر. وعندما تأسست بلدية القدس (١٨٧٧) رأسها عدد من أبنائها.كما شارك بعض أفراد عائلتي الخالدي والعلمي في هذا المنصب . وكان موسى كاظم باشا الحسيني بشغله عند الاحتلال البريطاني (٨)كما شغل آل الخالدي مناصب دينية وتوارث أبناء هذه العائلة منصب قاضي الشرع في القدس بصورة خاصة (٩) .

وجاء تقدم عائلة النشاشيبي في وقت متأخر عن الاسر الاخرى في القدس وتمثل بروزها في انتخاب عثمان النشاشيبي ، الذي كان ملاكا كبيرا ، عضوا في مجلس المبعوثان عام (١٩١٢). بينما عمل راغب النشاشيبي مهندسا لمقاطعة القدس . وفي عام (١٩١٤) أنتخب هو أيضا عضوا في مجلس المبعوثان.(١٠) وجهاء القرى: على الرغم من أن وجهاء القرى فقدوا كثيرا من نفوذهم

الاداري لاعيان المدن كما رأينا ، الا أنهم مع ذلك احتفظوا بكثير من مظاهر الزعامة الاجتماعية . ويزودنا الاستاذ البرغوثي بصورة واضحة عن وجاهة بعض العائلات في القرى واحتفاظها بمقومات هذه الوجاهة ، وبخاصة الارض الى وقت قريب ، حين يذكر أنه كان لال عبد الهادي ١٧ قرية ولال الجيوسي ٢٤ قرية وآل البرغوثي ٣٩ قرية . وفي العقد الثالث من هذا القرن كان عدد أفراد هذه

العائلات ما يلي : عبد الهادي ٦٠٠ شخص ، والحسيني ٦٠٠ شخص والبرغوثي ٣٠٠٠ ، وكانت تلك العائلات الثلاث تعتقد أن لها ميزة على غيرها من العائلات وفي حين أن عائلتي الحسيني وعبد الهادي لم يدخل فيهما دم غريب أدخلت عائلة البرغوثي بعض العائلات " الماجدة " أي ذات الرفعة والشأن في دمها ، ولقد كان التشدد الاكبر في حقل المصاهرة ، وكانت هذه الاسر لا تصاهر غيرها لاصرارها على الحفاظ على النسب ، ثم توسعت وصاهرت من ثبت نبله وتأكدت عروبته ، وعلى هذا آثرت هذه العائلات تزويج أبنائها وبناتها ان أمكن الى ابناء القبائل البدوية النبيلة (١١) :

ولقد حافظت كل من فئتي أعيان المدن والقرى على مكانتها الاجتماعية حتى عهد الانتداب وصارت أساسا لتقدمها ، فقد ذكر مراسل جريدة الكوكب القاهرية في رسالة الى جريدته ، صوّر فيها مدى النفوذ الذي يتمتع به وجهاء فلسطين منذ الايام الاولى للاحتلال ، قال : " فهم الذين تعتمد الحكومة عليهم في أعمالها ، كما كانت تفعل حكومة الترك ، والوظائف الكبرى والصغرى محرمة الا عليهم وعلى من يلوذهم ، ولو كان غيرهم من الكفاءة والاهلية بمكان عظيم (١٢)،

وبحسب دراسة قام بها الدكتور الناشف للنخبة الفلسطينية ودورها في العمل السياسي ان اللجنة العربية العليا التي قامت بها ١٩٣٦ (وأطلق عليها فيما بعد الهيئة العربية العليا) كانت مكونة من الناحية الاجتماعية على الوجه التالي :-

الفئة العليا	العدد	النسبة
	٢٨	٠/٠ ٨٧ر٥
الفئة الوسطى	٤	٠/٠ ١٢ر٥
المجموع	٣٢	٠/٠ ١٠٠

ويذكر الناشف أن هذه الفئة العليا كانت تشمل كبار الملاكين الذين كان عددهم ١٨ على الاقل (بنسبة ٠/٠ ٦٤ر٣ من اللجنة العربية العليا) ، وكبار التجار الذين شكلوا ٠/٠ ١٠ر٧ من مجمل عدد اللجنة بواقع ٣ أعضاء ، ويضيف الى ذلك أن أكثرها كان من عائلات المدينة ، كما يذكر الناشف أنه كانت تتم المصاهرة بين أفراد هذه اللجنة ، كما تمتع أعضاؤها بمستوى عال من التعليم وهكذا (١٣).

ثانيا : فئة العامة : وقد شملت هذه الفئة البورجوازية المتوسطة والصغيرة من المسيحيين والمسلمين والتي عملت بالتجارة والصناعة والمهن الاخرى . وليس من السهولة تمييز هذه الفئة البورجوازية من الفئة الاولى من الاعيان والوجهاء ، على أســـس اقتصاديـــة(١٤) .

وقد شملت هذه الفئة عمال المدن ، وفلاحي القرى الذين شكلوا نسبة تبلغ ٧٠ ــ ٧٥ ٪ من مجمل السكان(١٥) ولعل كتاب مرزق ( ) يعطـــي صورة حقيقية وحية عن وضع الفلاحين في فلسطين في نهاية القرن التاسع عشر(١٦) والذي استمر في مجمله الى وقت متأخر حتى عهد الانتداب فقد عانى الفلاحون بصورة كبيرة من الفقر والجهل والمرض ، وزاد في شقائهم كثرة الضرائب ممـــا جعلهم يتخلون عن اراضيهم لحساب الافندية بأسعار بخسة ، حيث كان يذهب بعضها للصهاينة (١٧) .كما شعر كثير من الفلاحين بتعالي اهل المدن عليهم .

ولقد شكل البدو نسبة كبيرة من هذه الفئة العامة وأكثر من الفلاحين مـن الناحية العددية ولكن مع ذلك ظل دورهم محدودا في حياة المجتمع العربـــي الفلســطيني (١٨) .

وقد كانت الاسرة كما هي الحال في المجتمعات العربية الاخرى هي ركيزة المجتمع الاولى . وقد كادت في فلسطين أن تكون أيضا محور حياة الفرد الـــذي يستأثر بولائه وذلك بسبب عوامل اجتماعية وتاريخية في مقدمتها عدم وجود كيان واضح قومي ، يشد الفرد اليه . يقول خليل السكاكيني " كان الفرد من الاســـرة الاسلامية لا يقول كلمة ولا يخطو خطوة الا وهو مراع تقاليده قبل كل شيء ، ومصلحة اسرته قبل كل مصلحة ، ونفوذ اسرته قبل كل نفوذ ... الفلسطينيون منشقون على أنفسهم بعضهم على بعض كل واحد منهم يمثل اسرته لا وطنه(١٩) . (التوكيد من قبـــل المؤلـــف .

ولقد ارتبطت العائلات الضعيفة بالعائلات القوية برابطة تدعمها العلاقات التقليدية والمصالح الاقتصادية . ويرى العالم السياسي الامريكي كوندت ان العائلة في فلسطين شكلت هرمية كاملة من أقصى القرى الى العاصمة (٢٠) ويعطي الاستاذ عزة دروزة أمثلة على ارتباط العائلات " الفرعية " بالعائلات الاكبر منها ومنهـا عائلة طوقان في نابلس : " وهذه اسرة عربية كان لها بروز في مجال الحكـم في فلسطين وخاصة في منطقة نابلس مثل بني النمر ، وكان بروزها على أساس بـــروز

هؤلاء أي أن منهم موظفين تابعين للدولة عزلا ونصبا مع امتداد بروزهم أكثر من ١٥٠ سنة وينضوى تحت اسم طوقان اسر خليفة وحضر ورحال وسعيد وعبد الرزاق والعثمان والحواجة ثم الاعوات والبيكات والاسرة الاخيرة هي التي كانت تسمى طوقان دون اسم آخر "(٢١) وقد وجد الموالون لاسرة طوقان على مستوى قضاء نابلس جميعه . وقس على آل طوقان غيرهم من العائلات مثل عبد الهادي والحسيني والبرغوثي الـــخ .

هذا على الصعيد الاجتماعي أما على الصعيد السياسي والمعتقدات السياسية فقد تأثر الفلسطينيون بالقومية العربية (٢٢) التي بدأت تحسا ثقافيا وحضاريا لمقومات الامة العربية وتحولت فيما بعد الى محاولة للانتماء على الاتراك بدأت معالمه في التبلور والوضوح في مقتبل القرن الحالي ومع ظهور حركة التتريك فقد شارك الفلسطينيون في التنظيمات السياسية (٢٣) المناوئة للاتراك . وقد قاد بعض الفلسطينيين بعض هذه التنظيمات مثل الجمعية " العربية الفتاة " كما أسهم ساهموا في جمعية العهد (٢٤) .

كما كانوا عاملين في نوادي الاستانة التي كانت تصح بالحماس للقومية العربية مثل المنتدى العربي (٢٥) ؛ (٢٦) .

ومع قيام الحرب العالمية الاولى تعرض شباب فلسطين العاملون في حقل القومية العربية الى قمع السلطات التركية وكان منهم شهداء في عاليه ودمشق وغيرهما (٢٧) وباندلاع الثورة العربية عام ١٩١٦ على الاتراك تداعى الفلسطينيون لنصرة الامير فيصل بن الحسين . وأسهموا في وضع الميثاق العربي (ميثاق دمشق) (٢٨) . الذي نادى باستقلال الارض العربية . وتنظيمها في دوله واحده مستقلة ، وأصبح بمثابة الدستور السياسي للشريف الحسين الذى اعتمد عليه في مفاوضاته مع بريطانيا .

كما شارك الفلسطينيون في معارك الثورة ضد الاتراك العثمانيين وقاد أسعد الحسيني الذى هجر صفوف القوات التركية في أزمير وفرّ الى فلسطين ــ عددا من المتطوعين الفلسطينيين يذكر أحد المؤرخين انه بلغ ألفي رجل (٢٩) .

وبصدور وعد بلفور في ٢ نوفمبر ١٩١٧ واحتلال القوات البريطانية فلسطين في ٩ ديسمبر ١٩١٧ ، وابتداء فصل جديد من النشاط الصهيوني على اساس وعد بلفور تمثل بقدوم اللجنة الصهيونية ، كان من الطبيعي ان يتركز نشاط الفلسطينيين

في مقاومة الاحتلال ومطامع الصهيونية . يقول أمين الحسيني : " وقعت في مصيدة مزدوجة بين براثن بريطانيا الظالمة ، وبين مخالب اليهودية العالمية الغاشمة . وكلتاهما لا تقيم للحق والعدل وزنا . ولا تعرف للرحمة معنى" (٣٠) ولقد كان هذا الواقع السياسي الجديد بعدا آخر عمل الفلسطينيون تحت تأثيره . فقد كانت الصهيونية بصورة أو بأخرى امتدادا للاستعمار البريطاني .

ويتبين لنا من دراسة التنظيمات والممارسات السياسية أنها مرت بمراحل ثلاث :-

المرحلة الاولى : وتمتد زمنيا بين عام ١٩١٨ - ١٩٢٣ تقريبا .

المرحلة الثانية : وتمتد زمنيا بين عام ١٩٢٣ - ١٩٢٩ .

المرحلة الثالثة : وهي تمتد زمنيا بين عام ١٩٢٩ - ١٩٣٤ .

المرحلة الاولى

١٩١٨ - ١٩٢٣

مارس الفلسطينيون نشاطهم السياسي في هذه المرحلة ضمن دائرتين : دائرة فلسطينية ، ودائرة سورية . وقد تداخلت هاتان الدائرتان أحيانا .

فمن حيث الدائرة الاولى نجد أن التنظيمات والممارسات السياسية كانت تجسيدا للحركة الوطنية المحلية . فقد ولد اول تنظيم سياسي - كما سنوضح فيما سيتلو من صفحات - وهو الجمعية الاسلامية المسيحية كرد فعل مباشر للخطر الصهيوني الذي دق ناقوسه صدور وعد بلفور ووصول أخباره الى فلسطين . يقول السفري : " لم يكد يطلع العرب على تصريح الجنرال بولز (عن وعد بلفور) .. حتى هبوا للجهاد ومقاومة خطر الصهيونية (٣١) كما تتفق مراجع كثيرة على أن الحركات السياسية في فلسطين كانت ردّ فعل مباشر للاحتلال الانجليزي (٣٢) الذي التزم ايضا بالصهيونية بموجب وعد بلفور .

ولقد جاءت الاحداث التالية لوعد بلفور لتزيد أهل فلسطين تعورا بالغضب فقد أثار خطاب وايزمن في مؤتمر السلام في باريس والذي قال فيه : " ان فلسطين ستصبح يهودية كما ان انجلترا انجليزية (٣٣) طلا من القلق المريع لدى الفلسطينيين .

ووصف الجنرال كلايتون الذى كان يشغل منصب الضابط السياسي للادارة العسكرية في فلسطين ، بناء على اتصاله بالقادة والناس عامة في فلسطين ، السيطرة اليهودية على فلسطين ، بأنها حلم رهيب للمسلمين والمسيحيين (٣٤) .

ومن الناحية الاخرى توجه الفلسطينيون نحو الامة العربية وبالذات نحو سوريا . بل لقد وجدت تنظيمات سياسية في فلسطين كانت وليدة هذا التوجه العربي ، مثل النادي العربي والمنتدى الادبي ـ اللذين سنبحثهما بدراستنا عن التنظيمات بعد صفحات قليلة ـ فدعاة هذا الاتجاه اعتبروا فلسطين جزءا لا يتجزأ من سوريا الكبرى . والواقع أن روح النضال في فلسطين باعتبارها سوريا الجنوبية طغت على النضال من أجل فلسطين كفلسطين . ولقد لعبت عوامل عديدة دورها في خلق هذا الاتجاه ، وفي طليعتها أن دمشق كانت قد أصبحت قاعدة وتجسيدا للقومية العربية والاستقلال العربي عن الاتراك ، تلك الفكرة التي طالما راودت أحلام القوميين العرب وضحوا من أجلها بتضحيات جسيمة(٣٥) . كما أنه كان لتنصيب فيصل رئيسا لهذه الدولة أثره في التفاف الفلسطينيين حولها وحوله اذ " لم يبق ما يمثل الثورة العربية والآمال العربية والدماء العربية غير الحجاز وغير سوريا الداخلية والتي قامت فيها حكومة عربية عسكرية على رأسها فيصل ، والتي كان العالم العربي يتموج فوقها وحدها "(٣٦) وقد التف حول فيصل رعيل ليس بالقليل من الفلسطينيين : وكان في دمشق في خلال الفترة جالية فلسطينية كبيرة لها صوت مسموع في الدوائر السياسية .

كما تبوأ عدد كبير من رجالها مناصب رفيعة في دوائر الحكومة وفي الاحزاب والجمعيات والصحافة (٣٧).

يضاف الى العوامل السابقة عامل آخر ليس أقل أهمية منها ، الا وهو أن سكان سوريا كانوا قد وعدوا بالحق في اختيار حكومتهم . وعلى هذا فقد عزا الفلسطينيون حرمانهم من هذا الحق الى وعد بلفور ومن هنا ازداد تشبثهم في أن يعتبروا جزءا من سكان سوريا .

وعلى أية حال فانه ليس من السهل وضع تاريخ محدد لبداية التوجه في النشاط السياسي في فلسطين ، ما بعد الاحتلال الانجليزى ، نحو سوريا الفيصلية ولكنه على ما يظهر بدأ مع بواكير استشعار الفلسطينيين بالخطر الصهيوني وعقدهم لاول مؤتمر عام لهم في نوفمبر ١٩١٨ (٣٨)ومما لا شك فيه أن هذا التوجه في

قسم كبير منه كان مترسبا عن ، أو امتدادا للتوجه الفلسطيني نحو القومية العربية قبل ذلك . فلقد تمكن انصار هذا الاتجاه في المؤتمر الاول من الانتصار على الاتجاه الاخر الذي كان يؤثر الاكتفاء بالعمل لفلسطين كفلسطين فقط وليس كسوريا الجنوبية . وقد قاد انصار الاتجاه العربي محمد أمين الحسيني رئيس النادي العربي في القدس (٣٩).

الا أنه من السهل من الناحية الاخرى وضع تاريخ محدد لنهاية هذه المرحلة السورية . فقد اختتمت هذه المرحلة بسقوط فيصل أو تخليه عن عرش سوريا ، الذي شعر الفلسطينيون حياله بأسى شديد وخيبة أمل كبيرة ظهر أثرهما في مشاعر المؤرخين المعاصرين(٤٠) .

التنظيمات في المرحلة الاولى :

---

١ ـ الجمعيات الاسلامية المسيحية : كانت أولى التنظيمات السياسية في فلسطين انبثاقا هي الجمعيات الاسلامية المسيحية " لغرض اظهار الوحدة القائمة بين المسيحيين والمسلمين العرب ولاحباط أية دعاية طائفية ودينية يقوم بها الانجليز ضد العرب(٤١) " . وقد اتخذت هذه الجمعيات رمزا لها " اشارة الهلال بداخله الصليب " (٤٢) دليلا على ما هدفت اليه . ولقد ظهرت أول جمعية اسلامية مسيحية في يافا في نوفمبر ١٩١٨ وتلتها جمعية القدس بعد حوالي اسبوعين وقد ولدت هذه الجمعية الاخيرة كرد فعل على احتفال اللجنة الصهيونية بذكرى وعد بلفور (٤٣) . وهناك أكثر من دليل على أن الحكومة البريطانية ـ انطلاقا من سياسة حفظ التوازن بين اللجنة الصهيونية والعرب ـ شجعت أو على الاقل لم يكن لديها مانع في قيام هذه الجمعيات . فقد ورد في خطاب رفيق العظم ـ وهو أحد قادة الحالية السورية العاملين في الحقل السياسي والدعائي للقضية العربية عامة في القاهرة ـ ما نصه " ونحن نساعدكم بمقدار ما يمكن ، وقد صرحت لنا الحكومة بتشكيل مثل هذه الجمعيات " (٤٤) .

كما أن حاكم يافا العسكري كتب لحكومة الاحتلال يقول: "اقترحانشاء لجنة عربية من أجل حفظ التوازن بين العناصر . فالذي يخشاه العرب ليس اليهود في فلسطين ولكن اليهود القادمين الى فلسطين "(٤٥) كما كتب كلايتون في ٤ اغسطس ١٩١٨ تقريرا يقول فيه : " استقالت الجمعية الاسلامية المسيحية في يافا

بسبب فشلها التام في تحقيق هدفها في السهر على مصالح العرب المسيحيين والمسلمين وبقوم الحاكم العسكرى الان باتخاذ الخطوات اللازمة لتشكيل جمعية جديدة (٤٦) " .

وقد أتى تقرير آخر للميجر جنرال واتسن نائب الحاكم العام لفلسطين على اعتدال هذه الجمعيات (٤٧) ، على أن امتداد الجمعيات الاسلامية المسيحية وانتشارها على مستوى فلسطين جميعها كان ـ كما نرى وفي وثائق أكرم زعيتر ـ نتيجة لضغط الشباب العرب الذى جاء ردا على المؤتمر الذى عقده اليهود في في ١٨ ديسمبر ١٩١٨ لوضع مشروع الحكومة المؤقتة في فلسطين (٤٨) . كما أنه لم يلبث أن بدأ السعي لتوحيد هذه الجمعيات في جمعية واحدة تستطيع أن تصنع برنامجا موحدا وتتبنى أهدافا واحدة تتقدم بها الى مؤتمر السلام (٤٩) وقد أسفرت هذه الجهود عن تشكيل الجمعية الاسلامية المسيحية الفلسطينية وجعل مركزها القدس . وتم ذلك بموافقة السلطات البريطانية (٥٠) . ومنح قانون الجمعية الحق لجميع أقضية فلسطين في انشاء فروع للجمعية فيها اذا رأى القضاء الارتباط بها مناسبا . ونص قانون الجمعية على " أن تنتخب كل جمعية عضوين من أعضائها ما عدا جمعية القدس فتنتخب أربعة (٥١) وتتألف من مجموع هؤلاء الاعضاء المنتخبين قيادة هذه الجمعيات أو ما سمي " الجمعية الفلسطينية " (٥٢) وعلى هذا صارت قيادة سياسية مركزية تكون " قراراتها سارية على كل قضاء في فلسطين " وقد عقدت هذه الجمعيات ثلاثة مؤتمرات عامة . وفي المؤتمر الثالث في حيفا (١٩٢٠) انتخبت هذه الجمعيات لجنة تنفيذية دائمة وأصبح لهذه اللجنة سكرتيرية دائمة (٥٣) . وعلى الرغم من هذا فلم تستطع اللجنة التنفيذية أن تحول الجمعيات الاسلامية المسيحية عن كونها اطارا فضفاضا للعمل السياسي ، غلبت عليه أحيانا كثيرة الصفة المحلية ، وغابت في تنظيمها الناحية الهرمية بالنسبة لصلتها باللجنة التنفيذية . فلم تكن الجمعيات الاسلامية فروعا بمعنى الفروع لهذه اللجنة التنفيذية ، تتلقى تعليماتها وأوامرها منها وترتبط بها ارتباطا وثيقا . بل يظهر أن دور اللجنة التنفيذية اقتصر على متابعة قرارات المؤتمرات والتي كانت تأخذ صفة عامة ذات علاقة بالقضايا الكبرى للبلاد (٥٤) ويلقي تقرير للمندوب السامي ضوءا على طبيعة هذه النشاطات العامة للجنة التنفيذية . فاللجنة التنفيذية تطلب من الفروع موافاتها عن موقفها من :-

" ا ـ الرأى في عدم دفع الضرائب .
ب ـ الرأى في المقاطعة البهودية .
جـ ـ نشاطات جمعيات كالنرسكي الوطنية (الجمعيات الوطنية الاسلامية)
د ـ الوفد المسيحي .
هـ ـ طلب دفع المخصصات المالية " (٥٥).

فلقد كانت الجمعيات الاسلامية المسيحية الوسيلة التي تتصل من خلالها القيادة في القدس (اللجنة التنفيذية) بقطاعات الشعب العريضة وتتلقى منها رأى هذه القطاعات ولكن مع ذلك لم تشكل الجمعيات الاسلامية المسيحية مع اللجنة التنفيذية كيانا واحدا متماسكا ومنجانسا يعمل بطريقة عضوية ، وفعالة ومستمرة (٥٦).

كماكانت الجمعيات الاسلامية المسيحية تعاني من حيث تنظيمها من خلل أساسي تمثل في افتقارها الى نظام الانتخابات في اختيار عناصر القيادة . فقد سيطرت عليها نخبة من الوجهاء وابناء العائلات والمتقدمين اجتماعيا في الاوساط المختلفة من الطوائف والقرى والحمائل .

وعلى أية حال فانه في أفضل الحالات كان يتم الانتخاب بواسطة اجتماعات طارئة يعقدها الاعضاء العاملون ولكن بدون أن يأخذ هذه الاجتماعات طابعا منظما بطريقة مدروسة أو بأوقات محددودة . وكثيرا ما أخذ على الاختيار طابع الارتجال ، وتمشية الحال ، وسد الخانات . فمؤتمر حيفا الثالث وهو من أهم المؤتمرات الفلسطينية ، كان يتألف من ٣٧ عضوا بينهم ١٧ من حيفا نفسها(٥٧) .

ومن الاسباب التي أدت الى عدم انتهاج اسلوب الانتخاب سيطرة الامية على نسبة كبيرة من الشعب العربي في فلسطين . ويقدر أحد الكتاب أن حق الانتخاب لم يكن يمنح الا لخمسة في المائة من مجموع الامة وهم أولئك الذين يحسنون القراءة والكتابة وتتجاوز أعمارهم الخمسة والعشرين (٥٨).

ولدى الدكتور حسين فخري الخالدي ، وهو شخصية معاصرة ، صورة لقيادة هذه الجمعيات وردت في معرض حديثه عن المؤتمر الثالث لهذه الجمعيات : " أول مؤتمر حضره بعض الاعيان والشخصيات المعروفة الحضرية منها والقروية والبدوية من عشائر بئر السبع " . كما انه يأخذ على هذه القيادة غياب الديمقراطية التي أشرنا اليها أعلاه : " ولم يكن هنالك قاعدة ديمقراطية كما

يقولون لانتخاب أبناء الذوات الذين دعوا لحضور هذا المؤتمر الاول . وكانت الدعوة مرتجلة ترتب قوائم المدعوين من قبل القائمين على مكتب الرئاسة والسكرتيرية ليضعوا بها الاكثرية التي تقف الى جانبهم وتعمل بوحيهم وارشادهم وتوجيههم . يحضرها ممثلون عن الجمعيات الاسلامية المسيحية وغيرها من الجمعيات ورؤساء البلديات وبعض الاعيان ومخاتير القرى ورؤساء العشائر وظل هذا النظام معمولا به في المؤتمرات اللاحقة سنين وبذلك سيطرت سكرتيرية المؤتمر على من يدعى ومن لا يدعى "[٥٩] .

والدارس لتركيب هذه الجمعيات لا يعارض الحالدي في مايذهب اليه فواقع الامر ان قيادة الجمعيات الاسلامية المسيحية سيطرت عليها مراكز القوى العائلية وبخاصة من الحسينيين(٦٠) .

كما ترك غياب الصفة الانتخابية للاعضاء القياديين بصورة منتظمة وعلى أسس رياضية أثره على القيادة من ناحيتين رئيسيتين : الاولى أنها جاءت مكررة في كثير من مؤتمراتها ولجانها التنفيذية . بل أن مؤرخا هو سينون ولمانز يذهب الى أن عناصر مؤتمر يونيه ١٩١٩ (من الفلسطينيين) في دمشق هي التي كانت يعاد تكوين الهيئات القيادية منها الى عام ١٩٣٥ (٦١). وكان هذا هو أساس اتهامها هي والمؤتمرات من قبل أعداء الحركة الوطنية كالصهاينة وسلطات الانتداب بأنها غير ممثلة لابناء البلاد(٦٢) .

وعلى ما يظهر فان عضوية الجمعيات الاسلامية المسيحية لم تكن من الناحية التنظيمية بافضل حال من القيادة . فقانون الجمعية الاساسي لا يتضح منه أن هناك شروطا واجبة للعضوية (٦٣)ومن هنا فقد سيطر مبدأ الحشد والتجميع كيفما اتفق في اختيار الاعضاء . " بشكل كل قضاء جمعيته الخصوصية حسب القانون الذي يوافق قضاءه وله أن يزيد وينقص في عدد الاعضاء حسب المصلحة(٦٤) . وعلى هذا فقد اجتمع لهذه الجمعيات أعضاء من كل اتجاه بلغ ببعضهم أن يكون " " ماجورا " او " اجنبي النزعة " كما يذهب السكاكيني . (٦٥) .

وقد ترك تركيب القيادة والعضوية لهذه الجمعيات أثره على نشاطها التنظيمي . ولم يكن هنالك اجتماعات منظمة او منتظمة للاعضاء(٦٦) كما أنه لم يكن لهذه الجمعيات ايدلوجية معينة أو برامج محددة أو مقننة كما أنها اشتكت من غياب التثقيف السياسي . فهي كما يصفها احدهم " لم تكن نواة سياسية

حقيقة تضم نخبة مفكري البلاد أو المثقفين ، ولم تكن تلقى فيها المحاضرات السياسية التي تشرح للمواطن حقائق الامور ... (٦٧) .

كما أنه لم يكن هنالك انضباط أو انتظام في دفع الاشتراكات بحسب ما دعا اليه قانون الجمعية (٦٨) وعلى هذا فقد كان هنالك نقص في تمويل هذه الجمعيات ولجانها التنفيذية أدى الى عرقلة أعمالها فكثير من الوفود الرسمية لهذه الجمعيات كانت تصطدم بالصعوبات المالية . وكثيرا ما اضطرت هذه الوفود لقلة المال أن تستدين أو تستعطف بعض التجار الاعيان لتغطية مصاريفها السفرية ولم يكن هنالك تنظيم في الاعمال والمال السلازم (٦٩) .

ومجمل القول لقد انطبع نشاط هذه الجمعيات بطابع العفوية والارتجال وبصفة الحال . يقول السكاكيني عن جمعية القدس : "يجتمعون كل أسبوع ، يفتحون جلساتهم ويختمونها ، بدون قراءة وقائع أو تقرير أمر ، كأنهم مجتمعون في قهوة ، يمر الشهر تلو الشهر ، ولا يدفع اشتراك بحيث يضيقون ذرعا بأجرة البواب . الخلاصة أنها جمعية على وشك الاحتضار ." (٧٠)

كما يصف الخالدي " اللجنة التنفيذية" وهي الجهاز الاعلى أو المركزي لهذه الجمعيات بأنها مضافة كبيرة ومكان سمر وحديث ولا ملفات ولا وثائق ولا احصاءات أو فنون أو خبراء كما كانت عليه الحالة في معسكر اليهود " (٧١) .

٢. النوادي والجمعيات ذات الطابع المتطرف

وظهرت في هذه المرحلة تنظيمات أخرى اتسمت بمعض الكفاءة ، وكان أهم هذه التنظيمات النادي العربي والمنتدى الادبي والجمعيات السرية التي عملت كأجهزة منفذة لاهداف الناديين غير المعلنة في مقاومة الصهيونية والاستعمار مثل جمعية الاخاء والعفاف (الفدائية) وجمعية الكف السوداء .

وقد اختلف الناديان في تكوينهما عن الجمعيات الاسلامية المسيحية فأغلب أعضائهما كانوا من الشباب المتنور كما يظهر أنهما كانا ينطلقان من أفكار تقوم على الايمان بالقومية العربية وتوحيد فلسطين مع سوريا . (٧٢)

وقد قام على تأسيس النادي العربي في القدس ، وعمل رئيسا له ، أمين الحسيني كما شارك معه في التأسيس شخصيات أخرى من القدس (٧٣) ولم يلبث هذا النادي أن أسس له فرعين الاول في يافا والاخر في نابلس (٧٤) ويذكر بورات

اعتمادا على المصادر الصهيونية أن الاعضاء العاملين في هذا النادي كانوا من بين الصفوف الشابة من آل الحسيني ومن كان يمت لهم بصله المصاهـــرة أو النســـب (٧٥) .

وقد أصدر عارف العارف وحسن البديري ـ وهما عضوان نشيطان في هذا النادي ـ اول جريدة في فلسطين بعد الاحتلال باسم "سورية الجنوبية" (٧٦) وورد في العدد الاول " اذا لم يسمع لصوتنا فاننا سنمضي من الاقوال الى الافعال" وسنستبدل السيوف بالكلمات وسنكتب بالدم بدلا من المداد (٧٧)، وقد انطلقت هذه الجريدة من ثلاثة مبادئ رئيسية دافعت عنها بطريقة " قوية الحجة ، شديدة اللهجة " هذه المبادئ هي الوحدة السورية والاستقلال التام ورفض الهجـــرة الصهيونية" ويبدو أنها كانت أشبه بمدرسة فكرية "علمت الناس كيف تقاوم " كما يرى السفرى (٧٨) .

أما المنتدى الادبي فقد تأسس في القدس عام (١٩١٨) على يد حسن صدقي الدجاني ويوسف الخطيب باسم "جمعية مقتطف الدروس" التي لم تلبث أن تحولت الى المنتدى الادبي ، حيث برزت للمنتدى قيادة جديدة من الاعضاء البارزين لعائلة النشاشيبي كان من بينهم العربي والاديب اسعاف النشاشيبي يساعده فخري وفؤاد النشاشيبي. كما أن غالبية أعضاء هذا النادي والقاعدة الرئيسية له تكونت من آل النشاشيبي (٧٩) .

وكان هدف هذا النادي شبيها بهدف النادي العربي : توحيد فلسطين مع سوريا . ويبدو أنه لم يكن أقل ميلا الى العنف والتطرف من النادي العربي . ويظهر ذلك في أدبيات هذاالنادي التي كان ينشرها أعضاؤه العاملون . فقد دعا اسعاف النشاشيبي الى خلق حالة من " الاضطرابات الدائمة" كما دعا محمود عزيز الخالدي الى اغتيال بعض زعماء اليهودفي يافا وحيفا لبث الذعر في قلوب من يحتمل هجرته الى فلسطين من اليهود . وقال أن شباب هذا البلد لا يختلون أحدا بما في ذلك الحكومة الاستبدادية نفسها. أنهم يريدون البدء بالعمل حالا . وهم جميعا على استعداد لملاقاة الموت سعداء ، وأن معظمهم يسألونني عن الموعد الذي يشرعون فيه بالثورة ضد الكفار ، ويظهرون فيه قوتهم ، ويتخلصون منهم الى الابد(٨٠). ولعل نزعة التطرف هذه هي التي جعلت كلا من الانكليزوالصهاينة يعتبرانه الاكثر بين النوادي والجمعيات الاخرى تطرفا (٨١) .

وارتبط بالناديين العربي والادبي جمعيات أخرى قليلة الاعضاء ولكنها كانت أكثر تمسكا بالسرية في نشاطها وخططها . ولقد كان بين هذه الجمعيات " جمعية الاخاء والعفاف " التي كانت بمثابة القوة الضاربة أو اليد المنفذة للمنتدى الادبي ثم فيما بعد ذلك للنادى العربي ، وكانت مهمة هذه الجمعية توزيع المنشورات والمحافظة على الانضباط في الاجتماعات كما أنها تشرف على تنظيم المظاهرات (٨٢) . كما يبدو أنها كانت تعمل على التخلص بالوسائل السرية من العناصر الموالية لليهود من العرب (٨٣) وقد رأس هذه الجمعية الشيخ سعيد الخطيب وكان من بين دعاتها بعض رجال الدين .

كما كان من بين هذه الجمعيات " جمعية الكف الاسود " التي تأسست عام (١٩١٩) (٨٤) . وقد غيرت هذه الجمعية اسمها في ٥ مايو (١٩١٩) الى جمعية الفدائية ويظهر أن أمين الحسيني كان له دور كبير في تأسيسها(٨٥) . ولم تلبث هذه الجمعية أن انتشرت في البلاد وكونت فروعا لها في القدس وغزة ونابلس وطولكرم ورام الله والخليل ويافا وقد ارتبطت هذه الجمعية ـ مثلها في ذلك مثل جمعية الاخاء والعفاف ـ بالناديين العربي والادبي (٨٦) .

٣. الجمعيات السياسية في سوريا :

عمل الفلسطينيون أثناء وجودهم في سوريا الفيصلية من خلال جمعيات معينة مثل النادى العربي بدمشق الذى " غدا بيتا قوميا يلتقي في أبهائه وغرفه السياسية شباب الحركة ورواد دمشق القادمون من مختلف الانحاء العربية (٨٧) . كما عملوا من خلال جمعية النهضة الفلسطينية " التي أنشأوها لمناصرة القضية الفلسطينية والدفاع عنها وأسماع صوت فلسطين "(٨٨) .

وفي أول يوليو ١٩٢٠ أنشأوا جمعية باسم "الجمعية العربية الفلسطينية" تعمل على جمع كل الجمعيات الفلسطينية وتوحيد غاياتها وتسعى لمقاومة الهجرة الصهيونية وانتخبوا لها هيئة ادارية من ابراهيم القاسم عبدالهادى وأمين الحسيني وسليم عبد الرحمن ومعين الماضي وعزة دروزة وعارف العارف (٨٩)

ويظهر أنه ولدت في هذه الفترة بجهود أمين الحسيني لجنة الدفاع الفلسطينية التي اعتمدت على أعضاء آل الحسيني . وكانت ، منظمة بطريقة حسنة من قبل موسى كاظم الحسيني وأمين وجمال الحسيني الذين كان لهم تأثيرهم الكبير على الشباب الفلسطينيين (٩٠) .

ثالثا الممارســـات :ـ

حفلت المرحلة الاولى (١٩١٨ـ١٩٢٣) بانماط متعددة من الممارسات . وقامت فيها الحركة السياسية في فلسطين بدور كبير في النشاط السلمي والعنيف : فمن بيانات الى مظاهرات وعصيان وانتفاضات ،الى مؤتمرات ووفود واجتماعات الخ.

وتستطيع أن نتبين وسط معترك الممارسات أربعة خطوط رئيسيـــة :ـ

١ ـ الدعاوة والتنظير : وقد شملت اصدار البيانات والمذكرات والاحتجاجات والنداءات والبرقيات واقامة الاحتفالات المسيسة والقاء الخطابات وكتابة المقالات الصحفية . وكذلك وضع المفهومات الكبرى للنضال الوطنـــي .

٢ ـ التظاهرات السياسية وأساليب العصيان والانتفاضـــات .

٣ ـ ابعاد الوفود من أجل المفاوضة حول القضية الفلسطينية واسماع وجهة النظر الفلسطينية للرأى العام العالمـــي .

٤ ـ عقد المؤتمرات التي تميزت قراراتها بالرفـــض .

١ . الدعاوة والتنظير : كان في طليعة من دعوا الى القضية الفلسطينية على أساس من خطهم السياسي والمنادى بالقومية العربية النادى العربـــي والمنتدى الادبي . بدا ذلك في الاحتفالات الادبية والمظاهرات والحفلات والمؤتمرات والمنشورات وغيرها . ويحدثنا السكاكيني في مذكراته ـ وهو الذى يعتبر نفسه منظرا للقومية العربية (٩١) عن الاحتفالات الادبية التي كثيرا ما استغطت اهتمام اناس مسؤولين (بريطانيين وعرب) وعاديين (٩٢) ويروي جريدة فلسطين أن فريقا من أدباء القدس قاموا في ١١ و ١٢ ابريـل ١٩١٨ (أي بعد يوم واحد من وصول اللجنة الصهيونية) بتمثيل روايـة (فتاة عدنان وشهامة العرب)وهي عن (حرب البسوس) في منتدى المدرسة الرشيدية . وعلقت في قاعة التمثيل خريطة كبيرة لفلسطين كتب تحتها الابيات التاليـــة :ـ

أرض فلسطين التي بوركـت ... أرض المباديء بنـي يعـرب
يا خير أرض الله لا تبأسـي ... مالي عن حبك من مذهـب
اننا سنفديك بأرواحنـــا ... ونرتقي مستصعب المركـب
حتى تُري كالشمس في خدرها ... تضيء في الشرق وفي المغرب (٩٣)

ولم تكن الاحتفالات برغم كل دلالاتها على أصالة التوجه العربي لدى أعضاء هذين الناديين كل ما هنالك . بل لقد رفع هذان الناديان شعارات وخاصة بمناسبة قدوم لجنة كنج كرين ـ تلمح منها مدى وضوح التوجه السياسي أو الرؤية السياسية لدى هذين الناديين. يقول السكاكيني : " لم تشرق شمس هذا النهار (الاحد ١٩١٩/٣/١٥) حتى كان النادي العربي بالاشتراك مع المنتدى الادبي قد علقوا على حبل ممدود من النادي الى مطعم سليم ملاءات كتبوا عليها بخط كبير هذه الجمل " نطلب استقلالا تاما " ، " سوريا لا تتجزأ " ، تجتمع على الصهيونيين ونرفض مهاجرة اليهود الى بلادنا " " ليعيش الامير فيصل " سوريا تمتد من جبال طوروس شمالا الى ترعة السويس جنوبا " ولكن لم تلبث الحكومة أن اعترضت على ذلك فانزلوا ملاءاتهم عند الساعة الحادية عشر صباحا . (٩٤) .

كما أن هذه المرحلة امتلأت بالبيانات والنداءات والمنشورات التي نجد نماذج كثيرة لها في صحف هذه الفترة ومؤلفاتها (٩٥).

فمنذ بواكير العمل الوطني نجد احتجاجات وبيانات الجمعيات الاسلامية المسيحية تتوالى بصورة فظاعة ما يتعرض له العرب من ظلامات ويذكر السفري أن أول " عمل قامت به الجمعيات هو الاحتجاج على قرار مجلس الحلفاء الاعلى بفرض الانتداب وادماج وعد بلفور فيه خلافا للعهود المقطوعة للعرب والتي لاجلها اشتركوا مع الحلفاء في الحرب الكبرى (٩٦) .

والدارس لشعارات هذه المرحلة عموما يدرك الزخم الوطني الكبير الذي كان تعبيرا عن المشاعر التي عاناها الفلسطينيون في هذه الفترة . ويذهب أحد المؤرخين اليهود الى أن الوثائق الصهيونية المحفوظة في سجل الوثائق الصهيونية المركزي تحتوي على خمسة وثلاثين شعارا بعضها مطبوع وبعضها الاخر مكتوب بخط اليد . وكان من هذه الشعارات التالية : " الخطر الصهيوني حقيقي وليس متوهما " و " بيع الاراضي للصهيونية خيانة " و " فلسطين جنوب سوريا " و " الاقصى ثالث الحرمين قائم في فلسطين " و " ستصبح فلسطين صهيونية عندما تصبح انجلترا المانية و " قوة اليهود في المال وقوة العرب في الوحدة " (٩٧) .

وأثناء وجود العاملين السياسيين الفلسطينيين في دمشق حملت بياناتهم الى فلسطين هذه الشعارات : " انقذوا المسجد الاقصى من الغازي الصهيوني "

" احموا كنيسة القيامة" و " سيفيض نهر اليرموك بالدم ولن تذهب فلسطين لليهود " و " كل اليهود صهاينة " (٩٨).

عمل هذا الادب الدعائي على تكوين مفاهيم سياسية متكاملة عن القضية الفلسطينية ، قامت على مقولة الاستمرار التاريخي للعرب في فلسطين ونسبتهم العددية لليهود في فلسطين . كما بنى الفلسطينيون حقهم في بلادهم على حجج دينية مثل أن مدينة القدس مقدسة لدى جميع الاديان وبينما يشكل المسلمون (٣٥٠)مليونا والمسيحيون (٧٥٠) مليونا فان عدد اليهود لا يتوف عن (١٤) مليونا (٩٩). كما ركز العرب على العهود والمواثيق التي أعطيت لهم من الحلفاء خلال الحرب العالمية الاولى وما تلاها . وقد استند العرب الفلسطينيون في حقهم : الاستقلال ضمن دولة عربية ، على مراسلات الشريف حسين مكماهون وبالذات رساله ٢٤ أكتوبر (١٠٠) ومن هنا فقد ركز الفلسطينيون هجومهم على وعد بلفور باعتباره مخالفا لهذه المراسلات كما أنه مخالف للمادة ٢٢ من ميثاق عصبة الامم والتي تقضي بأنه اذا أراد عضو الدخول في هذه العصبة وكانت هنالك التزامات تتعارض مع نص هذا الميثاق ، فانه مسؤول عن تحرير نفسه من هذه الالتزامات (١٠١) .

أما من حيث الصهيونية فقد وضع الفلسطينيون الصيغة العربية في مواجهة الصيغة الصهيونية ، ورفضوا الصهيونية رفضا مطلقا ووصفوها بأنها رأس كل الشرور ٢. التظاهرات السياسية وأساليب العصيان المدني والانتفاضات والثورات المحدودة .

كانت التظاهرات والمظاهرات السياسية مظهرا بارزا من ممارسات الحركة السياسية الفلسطينية في هذه المرحلة . بل أن بعض هذه المظاهرات كالمظاهرات في ذكرى وعد بلفور اخذ شكل النغمة الثابتة أو الايقاع المتكرر في سيمفونية العمل السياسي الفلسطيني .

واكبت هذه المظاهرات العمل السياسي الفلسطيني من بداياته . وبينما يذكر السفرى أن اول مظاهرة سياسية حصلت في فلسطين بعد الاحتلال كانت بتاريخ ٢٧ شباط ١٩٢٠ واشترك فيها ٤الف شخص ، وكانت بتحريض من جريدة

سورية الجنوبية(١٠٢) فان غيره من المؤرخين كالسكاكيني وما يردان هذه المظاهرات بطابعها العنيف الى تاريخ أبكر من ذلك .

يذكر مالرو أن أول مظاهرة جدية أخذت طابع العصيان كانت في ابريل ١٩١٩ وقد تصادم فيها العرب مع اليهود وقتل فيها خمسة من اليهود وأربعة من العرب كما جرح فيها أحد عشر يهودياً وواحد وعشرون عربياً . وقد عزا اليهود هذه التظاهرات العنيفة الى تحريض الجمعيات الاسلامية المسيحية " التي كانت قد تشكلت في فلسطين من أجل " الشغب " واثارة القلاقل ضد وعد بلفور كما لامت الادارة العسكرية لسماحها بهذا الشغب . (١٠٣) .

وتركز المراجع الاجنبية والعربية على مظاهرة حيفا التي قادها ودبع البستاني والتي كان لخطابه الناري فيها أثره الكبير في اثارة مشاعر الجماهير . (١٠٤) .

وعندما زار هربرت صموئيل في آبريل ١٩٢٠ بيسان تجمع جمهور كبير في الشوارع وقد سارت النساء وهن ينشدن الاناشيد الوطنية وراء حمل مجلل بالسواد . وقد حمل المتظاهرون رايات سوداء مكتوبا عليها " المسلمون والمسيحيون اخوان " " لنسقط الصهيونية " " ليعيش المؤتمر العربي . (١٠٥) .

ولقد شارك بوجه خاص النادي العربي والادبي والجمعيات السرية المتعاونة معهما في الاحداث الدامية لانتفاضة (١٩٢٠ — ١٩٢١) . وعلى ما يظهر كان لامين الحسيني وعارف العارف دور أساسي في أحداث احتفالات النبي موسى في ابريل ١٩٢٠ . وقد كان منطلق هذين الرجلين من سوريا قاعدة الفلسطينيين اثناء الحكم الفيصلي كما ذكرنا . فمنذر بالبين بعزو الحمى السياسية التي أمسكت بتلابيب العرب في فلسطين في فبراير وابريل عام ١٩٢٠ الى الوقائع والظروف السياسية التي صاحبت تتويج فيصل في سوريا (١٠٦) .

وعندما عاد الحاج أمين الحسيني الى فلسطين في مارس ١٩٢٠ فانه أخبر رؤساء الجمعيات في القدس بأن " بريطانيا لا تعارض اعطاء أو تحويل البلاد الى الشريف (١٠٧) . كما أن جون كمتي الذي يؤرخ بالتفصيل للفترة السورية في النشاط السياسي الفلسطيني ، يعزو الى لجنة الدفاع العربية التي قامت على الحسينيين كما ذكرنا ، الدور الاساسي في انتفاضة ١٩٢٠ ويساند هذه الفكرة من المؤرخين العرب عيسى السفري وأميل الغوري وآخرون غيرهم (١٠٨) . وينفرد بورات بين مؤرخي القضية الفلسطينية . وربما بسبب اعتماده على الوثائق الصهيونية ، بالقول بأن بعض أعمال العنف التي قامت على أثر انتفاضة يافا عام

١٩٢١ انما كانت بفعل جهود جمعية الكف الاسود أو الفدائية التي مارست نشاطها ضد بعض المستعمرات مثل الخضيرة وبتاح تكفا . وبظهران الجمعيات الاسلامية المسيحية لم تساهم بدور فعال في الانتفاضة ولا في ما تلاها الامر الذي جعلها محل لوم من سليم عبد الرحمن . (١٠٩) .

تلك كانت المظاهرات السلمية والعنيفة على أرض فلسطين . ولكن الحركة السياسية قامت بجهد مماثل من موقعها في سوريا . فقد نجح الفلسطينيون أثناء وجودهم في دمشق بتعريب القضية الفلسطينية ، وتمكنوا في فترة وجيزة من خلق جبهة عربية مناصلة حول شعار مقاومة الصهيونية . وقد تجسد الحماس العربي في مظاهرات استنكار كبيرة لموقف الحلفاء من الصهيونية تمت بمناسبة زيارة سايكس لدمشق حتى لقد روى عنه قوله " أن هنالك على الاقل قضية رئيسية واحدة تلتقي عليها جميع الفئات والافرقة العربية ـ الصهيونية (١١٠) .

كما أن الفلسطينيين لم يقتصروا على المظاهرات بل تطور موقفهم الى القيام بممارسة العمل المسلح عبر الحدود الفلسطينية من دمشق نفسها . يقول "عزة دروزة" (١١١) بدأت بعض حركات مسلحة في منطقة سمخ دبرها بعض الدين كانوا في دمشق من رجال فلسطين في سبيل الكفاح ضد المؤامرة كما نشرت جريدة الدفاع الدمشقية أخبار مهاجمة العرب المستعمرة " المطلة " الواقعة قرب مرجعيون واقتحامها من قبلهم ورفعهم العلم العربي عليها (١١٢) .

ويؤيد ذلك خبرية قاسمية اعتمادا على أوراق محب الدين الخطيب التي تذكر أسماء زعماء الاحزاب وأمراء العربان الذين اشتركوا في أعمال العنف من دمشق : "ولكن ماهو ثابت أنه ما كان يجرى في فلسطين كان مركزه دمشق ، يديره رجال غير مسؤولين ويؤيدهم الرجال المسؤولين بالمال والسلاح" (١١٣) .

٣- إيفاد الوفود الى أوروبا وجهات العالم المختلفة :

شكلت فكرة ارسال الوفود مظهرا بارزا من مظاهر نشاطات الجمعيات الاسلامية المسيحية ومؤتمراتها المتتالية واللجان التنفيذية لهذه المؤتمرات ، وقد بدأت فكرة ارسال الوفود تأخذ طريقها الى الناحية العملية مع بواكير الحركة السياسية في فلسطين منذ المؤتمر الاول الذي انعقد في القدس في نوفمبر ١٩١٨ . فهذا المؤتمر هو صاحب أول اقتراح في ارسال الوفود الى مؤتمر الصلح بباريس وسوريا . وبالفعل سافر أول وفد الى سوريا ولم يسمح للوفد المصرح لباريس بالسفر اليها (١١٤) .

وعلى أثر انعقاد المؤتمر الثالث الذي انعقد في حيفا ١٩٢٠ انتدب وفد لمقابلة نشرشل الذي كان انذاك بزور القدس وعرضوا عليه قرارات المؤتمر وخاصة الغاء وعد بلفور ووقف الهجرة والموافقة على حكومة وطنية . وهنا اجابهم نشرشل بمقولته المعروفة " لقد سالتموني أن ألغي وعد بلفور وأوقف الهجرة وليس هذا من صلاحيتي كما أنه لا يتفق مع رغبتي " (١١٥)

كما أن المؤتمرين الرابع والسادس انتدبا وفدين للسفر الى بريطانيا . وعلى أية حال فان الوفد الذي ذهب الى لندن لاول مرة بعد الاحتلال والذي يعرف عادة بالوفد الاول اشهر هذه الوفود (١١٦) وقد تكون هذا الوفد من موسى كاظم الحسيني رئيسا وتوفيق حماد وابراهيم شماس وشبلي الجمل وأمين التميمي ومعين الماضي أعضاء (١١٧) . ولقد اتيح لهذا الوفد أن يمكث قرابة العام في بريطانيا ، وأن يفتح ملف القضية الفلسطينية كاملا مع السلطات البريطانية كما أن لدينا مادة مصدرية جيدة عن مداولاته ومراسلاته مع هذه السلطات تتيح لنا تقييم فكرة الابعاد ــ من خلاله ، باعتباره قمة ما وصلت اليه المناحنات ، ومن خلال نشاطات الوفود الاخرى التي سبقته وتلته ــ كممارسة سياسية . ومن أجل هذا التقييم لا بد لنا أن نعرف دوافع وغايات هذه الوفود والوسائل التي اتبعت لتحقيق هذه الغايات ، وما تمكنت من انجازه وما لم تتمكن من انجازه .

تبعت فكرة ابعاد الوفود من حقيقة أو مجمل حقائق أساسية . فلقد كان هدف المؤتمر الاول من ابعاد الوفود هو اسماع صوت القضية الفلسطينية في مؤتمر الصلح في باريس ، أو كما تقول وثائق أكرم زعيتر " ليدافعوا عن حقوق البلاد ويبلغوا احتجاجاتهم وبراهينهم عن قرب " كما أن الوفد الذي سافر الى سوريا كان " للاجتماع الى اهل الرأي فيها (١١٨) وقد أيدت جريدة لسان العرب الوفد الاول لبريطانيا " لانه ينقل القضية الى قلب لندن فكسب انصارا عديدين . وابرز جوانب القضية للرأي العام البريطاني بعد أن كان يجهل حالة فلسطين ، ويظهر ان الاكثرية المطلقة يهود والعرب قليلون ولا يفهمون معنى المدنية (١١٩) .

ومن ناحية أخرى كانت الوفود محاولة في اكتشاف وسائل جديدة لمعالجة شؤون القضية الفلسطينية وذلك بالنظر ــ كما تورد مس بيوتن ــ " لعدم جدوى الاحتجاجات والعرائض وحتى المظاهرات في تحقيق الاهداف الوطنية (١٢٠) .

ولعل الاهم بين هذه الدوافع جميعها هو أن هذه الوفود كانت تذهب من أجل ان تحصل من بريطانيا أو الجهات المعنية الاخرى كلجنة الانتداب الدائمة بعصبة الامم على المقابل السياسي للكفاح العربي على ارض الوطن . ومن هنا جاء توقيت سفر الوفد الاول بعد احداث ١٩٢١ ، كما جاء توقيت سفر وفد ١٩٣٠ الى بريطانيا بعد انتفاضة ١٩٢٩ ، ووفد ١٩٣٩ بعد الثورة (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) لا سيما وأنه كانت تبدو من بريطانيا ومن لجان تحقيقها بالذات بوادر مشجعة أمس العرب منها بوادر تحول في الموقف البريطاني ، فحاولوا اغتنامه . يعلل السفرى سفر الوفد الاول الى بريطانيا بأنه كان نتيجة للاضطرابات التي حصلت في يافا والتي كان لها الاثر الكبير في نشاط الحركة الوطنية في البلاد (١٢١) . وقد كان تقرير هايكرافت الذي عزا الانتفاضة الى " نمو المشاعر القومية ومقاومة سياسة الاستعمار الصهيوني (١٢٢) " عاملا مشجعا ، وكان تصريح هربرت صموئيل في " أن العرب يجب أن يسترضوا (١٢٣) اثرا مماثلا .

تلك كانت الدوافع والغايات ، فماذا تحقق ؟ مما لا شك فيه أن فكرة ارسال الوفود حققت بعض النتائج الايجابية بالنظر لما نوخاه اصحابها من مجابهة البريطانيين على أرضهم بوقائع القضية . وكسبت الوفود بعض المكاسب السياسية والدعائية . فقد تعاطف ـ على سبيل المثال ـ مع الوفد الاول بعض الموظفين من وزارة المستعمرات (١٢٤) كما أيده بعض أعضاء مجلس العموم واللوردات . كما أن الوفد نشر بعض المقالات في جريدة التايمز (١٢٥) ولكن من الناحية الاخرى كان هنالك سلبيات ، لا سيما وان هذه الوفود في مراحلها الاولى اعتبرت الابعاد بديلا للكفاح المادي أو العملي وانها العلاج الناجع لكل شيء ، وليس بلا مغزى ان الامير شكيب ارسلان كتب الى أصدقائه في يافا قبيل انتفاضة تلك المدينة يخبرهم أن اي " هبة أو انتفاضة في فلسطين ستكون اكثر تاثيرا بكثير من ارسال أي وفد للغرب (١٢٦) . ومن هنا فقد اخذ البعض ـ مثل المؤرخ البريطاني مالرو ـ على فكرة الابعاد مآخذ أساسية أهمها أنها " رسخت مبدأ المشورة ، أي مشورة بريطانيا في الامور المتعلقة بمصير فلسطين (١٢٧) وعدم القطع بأمر قبل العودة اليها . كما أنه يأخذ عليها ايضا أنها نقلت المفاوضات السياسية من القدس الى لندن الامر الذي كان له الاثر الاكبر في غلبة حكمة وحصافة وايزمن التي اتسمت بالاعتدال الظاهر على جهود الوفود التي اتسمت مواقفها بالتصلب بل لقد استساغ

البريطانيون هذا الاعتدال الصهيوني واعتبروه بديلا سياسيا مفضلا على التشدد العربي (١٢٨) .

ولعل مما يتصل بهذه الناحية ان الوفود لم تكن دائما ـ وربما هذا عائد الى ان القيادة الفلسطينية عموما كانت كفاءتها الاولى تنبع من وجاهتها اكثر من كفايتها ـ لم تكن مؤهلة للقيام بالمهمة الملقاة على عاتقها . فتقرير شكبورغ من وزارة المستعمرات البريطانية يصور كيف نظر اليهم وايزمن بانهم اقل مما يمكن أن يتفاوض معهم ، ومارس عليهم غطرسة واستعلاء " فقد كان موقفه موقف المنتصر الذي يقدم لاعدائه المهزومين شروط السلام (١٢٩) ولا تختلف ـ على أية حال رواية أحد أعضاء الوفد الاول عن وقائع هذا الاجتماع في مضمونها عن مضمون رواية شكبورغ (١٣٠) بل أن ضعف هذا الوفد بصورة تدعو للرثاء يظهرها مايورده كاتب سيرة موسى العلمي ، يروى عن لسان موسى العلمي نفسه : " لكن النظره لهؤلاء (الوفد) أحدثت صدمة من الخيبة والمرارة ... كانوا هيئة تدعو للشفقة فباستثناء أمين سرهم .. لم يكن لاى منهم أى صلة بالعرب أو أنه كان يتكلم باية لغة أجنبية غير العربية أو التركية . لقد كانوا في عالم آخر . ... ولقد سمع أخيرا أنهم كانوا يعاملون " كاطفال متخلفين " لدرجة أنه يقال لهم بصفاقة وعندما يطلبون مقابلة الوزراء حتى يعرضوا وجهة النظر العربية أن وزير المستعمرات قد سبق له ورأى دكتور وايزمن وأنه ينبغي عليهم أن يبحثوا مشكلتهم مع اليهود " (١٣١) . وعلى أية حال فان الوفد لم يعان فقط من الفرق الشاسع بين الوسائل والغايات فيما عمل على شل حركته أيضا انه وقع أسير هذه الغايات . فالوفد الذى اتسم اشخاصه عموما بالاعتدال وكما وصفهم المندوب السامي في تقريره عنهم (١٣٢) هذا الوفد الذى وقع أسير قرارات الحركة الوطنية ومؤتمراتها فقد ذكرت الكرمل " كما ينتظر منها (اى لجنة الوفد) أن لا تتحدى في مهمتها قرارات المؤتمر الذى تمثله الا وهي الاحتجاج على الوطن القومي ... والمطالبة بالحكومة الوطنية ليكون تمثيلها حقيقيا (١٣٣) .

ولقد جاء الحرج في موقف الوفد من أن التزامه بموقف الوطنية الصلبة كان يتعارض تعارضا مطلقا مع موقف بريطانيا القائم على الالتزام المزدوج نحو كل من العرب واليهود واتساقها ـ اى بريطانيا ـ بوعد بلفور الذى هو اساس سياسة الالتزام المزدوج (أقره فيما بعد صك الانتداب والكتب البيضاء المختلفة) بينما

رفض العرب هذا الوعد رفضا مطلقا . ومن هنا ربما كانت عقدة الامر كله .. وانسم الحوار كما بدا في الرسائل المتبادلة بين الوفد ووزارة المستعمرات (١٣٤) بانه حوار طرشـــان .

ولعله كان مقدرا لهذا الوفد أن يحقق غايات لو أنه جاء نتويجا لكفاح طويل وترجمة موضوعية أومقابلا موضوعيا لهذا الكفاح ــ مع توفر الكفاءة السياسية في أعضائه كما ذكرنا ــ ولعله كان الاولى بالحركة السياسية الفلسطينية بدلا من البحث عن الحلول في معاقل الصهيونية الدولية أن تبحث عنها على أرض فلسطين . ولعله كان يكفي الوفد للدرس والاعتبار رفض تمثيل لمطالب الوفد في القدس ، ومع ذلك فقد صرف الوفد قرابة العام ــ حرت فيه أحداث متغيرة على أرض فلسطين وتحولت بعض أجنحة الحركة السياسية الى الارتماء في أحضان بريطانيا ــ يحاول أن يزحزح بريطانيا . بأساليبه التي تحدثنا عنها من موقفها من الوعد الذى قالت فيـــه الكرمل " ليس بالعالم قوة تستطيع أن تزيل هذا الوعد من بروغرام الحكومـــة البريطانية (١٣٥) .

بل ان وجود الوفد في بريطانيا في وضع كان فيه أضيع من الايتام أمام قوة المفاوض البريطاني ودهائه جعل هذا الوفد يتزلق ويقبل ما رفضه على أرض الوطن فقد قبل الوفد الجلوس الى وايزمن . وبدلا من جعل اللعبة السياسية تدور بـــين العرب والبريطانيين ، أدخل البريطانيون ، الصهاينة شركاء أصليين ومعتمدين أساسيين بنصح الوفد كما ذكرنا بالذهاب اليهم ليحث أسره معهم . فبدا كما ان بريطانيا تخلت عن انتدابها على فلسطين لتعطيه للصهيونيين . ولقد ذكـــرت الكرمل ما يفيد بانه باستثناء اصدقاء العرب من البريطانيين فانهم ــ أى البريطانيين ــ نصحوا الوفد بالتفاهم مع الصهيونيين " أن كثيرا من رجـــالات بريطانيا عدا اللورد سيدنهام واللورد لمنجتون نصحوا الوفد ان الطريق الوحيـــد للنجاح هو التفاهم مع الصهيونيين وهذا هو السبب الذى من أجله دخل الوفـــد في مفاوضتهـــم " (١٣٦) .

٤ ــ المؤتمرات الفلسطينية وسياسة الرفض : لقد كانت المؤتمرات الفلسطينيـــة التي عقدت تحت مظلة الجمعية الاسلامية المسيحية مظهرا بارزا من مظاهر النشاط السياسي . فقد ساهم في هذه المؤتمرات كثير من الحركات والعناصر الوطنيـــة

الفلسطينيه ،وقدانعقد في الفترة الاولى ستة مؤتمرات ؛خمسة منهاعلى أرض فلسطين (والسادس منهاوترتيبه الثاني في دمشق) ، واصدرت قراراتهارفضهاالمطلق لوعد بلفوروسياسة اقامة الوطن القومي اليهودي ، كمانادت كبديل لذلك بانشاء حكومة وطنية ممثلة تمثيلا حقيقيالابناء البلاد (١٣٧) وعلى أية حال فان القرارات لم تكن هي كل ما صدر عن هذه المؤتمرات ، فربماكان أهممن ذلك مغزاهاوروحها ، فمن يمعن النظر فيها يدرك كمحرص الفلسطينيون على رفض فكرة الاعتراف بالصهيونية أو التعامل مع اليهود باي شكل من الاشكال ، ويأخذ جون كمنس ـ على سبيل المثال ـ على المؤتمرالثالث انه حذر أو أصل فكرة عدم قبول الصهيونية في فلسطين ، من خلال رفض المؤتمرين لفكرة الوطن القومي اليهودي ، ويشبه ميثاق المؤتمربميثاق "فتح" الحالي الامرالذي لا يخلو من مغزى بطبيعة الحال (١٣٨) .

كماأن هذه المؤتمرات كانت بمثابة محطات على طريق المبادرات المتواصلة لتوجيه النضال الوطني ورفض المشاريع المطروحة والتي لا تحقق الحكم الوطني فقد بدأ رفض المجلس التشريعي من المؤتمر الخامس وأصدر المؤتمرمن أجل ذلك ميثاقا غليظاوقسماعظيما بكرس رفضه(١٣٩) . وعلى الاثر شنت اللجنه التنفيذية حملة من أشرس الحملات السياسيه التي شهدهاتاريخ فلسطين الحديث ضد المجلس التشريعي باعتباره تطبيقالروح الكتاب الابيض ١٩٢٢ ،ووسيلة للاندماجفي المخططات البريطانية وحرمان الفلسطينيين من مقومات الحكم الذاتي ، خدمة لاغراض اقامة الوطن القومي اليهودي على أرضهم (١٤٠) (كان ذلك الانتداب الذي سنكرس اقامة الوطن القومي في دور الصاغـة) .

وبما أنه ليس من هدفناالتوسع في التاريخ للمارسات ، بمقدار تقسيمها وتحليل ابعادها ، سنكتفي بالقاء بعض الاضواء على حملة مقاطعة المجلس التشريعي ، باعتباره نموذجا لموقف من مواقف الرفض .

شارك في هذا المؤتمر الجمهرة الكبرى من الفلسطينيين : قيادات سياسية ، ومجلس اسلامي أعلى وصحافة وعائلات وحمائل وقرى ومدن ، حتى تمكنت في النهاية من احباط الانتخابات . ومن هذه المشاركة نجد أن الوفد الاول الذي سبق له أن رفض مشروع المجلس التشريعي المتضمن في الدستورالمقترح على أرض بريطانيا ، قام بجولة في طول البلاد وعرضها لكي يوضح للمجتمع الفلسطيني الاضرار التي ستحم عـن الانتخابات (١٤١) .

كما أن المجلس الاسلامي الاعلى الذي كان قد تأسس في بنايـر ١٩٢٢

نفس فترة الانتخابات ــ بقيادة المفتي الحاج امين الحسيني ، ذى الخلفية النضالية المعروفة ، شن ايضا عبر اجهزته حملة كبيرة . فقد ادمج الائمة والخطباء موضوع المجلس التشريعي في خطبهم . واعتبروا مقاطعتها واجبا دينيا ، بل أخذوا اليمين على المصلين بأن لا يشاركوا في الانتخابات (١٤٢) وكتبت الكرمل مقالا بعنوان " لا تنتخب " يصح بالحماس ويفند الاسباب التي من اجلها لا ينتخب العرب (١٤٣) .

وقد وصل صدى هذه المقاطعة الى ابعد القرى والدساكر ومراكز التجمعات الفلسطينية وتعاهدت العائلات والقرى على رفض الانتخابات . وسجل اهالي طيرة بني صعب مضبطة تدل قارئها على وعي سياسي وحجج منطقية في رفض مشروع المجلس التشريعي وقد رفعت هذه المضبطة للحاكم الادارى ، وعليها توقيعاتهم وكان طول المضبطة ٢٠ مترا (١٤٤) .

وفي خاتمة المؤتمرات آتت هذه الحملة أكلها وتمكنت الحركة السياسية من حمل الناخبين على عدم التصويت (١٤٥) ــ رغم جهد الحكومة في اجرائه ــ.

وعلى ما يظهر من الشواهد المعاصرة كانت هذه الحملة السياسية في مجملها انتصارا باهرا وعملا محكما متقنا ، وصفه نجيب نصار بقوله " خرج عرب فلسطين من معمعة الانتخابات يزينون رؤوسهم بأكاليل الظفر . وخرجت منها الادارة ولديها البرهان الجلي الساطع على أن أهل فلسطين غير راضين عن هذا الدستور الذى يجردهم من الجانب الاكبر من حقوقهم ويضعها في يد سعادة المندوب السامي وموظفي ادارته ليمنحوها لليهود أو للصهيونيين الذين ليس لديهم أدنى حق مشروع غير ما منحتهم اياه السياسة البريطانية بالقوة (١٤٦) . ونشرت فلسطين بيانا للوفد الثاني عن أعماله أمام المؤتمر العربي الفلسطيني السادس (١٩٢٣) يشعر بالغبطة والسعادة التي شعر بها الوفد من جراء نتيجة الانتخابات وكيف أنهم كانوا يعولون على هذه النتيجة من أجل اقناع السلطات البريطانية والراى العام البريطاني بعدم جدوى الحلول الوسط أو سياسة الترقيع " الامر الذى أثبت للذين يشتغلون معنا ، ولخصومنا ، ان فلسطين جادة في حركتها الوطنية وأن الحركة فيها حركة شعبية اجماعية لا افرادية شخصية (١٤٧) . ويعلل عزة دروزة هذا النجاح بالروح الوطنية القوية الجارفة ــ مما كان يجعل قبول المجلس مستحيلا (١٤٨) .

ورفض المؤتمر السادس بعد ذلك المعاهدة الانكلو عربية المقترحة على الملك حسين ملك الحجاز من الحكومة البريطانيه لانها " مخالفة للعهود المقطوعة للعرب وحقوق الشعب الفلسطيني (١٤٩) " كما أن هذا المؤتمر قاد الامة في مقاطعة المجلس الاستشاري المعين والذي أرادت الحكومة البريطانية الاستعاضة به عن المجلس التشريعي المنتخب (١٥٠) كما رفض الوفد الثاني للمؤتمرات العربية من خلال مفاوضاته مع وزارة المستعمرات تأليف وكالة عربية ـ شبيهة بالوكالة اليهودية ـ من أجل سياسة أمور العرب في فلسطين (١٥١).

ويعقب مالرو على رفض العرب للوكالة العربية التي اقترحها أصدقاء العرب في اللجنة الوزارية البريطانية بأن العرب "تجاوزوا حدودهم" . وفي حقيقة الأمر فان هذا الموقف الرافض من هذا الوفد ، كما هو الحال في أمور أخرى ، لم يعط فرصة ولو ضئيلة لاي أمل في أن يكون التشدد هو الموقف الاسلم للوصول الى الاهداف السياسية المنشودة (١٥٢).

ورأى مالرو هذا وغيره سيجعلنا ندخل في مناقشة أسلوب الرفض . هذا الاسلوب الذي طال الاخذ والرد فيه ، ولم تنته المعركة حوله حتى يومنا هذا . كما كان مع نقيضه أي سياسة التساهل والمهادنة والحلول الوسط مثار نقاش ونساؤل وصراع قام أحيانا بين أجنحة الحركة الوطنية المتطرفة والمعتدلة .

ونحن نجد هنا رأيين أو مدرستين : المدرسة الاولى وهي المدرسة التي تحاول استقراء الحوادث التاريخية بطريقة واقعية تصل الى درجة البراجماتية أحيانا ، وكثيرا ما تسقط هذه المدرسة الواقع الراهن للقضية الفلسطينية ، وما انجرت اليه أو آلت اليه هذه القضية من انحدار وهزيمة ، على الماضي . وفي طليعة هؤلاء عدد كبير من مؤرخي فترة الانتداب البريطاني من الانكليز مثل سايكس وهايمسون ومالرو ، والبعض الاخر من الصهيونيين وهؤلاء في مجملهم يتعون على العرب رفضهم في الاندماج في المشروعات الدستوريه البريطانية . فسايكس الذي يعتبر القومية الفلسطينية قومية متطرفة باعتبارها قومية بادئة يصف الرفض العربي بانه عناد مزر أو محزن " لم يجلب عليهم الا حرمانهم من اية حكومة تمثيلية (١٥٣).

ويذهب الباحث الاسرائيلي المعاصر الجنرال ى . هاركابي ، الى أبعد من ذلك فهو يعتقد أنه " لو قبل العرب بما قدمه المجلس التشريعي في العشرينات

فان اسرائيل لم تكن لتوجد " ويضيف الى ذلك قوله " ان الرفض العربي هو الذي فرض التقسيم وقيام الدولة اليهودية . انه لمن سخرية التاريخ أن العرب ينبغي أن يعدوا من ضمن الاباء المؤسسين للدولة اليهودية (١٥٤) .

بينما يرى المؤرخ والعالم السياسي الامريكي "كواندت" والذي لا تخلو كتاباته من روح الانصاف ان الحكومة البريطانية في لندن نظرت للعرب كأناس عنيدين وسلبيين وصعبي المراس فقرروا أن لا يقوموا بأي عروض سياسية لهم مؤملين من وراء ذلك أن يحطموا سلطة اللجنة التنفيذية على المجتمع العربي (١٥٥) .

والمدرسة الاخرى هي المدرسة التي تنظر الى الامور نظرة شاملة وأكثر موضوعية ولا تنسى أن تقيس المواقف بالعشرينات على مثيلاتها في الثلاثينات ، كما انها تبتعد عن تحميل الرفض العربي أكثر مما يطيق . ولا تحاول أن تفسر التاريخ بعامل واحد . ولعل من أفضل من تمثل هؤلاء من المؤرخين الغربيين ـ بالاضافة الى المؤرخين العرب ـ (٤٥٦ م ـ الذين يحاولون أن يصفوا الاشياء في منظورها التاريخي الصحيح ، "ديفد هرست" الذي كان يرد على محاكمات المؤرخين الذين ذكرناهم ، ولا يعتبر المجلس التشريعي باعتباره كان قمة الرفض العربي ، فرصة ضائعة ... يقول "ديفد هرست " : " ان حجة ليست مما يستطاع البرهنة عليه حجة واهية ، ولكن في شكلها الاشد قوة غير عادلة قطعا . فان الفلسطينيين لم يكن باستطاعتهم في ذلك الوقت ـ رغم أن حدسهم كان دقيقا بصورة كاملة ـ أن يروا أن الحوادث التالية ستعزز حجة منتقديهم . وعندما عرضت الحكومة البريطانية في عام ١٩٣٥ قدرا محدودا من الحكم الذاتي لم يخل من عدم الانصاف ولا بحال من الاحوال ، اعتبره الصهيونيون أسوأ بكثير (من المشروع الاول) وكانوا هم وليس العرب الذين اندفعوا ليدفنوا هذه التجربة الضعيفة في الديمقراطية ... وعندما رفضها وستنستر أمام البرلمانات (ليس العرب هللت الصحافة اليهودية لهذا الموقف باعتباره انتصارا عظيما لليهود . هذا في حين أن العرب كانوا على الاقل على استعداد لكي ينظروا في العرض (١٥٧) .

ومع كل هذا فهنالك من يأخذون على الرفض الفلسطيني أنه كان أقل مما ينبغي ، وأنه لم يكن رفضا كاملا ، وأنه كان ينقصه العنف أو المقاومة المسلحة المستمرة . ومن هؤلاء "بوراث" الذي يأخذ على الحركة السياسية الفلسطينية

أنها ينبغي أن لا تتوقف عن العنف ، وأنها لو فعلت لربما تغير وجه القضية الفلسطينية . وكما لام هاركابي العرب الفلسطينيين على رفضهم واعتبره سببا في قيام دولة اسرائيل واعتبر العرب احد آبائها ـ كما ذكرنا ـ فان مقولة "بوراث" تعتمد على أن الرفض العربي المنقوص هو الذي أتاح لليبشوف أن ينمو (١٥٨) وتتضاعف مساحته . وسوف نناقش هذه الآراء كلها من خلال مناقشتنا للاستراتيجية العامة للحركة الوطنية خلال هذه المرحلة وتحقيقها لاهدافها .

ولنبدأ بالقول أن الحركة الوطنية لم تحقق في هذه المرحلة أهدافها . فالفاء وعد بلفور الذي كان الهدف الرئيسي لم يتم ، كما أن الحركة الوطنية لم تستطع أن تقيم حكومة أو شبه حكومة كما حدث في البلاد العربية كالعراق . وعلى العكس من ذلك فقد تمت الموافقة على صك الانتداب في عام (١٩٢٣) ، وبذلك وضعت الاسس القانونية والفعلية لقيام الوطن القومي اليهودي . ويعود اخفاقها الى أسباب أو نواح أساسية وأولها هو عدم وضوح الرؤية السياسية وبشكل خاص من ناحية تحديد العدو الرئيسي . فبينما أولى العرب الفلسطينيون الصهيونية كل عنايتهم ، وذهبوا الى رفضها الى حد تحريم التعامل مع اليهود فانهم لم ينظروا على النحو ذاته للانكليز فلم يصروا على الاستقلال الكامل من الناحية العملية بالرغم من مطالبتهم المتكررة من خلال مؤتمراتهم بالحكومة الوطنية والاستقلال الناجز ، كما بدا واضحا في المؤتمر الثالث .

ولعلنا نجد تفسيرا لهذا التباين الشاسع بين الشعارات أو النظر وبين الواقع في العوامل التالية التي نوجزها هنا من أجل أن نلقي ضوءا على جميع الممارسات السياسية على المرحلة الحالية وربما على المراحل التالية الى ثورة (١٩٣٦) .

١. اعتقد البعض بأنهم يمكن أن يحاربوا الانتداب من خلال الصهيونية ، وأنهم بقضائهم على الفرع الا وهو الصهيونية يستطيعون ضرب الاصل وهو الانتداب الذي يرعاها . يقول أحد مؤرخي الانتداب : " كان السادة العرب الدهاة سريعين في الاستجابة الى مقتضيات ومقاليد القيادة التي منحت لهم ، وبدلا من المحاربة الجهرية للانتداب كانتداب ، أو ضد هذا الانتداب ، فانهم بدورهم وضعوا برامج الوطن القومي في طليعة أهداف المعركة ضد الانتداب ، جاعلين من هذه البرامج هدفا

مزعوما لانتفاضاتهم الشرسة التي تميزت بالحقد والدعاية العنيفة (١٥٩).

واعتقد البعض الاخر انهم يستطيعون أن يسطروا معسكر الاعداء الى شطرين ، أو يدقوا اسفينا بين الصهيونية والانتداب ، ويعلل جون كمشي قبول امين الحسيني لمنصب الافتاء ورئاسة المجلس الاسلامي الاعلى بانه انما حاول ذلك من اجل أن يدق اسفينا بين الانجليز واليهود ، لقد حذر العرب بأن يكونوا اذكياء كاعدائهم ... عليهم أن يدقوا اسفينا بين الانكليز واليهود بدون أن يبدو عليهم انهم يفعلون ذلك ... الشيء الهام هو عزل اليهود عن الانكليز (١٦٠).

ولعل التركيز على مقاومة الصهيونية دون الانكليز ، يعود الى عجز الحركة الوطنية امام قوة العسكرية البريطانية . ويتفق "بوراث" والكبالي على أن العرب في فلسطين تعرضوا لضربات عنيفة من القمع الانكليزي كما حصل في انتفاضة عام (١٩٢١) ، اذ أن خسائر العرب البشرية والمادية لم تكن اقل من الخسائر الصهيونية (٦١) ومع ذلك فان الجمعيات الاسلامية والحسينيين " رفضوا على الدوام اي اطار قد يفسر على أنه موافقة على تصريح بلفور" (١٦٢).

٢. وعذا يقودنا الى العامل الثاني من عوامل عدم وضوح الرؤية وعدم الانسجام بين الشعارات والتطبيق . ذلك أن اللعبة السياسية كانت ذات ثلاثة أطراف ، انجليز وعرب وصهيونيين . وعلى ما يظهر فان بريطانيا كانت أمهر اللاعبين . فقد تمكن الحكم البريطاني من أن يأخذ دور الوسيط أوالحكم ، واعتبر نفسه ولمدة طويلة وكأنه فوق الخلافات الجزئية ، وبريئا من الصراع العربي الصهيوني مما ساعده على توطيد أركانه وقواعده . وأكثر من ذلك فان بريطانيا امعانا منها في لعبتها السياسية جعلت كلا من العرب واليهود يحس أن الدولة معه ولقد كان لليهود عذرهم في هذا التصور أو الشعور (١٦٣) ، ولكن العرب على ما يظهر خدعوا عن أنفسهم . وعلى اية حال فقد طرح كل من الطرفين في بعض المراحل شعار " الدولة معانا " مما زاد في غموض الاشياء . يذهب أهارون كوهين وهو من أكثر المؤرخين اليهود دقة في كتابه " اسرائيل والعالم العربي " الى أن التاثير البريطاني ـ ضمن أشياء أخرى ـ كان وراء عدم اللقاء العربي اليهودي . يقول : " وبعد سنوات عندما استعرض كالفرسكي موقف اللجنة الصهيونية من الاقتراحات التي قدمها لفيصل في دمشق والاسلوب (المتبع) من قبل القيادة

العربية ، وجد توازناً او تقابلا بين الاسلوب السائد آنذاك في المؤسسات اليهودية والاسلوب (المتبع) من قبل القيادة العربية . فاليهود عندئذ ، والعرب فيما بعد ذلك ، كما قال هو (كالفرسكي) كانوا يعتقدون أن " الدوله معانـا " .

ولماكانت الحكومة معهم أوبجانبهم فماالداعي اذن الى اتفاق اوتفاهم مع الطرف الاخر (١٦٤) (راجع أعلاه من قول أمين الحسني للعرب قبيل انتفاضة (١٩٣٠) .

ولعل هذا الموقف من بريطانيا ، بالاضافة الى كونه استراتيجية عريقة تقوم على سياسة فرق تسد كان ناتجا من اختلاف الدبلوماسية البريطانية على المستويين المحلي (في فلسطين والبلاد العربية)والبريطاني (في بريطانيانفسها) واختلاف الدبلوماسيين ايضابين بعضهم البعض في هذه المواقعين . فبينما نجد أن هنالك اختلافاواضحا في الرأي والمنطلق احياناكثيرة بين موقف الحكام البريطانيين المحليين مثل بولز ومونى وستورز ، ودوائر وزارة الخارجية ووزاره المستعمرات بعد ذلك من ناحية ، نجد أن الساسة البريطانيين كانوايختلفون فيما بينهم على المستوى المحلي من الناحية الاخرى . كمااختلف موقف بولز وستورز وريتموند ومونى ـ الذين كثيرا مانعاطفوا مع الموقف العربي ـ عن آخرين من الموظفين البريطانيين مثل أورمسبي غور وماجرز هيجن . حقاان هذا الاختلاف كان على الامور الفرعيه وليس على الامورالاساسية الا أنه مع ذلك كان يصل الى حد الاختلاف على النواحي الاستراتيجية كماكانت الاجتهادات المتضاربه لكل من سايكس وكلايتون . ولعل كل هذاالاختلاف انما كان ناتجاعن أساسه من عدم قابليه وعد بلفور للتطبيق من الناحية العمليـــة (١٦٥) .

والذى يدرس بعناية وثائق انجراز والمعنونه بـ"بذور الصراع" والتي تعالج الايام الاولى من الاحتلال العسكرى والانتداب البريطاني الذى تلاه يجد بونا شاسعا بين موقف اشخاص مثل كرزون وزير الخارجيه وتوسبي (الذى كان يعمل خبيرابدائرة الاستخبارات في وزاره الخارجية) واللذين حاولا انصاف الحق العربي والموظفين الاخرين الذين لم يكونوا يوالون بنفس الدرجة أو أنهم يقفون موقفا معاديا للعرب ومتعاطفا مع اليهـــود .

والعامل الثاني وراء اخفاق الممارسات هو ذوعلاقة وطيدة بالعامل الاول أو الناحية الاولى . ويقوم هذا العامل على أن الموقف المعادى لبريطانيا احيانا والمهادن لها أحيانا أخرى ، لم يلبث طويلا حتى تحول الى نوع من المعايشة

ولعل هذا يعود الى الاطار العريض تنظيما وايدولوجيا لهذه الحركة فقيادتها واعضاؤها لم يستطيعوا ان يكونوا حزبا متجانسا يجند الامة من اجل هدف استراتيجي محدد . ويصف اكثر من مؤرخ المجتمع الفلسطيني بانه غير مسيس (١٧١) . ومن هنا فاننا نجد رغم بعض المحاولات السياسية من مثل اقبال مشروع المجلس التشريعي ان الطابع العام للنضال اخذ احيانا كثيرة شكل اصدار القرارات .

ومهما يكن من امر فقد كان هنالك بعض القادة ممن ادركوا اهمية الثورة او القتال المستمر لحل مشكلات فلسطين ولكنهم عدلوا ، اما رغبة في تثبيت اقدامهم في مناصبهم ومراكز قوتهم ، كما فعل الحاج امين عندما تسلم منصب الافتاء ورئاسة المجلس الاسلامي الاعلى ـ وكما ذكرنا ـ او انهم آثروا السلامة ، او لان الظروف الموضوعية في نظرهم لم تكن ملائمة فجمال الحسيني سكرتير اللجنة التنفيذية كان من بين هؤلاء ولكن خوفا من المصائب الاقتصادية آثر الحل السلمي على الحل الثوري . وكان مما قاله لديدس سكرتير المندوب السامي في مقابلة خاصة " هناك واحد من طريقين للوصول الى الحقوق السياسية الكاملة في فلسطين : اما الوسائل الدستورية او الثورة وان الوسيلة الاولى هي المفضلة وان كانت الوسيلة الثانية تكفل حصول الفلسطينيين على ما يطلبونه بحق في غضون ستة اشهر(١٧٢) بل لقد لعب بعض القادة دور المهدئة للتيار الذي يدعو الى انتهاج اساليب ثورية وتنبني الاستفادة من البدو للقيام بحرب العصابات " (١٧٣) .وكان الفريق الثاني قد تشجع بالمثل الذي ضربه مصطفى كمال لاعتراف الدول الغربية به غير ان اللجنة التنفيذية آثرت الوسائل السلمية بل ان المندوب السامي نعت بتقرير قال فيه : " ان اللجنة تتعاون مع الحكومة عمليا في صيانة السلام " (١٧٤) يقول ديفد هيرست : "ان القيادة وضعت ثقتها في قدرتها على الاقناع ، وفي علاقاتها الشخصية مع سلطات الانتداب . ولكن ثقتهم لم تكن في محلها ... وعندما كانت بادرة للمقاومة تفرض نفسها ، فانهم في العادة كانوا يرغبون في وقفها . ولم تكن انتفاضة يافا اول مناسبة ذهب فيها الوجهاء الى سلطات الامن يطلبون التهدئة (١٧٥) .

هذه العوامل والنواحي المختلفة من عدم القدرة على تحديد العدو الاستراتيجي وبالتالي عدم احكام سياسة المقاطعة ضد هذا العدو ، ومن ثم اختلاف موقف القيادات المتساهلة مراب كثيره عن موقف العناصر المتشددة ادت في النهاية الى شل حركة الجمعيات الاسلامية المسيحية ، التي تحطمت مقدرتها من الناحية الفعلية ، من جراء عجزها عن تنفيذ قراراتها المطربة التي تميزت بالرفض الذي قوبل برفض مقابل من بريطانيا : يقول مالرو : " لقد بدات مكانة الجمعيات الاسلامية المسيحية بالضعف باعتبارها القوة الرئيسيه لحياة العرب السياسية ، بعد المفاوضات الانجلو ـ عربية والتي لم يكن هنالك طائل من وراثها ، تلك المفاوضات التي انتهت برفض العرب للعرض البريطاني " (١٧٦) .

لقد كان لسياسة الرفض ـ التي كانت بداية نقاشنا للممارسات محملة ـ من اجل ان نوفي اكلها كاملا ، ان تكون عملية مادية وليس نظرية فقط كما انه كان علينا ان نتسم بالشمول لجميع القطاعات وليس لقطاع دون قطاع وان نكون ايتا مكتفة جامعة مانعة ومستمرة وليست هبات او انتفاضات منقطعة .

المرحلة الثانية

١٩٢٣ – ١٩٢٩

ولدت هذه المرحلة في أحشاء المرحلة السابقة (الاولى) ولكن ملامحها لم تتضح بجلاء الا مع انتهاء المرحلة الاولى من الناحية الزمنية في عام ١٩٢٣، واستمرت حتى انتفاضة ١٩٢٩ .

ولقد تميزت هذه المرحلة بالركود والضعف مقابل النشاط والاندفاع الذي تميزت به المرحلة السابقة بوجه عام . وقد انعكس هذا الركود في الاثار التاريخية المعاصرة ، وتردد في تقارير المندوب السامي . ففي احد التقارير كتب المندوب السامي : "يستمر الركود في الدوائر العربية بسبب قلة الاموال والنزاع الداخلي " (١٧٧) وفي تقرير آخر قال ايضا " يسيطر الركود في العالم السياسي ولا تقدم هنالك في (جهود) المصالحة بين الاطراف المتصارعة "(١٧٨) . ويمكن ان نعزو هذا الركود والضعف الى الظروف الموضوعية التالية :

١. ضعف التحدي الخارجي الذي كان دائما وراء قوة الحركة الوطنية ومن ثم الحركة السياسية الفلسطينية . فالحركة الوطنية التي كانت تعمل دائما بقانون رد الفعل – كما سبقت الاشارة – وليس بقانون الفعل والمبادهة ، كانت محكومة وظلت كذلك – كما سنرى – بمقدار ما تقابل من اخطار وما يحيط بها من تحديات . وعلى هذا فان ضعف الحركة الصهيونية في هذه المرحلة على المستويين المحلي والعالمي والذي بدا اثره في قرارات كارلسباد غير المتطرفة (١٧٩) كما بدا في ضعف تيار الهجرة الى فلسطين الى درجة وصل معها في بعض السنوات الى ان عدد المهاجرين من فلسطين كان اكثر من الوافدين اليها . (١٨٠) هذا الضعف ترك اثره على الزخم الوطني الفلسطيني واحس العرب ان الحركة الصهيونية حركة قصيرة الاجل ، ولا تستحق الخوف منها . ولقد سجل تقرير بيل هذه الحقيقة بقوله : " انه من المعقول ان السبب الرئيسي للهدوء والاذعان العربيين ، انما كان لسبب الانحطاط الحاد في خطوط ومصير الوطن القومي اليهودي (١٨١) .

ومع هذا الضعف الظاهر فان الحركة الصهيونية لم تغفل تماما عن تحقيق

" اليوتوبيا " الصهيونية على ارض فلسطين ، بل استمرت في بناء "البيشوف" من ناحية ، كما لعبت دورا كبيرا في تخريب الحركة السياسية الفلسطينية ووضعت ثقلها " المادي والروحي " وراء كثير من الجمعيات والاحزاب . (١٨٢) ومن هنا فقد تميزت الحركة السياسية بالانشقاق الذي بلغ احيانا درجة التشرذم او التفسخ

٢. غفل العرب الفلسطينيون او تغافلوا عن الخطر الاستعماري ، بينما استمر الاستعمار في احكام سيطرته على فلسطين ، وعين مندوبا ساميا بقدرة وسطوة بلومر ، الذي يعزو اليه سايكس السلام الطويل الذي خيم على فلسطين طوال العشرينات كما يعزو الى تقريره بآخر هو شانسلور ، الاضطرابات التي لحقت هذا التقرير (١٨٣) كما انه استمر في ممارسة أسلوبه المعروف بأسلوب " فرق تسد " الذي أحرز قدرا كبيرا من النجاح . فقد أمسكت السلطات البريطانية بتلابيب أجنحة الحركة الوطنية جميعا ... وقيدتها بقيود مختلفة أهمها المناصب التي سبقت الاشارة اليها (١٨٤) . ومن هنا ظهر في الحركة الوطنية ظاهرة يطلق عليها عزة دروزة " الوطنية الخنثى " التي لا ترى محاربة الانكليز ومن يتعاون معهم . بل صار من المستحسن على حد تعبيره " أن تبقى تلك الصلة مع من يساير الانجليز ويتصل بهم (١٨٥) وعلى هذا استمرت الحركة الوطنية في طريق الانحدار . وقد وصف محمد علي الطاهر فلسطين بعد زيارة لها بقوله : " في الحقيقة ان الحالة في فلسطين مؤلمة مؤسفة ، ولا شك أن الحركة الوطنية ماتت وحلت محلها حركة فسادية أنانية لا نتيجة لها الا وقوع ما بقي من أرض فلسطين في قبضة الصهيونية (١٨٦) .

٣. ضعف زخم الحركة الذاتي : ان هذه الحركة التي عانت تنظيما واستراتيجيا من نقاط ضعف أصيلة بدت في عدم تحقيق أهداف المرحلة الاولى كما وضحنا ، أخذت تفقد كثيرا من اندفاعها ، وجوانب أصالتها . فقد كشفت قرارات المؤتمر السادس عام ١٩٢٣ مدى التحول الذي جرى على قوة الحركة الوطنية فقد نص القرار ٢١ على " مطالبة الحكومة باطلاق ايجار العقارات " ودعا القرار ٢٢ الى تخفيف الضرائب . كما نادى القرار ٢٧ " باستنهاض همم المهاجرين في امريكا لتنفيذ فكرة المصرف الزراعي الوطني في فلسطين والسعي لاجتذاب رؤوس أموال من مصر والمهاجرين في أمريكا لمشاريع اقتصادية أخرى (١٨٧) .

عملت هذه العوامل مجتمعة في الحركة الوطنية بحيث بدت في وضع لا تحسد عليه . وربما بلغت درجة من الضعف لم تبلغها في أي عهد من عهودها السابقة أو اللاحقة . وبدا في فلسطين " منظر كريه باعث ومحزن وموسف واختلط فيه الحابل بالنابل وتساند فيه المخلص مع المغرور (١٨٨) .

التنظيمات : بالرغم مما اصاب الجمعيات الاسلامية المسيحية وقيادتها اللجنة التنفيذية من ضعف سبقت الاشارة اليه (أنظر ما سبق صفحة (٥٤) الا أن هذه الجمعيات استمرت تغالب نفسها للبقاء في الصورة السياسية الفلسطينية من الناحية التنظيمية باعتبارها الحركة الوطنية الام . فقد جاء في تقرير للسلطة مؤرخ في يناير ١٩٢٣ مايفيد بأن الجمعيات الاسلامية المسيحية لا زالت هي الاقوى وانها الحركة الرسمية المعترف بها في مجال العمل السياسي كما أن الحسينيين هم دعاتها وأركان قيادتها الاساسيون . فمنهم كان ثلاثة من كبار القادة وهم " موسى كاظم الحسيني الرئيس وجمال الحسيني السكرتير والمفتي (١٨٩) .

ولدينا مادة وافرة في المراجع عن جهود كثيرة بذلت من أجل توحيد الصف موأن نداء جمعية النهضة الوطنية الفلسطينية بنيويورك موقع من نائب رئيسها عمر حسين (١٩٠) الى كتابات شباب نابلس في الصحف من أجل عقد مؤتمر وطني (١٩١) الى دعوة شباب يافا الى تعزيز قوة الجمعيات الاسلامية المسيحية وتطهيرها من بعض العناصر (١٩٢) كما أن التقارير البريطانية اشارت الى ظهور التنافس بين جيلين في الحركة السياسية : الجيل الجديد والجيل القديم ، وأن الجيل الجديد انتقد بقسوة الجيل القديم لقصور العمل السياسي . ففي اجتماع للجنة التنفيذية في القدس " كان النغمة السائدة في المناقشات ، عدم الفناعة بالحزب القديم (الجمعيات الاسلامية المسيحية) ، والذي يسبب من عنايته بشؤونه المقرونة بعجزه ، اعتبره المنتقدون استهتارا بهم "وعلى هذا فقد رد انصار الحزب القديم " من الحسينيين على المنتقدين باتهامهم بالبلشفية

ومع هذا ــ فانه على ما يظهر ــ لم تنجح سياسة الترقيع والتطهير من الناحية التنظيمية ، فقد استمرت حركة الانشقاق . بل أن اللجنة التنفيذية أبدت استعدادها لان تحل نفسها وتفسح المجال للمنشقين لكي يختاروا لجنة تنفيذية مؤقتة على أساس المساواة (ستة لكل فريق) على أن تنظم اللجنة

عملية عقد المؤتمر السابع الذي سيختار لجنة تنفيذية جديدة (١٩٣).

الا انه قدر للجمعيات الاسلامية وبوجه خاص لقيادتها في اللجنة التنفيذية أن تحافظ على بعض هيبتها أمام المنشقين عنها . فقد ظفرت بتأييد حليف قوي مد في عمرها واستطاع أن يبقيها في الصورة السياسية الى وقت متأخر. وكان هذا الحليف هو المجلس الاسلامي الاعلى وبالذات رئيسه الحاج أمين الحسيني .

ولد المجلس الاسلامي كيانا مسيسا ، وجاء نسيجه من مقولة معينة ذات أبعاد تاريخية تعود الى ظهور التجمعات العلمية كتنظيمات سياسية والتي تعود الى فشل الاصلاحات الدستورية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني . فقد انتظر المسلمون المتعلمون بفارغ الصبر أن يعاملوا مثل الطلل المسيحية في سيطرتها على استقلالها الذاتي ، الامر الذي ساعدها على نشر التعليم والعمل الاجتماعي عامة (١٩٤) بل تذهب بعض المصادر الى أن العربي اعتبر المجلس الاسلامي الوسيلة الوحيدة للانقاذ أمام خطر الاحتلال البريطاني والغزو الصهيوني (١٩٥).

ارتبط قيام المجلس الاسلامي الاعلى ببروز نجم أمين الحسيني التي كانت السلطات قد فضلت بتعيينه مفتيا عام ١٩٢١ من أجل أن تنأى به عن السلطة فرد هو على ذلك بأن أحضر الدين الى السياسة (١٩٦) وعلى أية حال فقد سار المجلس في مهمته الاساسية وهي رعاية شؤون المسلمين الدينية . واضطلع لذلك بمهام واسعة في الاوقاف والمساجد والمدارس والقضاء الشرعي وشؤون الايتام الخ . ولقد أحصى بنتوتش المؤسسات التالية التي كان يشرف عليها المجلس ١٨ محكمة شرعية وجهاز من ٢٥٠ معاونا ، ومن ست دوائر أوقاف فيها ٥٩٢ موظفا ومن عشر مدارس وكليات دينية فيها ١٦٥٠ تلميذا، وكذلك عدد مؤسسات أخرى (١٩٧).

ولقد تميز المجلس الاسلامي الاعلى بهيكلية تنظيمية بلغت بتأثيره أقصى البلاد . كما أنه أتيح لرئيسه صلاحيات غير محدودة في تعيين موظفيه أو التخلي عنهم ـ الامر الذي جعله يختارهم على عينه ، ومن المخلصين له ولخطه السياسي بصفة خاصة (١٩٨).

ومع مرور الوقت أصبح للمفتي جهاز ديني سياسي كامل ، كثيرا ما وصفته المصادر بأنه دولة داخل دولة أو حكومة داخل حكومة (١٩٩) كما أن كوادر هذا الجهاز من أئمة ووعاظ وخطباء وغيرهم شكلت وسيلة فعالة للاتصال بقطاع عريض

من الشعب وخاصة الفلاحين . ولقد كان الاحتفال السنوى بموسم النبي موسى ، حيث كانت جماهير غفيرة من الفلاحين تحج للقدس في طريقها الى مقام النبي موسى ، بالقرب من أريحا ، مناسبة للالتقاء بالمفتي الرئيس الروحي للمسلمين عبر هذا الاحتفال ، من أجل تجديد معاني التأييد والولاء له مما زاد في شعبيته وترسيخ معاني زعامته (٢٠٠) ؛ وعلى ما يظهر فان اتصال المجلس الاسلامي الاعلى بهذا القطاع العريض من الشعب انعكس على توجيهه واسبغ عليه صفة شعبية (٢٠١) .

وبالرغم من أن تقييد المفتي بهذا المنصب كما أشرنا قلل الى حد كبير من اندفاعه الوطني ، الا أنه مع ذلك تمكن من أن يعطي لهذا المجلس طابعا وطنيا تجاوز بعالطائفة الاسلامية لتشمل الوطن كله كوطن بجميع فئاته ، بل اصبح المفتي الزعيم السياسي الاكبر للمسيحيين العرب كما هو للمسلمين العرب (٢٠٢) ولم يمض وقت كبير حتى انخرط هذا المجلس في الممارسات السياسية ـ كما سنوضح ـ حتى احتل مركز الصدارة في العمل الوطني وحل الى حد كبير محل الجمعيات الاسلامية المسيحية من حيث القوة والتأثير (٢٠٣) . ولعل أهم ما أضافه المفتي ـ من خلال هذا المجلس ـ الى الحركة الوطنية الفلسطينية أو القومية الفلسطينية هو أنه وجهها وجهة جديدة باحياء الاهتمام لدى العالم الاسلامي عموما بمصير فلسطين (٢٠٤) بل لعل سر قوته هو أنه جعل القدس وفلسطين (الديار المقدسة) مناط عمله ، ونشاطه الرئيسي ، قبل أي شيء آخر (٢٠٥) .

وعلى الرغم مما ولد هذا المجلس من خصومات محلية اضرت بسمعته وبالحركة الوطنية فانه ـ مع ذلك ـ ظل مركزا من مراكز ثقل الحركة الوطنية ، بل أن السفرى يعده " أول وأعظم مؤسسة وطنية تشكلت في البلاد " (٢٠٦) كما اعتبرته جريدة الكرمل طليعتها (٢٠٧) ويصفه اميل الغوري أيضا بأنه " الحصن الاول للحركة الوطنية " . ويقارن هذا الكتاب أيضا بين دور اللجنة التنفيذية والمجلس الاسلامي الاعلى ، عندما يوضح دور كل من قائدي هاتين المؤسستين فيقول : " على الرغم من أن موسى كاظم باشا كان زعيم البلاد وقائد حركتها الوطنية وأن اللجنة التي كان برأسها كانت تمثل الشعب الفلسطيني وتنطق باسمه وتحمل مسؤولية القضية الوطنية ، فاننا كنا نشعر بأن الحاج أمين كان القوة الدافعة

ومركز الثقل في المقاومة الفلسطينية " (٢٠٨) . ويصف سايكس المفتي بأنه كان أصلب ارادة وأكثر مقدرة من موسى كاظم الحسيني (٢٠٩) ويرى مالرو أيضا أن وطنية المفتي أو ما يسميه رفضه لم تكن وسيلة يميز بها أقرانه أو يزايد بها عليهم بمقدار ما كانت حقيقية لا تقبل الشك أو الخطأ (٢١٠) .

ولقد جاء الوقت الذي انسحب فيه اسم المجلس والمجلسيين على مجمل الحركة الوطنية (بمن فيها الجمعيات الاسلامية والمسيحية) وصار هذا الاسم يعني المعارضة ، بينما أصبحت المعارضة تطلق على من يعارض هذا المجلس الذي يعارض الحكومة (٢١١) . وفضلا عن ذلك لقد شكل المجلس الاسلامي الاعلى مع الجمعيات الاسلامية المسيحية واللجنة التنفيذية عروة لا تنفصم وتحالفا لا يتزعزع . واطلق على هؤلاء جميعا اسم الجبهة الوطنية واعتبروا أنفسهم الحركة الوطنية وأعداؤهم معارضيهـــا .

الا أن اللجنة التنفيذية والجمعيات الاسلامية المسيحية وحليفها القوى المجلس الاسلامي الاعلى ، الذين سيطر عليها الحسينيون ، وجدوا خصما عنيدا تقاسم معهم الصورة السياسية واطلق عليه المعارضة أو أحزاب المعارضـــة .

نبعت المعارضة من عوامل متعددة وسبقت كظاهرة سياسية من الناحية الزمنية النزاع العائلي الحسيني والنشاشيبي . فقد بدأت المعارضة ـ كما تؤيد الشواهد المختلفة ـ بدوافع ليست كلها عائلية وكانت مظهرا من مظاهر ضعف الحركة الوطنية وحتى عندما أخذت مظهرا عائليا ظلت في أبعادها الحقيقية نزاعا سياسيا مرتبطا بالناحية الوطنيـــة .

وكانت المعارضة نتيجة لتفاعل التناقض الانجلو صهيوني مع التناقض العربي الداخلي فقد فعل التناقض الاول (والخارجي) فعله على الناحية الداخلية في المجتمع العربي الفلسطيني بما فيها من أمراض الفردية والاقليمية والطائفية وكل مظاهر العصبية والتعصب ، من أجل توسيع شقة الخلاف في الجبهة العربية . ومن هنا برزت تنظيمات أطلق عليها أسماء جمعيات وأحزاب وغذتها المصادر الخارجية بالعون المادي والادبـــي .

كانت الجمعية الوطنية الاسلامية أسبق طوائف المعارضة الى الظهور (١٩٢٠) ونرى من تقرير للمندوب السامي أنها "تأسست بجهود يهودية ... وهي ليست

أكثر من نتاج متكلف (اصطناعي) بالغ التكلف. والذي يجنبها الانحلال الكامل، هو ما يجنبه بعض أعضائها من الفوائد المالية، التي غلبت في أهميتها بالنسبة لهم على مضايقات الصحافة واحتقار الرأي العام (٢١٢) كما أنها حاولت استغلال قيامها من أجل صبغ الحركة الوطنية بالصبغة الاسلامية الطائفية فقد ورد في احد تقارير السلطة : ليس لها (أي الجمعيات الوطنية الاسلامية) سند أو مؤيدون في الوقت الراهن . وهي تعارض بمرارة الجمعية الاسلامية المسيحية ولا ترغب في حكومة عربية. وهي تعلن بصراحة أنها مع الوحدة بين الصهيونيين والعرب في فلسطين (٢١٣) بل لقد اتهمت هذه الجمعيات الحركة الوطنية الفلسطينية بسيطرة المسيحيين عليها (٢١٤) وواضح أن هذه التهمة انما كانت من أجل تهديم هذه الحركة الوطنية. يقول اميل الغوري أن كالفونكي تمكن من شراء وافتناص بعض النفوس والمارقين من "الوجهاء" " وأبناء الذوات " فالفوا ما أسموه بالجمعيات الاسلامية الوطنية لهدف مقاومة الحركة الوطنية ثم صبغها بالصبغة الدينية لاثارة العربيين ضدها ولكن المسلمين اعرضوا عن تلك المؤسسات الكالفونكية (٢١٥).

كما أن الحزب الزراعي (قام عام ١٩٢٤) سعى الى التفريق بين العربة والمدينة باسقاط الريبة وسوء الظن لدى الفلاح نحو المدني (٢١٦) ويذهب الغوري الى انه قام بتأثير الاستعمار يقول : "شكل الاستعمار وأنصاره (حزب الزراع العرب)" فابتعد عنه الفلاحون ابتعاد السليم عن المجذوم (٢١٧) وعلى أية حال فان شواهد كثيرة ومختلفة المنابع تتضافر على تأكيد أن هذا الحزب لم يكن بعيدا عن التأثير الصهيوني وعونه المادي (٢١٨).

كما أن الحزب الوطني الذي كان أول تنظيم يطلق على نفسه اسم حزب بالمعنى السياسي للحزب، أخذ على الجمعيات الاسلامية المسيحية سلبيتها وتطرفها، وطرح بديلا عن ذلك، سياسة اعتبرها ايجابية، سياسة "خذ وطالب" وبدلا من التطرف نادى بالاعتدال . بل لقد اعتبر سياسة خذ وطالب السياسة المثلى. وكان هذا مع العلم أن طبيعة المعركة مع الصهيونية والاستعمار لم تكن تسمح بمثل هذه السياسة (٢١٩).

وهنالك شواهد كثيرة على أنه كانت تكمن وراء المعارضة أيضا النزعة الفردية والميل لتحقيق المصالح الشخصية وحب الزعامة.

فعارف باشا الدجاني أيد أحزاب المعارضة لانه فقد رئاسة المؤتمر الفلسطيني الاول لحساب موسى كاظم الحسيني الذى انتخب رئيسا للمؤتمر الثالث (٢٢٠). وتمتلئ صفحات الكرمل بأمثلة كثيرة على تمجيد اشخاص مثل الشيخ الناجي الفاروقي واسعد الشقيري وانهما أولى بالزعامة من أشخاص آخرين وبوجه خاص أمين الحسيني (٢٢١).

ويرى الفوري أنه انضم الى المعارضين "بعض الاشخاص لاعتبارات شخصية وحزازات محلية ومن هنا نشأ ما عرف في فلسطين (بالمعارضة والمعارضين) ووجدت فيهم الحكومة البريطانية العكاز الذى تتكئ عليه لنظم وحدة صفوف العرب ومقاومة الحركة الوطنية (٢٢٢). كما يقول جمال الحسيني "أننا لا ننكر أن بين أعضاء هذه الاحزاب من لا يضمر لامته غير الاخـــلاص. ولكننا لا نقدر أن نتغاضى عن أن بينهم أيضا من لم يدخلوا الاحزاب الا للاصطياد والقنص على حساب الامة (٢٢٣).

اتحدت تنظيمات المعارضة الفرع وحدة تنظيمية لها ومع هذا فان انتشارها ظل محدودا. فالجمعيات الوطنية الاسلامية كانت مراكزها في شمال فلسطين في عكا وحيفا وطبرية. كما انتشرت بصورة جزئية في الوسط (نابلس وجنين) وشمل انتشارها بعض العائلات فقط (٢٢٤) كما أن الحزب الزراعي انتشر بصورة خاصة في بعض قرى نابلس وجنين والخليل (٢٢٥). كما اتحد الحزب الوطني مركزه في القدس وأسست له فروع صغيرة في الرملة والناصرة وحيفا وعكا والخليل وطولكرم وغزة (٢٢٦).

وعلى أية حال فقد لقيت هذه الاحزاب والجمعيات معارضة كبيرة حصرتها، شعبيا وجغرافيا وقصرت من عمرها زمنيا. فقد عاشت الجمعيات الوطنية الاسلامية ثلاث سنوات فقط. كما أن الحزب الوطني والزراعي اضمحلا نهائيا في العام ١٩٢٧.

وتمثلت قيادة هذه الاحزاب والجمعيات في النخبة من الاعيان والوجهاء من ملاكي الاراضي وشيوخ القرى فالجمعيات الاسلامية الوطنية اعتمدت في قيادتها على رؤساء البلديات وملاكي الاراضي وأغنياء التجار في المدن الكبيرة. وقد حددهم أحد تقارير السلطة :

١. حسن أفندي شكري الذي كان لدى قيام هذه الجمعيات سكرتيرا عاما لحاكم عكا .

٢. راغب النشاشيبي رئيس بلدية القدس الذي كان عضوا في مجلس الاعيان خلال الحكم العثماني .

٣. حيدر بيك طوقان (نابلس) عضو مجلس المبعوثان خلال الحكم التركي (٢٢٧) .

كما اعتمد الزراع على مشايخ القرى النافذين في مناطقهم مثل فارس السعود في برقة الذي بصفة كبش رئيس اللجنة التنفيذية في اللجنة الصهيونية بقوله : " هو الرجل ، أمين ، قوى ، مستقل ، ويعمل بجهد ، ليمنع المؤتمر العام من تأليف جبهة موحدة ضد الانتداب (٢٢٨) وعبد اللطيف أبو هنطش من قافون وموسى هديب من الدوايمة من الخليل (٢٢٩) .

كما اشترك في الحزب الوطني " رؤساء بلديات وأعضاء لجان حكومية وأعضاء سابقون في المجلس التشريعي والمجلس الاستشاري وبعض وجهاء ومتحركين ينتمون اليهم بصلة ويطمعون في البروز والنهوض عن طريق الحزب من جهة أخرى (٢٣٠) .

ومن أبرز زعمائه المعروفين الثلاثي : أسعد الشقيري وعارف الدجاني وراغب النشاشيبي (٢٣١) .

لم يكن لهذه الاحزاب أو الجمعيات أي صفة هيكلية ، أو ارتباط تنظيمي دقيق بين الاعضاء والقيادة ، فقد وصف تقرير للمندوب السامي الحزب الزراعي بأنه أحزاب وليس حزبا واحدا وقال : " هذه الاحزاب ضعيفة في تنظيمها المركزي والتجانس بين أعضائها (٢٣٢) .

بل أن الباحث في هذه الاحزاب من الناحية التنظيمية يرى أن عائلات بعينها كانت بمثابة حجارة الشطرنج التي تتبادلها هذه الاحزاب أو الجمعيات بكيفية أو بأخرى ، من أجل أن تشكل منها مادة العمل السياسي ، فلقد شكلت بعض العائلات قاسما بين هذه التنظيمات جميعها .

تشابهت برامج وأهداف أحزاب المعارضة وجمعياتها تركيبها من حيث التنظيم قيادة وعضوية وانسحب مزاج أعضائها على هذه البرامج والاهداف . فقد وصف المندوب السامي مؤسسي الحزب الوطني بأنهم " نوافون للحياة الهادئة

ولا يودون التورط في صراعات سياسية فهم يرغبون في زيادة ثرواتهم ، ويعتقدون أن الاداره والسيطره البريطانية في الوقت الراهن هما خير ما يمكن أن يجعلهم ويجعل البـــلاد اكثر ازدهارا . وبعضهم مدفوعون الى مواقفهم هذه بدوافع أقوى ناجمة عن الحزازات داخل صفوف معسكر المعارضة (أي الجمعيات الاسلاميـــة المسيحية) وهناك من يعتقدون أنهم قد يظفرون بمزايا وفوائد مباشرة أو غير مباشرة من خلال الوقوف الى جانب الحكومه (٢٣٣) ومن هنا فقد اتسمت برامجهم بالاعتدال أو ما اطلقنا عليه آنفا سياسة " خذ وطالب " . ويربط دروزه بين سياسة الاعتدال هذه وبين رغبة أصحابها (اتباع الحزب الوطني خاصة) في التعاون الحقيقي مع الحكومة من أجل مصالحهم بالدرجة الاولى التي ساهم بهـا الانجليز " ومناهم كلا يتون بما يمكن أن يصلوا اليه من المركز والمكانة (٢٣٤) .

ولقد تمادى بعض هذه الاحزاب في سياسة الاعتدال الى درجة أنهم عادلوها بالتساهل أو التنازل . فالجمعية الوطنية الاسلامية نادت بالسماح بالهجرة لليهود ورحبت بالانتداب . ونص البيان التأسيسي للجمعيه في القدس على " قبول الانتداب بشرط أن يراعي مركز الاكثريه الاسلامية وهي الاكثرية الساحقة في فلسطين والسعي لتأليف ذات البين بين العناصر المستوطنة في فلسطين على اختلاف مذاهبهم وتحليهم وازالة سوء التفاهم والشقاق (٢٣٥) . كما ذكر تقرير للمندوب السامي عن أهداف هذه الجمعيات ما نصه : " أهدافها كما هي مبينة ، التعاون مع الحكومة وترقية العلاقات بين أطراف المجتمع المختلفه (٢٣٦) .

وشبيهة ببرامج الجمعيات الوطنية الاسلامية كانت برامج الحزب الزراعي فقد بلغ الامر مثل فرع السامرة ابلاغ كمتي عن برنامجه قبل اعلانه ، بما فيه " التصديق على الانتداب " (٢٣٧) .

وعندما كانت برامج هذه المعارضة ذات صبغة وطنية من الناحية الظاهرية مثل برامج الحزب الوطني في الوحدة العربية ، وعدم الاعتراف بوعد بلفور ، وسن دستور يحقق رغبات الامة ، وتأليف مجلس نيابي ، وتشكيل حكومة وقبول ما يمكن الحصول عليه من الحكومة ، فان هذه البرامج لم تزد عن كونها لافتات ترفع وقد تعارض معها السلوك السياسي للحزب من الناحية العملية . وعندما سببت هذه البرامج المعلقة بعض الخيبة لليهود كما يذكر المندوب السامي (٢٣٨) لم

يتوان هؤلاء أن يبلغوا اليهود أن السياسة لم تكن سوى كلام يقال أو يصدر عن السفاه (٢٣٩).

ولم يغب هذا الواقع المتناقض للاحزاب بين برامج معلنة، وتصرف يناقضها في الخفاء على المعاصرين فقد قالت جريدة " النظام " القاهرية معقبة على برنامج الحزب الوطني : (ما أشبه برنامج الحزب الجديد ببرامج الاحرار الدستوريين عندنا ... مقررات خلابة جذابة ولكن بتطبيق عليها والأسف قول الشاعر :ـ

يا صاحب القبر المنقش سطحه ولعله من تحته مغلول (٢٤٠).

الممارسات : تميزت الممارسات في هذه الفترة بالضعف وفقدان ما كان لها من زخم ونجيج في المرحلة الاولى . فلا اللجنة التنفيذية استطاعت أن تمارس نشاطا حيويا أو بناء بفعل اخفاقاتها السابقة ونظرا لانها اصبحت مكبلة الاجنحة بأحزاب المعارضة . ولا أحزاب المعارضة بما افتقدته من عنصر الثقة وبما حاصرتها أيضا به قيادة الجمعيات الاسلامية ، استطاعت أن تقوم بعمل ذى شأن في الحقل الوطني . وقد صورت الكرمل الحالة التي وصل اليها جميع الفرقاء في مقال لها بعنوان " الى متى هذا الاستخفاف " جاء فيه :

.... " أيها المخلصون من أعضاء اللجنة التنفيذية والجمعيات ،
اذا بقيتم مستسلمين لنزعة أنفار يتصرفون بشؤون الامة
فأنتم المسؤولون .
" الحـــزب الوطـــني "
يا ضيعة الامل في الحزب الوطني الذى أملنا أن يقف للجنة بالمرصاد
ويقوم بالواجب نحو وطنه واذا هو نائم غير موجود ...

.... أما حزب الزراع فيحسن صنعا اذا لم يشتغل بالسياسة ،ماذا عمل الى الان للنهضـــة الزراعيـــة (٢٤١).

ومقابل الادب الدعائي الذى شاهدنا انماطا منه للقضية الوطنية في المرحلة الاولى ، طورت الاطراف المتصارعة أدبا من نوع آخر ، يقوم على الدعاية وتشكيك كل طرف في الطرف الاخر ،الامر الذى أدى الى انشغال الطرفين انشغالا يكاد يكون كاملا ، وبالتالي شل جهودهما . كتب المندوب السامي في تقريـــره

يصور هذه الظاهرة : " تنتشر الان الاتهامات المعتادة التي يرددها خصوم الحزب الوطني ، في انه يتلقى العون الصهيوني وحلافه . ولكن من الناحيـــة الاخرى هناك صحة كبيرة للرأى القائل انه قد آن الاوان لتحدي قوة الجمعيات الاســـلامية المسيحيـــة (٢٤٢) .

ومع غياب الانجازات الحقيقية على جبهة العمل الوطني ، فقد استمـــرت الحركة السياسية الفلسطينية تسير على مناهجها المعهودة في ممارساتها السياسية والتي كان أغلب الحرص فيها منصبا على التغطية الشكلية للمناسبات المختلفة . فقد حرصت اللجنة التنفيذية بصورة خاصة على اشعار السلطات بوجود ــ مجرد وجود ــ حركة وطنية تتبنى قضايا الامة . وعلى أية حال فقد كانت تمر باللجنـــة فترات يتنابها الخمول وتنعدم الفاعلية . وقد بدا ذلك واضحا في عامي ١٩٢٤ ، ١٩٢٥ " ولولا صوت كان يرتفع من حين لاخر هو صوت جمال الحسيني سكرتـــير اللجنة لساد الاعتقاد بأن اللجنة اصبحت أثرا بعد عـــين " (٢٤٣) .

ومع هذا فقد شهدت هذه المرحلة سيل من اصدار البيانات والاحتجاجات والمذكرات من قبل اللجنة حتى أن الدكتور حسين فخري الخالدي عندما سأل أحد أعضاء اللجنة الملكية عام ١٩٣٧ عن وظيفة اللجنة التنفيذية أجاب " " تقديم الشكاوى الكثيرة والاحتجاجات " (٢٤٤) ، وعلى هذا اختفى أي جهـد عملي مناسبة ثورة سوريا (١٩٢٥) دعت اللجنة المواطنين الى اقامة الصلوات والدعاء في مساجد فلسطين وكنائسها لتخليص سوريا من الاستعمار (٢٤٥) .

وأما من الناحية الاخرى ، فان الممارسات غلب عليها النزاع الداخلي والتنافس المرير بين أطراف الحركة الوطنية بعضها مع بعض ؛ متطرفين ومعتدلين (والتطرف والاعتدال هنا قضية نسبية) ، مجلسيين ومعارضة ، لجنة تنفيذيـــة وأحزابا منشقة عنها . وأخذت شكل فصول ومشاهد متتالية ملأت المســـرح السياسي ، وشغلت المهتمين عن أي شيء آخر . ولذا فان الباحث لا يستغـــرب غياب أي مظهر من مظاهر العصيان المدني ، أو المظاهرات ذات الطابع العنيف التي شاهدنا أمثلة عليها في المرحلة الاولـــى .

والذي يريد أن يؤرخ لجولات الصراع الداخلي يجد بدايتها من الناحية الزمنية في المرحلة السابقة ، ولكنها لم تبلغ درجة الحدة الا في مرحلتها الحالية وربما خفف من تأثيرها في المرحلة السابقة ما طغى عليها من نشاط عام للحركـة

الوطنية ، غلبت فيه الايجابيات على السلبيات .

وعلى أية حال فاننا يمكن أن نعتبر بداية النزاع الداخلي في تعيين راغب النشاشيبي رئيسا لبلدية القدس بدلا من موسى كاظم الحسيني ، كما مرّ معنا (انظر فيما سبق ص ٦٨) ولقد كان هذا التعيين والظروف الوطنية السياسية التي أحاطت به ايذانا بحرب التنافس بين المعسكرين الحسيني والنشاشيبي ، الذي على ما يظهر كان له جذور كامنة في التنافس بين العائلات الكبرى في القدس قبل الانتداب بفترة طويلة .

ولكن جولة الصراع الحقيقي التي كانت بمثابة معركة حقيقية ، كانت معركة انتخاب مفتي القدس ، التي كان مرشح النشاشيبيين فيها الشيخ حسام الدين الله مقابل الحاج أمين الحسيني ، مرشح الحسينيين . وقد تنوعت في هذه المعركة اساليب الممارسات السياسية والدعائية يتحدث عنها بوراث في فصله الممتاز عن ظهور الحاج أمين الحسيني [٢٤٦] . وكانت الجولة الثانية التي انتصر فيها الحاج أمين أيضا على خصومه فوزه بمنصب رئاسة المجلس الاسلامي الاعلى .

ومهما يكن من أمر فان الصراع بين الطرفين لم ينته بانتهاء الجولتين السابقتين . بل ان المجلس الاسلامي الاعلى في حد ذاته أصبح مصدر كبيرا للنزاع ، لا سيما وان المفتي مارس من خلال المجلس كثيرا من مظاهر السلطة ، التي منحه اياها ما يسميه غزة دروزة " الانتفاح " في قانون المجلس ، والذي يبدو أن البعض اعتبره نوعا من التعويض عن غياب حكومة حقيقية للفلسطينيين . فهذا القانون " يكاد يجعل المجلس بمثابة حكومة اسلامية يستطيع المسلمون أن يطمئنوا لرعايتهم وعاداتهم العامة والنفسية والدينية بما منحه للمسلمين من حق الاشراف والتدقيق والتشريع العام الواسع والاجتماعات والمداولات البرلمانية كان له من ميزانية ومؤسسات ومحاكم ومدارس ورسوم وضرائب من جهة ثانية [٢٤٧] .

استثيرت المعارضة من جراء ذلك حسدا ومنافسة . ونظرت الى المفتي كأنما هو حاكم فلسطين والمعارضة له هي معارضة لهذا الحاكم . ولعل هذا ما جعل المجتمع العربي الفلسطيني ينقسم الى قسمين لا ثالث لهما : مجلسيين ومعارضة وكان المقابل من حيث المعارضة لهذا الانقسام ان جعل رجال المعارضة " يدققون في اعماله (المجلس) وتصرفاته ومشاريعه وينبشون عن كل صغيرة وكبيرة ....

ويقومون بالاسفار والرحلات ويعقدون الاجتماعات ويؤلفون الجمعيات في صدد ذلك كله (٢٤٨) .

والذي يقرأ صحف فلسطين في هذه الفترة يلمس الى أي مدى اصبحت نغمة المجلس ، ماله ، وما عليه ، هي السائدة في الادب السياسي الفلسطيني بل أننا نجد صحفا بحالها تخصصت في الهجوم على المجلس (٢٤٩) . كما يذكر المندوب السامي ان المفتي لاحق قضائيا صاحب " مراة الشرق " جريدة الحزب الوطني ، على مقالة كتبها ضده . (٢٥٠)

أما من حيث مجالات الهجوم فقد ركزت المعارضة على التشكيك في ادارة المفتي لاموال الاوقاف ، وانصرافه الى أعمال غير شؤون المجلس الاسلامي مثل التعاون مع اللجنة التنفيذية (٢٥١) وتسلطه وايثاره لاسرة فراسه وهكذا .

ولقد تداخل الهجوم على المجلس الاسلامي أو الدفاع عنه مع ممارسات اطراف الحركة السياسية بعضها مع بعض . لجنة تنفيذية وجمعيات اسلامية صنيعة (بالاضافة طبعا لكوادر المجلس الاسلامي) من جهة ، ضد فئات المعارضة (رواسب الجمعية الوطنية ، والحزب الزراعي والحزب الوطني) من الجهة الاخرى . ولقد شارك الجميع في هذه المعركة من صباحي ومساء مختلفة . فمن جراء تحريض اللجنة التنفيذية وتأليبها الشعب على الحزب الوطني تمكنت من ايذاء (٢٥٢) النقمة عليه فقد استنكر المسلمون في الحرم الشريف هذا الحزب وهتفوا وبتأثير اللجنة التنفيذية كتبت الكرمل ـ التي كانت آنذاك تنطق باسم الحركة الوطنية ـ تهاجم حزب الزراع وتتهم انصاره بانهم يفتقدون " الشعور الوطنية والعلم والتجربة " (٢٥٣) ، كما اسهبت صفحات الكرمل لهجوم كبير قام به جمال الحسيني على زعماء المعارضة واحزابها " وهي (أي الامة) معذورة في الغاء التشبيهة في نيات حزب الزراع اذ ترى أن الكولونيل كيش هو الذي يذهب مع رهط من رجال هرتسل لتأسيس فرع له في بيسان ، وان موسى هديب وهو ذئب الصهيونية كلفرسكي وبطل الجمعيات الكلفرسكية يؤسس حزبا زراعيا في الخليل . كذلك يجب أن لا تعتب على الامة في اشباهها في الحزب الوطني عندما ترى أعظم ركن فيه ذلك الشيخ الذي أدمى قلب الامة وأسال دموع عذاراها اذ كان خائنا محاسبا السفاح جمال باشاوهو يعلق أجسام أخلص شبان هذه الامة في بيروت ودمشق (٢٥٤) ويبدو أن هذه الحملات الصحفية وبالذات هجوم جمال الحسيني على خصومه

كان من التأثير بحيث استثار اهتمام المندوب وسجله في احد تقاريره الى وزارة المستعمرات : " ان شراسة الحملات التي يشنها جمال الحسيني ضد الشيخ أسعد الشقيري أحد زعماء المعارضة ، تجعل أي مشروع في اعادة الوحدة (بين المعارضة والمجلسيين) أمرا بعيد المنال " (٢٥٥) .

ومن ناحية أخرى فان الكرمل وغيرها من الصحف لم تتوان أن تفتح صدرها ـ بل أن تتحول كليا الى خط المعارضة وهو دليل على ضعف الحركة الوطنية ـ لحملات المعارضة على المجلسيين ورجال اللجنة التنفيذية والجمعيات الاسلامية المسيحية . فقد كان صاحب الكرمل هو الذي ألقى باللائمة على موسى كاظم الحسيني في أنه سبب النزاع والفرقة في الحركة الوطنية سواء من حيث قيام احزاب المعارضة أو " الشقاق فيما بين رجال الجمعية الاسلامية المسيحية انفسهم في يافا " .... وهكذا (٢٥٦) .

ولقد وصف الكاتب الحر في الكرمل ما وصلت اليه حالة النزاع بين الاطراف المتنازعة (وواضح في المقال تحميل المسؤولية بدرجة أكبر لمعسكر الحسينيين واللجنة التنفيذية اكثر من المعارضة) ودعا الى وحدة الصف :

" في فلسطين حركة دعاية متناقضة هي الشغل الشاغل للبلاد ودعاية اللجنة التنفيذية والمجلس الاسلامي (المشرفين) من جهة ودعاية الحزب الوطني (الناقم) واحزاب الزراع (الاصطناعية) من جهة أخرى ... لا يختلف اثنان ان لا بركة في هاتين الدعايتين فيما مظهران لمصالح شخصية محضة ترمي فعل كل شيء الى هدم بعضها بعضا عوضا عن هدم عدو البلاد . ولو أنصف المتطرفون من هذين الحزبين أو العائلتين وانسحبوا من الطريق لتفيت العداوة ولصفا الجو لهذه الامة وانقشعت غيوم الشك والاضطراب من فضائها واتفق الحزب على ما فيه نفع الامة والوطن .

هذا وقد حان الوقت المناسب لدفن هذين الحزبين المتناقضين واخراج حزب حقيقي يرتكز على قوة الامة جميعها (٢٥٧) لا فرق بين قرويها ومدنيها وصرف هاتين العائلتين الى الاشتغال بشؤونهما " (الاقواس في الاصل)

على أن هذه الدعوة وامثالها الى وحدة الصف فشلت ولم تنجح جميع المحاولات التي بذلت للتوفيق بين الطرفين . فقد رفض الحزب الوطني المحاولة التي قامت بها اللجنة التنفيذية للمؤتمر السادس لعقد المؤتمر السابع في ١٩

مايو (١٩٢٤) وقرر " عدم اشتراك الحزب في ذلك المؤتمر لانه مؤتمر حزبي (يقصد آل الحسيني يسيطرون عليه) ولذلك فقد ارتأى أن يعقد مؤتمرا خاصا ليتداول في شؤون البلاد وجعل أعضاء مؤتمره محدودين بـ " أصحاب الكفاية " وذلك " للبحث فيما اصاب البلاد من الشلل " بـ " (٢٥٨) ولم تنس صحف المعارضة ، على أية حال ، أن تحمل اللجنة التنفيذية التي انفردت بالدعوة الى عقد مؤتمر مسؤولية النزاع ، ومبرر ذلك عدم انعقاد المؤتمر كما أنها شملت بهجومها اشخاص اللجنة التنفيذية ، مثل الشيخ المظفر وأمين التميمي بالاضافة الى موسى كاظم الحسيني وقالت انها " ملأت الدنيا تذمرا منهم (٢٥٩)على أية حال فان جهود التوفيق والتوحيد لم تلبث أن اصطدمت بمشكلتين كبيرتين عندما غرقت فلسطين بكاملها ـ ومشطورة الى شطرين مجلسي ومعارض ـ بموضوع انتخابات المجلس الاسلامي الاعلى (١٩٢٦) والمجالس البلدية (١٩٢٧) والتي كانت نتائجها دليلا على أن المعارضة وصلت الى قمة قوتها ، وبالمقابل كانت دليلا على مدى انهيار الحركة الوطنية على وجه العموم .

وعلى أية حال فقد وصفت الكرمل في مقال كتب قبيل الانتخابات بعنوان " المجلس الاسلامي وما يتولد عن الانتخاب " هذه الانتخابات بأنها " مأساة " وأضافت تقول : " عار والله أن تكون الارض تباع بعشرات الدونمات وأن تكون التجارة تنقل بسرعة من أيدي الوطنيين وأن يكون المهاجرون يدخلون بالالوف وأن نغفل كل هذه الشؤون الخطيرة ونتنازع من أجل عضوية المجلس الاسلامي الاعلى . ان هذا صغير ولا يتفق مع تقاليد العرب (٢٦٠) ولقد عقبت المقطم على الانتخابات بأن الاشغال فيها ربما كان بتدبير من السلطات ، كما أنها قدمت صورة نادرة صادقة عن مدى الانهماك من قبل الاطراف المختلفة فيها (٢٦١) كما أن عزة دروزة يقول بأنه " لم يظفر في هذه المعركة غيرها " (٢٦٢) يعني الحكومة .

وعلى أية حال فقد أسفرت الانتخابات عن فوز المعارضة (٢٦٣) الذي نم عن أن المجلسيين هوجموا في عقر دارهم .

ولقد كان انتصار المعارضة هذا ، مدخلا ممتازا لهم لخوض معركة انتخابية أخرى هي معركة انتخاب أعضاء البلديات ، بينما حاول انصار المجلس من الناحية الاخرى يبرهنوا أن انتصار المعارضة كان عرضيا وعابرا . ومن هنا فقد

اكتسب هذه المعركة طابعا تميز بشدة الوقع والعنف . ولقد ركز المجلسون على منع راغب النشاشيبي ـ قطب البلديات ـ من الفوز في معقل قوته ، مهما كلف ذلك من ثمن . ومن هنا فقد لجأ جمال الحسيني الى أتباع أساليب براجماتية لا تتفق مع خطه الوطني . فحسب ما يروى بوراث ، فقد اتصل (جمال الحسيني) بكمش وطلب اليه أن يمنع اليهود عن اعطاء أصواتهم للمرشحين النشاشيبيين بينما يمتنع المجلسيون عن اعطاء أصواتهم لمعارضي الصهيونية من جماعة " أجودات اسرائيل " (٢٦٤) ولكن الصهيونيين ـ على أية حال ـ لم يستجيبوا لجمال واستجابوا كما يذهب بوراث أيضا . " لما تعلمه عليهم مصلحتهم من تأييد ادارة راغب النشاشيبي وليس أعداءهم القوميين (٢٦٥) وعلى هذا فقد كتب بن آتي في جريدة دوارهايوم مقالا بعنوان "أنا راغب"(٢٦٦) ، كما أن اليهود ناصروا حسن شكري في حيفا وعاصم السعيد في يافا وكلاهما من أقطاب المعارضة (٢٦٧) وكانت نتيجة هذه الانتخابات انتصارا آخر وأكثر أهمية ووقعا من الانتخابات السابقة (٢٦٨).

تركت هاتان المعركتان بصماتهما على التنظيمات السياسية من ناحية وعلى ممارساتها من الناحية الاخرى . فمن الناحية الاولى كان لما أحرزه المعارضون من استقطاب ، أن عكس ظلالا من الشك بجدارة اللجنة التنفيذية في الانفراد بتمثيل الفلسطينيين .

ففي الوفد الذي قابل مساعد السكرتير العام لفلسطين في ٢٦ يوليو ١٩٢٦ من أجل المفاوضة بهدف "اشراك أهل فلسطين في شؤون الحكومة التشريعية التنفيذية (٢٦٩) ، في هذا الوفد تساوى الفريقان من حيث تركيبه (٢٧٠) ومن الناحية الثانية قدم الوفد مذكرة طالب فيها بتعديلات دستورية يفهم منها أنهم لا يعارضون في الانتداب بل يقبلون بحكومة برلمانية تحت اشرافه . ولم يزد رد الحكومة ، على أية حال ، عن أنه " سر فحامته " (أى المندوب السامي) أن يرى هذه المذكرة تكشف القناع عن ميل العرب لان يعدلوا عن السياسة السلبية المحضة بشأن مصلحتهم الخاصة وأن يتبعوا بدلا منها خطة يتمكنون بوساطتها من وضع اقتراحات قيمة لتشكيل حكومة دستورية (٢٧١) ، ومع هذا فقد رفضت الحكومة هذا التنازل و " العدول عن السلبية ، واعتبرت الوفد رغم تركيبه غير ممثل للفلسطينيين وأنه " لا بد أن تقدم الاقتراحات من قبل هيئة

تمثيلية (٢٧٢) . وعلى أية حال فقد عزز هذا الرفض موقف المعارضة التي وجدت فيه وسيلة للمساومة مع خصومها للحصول على مقاعد أكثر في هيئة تمثيلية وعلى هذا فقد رضخت اللجنة التنفيذية ـ بسبب خسائرها السابقة ونظرا لضغط الحكومة ـ لمطالب المعارضة وقبلت ان تتساوى معها في اللجنة التنفيذية (٢٧٣) ولم تزد النتيجة في هذا الوضع الجديد أن اللجنة التنفيذية التي انبثقت عن المؤتمر السابع الذي اشترك فيه " مخلصون ومجاهدون ، كما دخله منافقون بل سماسرة وباعة أراض وجواسيس ، كانت شبيهه بالعناصر التي اشتركت فيه وانتخب لها ثلاثة سكرتيرين واحد مجلسي وآخر معارض وثالث مسيحي (٢٧٤) . من هذا الترتيب والتركيب الجديدين استأنفت اللجنةالتنفيذية ، ممثله هذه المرة براغب النشاشيبي وموسى كاظم الحسيني ، مداولاتها مع الحكومة ، والمطالبة " بحكومة تمثيلية في البلاد " . ولقد صرح المندوب السامي لوزير المستعمرات بأن العرب لم يعودوا يطالبون بالغاء وعد بلفور ، والانتداب ، وأن خوفهم من الصهيونيين قد انحسر كثيرا . ومن هنا فقد اقترح اقامة مجلس تشريعي ، سيد بالمجلس التشريعي لعام ١٩٢٢ (٢٧٥) ويظهر أن كلا من موسى كاظم الحسيني وراغب النشاشيبي وافقا على هذا المجلس (٢٧٦) وهكذا نلاحظ أن الحركة الوطنية في مجملها ـ مجلسية ومعارضة ـ دارت على نفسها دورة كاملة ، فقبلت عام ١٩٢٩ ما رفضته في عام ١٩٢٢ ، وكان هذا القبول الجديد حصيلة أو محصلة المرحلة الثانية . بل أن تركيب اللجنة التنفيذية الجديد خلق تحالفا أو شبه تحالف بين موسى كاظم الحسيني وراغب النشاشيبي ، كما جعل المفتي يرغب بنفسه عنها ، ويميل الى ربط جهوده بالجيل الصاعد من الشباب الراديكاليين (٢٧٧) ، مما سيظهر واضحا في ما سيأتي .

ومهما يكن من أمر فان موجة الانحدار توقفت بظهور عامل جديد طغى على التنافس المحلي ، وأعاد الى الحكومة الوطنية شيئا كثيرا من سابق قوتها . وكان هذا الحدث ، أو العامل الجديد ، هو انتفاضة البراق في آغسطس ١٩٢٩ التي أعادت ترتيب صورة المعسكر السياسي ، وممارساته بصورة جديدة .

المرحلـــة الثالثـــة

١٩٢٩ ـ ١٩٣٤

نستطيع أن نلخص هذه المرحلة الثالثة في حقيقتين كبيرتين أو أساسيتين

الحقيقة الاولى : أن هذه المرحلة من حيث التنظيم كانت مرحلة الحركة الشعبية التي تمثلت بمشاركة قطاعات كبيرة من الشعب في العمل السياسي : شبانا وطلابا ، عمالا وفلاحين ، مثقفين وطبقة وسطى (٢٧٨) وقيام أحزاب سياسية منظمة .

والحقيقة الثانية : ان هذه المرحلة من حيث الممارسة كانت مرحلة الثورة والصدام المباشر مع بريطانيا والذي بلغ أقصى وأعنف مراحله في ثورة ١٩٣٦ .

ارتبطت هذه المرحلة بظروف معينة أطلقتها وحددت مسارها . فقد توفرت للحركة الوطنية ظروف متعددة أحسّ فيها الشعب الفلسطيني بعمق التحدي من الناحية الواقعية أو الفعلية والذي انعكس على تنظيماته وممارساتـــه .

ويمكننا أن نجمل نواحي التحدي كما برزت أو كما انعكست على الفلسطينيين العرب على النحـو التالـــي :ـ

أولا : التحدي البريطاني : وقد تمثل هذا التحـــدي بما يلـي :ـ

أ ـ الاسلوب القمعي الذي اتبعته السلطات البريطانية في اخماد هبة البراق (١٩٢٩) (٢٧٩) وانتفاضة ١٩٣٣ . فبالنسبة لهبة البراق التي يصفها اميل توما بانها " لم تكن مجرد اصطدامات بين عرب ويهود بل كانت جوهريا هبة جماهيرية في وجه الادارة البريطانيـــة الامبريالية (٢٨٠) هذه الهبة تعرضت لقمع عنيف على مدى أيـام متعددة وسقط فيها عدد ليس بقليل من الضحايا العرب (٢٨١) ، ولجأت فيها بريطانيا الى استخدام الطائرات (٢٨٢) .

ولقد نجم عن هذا العنف البريطاني في التعامل مع الثوار ان شعر العرب بأن الصهيونية محمية بالحرب البريطانية ، كما انهم استيقظوا علـى الاستيقان من مفهوم أساسي الا وهو ان الخطر البريطاني أولـــى بالمقاومة وان بريطانيا هي عدو العرب الاول " أصل البلاء وأســاس الداء " كما سيصبح شعار المرحلة . وعلى هذا فقد أصبح لسان حـال

الحركة الوطنية ما ذكرته " الجامعة العربية " : أركلوا الصهيونيـــة باقدامكم وقفوا وجها لوجه أمام بريطانيا العظمى . فالصهيونيـــة ليست سوى مشروع اجرامي تشجعه بريطانيا وتحميه بحراب جنودها . وهي تهدف الى قمع العرب واخضاعهم لارادتها (٢٨٣) .

ب ـ التحدى السياسي : وقد تمثل هذا في اهمال توصيات لجنتي شوو سيمسون في انصاف العرب وايقاف الهجرة وتحديد بيـــع الاراضي (٢٨٤) وقد بدا هذا واضحا في تخليها عن الكتاب الابيض (١٩٣٠) واصدارها بدلا من ذلك ما وصفه العرب بـ" الكتاب الاسود " ـ رسالة ماكدونالد رئيس الوزارة البريطانية لوايزمن ـ والذي جـاء فيه : " انه ليس في نية بريطانيا ايقاف الهجرة الى فلسطين وان هجرة العمال سوف لا تتاثر بزيادة العاطلين عن العمل من العرب (٢٨٥) . وتتضافر كثير من المراجع على وصف الشعور بخيبة الامل التي أحس بها الفلسطينيون في مختلف قطاعاتهم من جراء موقـف بريطانيا هذا . وكان هذا الشعور سببلا الى ازدياد النزعة الى العنف وبروز دور المتطرفـين . (٢٨٦)

ثانيا : برز التحدى الصهيوني بروزا كبيرا في هذه الفترة . ففيها شبت الحركـة الصهيونية عن الطوق . فقد سارت في اواخر العشرينات وبداية الثلاثينات مسارا يختلف عن مسارها في أواسط العشرينات . ولقد كان هذا التزايد في قـوة الصهيونية مضافا الى الدعم البريطاني لها ، مما زاد في شعور العرب بعمق التحالف بين الصهيونية والانتداب ، ولعله ليس بلا مغزى ان تتردد كلمـة الانتداب مقرونة بالصهيونية . ونجد مؤلفا يظهر في هذه الفترة (١٩٣٧) لمؤرخ فلسطيني هو عيسى السفرى تدور اطروحته كما تظهر في صفحات كتابه حول الحالـة الفريدة التي تواجهها " فلسطين بين الانتداب والصهيونية" كما جاء عنوان الكتاب . ولقد تمثل التحدى الصهيوني بما يلـي :ـ

١ ـ التحدى الديني والذي برز واضحا في احداث البراق وكان مظهرا للتحدى السياسي والعسكرى فضلا عن كونه مظهرا من مظاهر التعصب . فقد نشرت الاهرام برقية تعلن فيها " ان الادلة تتوافر كل يوم على أن اليهـود مسلحون وان العرب يعتبرون عزلا من السلاح " (٢٨٧) كما ذكرت اللجنة

التنفيذية في ردها على المندوب السامي ، ان اكثر اليهود كانوا مسلحين وان الحكومة هي التي سلحتهم ، وقد قتلوا بالاشتراك مع الجنود النظاميين ، النساء والاطفال والرجال العرب ، وكانوا البادئين في بعض الحالات (٢٨٨) .

٢ ـ التحدي السياسي ومقاطعة العرب : لقد كانت تجربة الفلسطينيين السياسية مع الصهيونية كافية لاثبات تخوفاتهم منها في انها حركة توسعية استيطانية شوفينية انعزالية ، ليست على استعداد للتعايش مع العرب كما هي روح الكتاب الابيض ١٩٢٢ . وقد بدا ذلك واضحا في تطبيق شعار " العمل العبري " و " احتلال العمل " .لدرجة ان الهستدروت شكلت " حاميات يهودية " منذ ايلول ١٩٣٤ لوضع هذين الشعارين موضع التطبيق التام وبالقوة (٢٨٩) .ولم يؤثر في القضاء على هذه السياسة الانعزالية ادانه لجنة سمسون لها عندما قالت " ان مبدأ الاصرار على المقاطعة المستمرة للعمل العربي في المستعمرات ليس مناقضا للانتداب بل انه علاوة على ذلك مصدر خطر دائم ومتزايد على البلاد (٢٩٠) ولم يكن تركيز تقرير سمسون على احتلال العمل باقل من تركيزه على احتلال الارض : هذين المبدأين اللذين حفرا خنادق التباعد والفرقة بين العرب واليهود منذ البداية . (٢٩١) .

٣. تزايد الهجرة : لم يحس العرب بشيء كما احسوا بخطر الهجرة الصهيونية الى فلسطين : لقد كانت الهجرة بما قذفته من اعداد كبيرة على شواطئ فلسطين تجسيدا كاملا للخطر الصهيوني من الناحية البشرية ولقد زاد من هذه الهجرة في الثلاثينات ـ مقارنة بما كانت عليه في العشرينات ـ ظهور الخطر النازي حتى ان سايكس يقول : " لقد كانت فلسطين ردا على هتلر (٢٩٢) ولم تأخذ الهجرة طابعا فرديا او محدودا بل اصبحت هجرة جماعية . ولكن انعكس الخوف من الهجرة في الادب السياسي الفلسطيني . فبينما قالت الجامعة العربية " هجرة الالوف بعد المئات اما لهذا الليل من آخر (٢٩٣) دون السكاكيني في مذكراته بتاريخ ١٩٣٣/٤/٢٧ . : " حالة البلاد تسير من سيء الى أسوأ كل يوم تقذف

البلاد بمئات المهاجرين اليهود . كل يوم تباع الارض قطعة كبيرة بعد قطعة كبيرة (٢٩٤) .

ولعل هذه الهجرة كانت اكثر من اى عامل آخر سببا في نزعة التصدى للتحدى الخارجي لدى الحركة الوطنية . وكانت الاجابة على هذا التحدى في ثورة ١٩٣٦ ــ كما سنرى ــ بل ان بعض المؤرخين يذهب الى ان الحركة الوطنية تناغمت في قوتها مع عدد المهاجرين الى فلسطين . وانها بدلا من هبات متفرقة (رافقت الهجرة المتفرقة) بدأت بالتفكير بمنطق الصراع المستمر او الدائم (٢٩٥) . بل ان احد المصادر سمى المرحلة الزمنية ١٩٣٣ ــ ١٩٣٦ فترة " تضخم الهجرة اليهودية وتبلور القومية العربية في فلسطين " (٢٩٦) . بينما ذكر تقرير بيل ان المخاوف جعلت العرب يرون في المهاجر اليهودى ، ليس خطرا على مصادر معيشتهم بل سيدا قد يسيطر عليهم في المستقبل (٢٩٧) .

عملت هذه التحديات المختلفة بريطانية وصهيونية ، عملها في التأثير على العمل السياسي في فلسطين تنظيما وممارسات :

أولا ــ التنظيمات : أخذت التنظيمات التي اشرنا الى انها اتسمت بالسمة الشعبية وشملت قطاعات عريضة شكلا جديدا وقد مارست نشاطها من خلال اقنية مختلفة : نقابات ، جمعيات للشباب ، حركات عسكرية ، واحزاب . وقد انتهت المرحلة الثالثة بطلاق كامل بين الجبهة الوطنية وحركة المعارضة ، وبدلا من خليط اللجنة التنفيذية ذابت الاحزاب " المتمازجة والمتحانسة (٢٩٨) .

وعلى اية حال فقد كان من بين التنظيمات ذات البرامج والطموحات السياسية التي ارادت ان تتجاوز برامج الزعامة التقليدية او القديمة تنظيمات العمال التي عقدت مؤتمرها الاول في حيفا (١١ كانون الثاني ١٩٣٠) وحضره ١٦٠ مندوبا ممثلين ل ٣٠٢٠ عضوا من مختلف البلاد (٢٩٩) وقد كانت نقابة السكك الحديدية ، محور نقابات الجمعيات العمالية لان هذا المرفق كان محور صراع مع النقابة الصهيونية الهادفة الى استخدام العمال اليهود في الادارة والاعمال الفنية دون العمال العرب (٣٠٠) وعلى ايه حال فقد انتقدت التنظيمات العمالية انها لم تستقطب جميع العمال وخاصة العمال الزراعيين (٣٠١) ولم تتأثر بما فعله الهستدروت التنظيم العمالي الصهيوني والذى بلغ حدا من التنظيم والفاعلية تفوق فيه على جميع التنظيمات الاخرى في الييشوف (٣٠٢) .

كما برز في هذه الفترة دور الحزب الشيوعي بعد ان قطع علاقته بالسياسة البريطانية الصهيونية (بوعالي تصيون) بسبب دعوته الى ما يسمى البروليتاريا الصهيونية . ومن ثم فقد توجه هذا الحزب الى الجماهير العربية وجماهير اليهود الشرقيين . كما اصدرت اللجنة التنفيذية للكومنترن ، بعد اضطرابات ١٩٢٩ ، تعليمات تفيد بان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفلسطيني يجب ان تحتوى على اغلبية عربية . وقد اعلن المندوبون الفلسطينيون العرب في المؤتمر السابع للكومنترن ان التعريب ينبغي ان يستمر " بينما ينبغي الاحتفاظ بالاعضاء المثقفين والمخلصين من الرفاق اليهود " (٣٠٣) .

ولعل من ابرز الظواهر التنظيمية في هذه المرحلة ايضا هو بروز دور الشباب الفلسطيني ، والشباب المثقف بوجه خاص ، والذى عرف بحركة الشباب التي يثنى عليها السفرى ، ويعتبرها " اول عمل منظم يقوم به الشباب العربي ليس في فلسطين وحدها بل في الاقطار العربية الشقيقة (٣٠٤) .

والظاهر ان هذه الحركة كانت تجاورا للتنظيمات القديمة ، وعلى هذا فانها كما تصفها المصادر لم تجد مكانا لها في الجماعة المجلسة ، ولا المعارضة ، ولم تلتزم باحد منها : وكانت دليلا على اتساع قاعدة الحركة القومية لتشمل هذا القطاع من الشباب الذى ولد في عهد الانتداب (٣٠٥) .

ولقد جسد السفيرى فكرة قيام هذه الحركة وبانها كانت نتيجة التناقض بين القديم والحديث فهذه الكلمات القليلة كانت عنوانا لمقال كتبه في مرآة الشرق : " تقدم ايها الشاب انت ابن من الميدان " (٣٠٦) وساد هذا الشعور لدى شاب آخر عاش في تلك الفترة ، وهو اسعد الغورى ، الذى يقول في مذكراته "وشعرت ، ان من واجبنا نحن الشباب " الجدد" ان نبادر الى العمل بطرقنا ووسائلنا المستطاعة(٣٠٧) .

ولقد اتخذت هذه الحركة اشكالا تنظيمية متعددة . فقد قام في عام ١٩٢٨ اول تنظيم لجمعيات الشباب المسلمين ردا على عقد مؤتمر تبشيرى ، دعا اليه المجلس الدولي التبشيرى ، وانعقد في القدس على جبل الزيتون . وقد حضره مندوبو ٢٥ دولة دون أن يكون بينهم مندوب واحد يمثل المسيحيين العرب (٣٠٨) وعلى الاثر عقدت النوادى الاسلامية في البلاد وربطت هذه النوادى في المستقبل بجمعية الشبان المسلمين بمصر (٣٠٩) ومن هنا ولدت جمعيات الشبان المسلمين

واستمرت حركة الشباب في تقدمها فعقد الشباب العربي أول مؤتمر لهم بهذا الاسم في يافا في كانون الاول ١٩٣٢ برئاسة راسم الخالدي ، وقد ضم هذا المؤتمر " شباب البلاد على اختلاف مبادئهم ونزعاتهم ، وبحث في مشاكل عامة كالتعليم القومي وتشجيع المصنوعات الوطنية ... وبنوع خاص الحركات الكشفية والرياضة (٣١٧) . وقد انفض المؤتمر بعد ان انتخب لجنة تنفيذية من ٣٨ عضوا من اجل أن تعمل على تنفيذ قراراته كما انتخبت هذه اللجنة قيادة دائمة على شكل مكتب دائم يتولى ادارة شؤونها (٣١٨) .

وقد أسس مؤتمر الشباب ـ أو ما عرف فيما بعد بحزب الشباب ـ عمله التنظيمي على أساس اتخاذ الفرع وحدة تنظيمية له ، من اجل أن تكون الفروع " صلة الوصل بين الشباب " وشملت هذه الفروع عددا كبيرا من مدن فلسطين وقراها " . (٣١٩)

وقد تشكلت في هذه الفترة أيضا مجموعة من التنظيمات السرية و"الحلقات الجهادية " منها التنظيم القسامي نسبة الى الشيخ عز الدين القسام .

ولد الشيخ عز الدين القسام في جبلة من أعمال جبل العلويين من سوريا ، واشترك في الثورة ضد السلطات الفرنسية في تلك المنطقة من سوريا في سنتي ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ ، وعلى اثر انتهاء هذه الثورة لجأ عز الدين الى فلسطين ، واستقر في حيفا . وهنا استطاع أن ينضم الى صفوف الحركة الوطنية . ولقد تركزت جهوده بادئ ذي بدء على التجوال في قرى شمال فلسطين ، والقاء الخطب اللاهبة . الا انه سرعان ما ادرك أن هذا النهج في مقاومة الانتداب والصهيونية ليس هو الاسلوب الوحيد أو الاسلوب الامثل والانجح . وعلى هذا فقد انتقد أساليب العنف المتفرقة لانتفاضة ١٩٢٩ ، وارتأى ان التأثير السياسي الاعظم ـ وهنا تكمن اصالته ـ ينبغي أن يتم من خلال بناء كوادر متخصصة والضرب على اهداف مختارة (٣٢٠) . من هنا سعى الى تنظيم الطبقات الشعبية ، التي تكونت من الفلاحين وسكان المدن والقبائل في شمال فلسطين ، في خلايا ثورية ذات طابع سري (٣٢١) . "

قام تنظيم القسام هذا على نظام الوحدات (جمع وحدة) وقسم المهمات المتعلقة بنشاط هذه الوحدات الى خمس :ـ

الوحدة الاولى : وحدة شراء الاسلحة ، ومهمتها شراء وايصال الاسلحة .

الوحدة الثانية : وهي وحدة التدريـــب .

الوحدة الثالثة : وهي وحدة الامن ويتكون اعضاؤها من العمال وصغار الموظفين ومهمتها مراقبة تحركات العدو البريطاني والصهيوني وجمع المعلومات

الوحدة الرابعة : وهي وحدة الاتصالات ، مهمتها تامين الاتصال بالهيئات لضمان شراء احتياجات التنظيـــم .

الوحد الخامسة : وهي وحدة الدعوة للثورة والاهتمام بأسر الشهداء والمعتقلين . وتنتشـر في المدن والارياـــف . (٣٢٢)

وقد وضع القسام شروطا للعضوية في هذه الحلقات الجهادية السرية قامت علـى ما يلـــي :-

١ ـ الاقتناع باهداف الحركة السياسية وهي طرد الانتداب البريطاني ، وسـع اقامة دولة يهودية في فلسطين والنضال من أجل استقلال وبناء دولـــة فلسطينية تعمل على تحقيق الوحدة العربيـــة .

٢ ـ الالتحاق بواحدة من الخلايا الخماسية التي تتكون منها الوحدات الاساسية

٣ ـ دفع عشـرة قـروش في الشـــهر . (٣٢٣)

٤ ـ ان يكون سـلاح العضو على حســـابه .

ولقد كانت الاولوية في برنامج هذا التنظيم مركزة على حرمان اليهود في فلسطين من الشعور بالاستقرار والهدوء . فبناء على تقرير للبوليس كتب متأخـرا ، ولم يخل من روح التحامل ، فان اهداف التنظيم كانت " الهجوم على اليهود ، وترويع المجتمع اليهودي ، حتى لا يظن اليهود أن باستطاعتهم البقـــاء في البـــلاد (٣٢٤) .

كما افاد احد تقارير ادارة التحقيقات الجنائية انه بدئ بتشكيل نواة مسلحة عربية منذ ١٩٢٩ (٣٢٥) . كما ورد في تقرير للمندوب السامي الى وزارة المستعمرات انه " تم تشكيل عصابات لمهاجمة الموظفين اليهود والبريطانيين ، وتتعمل هذه العصابات في منطقة حيفا ونابلـــس . (٣٢٦)

كما تشكلت في هذه الفترة ايضا لجنة سرية اولاها مجلس الوزراء البريطاني عناية كبيرة ، وقد قامت لاغراض الارهاب واغتيال الاشخاص الذين يعتقد أنهـــم يعملون ضد المصالح الوطنية " وقد قيل أنها قامت بعلم المجلس الاسلامي الاعلى واللجنة التنفيذية واللذين ساهما في نفقاتهـــا . (٣٢٧)

وفي شهر تشرين الاول من عام ١٩٢٩ ، تألفت عصابة الكف الاخضر ، والتي يزودنا تقرير مفصل للسلطات البريطانية ـ عما تسميه أوراق تجارت " تاريخ الحركة الارهابية " ـ بصورة واضحة عنها . فقد اتخذت العصابة " الثورة المسلحة ولكن بصورة محدودة " (٣٢٨) هدفا لها . وقد تكونت قيادة هذه العصابة من أحمد طافش ، وهو فلسطيني من صفد ، شارك في احداث هبة البراق ، وفؤاد العلمي والذي يلقب باللبناني ، وهو سوري الجنسية ، درزي المذهب . وسبق له أن شارك بصورة فعالة بالثورة السورية (١٩٢٥) (٣٢٩) وقد تكونت عناصر هذه العصابة من مزيج من الفلسطينيين والدروز ، وقد أطلق هؤلاء على أنفسهم أسم " المجاهدين " (٣٣٠)

والظاهر أن هنالك رابطة بين هذه العصابة وجمعيات الشبان المسلمين ، التي كونت القاعدة التنظيمية لعدد من التنظيمات العسكرية أو ما يطلق عليها أحيانا " الحلقات الجهادية " مثل هذه الحركة وحركة القسام ، تلك الجمعيات التي على ما يبدو أيضا قد وقعت تحت تأثير المفتي (٣٣١) ، كما أن بعضها وقع أيضا تحت تأثير حزب الاستقلال (٣٣٢) الذي سنتحدث عنه بعد صفحات قليلة.

وفي عام ١٩٣٣ ولد التنظيم العسكري السري المرتبط بالحسينين والذي عرف باسم الجهاد المقدس . وعلى ما يظهر كان هذا التنظيم من احسنها تنظيما . وتعود بدايات هذا التنظيم الى عام ١٩٣١ ، وقد اسسه عبد القادرين موسى كاظم الحسيني الذي ولد عام ١٩٠٧ في القدس وتخرج من الجامعة الاميركية بالقاهرة ، ثم عمل موظفا ذا درجة عالية في دائرة تسوية الاراضي بفلسطين (٣٣٣) ، وقد كان الهدف الرئيسي لهذا التنظيم " تهيئة الشباب وتسليحهم واعدادهم للقتال (٣٣٤) وقد استطاع هذا التنظيم أن ينشئ له في فترة قصيرة ١٧ فرعا في مدن فلسطين وقراها . ويقول الغوري الذي انضم مع رفاق له الى هذا التنظيم انه مع رفاقه جعلوا في طليعة مهام التنظيم " توعية الشعب ونشر روح التمرد ضد الحكم البريطاني " . (٣٣٥)

وقد عقد هذا التنظيم أول مؤتمر عام سرّي له في القدس في ٢٥ مارس ١٩٣٤ . ويبدو أنه رسخ في هذا المؤتمر أمورا تنظيمية في طليعتها اتخاذ الخلية أساس التنظيم كما أنه اختار القيادة العليا للتنظيم من حسن سلامة ونافذ الحسيني وجميل الفارس وصالح الربحاوي وأميل الغوري (٣٣٦) . ولقد طوّر هذا التنظيم

جهاز استخبارات فعال بدا اثره واضحا اثناء صدام هذا التنظيم مع الانجليز عام ١٩٣٦ . (٣٣٧)

وبحسب ما يظهر من رواية الغوري كان لهذا التنظيم طرقه الجيدة في التمويل وانه اعتمد بالدرجة الاولى على جيوب اعضائه . (٣٣٨)

كما أن هذا التنظيم اهتم اهتماما خاصا بالتدريب العسكري وقد اقيمت مراكز خاصة لتدريب اعضائه في كل من نابلس واللد والناصرة ورام الله والناصرة . (٣٣٩)

وفي عام ١٩٣٢ تكون لاول مرة في فلسطين حزب ذو طابع راديكالي . وقد بدت راديكاليته في ايدلوجيته ذات الطابع القومي الاصيل . وقد قام على تأسيس الحزب شخصيتان هامتان كان لهما دورهما البارز في الحركة الاستقلالية العربية التي ازدهرت في العقد الثاني من القرن العشرين (٣٤٠) وهما عوني عبد الهادي وهو محام من نابلس واحمد حلمي عبد الباقي من عكا . (٣٤١) كما ساهم بدور كبير في تأسيسه عناصر ذات جذور وطيدة في الحركة القومية العربية مثل عزة دروزة وصبحي الخضرا وعجاج نويهض وأسعد داغر واكرم زعيتر (٣٤٢) . وقد دعا هذا الحزب الى :-

١- " قيام حكم وطني مستقل في فلسطين .
٢- اعتبار فلسطين جزءا لا يتجزأ من سورية وانضمامها اليها في نطاق الاستقلال التام .
٣- اتحاد سورية الطبيعية ومنها فلسطين مع الاقطار العربية في نطاق الاستقلال التام " . (٣٤٣)

وقد ظل الملك فيصل بالنسبة لهذا الحزب تجسيد لحلم الوحدة العربية (٣٤٤) وعلى اية حال فان الدارس لبيان هذا الحزب يدرك مدى تركيزه على هذه الوحدة فهو يريد وحدة كاملة قلبا وقالبا ، شكلا ومضمونا فنادى به : " توحيد الاحزاب الاستقلالية في الاقطار العربية " كما نادى بـ " توحيد اسماء الحكومات العربية وتوحيد شكل الطوابع البريدية وتوحيد العملة وجوازات السفر " و " جعل التابعية العربية حقا لكل عربي في الاقطار العربية الاخرى " و " السعي لرفع الحواجز الجمركية " حتى " توحيد شكل لباس الرأس " . (٣٤٥)

ولقد ركز الحزب في برامجه على قضيتين اساسيتين : القضية الاولى تجديد شباب الحركة الوطنية وانقاذها من كثير من امراضها مثل النزعات الشخصية والاهواء العائلية والقوى الاقليمية (٣٤٦) ولقد كان الحزب بارعا في نقد الحركة الوطنية الى درجة تعريتها تماما بل انه شكل مرآة صادقة او ضميرا للامة . ولقد طرح الحزب شعار التجانس بدلا من الخلط والتحشيد بدون فرز او تمييز . ومع التجانس دعا الحزب الى " الاخلاص الشريف وحب العمل المربح "(٣٤٧).

والقضية الثانية هي التركيز على العدو الرئيسي للحركة الوطنية وهو الانكليز فقد جاء في بيان الحزب الصادر عن اجتماع نابلس : " ان المجتمعين يعتبرون الاستعمار الانجليزي اساس البلايا وسبب الرزايا "(٣٤٨).

وعلى الرغم من هذه البرامج او المبادئ المتوهجة اخلاصا وحماسا ، فان الحزب لم يستطع ان ينقذ الحركة الوطنية من آفاتها الكثيرة . فقد عانى الحزب من مشكلات اساسية انعكست ايضا على ممارساته . فقيادة الحزب ، على الرغم من انها ضمت مثقفين وابناء وجهاء متنورين وبورجوازيين لم تتخلص نهائيا من عناصر الوجاهات(٣٤٩) . كما ان الحزب لم يرتفع من الناحية العملية الى مستوى الشعار الذي رفعه في اعتبار الانكليز التناقض الرئيسي . فالحزب قد أهمل قضية اساسية هي عقدة الامر كله : القتال . وبدلا من ان يلجأ الى الصراع المباشر مع بريطانيا ، عمد الى ممارسة اللعبة السياسية على ارض الحركة الوطنية ـ مجلسية ومعارضة ـ بشروطه هو والتي حملت الادانة لهما ، مما ادى الى مجابهة هائلة الجبهتين له مجابهة صارمة . ويقول احد التقارير السرية البريطانية ان المفتي " نجح في تفكيك الحزب (٣٥٠) ، لا سيما وهو قد اعتبر الحزب بمثابة انشقاق عليه ، لانه اكثر الاعضاء كان متوائما ومتعاونا مع المفتي " (٣٥١) كما انه لم يسلم من المعارضة " الذين لمسوا فيه اتجاها محرجا لهم لما بين بعضهم (اي المعارضة) وبين السلطات وبين بعضهم وبين اليهود من صلات " (٣٥٢).

ومهما يكن من أمر فان الحزب لم يصل الى مرحلة الحزب الشعبي او الحزب ذي القاعدة الجماهيرية . ولعل عدد اعضاء الحزب ممن فيهم المؤسسون كان يبلغ نحو ستين شخصا(٣٥٣) واذا كان الحزب لم ينجح شعبيا فانه نجح فكريا ، اذا صح القول ، بدليل تبني الاحزاب التي تلته (والتي سنتحدث عنها عند حديثنا عن قيام الحزبين العربي والدفاع) خطه السياسي . اما فشله التنظيمي فقد اتضح حين

في فلسطين . بات واجبا علينا ان نخطرهم بالحالة الخطيرة التي تهدد كيان بلادهم المقدسة واخوانهم الساكنين فيها (٣٥٩) .

وعلى الاثر فقد انعقد في سبتمبر ١٩٣٠ اجتماع في نابلس من انصار المفتي وكان " هدفه الرئيسي ابقاء البلاد في حالة من الهيجان ووضع البلاد في حالة من الهيجان شبيهة بالحالة التي كانت عليها في عام ١٩٢٢ عندما رفضت خلق مجلس تشريعي او وكالة عربية " (٣٦٠) .

وعلى اية حال فقد دارت مداولات هذا الاجتماع حول الموضوعات التالية :

١ ـ طالما ان الحكومة البريطانية تحكم البلاد بصورة مباشرة فان اى جهد عربي للتعاون معها محكوم عليه بالفشل .

٢ ـ ينبغي على العرب ان يوجهوا دعايتهم في المستقبل نحو الشرق والعالم العربي . وكحماة للديار المقدسة فان العرب لا يجدون افضل من تأييد العالم الاسلامي . (٣٦١) .

كان المؤتمر الاسلامي الذى انعقد في القدس عام ١٩٣١ ترجمة لهذا التوجه نحو العالم الاسلامي . وبالرغم مما لقيه هذا المؤتمر من معارضة محلية اثقل اوارها المعارضون المحليون للمفتي من جماعة النشاشيبي والذين نقوا عنه ما أحاطه المؤتمر به ـ وهو الداعي له ـ من هالة اسلامية عظيمة (٣٦٢) . اقول بالرغم من المعارضة المحلية فقد استطاع هذا المؤتمر وضع القضية الفلسطينية في اطار عالمي (٣٦٣) ، كما بدا في هذا المؤتمر هجوم واضح على بريطانيا . ففي الجلسة العاشرة التي عقدت مساء ١٣ ديسمبر ١٩٣١ انهالت الاصطحابات على الانتداب البريطاني (٣٦٤) وفي الجلسة الخامسة عشرة التي عقدت في ١٦ ديسمبر تلقى المؤتمر اقتراحا من حمدى الحسيني باستنكار الاستعمار ومقاومته (٣٦٥) ومع ان المؤتمر اتخذ قرارات بمقاطعة المصنوعات اليهودية في الاقطار الاسلامية واقترح ايضا تأسيس شركة زراعية يشترك فيها العالم الاسلامي لانقاذ الاراضي في فلسطين ـ ضمن قرارات اخرى ـ (٣٦٦) فان شيئا من هذا لم يتحقق بالفعل . ولعل افضل ما يوصف به هذا المؤتمر انه كان منبرا اعلاميا . ويقول الكيالي ان اللجنة التنفيذية لهذا المؤتمر تحولت مع الزمن الى هيئة فخرية (٣٦٧) .

وسيرا نحو سياسة دفع المقاومة نحو التشدد تمكن الاستقلاليون في عام ١٩٣٢ من اقناع اللجنة التنفيذية بالموافقة على قرار يعلن انه يحظر على اى عربي

ان يقبل تعيينه عضوا في هيئة او مجلس حكوميين ، او التعاون باى شكل من الاشكال مع الحكومة . ولكن هذا القرار اصطدم بمعارضة فئتين رئيسيتين هما الحسينيون والنشاشيبيون . فعلى اثر هذا القرار كتب واكهوب المندوب السامي ، يقول : " ان المفتي وعددا من حزب آل النشاشيبيوالذين يؤيدونني سيتخذون على الارجح اجراءات لعرقلة تنفيذ هذا القرار " (٣٦٨) .

وعلى هذا فعندما عقد اجتماع يافا في ٢٦ مارس ١٩٣٣ وحضره حوالي خمسمائة عربي من ممثلي القوى المختلفة واعضاء اللجنة التنفيذية ومفتي القدس ورؤساء البلديات ، وقرر المجتمعون مبدأ التعاون مع البدء بتنفيذ اولى كمقاطعة الحفلات ، ولجان الحكومة ، ومقاطعة البضائع الانجليزية ، والبضائع والمصنوعات والمتاجر الصهيونية ، مع دعوة الاهالي لشراء اسهم شركة انقاذ الاراضي وان يكون سلاح العرب ضد المهاجرة اليهودية هو المقاطعة التامة (٣٦٩) اقول عندما عقد هذا المؤتمر لم يكن مصير قراراته افضل من سابقاتها . كما ان المعارضة فشلت في دفع المفتي الى الاستقالة من منصبه . فقد اعتبر المفتي دعوته الى الاستقالة محاولة لتوريطه وان شعار التعاون المطروح مناورة هو المقصود بها شخصيا (٣٧٠) .

وعلى اية حال فقد بدا انه بالرغم من سير الحركة الوطنية في مجملها نحو التشرد او الراديكاليةلـــم يئـــن الاوان بعد لكي تحل زعامة الحركة الوطنية معادلتها الصعبة مع الانتداب : تعارضه كليا او تحالفه كليا . ومع هذا فقد قام واكهوب بتسهيلات كبيرة للمفتي في الاوقاف وعقد معه اتفاقا وصفه بأن مهرعلاقاته الشخصية الممتازة مع المفتي وغيره من اعضاء المجلس الاسلامي الاعلى (٣٧١) كما ان المعارضة حظيت بنعم السلطة وتعيين " ابناء الذوات في المناصب حتى ان بعضهم اعلن انه يفضل التعاون مع الحكومة على البقاء في اللجنةالتنفيذية" (٣٧٢) كما ان كثيرا من الزعماء ظلوا منضمين الى اللجان الحكومية (٣٧٣) .

ولقد عبر ابو رزق في مقال في " النفير " تحت عنوان " اخفاق الامة باخفاق الزعامة المزيفة " عن شعور القلسطيني العادي ومقته للزعامات المتحاذلة قال المقال : " والقى القدر الاعمى زعامة فلسطين الى رجال أو " عائلات " فقيرى الانفس من الهمة وضيقي الاخلاق الفاضلةالا من الانانية .فذهب هؤلاء المتزعمون الى احتكار الزعامة الوطنية والتلبس بالاخلاص المتكشف ، ومن ثم كان تلوينها كما

يملون الليل والنهار ، فهم بالليل سود المساعي سود المقاصد ، وهم في النهار بيض المساعي بيض المقاصد ، وهم ما بين الليل والنهار يضربون بسهمين سهم التدليس على الحكومة والجهود لكسب الوظائف وتعيين الاقارب واختلاس النفقة الحكومية ... واخيرا ندعوكم ونستحثكم ايها المخرعمون ... ان تتخلوا عن زعامتكم العاطلة الهرمة وتتركوها للشعب لكي يتولى قضيته بنفسه " (٣٧٤).

ومهما يكن من أمر فان هذه المؤتمرات التي وصفها السكاكيني وصفا مريرا بانها انما تعقد لمآرب شخصية يريدون قضاءها (٣٧٥) هذه المؤتمرات لم تكن كل ممارسات او نشاط الحركة الوطنية بل ان هذه الممارسات ربما كانت هي الجزء البارز من جبل الجليد ، وما كان يجري في الاعماق كان أمرا مختلفا وليس من شك في ان أجنحة متعددة من الحركة الوطنية وحتى بعض العناصر المهادنة للحكومة ـ التي أملى عليها موقفها هذا ممارسات ازدواجية الطابع ـ قامت بنشاطات أصيلة ، صبت في التيار الوطني ، وقد سجلت بعض تقارير السلطة بعض هذه المساعي الجادة ، في الوقت الذي طغت فيه على السطح النشاطات السطحية للمؤتمرات والاحتجاجات " يظهر على القادة الوطنيين العرب ، بصوره عامة ، انهم تحلوا ـ عما يزعمون ـ من سياسة الاحتجاجات والنداءات غير المثمرة ، وأعلنوا انهم يريدون اتخاذ خطوات أكثر عملية مثل انشاء جامعة اسلامية وانقاذ الاراضي ، وحيازة الاموال على اسس صحيحة وتنظيم الاحتياجات الاقتصادية بتاسيس بنك عربي ، والدعوة الى استعمال المنسوجات المحلية .. وغير ذلك (٣٧٦).

على ان الاهم من ذلك هو ما سجله بعض أجنحة الحركة الوطنية من صدام مباشر وأحيانا كثيرة دام مع السلطات البريطانية والحركة الصهيونية .

فقد تمكنت عصابة الكف الاخضر ـ التي سبق الحديث عنها تنظيما ـ من شن هجوم على الحي اليهودي بالتعاون مع أنصارها داخل المدينة وبالتعاون مع الدروز السوريين الاصل . وقد بلغ من قوة هذا الهجوم ، ان الحكومة البريطانية اضطرت الى ارسال تعزيزات الى صفد ، وظهر رجال الكف الاخضر في قضاء عكا حيث بدأوا يعدون الكمائن لدوريات البوليس (٣٧٧).

ويظهر من تقارير البوليس ان عناصر عصابة الكف الاخضر سبحت في جو صديق او موات لاهدافها في النضال . فقد لقيت تأييدا واسعا من القرويين كما ان القرويين امدوا هذه العصابات بالمال والطعام (٣٧٨).

ومع هذا فانه على ما يظهر لم تستطع هذه العصابة تثوير الفرويين على نطاق واسع (٣٧٩) ولم تلبث ان تضافرت عوامل متعددة ساهمت في ايقاف عمليات هذه العصابة . ومن هذه العوامل ان القيادة السياسية في فلسطين لم تتعاون معها ، كما ان الانجليز والفرنسيين ـ بسبب من خلفيات هذه العصابة الثورية ضد الطرفين ـ شنا عليها هجوما خلال الشهريـــن الاولين من عـام ١٩٣٠ (٣٨٠) وتعتبر تقارير تيجارت صيف ١٩٣٠ نهاية لهذه العصابة (٣٨١) ، ففي هذه الفترة القي القبض على قائدها أحمد طافش ويظهر انه باعتقاله انتهى نشاطها (٣٨٢) .

كما ان " جمعية المقاطعة " قامت ببعض الاغتيالات السياسية بصـــورة فعالة (٣٨٣) ، وكانت حملات عصابة القسام على بعض المستوطنات الصهيونية في شمال فلسطين في سنتي ١٩٣٠ و ١٩٣٢ من أبرز معالم التصدي الفعلي للخطر الصهيوني . وكانت أكثر هذه الحملات وقعا واستئثارا باهتمام الرأى العام هي تلك التي وقعت على مستعمرة نحلال في ديسمبر ١٩٣٢ ، واستخدمت فيها القنابل اليدوية . ولقد اعتقل في هذه الحملات رجلان من رجالات القسام ، وهما مصطفى علي أحمدوالعلاييني ، وقام الانجليز باعدام الاول والحكم بالسجن مدى الحياة مع الاشغال الشاقة على الثاني (٣٨٤) .

على ان هذه الصدامات العسكرية المحدودة الطابع والتي قامت بها العصابات في أماكن متفرقة من فلسطين وفي اوقات متفرقة لم تكن الا حرائق هبت وكانت بمثابة بوادر لصدام اكبر بدا على مستوى عام تقريبا في عام ١٩٣٣ واستمر مع مطلع عام ١٩٣٤ واخذ شكل ثورة مكتملة في عام ١٩٣٦ .

وتستوقفنا هنا انتفاضة أكتوبر ١٩٣٣ التي أدت اليها المقدمات التي اشرنا اليها . ففي ٨ اكتوبر ١٩٣٣ دعت اللجنة التنفيذية الى الاضراب العام ، والتظاهر يوم ١٣ أكتوبر بمدينة القدس ، ثم التظاهر دوريا بعد ذلك في المدن الفلسطينية الكبرى ، وقد جاء في ديباجة هذا القرار : " اعلان سخط الامة العربية في فلسطين على عبث الحكومة البريطانية بحقوق البلاد .. كما انها لاول مرة قررت ، ان لا تخاطب الحكومة بشان الترخيص بالمظاهرة او اية مظاهرة اخرى وان يعدلوا عن سياسة الاحتجاجات والخطب غير المجدية (٣٨٥) وعلى اية حال فقد تميزت هذه الانتفاضة التي بلغت قمتها في مظاهرة يافا ٢٨ أكتوبر ١٩٣٣ بمايلي :

١ ـ أخذت طابعا شموليا ، شمل نواحي كثيرة في فلسطين ، وساهم بها الشباب بصفة خاصة وساهمت فيها معظم القيادات الوطنية وبعض القيادات العربية من خارج فلسطين . (٣٨٦)

٢ ـ تميزت هذه الانتفاضة بزخم ثوري كبير فالى جانب كونها أخذت طابع الاضراب العام فانها استمرت ستة أسابيع واصطدمت الجماهير في القدس بقوات السلطة البريطانية " والفت القنابل على البوليس كما فتح البوليس النار على الجماهير فاوقع بها اصابات فادحة وزاد التوتر بزيادة عدد الوفيات بين المصابين واستوقف خلال الليل اطلاق النار على القوات البريطانية . (٣٨٧)

ويصف عزة دروزة أحد المشاركين في هذه المظاهرات انتفاضة بافا بقوله :

" كانت ساحة السراى كأنها ساحة حرب " لكثرة ما استحلبت السلطات من أقراد البوليس الذين يلبسون الخوذات ومن ورائهم صفوف الخيالة . (٣٨٨) ويعمم الشاكيني هذه الصورة السابقة على جهات فلسطين جميعها فقد سجل في مذكراته بتاريخ ١٩٣٣/١٠/٢٨ " لقد كانت فلسطين أمس واليوم ساحة حرب . مظاهرات في كل مكان ، هجوم على مراكز البوليس ، ومحطات السكك الحديدية . فتلى وجرحى بالمئات . المستشفيات غاصة . والنفوس تضطرم غضبا وآها ماذا يحيء به الغد فعلمه عند الله . (٣٨٩

٣ ـ كانت هذه الانتفاضة أول مواجهة حقيقية دامية ومباشرة وعامة بين العرب والانكليز . ومن هنا فقد اعتبرها المؤرخون منعطفا في تاريخ العلاقات العربية الفلسطينية مع بريطانيا بل أن هايمسون اعتبرهاهي الفارقة أو الفاصلة بين عهدين ، فقد قسم عهد الانتداب الى قسمين الاول قبل عام ١٩٣٣ والثاني ما بعد ١٩٣٣ . ويضيف الى ذلك " لقد كانت الطلقات التي انطلقت في أكتوبر ١٩٣٣ الاولى ـ من حيث اثرها ـ في الثورة العربية التي توجت في ثورة على مستوى الوطن جميعه ضد البريطانيين " . (٣٩٠)

ومهما يكن من أمر فان الدارس لممارسات هذه الفترة التي بلغت قمتها في انتفاضة اكتوبر ، لا ينبغي أن يغفل عن التسجيل لامر هام الا وهو ممارسة شباب فلسطين والذى امتد طوال عام ١٩٣٤ . فقد كان ازدياد خطر الهجرة حافزا للعرب لكي يقوموا بأنفسهم بحراسة سواحل البلاد . وقد قررت اللجنة التنفيذية لمؤتمر

الشباب الفلسطيني : " أن يقوم هؤلاء الشباب بحراسة السواحل والحدود لمنع تهريب المهاجرين اليهود . ومن أجل ذلك تكونت لجنة دعيت بلجنة حراسة السواحل والحدود " . وظل الشباب العربي يقوم بهذه المهمة قرابة الشهر . وقد تمكنت فرقهم خلاله من القاء القبض على اليهود المهجرين بطريقة غير قانونية في مناطق الحولة وحيفا وعكا والمجدل . (٣٩١)

وشبيه بهذا الجهد العربي العملي ما قامت به جمعية العمال العرب بقيادة ميشيل مترى من " تشكيل حاميات عربية " بهدف الحيلولة دون تشغيل العمال اليهود في المشاريع التي تنفذها أو تديرها سلطات الانتداب في المناطق العربية من فلسطين . ويظهر أن هذه الحاميات اتخذت العنف اسلوبا لتحقيق غايتها (٣٩٢). كما أنها شملت بنشاطها كلا من القدس وحيفا ويافا مراكز الاحتكاك بين العمال العرب ونظرائهم اليهود . وقد عزا تقرير للقائم بأعمال المندوب السامي نشاط هذه الحاميات الى أنه كان رد فعل لمواجهة اعمال الارهاب التي يشنها العمال اليهود . وان الامر تطور فظهر على المسرح السياسي لجان عمال عربية لاول مرة في نوفمبر ١٩٣٤ ، بمناسبة حلول ذكرى وعد بلفور ، حيث أضرب عمال النقل والمواصلات اضرابا شاملا على صعيد فلسطين جميعها . (٣٩٣) .

حواشي الفصل الاول

(١) من اجل الخلفيات الاجتماعية للمجتمع العربي في فلسطين انظر المصادر التالية :

١ ـ دروزة ، محمد عزة : العرب والعروبة في حمة التعلب المركز ، دمشق ١٩٦٠) .

٢ ـ السمر ، احسان : تاريخ جبل نابلس والبلقاء ـ احوال سنة الاقطاع ج٢ (نابلس ١٩٦١)

٣ ـ Mrs. Finn: M.R.A.S: Palestine Peasantry (Marshall brothers,Ltd,1923).

٤ ـ السكاكيني ، خليل : كذا انا يا دنيا ، يومات خليل السكاكيني ، اعدها للنشر ، هالة السكاكيني (القدس ١٩٥٥)

٥ ـ عدوان ، عادل : التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني (بيروت : مركز الابحاث ١٩٦١)

(٢) السمر : المصدر ذاته (نابلس ١٩٦١) جـ ٢ ص ١٥٨ .

(٣) Porath,Y: The emergence of the Palestinian National Movement. - Frank Cass: London,1974. p.12.

(٤) Ibid.,

(٥) Ibid.,

(٦) Ibid.,

(٧) Hurewitz,J.C: The Struggle for Palestine (New York 1968) p. 58

(٨) Porath: op.cit., Vol.I,p.13

(٩) السمر : المصدر السابق جـ ٢ ص ٤٠٥ .

(١٠) Porath: op.cit, Vol:I,p. 14.

(١١) البرغوثي : عمر صالح : " الاقطاع في فلسطين " مجلة العرب ـ ٢٢/٢/١١ قارن دروزة : " العرب والعروبة ص ١٢٨ وما بعدها من المخطوطة الفلسطينية .

(١٢) الكوكب ١٨/٦/١٩١٨ .

(١٣) Al-Nashef,Tayeir: Political Elite in Palestine, unpublished thesis(Ph.D) University of New York (1974) pp. 86,88

(١٤) Hurewitz: op.cit: p. 55

(١٥) بدران نبيل : المصدر السابق ص ٥٠ .

(١٦) Mrs. Finn: op.cit: pp. 19-44.

(١٧) حرسي ، صبري : تاريخ الصهيونية (مركز الابحاث - بيروت ١٩٧٧) ج ١ ص ١١٢ .

(١٨) عتم : عادل حسن : الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧ - ١٩٣٦ (القاهرة ١٩٣٦ ص ٢٨١) .

(١٩) السكاكيني : المصدر السابق ص ١٦٦ .

(٢٠) Quandt: " Political & Military Dimensions of Contemporary Palestinian Nationalism" in Quandt B William, Jaber Fuad, Lesh, Ann Mosley, The Politics of Palestinian Nationalism(Berkely,Los.Ang. London,1973).

(٢١) دروزة : العرب والعروبة ج ١ ص ٢٠٥ - ٢٠٧ .

(٢٢) عن القومية العربية وتطورها : انظر المصادر التالية :-

أ - Antonius, George : The Arab Awakening (London 1961)

ب - توفيق برو : العرب والترك في عهد الدستور العثماني ١٩٠٨ - ١٩١٤ القاهرة ١٩٦٠ .

جـ - دروزة ، محمد عزة : حول الحركة العربية الحديثة (صيدا ١٩٥٩) .

د - Z.NZeine: The Struggle for Arab Independence(Beirut 1960).

(٢٣) زعيتر ، اكرم : القضية الفلسطينية (القاهرة ١٩٥٥) ص ٢٦ - ٢٧ .

(٢٤) دروزة : حول الحركة " ج ١ ص ٢٧ .

(٢٥) قارن برو : المصدر السابق ص ٢١٩ .

(٢٦) Antonius,op.cit,p.189

(٢٧) وهم علي عمر المناشيي من القدس ، واحمد عارف الحسيني وولده ، مصطفى من غزة ، وسليم عبد الهادي من نابلس ، ويوسف الدين الخطيب من حيفا ومحمد الشنطي من يافا .

(٢٨) Antonius: op.cit pp. 157-159

(٢٩) Kimche,Jon: Palestine or Israel, the Untold Story Why We Failed (London,1973)p. 169.

(٣٠) انظر ايضا جابا: محمد توفيق الشهادات الساسة امام اللجنة الملكية في فلسطين (دمشق ١٩٣٧) ص ١٧٥ ، ١٩١ .

(٣١) الحسيني، محمد امين: حقائق عن قضية فلسطين (القاهرة ١٩٥١) ص ١٢٧ .

(٣٢) السعدي : عيسى : فلسطين العربية بين الاحتلال والصهيونية (يافا ١٩٣٧) ص ٣٧ .

(٣٣) انظر مثلا : Government of Palestine: A Survey of Palestine Prepared in Dec.,1945 & Jan., 1946 ... for the Anglo-American Commission of Inquiry(hence Survey) Vol: I p.945.

الذي يذكر ان "لم يكن حزب سياسي في فلسطين الى ما بعد الاحتلال الانجليزي وانظر ايضا Hurewitz: op.cit.p.54 الذي يذكر ان المعارضة العامة للصهيونية وضعت القاعدة الرئيسية للمقاومة المحلية الاسلامي في الحركة القومية وانظر ايضا جورجا لكلايون " لا زال المسلمون متوجسي الاعضاء بسبب تقدم الحركة الصهيونية وهناك دلائل تشير الى ان المسلمين يفكرون بان السلطات البريطانية تعتزم اقامة حكومة يهودية ولكنهم يعتقدون ان فرنسا ستتدخل وتعارض اقامة دولة صهيونية ، ويشارك المسيحيون المسلمين مخاوفهم . ففي يافا توحد حركة في صفوف المسلمين والمسيحيين ترمي للعمل لجعل رسمة للبحر على غرار المسيحي والمسلمي - انظر الكتالي : تاريخ فلسطين الحديث (جروسالم ١٩٧٠) ص ١٠٨ .

(٣٣) Poratn: op.cit, Vol:I,P. 35.

(٣٤) Clayton to Sykes 15.6.18 Fo 800/221.

(٣٥) انظر دروزة : (الذي كان أحد كبار العاملين في هذه الفترة في دمشق ، من منطلق قومي عربي أصيل) "حول الحركة" جـ ٢ ص ٧٠ وما بعدها .
قارن أيضا الغوري ، أمين : فلسطين عبر ستين عاما جـ ١ (بيروت ١٩٧١) ص ٢١ - ٢٤ .

(٣٦) دروزة : المصدر السابق جـ ١ ص ٧٠ .

(٣٧) انظر السعيد ، أمين : الثورة العربية الكبرى (القاهرة ١٩٣٤) جـ ٢ ص ٣٦ - ٣٧ ومن بين هؤلاء الذين احتلوا مراكز رفيعة : عيسى العيسى ، رئيس ديوان الامارة ، وعوني عبد الهادي ، أمين السر السابق ، وأحمد قدري طبيب الامير الخاص ، وصبحي الخضرا ومحمد علي الطاهر (الامين العام) والشيخ سعد الكرمي عضو المجمع العلمي .

(٣٨) انظر عن هذا المؤتمر ، السكاكيني : المصدر السابق ص ١٦٤ - ١٦٥ .
وقارن أيضا :- Porath: op.cit: Vol:I,pp. 80-81.

(٣٩) انظر عن تغلب الاتجاه القومي على الاتجاه الفلسطيني ، أحد مذكرات السكاكيني التي تصور الصراع بين أنصار النادي العربي من جهة والجمعيات الاسلامية المسيحية ، الاول مع الاتجاه الاول ، والثاني مع الاتجاه الثاني " ونحن ندعو الى الجامعة العربية (الوحدة العربية) واعتبار فلسطين جزءا منها واعتماد صاحب السمو الامير فيصل كممثل للجامعة العربية في مؤتمر الصلح فما هو رأي الجمعية ؟ الرأي العالب في الجمعية الاسلامية المسيحية (بالقدس) أن تطلب الجمعية الفلسطينية (أي المؤتمر) من مؤتمر الصلح حق اختيار الحكومة التي تريدها اسوة بسوريا ، وهنالك فريق آخر يرى أن تطلب أن تكون فلسطين للفلسطينيين . وكلا الرأيين فاسد لانهما يعتبران فصلنا عن الجامعة العربية " المصدر السابق ص ١٦٤ - ١٦٥ .

(٤٠) انظر السفري : المصدر السابق ص ٣٥ - ٣٧ قارن أيضا Antonius op. cit:p.312 الذي أطلق على هذا العام عام الشك ثم انظر كذلك دروزة : حول الحركة

(٤١) الغوري ، أمين : المؤامرة الكبرى ، احتلال فلسطين ومحو العرب (ط ١ القاهرة ١٩٥٥) ص ٥٦ .

(٤٢) Newton,Francis: Fifty Years in Palestine (London,1948)p. 127.

(٤٣) Porath. op.cit: Vol:I,p.37

(٤٤) الكوكب ١٩١٨/٦/٤ انظر : جلة . كامل . فلسطين والانتداب البريطاني (مركز الابحاث ـ بيروت ١٩٧٤) ص ١٢١ .

(٤٥) Porath: op. cit: Vol: I,p.32

(٤٦) Clayton :o Foreign Secretary, 25-8-1918,Fo 882/:391.

(٤٧) Porath: op.cit: Vol: I,p.32

(٤٨) انظر أوراق أكرم زعيتر في مركز الدراسات العلمية ـ بيروت ـ وثيقة رقم ١ من الدفعة الثانية .

(٤٩) أوراق أكرم زعيتر : وثيقة رقم ١ من الدفعة الثانية .

(٥٠) المصدر ذاته .

(٥١) فلسطين ١٩١٩/٢/١٣ .

(٥٢) أوراق أكرم زعيتر : وثيقة رقم ١ من الدفعة الثانية .

(٥٣) Porath: op.cit, Vol:I pp. 274-275.

(٥٤) عسم : المصدر السابق ص ١٥٩ .

(٥٥) High Commissioner (hence H.C.) to Colonal Office(hence Co.),4 Aug.,1922,Co 733/24 The Political Report of July 1922.

(٥٦) Porath: op. cit, Vol:I,p.284

(٥٧) Porath: op.cit, Vol: Ip.108

(٥٨) الجزيرة ١٠ تموز ١٩٢٤ ـ انظر عسم : المصدر السابق ص ١٥٧ .

(٥٩) الخالدي : الدكتور خيس فخري : أوراق خاصة غير منشورة ، موجودة لدى ابنه ليلى الخالدي الحسيني في بيروت) ص ١٥٩ .

(٦٠) المصدر ذاته : ص ١٥٩ .

(٦١) Porath:op.cit, Vol: I p. 275.
Setton Williams,M.V.: Britain and the Arab States: A Survey of Anglo-Arab Relations, 1920-1948(London: Lusac: 1948)p.126.

(٦٢) انظر رسالة هربرت صموئيل الى موسى كاظم باشا اعضاء المؤتمر السادس " ليحملوا بابة صفة ممثلين للسكان في H.C. to Musa Kazim Al Husayni 21/12/1920.
انظر ايضا تقريرا لاحقا يذكر أن الحكومة تلقت عددا من البرقيات من جهات مختلفة من فلسطين تؤكد الصفة التمثيلية للمؤتمر .
Sir H. Samuel :o Fo 1/2/1921 Fo 371/6374.
انظر ايضا دفاع الجامعة العربية عن الصفة التمثيلية للجنة التنفيذية بتاريخ ١٩٢٤/١/٢١ .

(٦٣) انظر الملحق ١٤ من الجمعية الاسلامية المسيحية وقانونها العام في جلسة المصدر السابق ص ٥٢٥ – ٥٢٦ .

(٦٤) الملحق نفسه ص ٥٢٦ .

(٦٥) السكاكيني : المصدر السابق ص ١٦٤ – ١٦٥ . فارن الكيالي : المصدر السابق ص ١٢٥ .

(٦٦) كان هذا على الرغم من قانون الجمعية الاسلامية المسيحي الذي ينص على أن " تلتئم الجمعية الادارية مرة كل شهر التئاما تاما " انظر الملحق السابق ص ٥٢٦ .

(٦٧) الجزيرة ٢٤ – ١٥ آيار ١٩٢٤ ، ٢٦ حزيران ١٩٢٤ انظر عدم : المصدر السابق ص ١٥٨ .

(٦٨) ياسين ، عبد القادر : كفاح شعب فلسطين قبل العام ١٩٤٨ (مركز الابحاث – بيروت ١٩٧٥) ص ٢٨ .

(٦٩) الخالدي : المصدر السابق ص ١٦٠ .

(٧٠) السكاكيني : المصدر السابق ص ١٣٨ .

(٧١) الخالدي : المصدر السابق ص ١٦٠ – ١٦١ .
قارن بما يقوله الحافظ ، ياسين " من وعد بلفور الى قيام الدولة " دور التاخر العربي في تاسيس اسرائيل – شؤون فلسطينية العدد ٨١/٨٢ آب (اغسطس) ، ايلول (سبتمبر) ١٩٧٨ ص ١١ – ١٢ .

(٧٢) Porath: op.cit, Vol: I.p.74.

(٧٣) من هؤلاء محمد العفيفي والشيخ يوسف ياسين ، الشيخ حسن ابو السعود وابراهيم سعيد الحسيني ، "الكوكب ١٩١٨/١٠/١٠ انظر حله : المصدر السابق ص ١٢٠ .

(٧٤) الكوكب: ١٩١٨/٨/٢٧ ١٩١٨/١١/٢٦ انظر حلة: المصدر السابق ص ١٢١.

(٧٥) Porath: op.cit, Vol:I,p.75

(٧٦) السعري : المصدر السابق ص ٣٥ يذكر شكتمان Schectman في كتابه في المعنى أن هذه الجريدة كانت وسيلة جيدة لوسم المعنى بحب الاسوا .
Schemctman: The Mufti & the Fuhrer. - New York:1964)p. 18

(٧٧) Kimche: op.cit, p.74

(٧٨) السعري : المصدر السابق ص ٣٥ .

(٧٩) Porath: op.cit, Vol: Ip.74

(٨٠) الكيالي : المصدر السابق ص ١٤٢ — ١٤٣ .

(٨١) Porath: op.cit,Vol: I,p.142

(٨٢) Porath: op.cit, Vol: I,p.79.

(٨٣) الكيالي : المصدر السابق ص ١٤١ .

(٨٤) Porath: op.cit,Vol: I,p.90.

(٨٥) Ibid., p.129

(٨٦) Kimche: op.cit,p.189.

(٨٧) السعد . امين : المصدر السابق ج ٢ ص ٤٣ . يذكر ان هذه الجمعية (العدالية) تاثرت كثيرا بشخصية الحاج امين وان اعضاءها كانوا يعتبرون انفسهم بحياتهم . انظر : Porath: op.cit, Vol:I,p.129.

(٨٨) دروزه : " حول الحركة " ج ٣ ص ٩١ قارن بما هو مكتوب في هذا النادي في مورات الذي يذكر " بان النادي العربي اصبح اهم جمعية سياسية بالنظر لصفته التنظيمية ونشاطه السياسي " Porath: op.cit,Vol:I P.97.

(٨٩) المصدر ذاته ص ٤٣ قارن ايضا بما هو موجود في السعري ، المصدر السابق ص ٣٤ .

(٩٠) Kimche: op.cit,p.201

(٩١) الكاكيني : المصدر السابق ص ٨١ الذي يقول فيه : " بل مما اذكره بالسرور العظيم اني مع اعتزالي اكاد اصبح زعيم الحركة العربية . نفسي اني داع لفكرة الجامعة العربية التي تكاد تتغلب على كل مذهب آخر ، وقد عرف الجميع انها فكرتي " .

(٩٢) المصدر ذاتـــه ص ١٨١ ــ ١٨٢ .

(٩٣) فلســطين ٢٥/٤/١٩١٨ .

(٩٤) Cohen,Aharen: Israel & the Arab World(London 1970) p. 147.

(٩٥) Kimche: op.cit,p.175.

(٩٦) انظر خطاب الشيخ راغب ابو السعود الدجاني فـي ــ
Ingrams,Doreen(ed): Palestine Papers 1917-1922: Seeds of Conflict (London,1972) p.25.

(٩٧) يقول جورج انطونيوس عن هذه المراسلات ما نصه : انها يمكن اعتبارهـا اكبر وثيقة دولية في تاريخ الحكومة العربية . فهي تحتـوي على التعهدات التي اقنعت العرب بالدخول في الحرب بحوزه علـى ما يـاتي الحلفاء . والى يومنا هذا تعتبر الشاهد الاساسي الذي يـه العـرب البريطانيين بالنكث في عهودهم Antonius: op.cit,p.169.
قارن ايضا بقول فريدمان الذي يذكر " ان العرب قـد الحاحـا كاريا الخاصة بهم
Friedman,Isaiah: The Question of Palestine 1914-1918(London) 1974 p. 72.

(٩٨) Porath: op.cit. Vol: I,p.53

(٩٩) الـكاكيني : المصدر الـسابق ص ١٨٦ .

(١٠٠) انظر ما جمعه منها عبد الهادي الكتالس . في : وثائق المقاومة الفلسطينيـة العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية (مؤسـسة الدراسات الفلسطينية ــ بيروت ١٩٥٨) .

(١٠١) انظر هذا الاحتجاج في الـسفري : المرجع الـسابق ص ٣٧ والذي جاء فيه " لا تتخلى عن مطالبنا المنحصرة في استقلال سوريا الموحدة من طوروس الى رفح وترفض الهجرة الصهيونية رفضا باتا وعدم فصل فلسطين عن سوريا " . انظر بيان المؤتمر العربي الفلسطيني الاول بتاريخ ٣/٢/١٩١٩ في على محمد علي ملف وثائق واوراق القضية هيئة الاستعلامات (القاهرة) . ج ١ ص ٢٤٩ . كذلك انظر تقرير موسى كاظم الحسيني الى المندوب السامي في ١٨/١٢/١٩٢٠ .

(١٠٢) السعري : المصدر السابق ص ٢٨ .

(١٠٣) Marlowe,John: Seat of Pilate (London,1959).P.80.

(١٠٤) Bentwitch,Norman and Helen: Mandatory Memories 1918-1948(Great Britain) p.61.

(١٠٥) فارن بما هو مكتوب عن هذه المظاهرة في كتاب : عساف . ثورة ١٩٢٦ - ١٩٢٩ في فلسطين : خلفيات وتفاصيل وتحاليل في شؤون فلسطينية عدد ٦ - تشرين ١٩٥٧ ص ٥٧ .

(١٠٥) Ingrams,op.cit,p.120

(١٠٦) Palin report p. 93,Fo. 371/5121

(١٠٧) تشكل انتفاضة نيسان ١٩٢٠ معلما بارزا من معالم تطور النضال الفلسطيني من أجل مزيد من الاطلاع على دوافعها ووقائعها انظر دروزه " حول الحركة ج ٢ ص ٢٧ .

كرد علي محمد : خطط الشام (دمشق ١٩٢٥) ج ٢ ص ٢٢٠ . وعادل لامنس العوري في المعظم تاريخ ١٩٢٩/٨/٢١ ، وكذلك Mrs. Newton: Op.cit.pp. 133-139.

(١٠٧) Porath: Op.cit. Vol: I,p.96

(١٠٨) انظر العوري . "فلسطين" ج ١ ص ٥١ - ٥٢ .
السعري : المصدر السابق ص ٤٧ .

(١٠٩) Porath: op.cit. p. 130

(١١٠) Kimche: op.cit, p.175

(١١١) دروزة : " حول الحركة " ج ٢ ص ٦٩ - ٧٠ .

(١١٢) انظر يعقوب محمد حافظ : نظرة جديدة الى القضية الفلسطينية (بيروت ١٩٧٣) ص ٧٠ .

(١١٣) قاسمية ، حيرية " تطور الحكومة العربية في دمشق " في شؤون فلسطينية " (بيروت مارس ١٩٧١) ص ١٦٨ .

(١١٤) انظر اوراق اكرم زعيتر وشيعة ، دفعة ثانية .

(١١٥) Sykes,Christopher : Cross Roads to Israel, (Lojdon 1965)p. 50.

(١١٦) SIS Intelligence Summary Fo 371/8998.

(١١٧) Ibid.,

(١١٨) اوراق اكرم زعيتر : وثيقة رقم ٢ دفعة ٢ .

(١١٩) لسان العرب : ٢٦ آب ١٩٢٢ .

(١٢٠) Miss Newton: op.cit. p. 178

(١٢١) السفرى : المصدر السابق ص ٨٨ .

(١٢٢) Cmd. 1700,June 1922,p.2

(١٢٣) Sykes: op.cit,p.51

(١٢٤) Ingrams: op.cit, انظر عنهم :

(١٢٥) الاهرام ١٠/٢/١٩٢٢ .

(١٢٦) Porath: op.cit, Vol:I,p.131.

(١٢٧) Marlowe: op.cit, p.121.

(١٢٨) Ibid.,

(١٢٩) Ingrams: op.cit, p. 149

(١٣٠) انظر رواية شلبي الجمل في المقطم ٧ فبراير ١٩٢٩ والتي قال فيها وابرمن سهلحة عدوانية متعالية " وجود اليهود في فلسطين حق لا مسحة .. والويل كل الويل لمن تحدثه نفسه بمعارضتنا في حقنا او الوقوف في وجهنا"

(١٣١) Furlonge,G: Palestine..is my Country, the Story of Musa Alami,(London,1969)p.80.

(١٣٢) Sykes: op.cit. p.74

(١٣٣) الكرمل : ٩ مارس ١٩٢١ .

(١٣٤) Cmd, 1700 June 1922.

(١٣٥) الكرمل : ١٤ ديسمبر ١٩٢١ .

(١٣٦) الكرمل : ١٤ ديسمبر ١٩٢١ .

(١٣٧) انظر عن قرارات هذه المؤتمرات وبشكل خاص المؤتمر الثالث " الاهرام " ١٨/٢/١٩٢٠ وكذلك الكرمل ٨ نيسان ١٩٢١ التي أوردت مذكرات موسى كاظم الحسيني واشتملت على توصيات هذا المؤتمر ومنها :

١ ـ الغاء قاعدة الوطن القومي اليهودي .

٢ ـ تاليف حكومة وطنية مسؤولة امام مجلس نيابي منتخب اهالي فلسطين الذين كانوا فيها قبل الحرب " .

(١٣٨) Kinche: op.cit, p. 88.

(١٣٩) انظر هذا القسم في أمين السعيد : المرجع السابق جـ ٢ ص ٥٦.

(١٤٠) من أجل فهم وجهة نظر الوطنيين في رفضهم للمجلس التشريعي ، انظر رد الوفد الاول على اقتراح البريطانيين مقبول في
Cmd 1700 June 1922. p. 2.
وانظر ايضا الحسيني : المصدر السابق ص ٤٠

(١٤١) Porath: op.cit, Vol:I,p.152

(١٤٢) Porath: Op.cit, Vol: I,p.153

(١٤٣) انظر المقال في الكرمل ٢٤ فبراير ١٩٢٣ وانظر ايضا في الكرمل في اعداد مختلفة اخبار مقاطعة الانتخابات ، والتي تدل على أن الانتخابات كانت ظاهرة رائعة من التحامل والرفض للمشروعات الانكليزية .

(١٤٤) انظر نص المقطعة في " الكرمل " ١٠ فبراير ١٩٢٣.

(١٤٥) Porath: op.cit, Vol I,p.156

(١٤٦) الكرمل : ٧ مارس ١٩٢٣.

(١٤٧) فلسطين : ١٩٢٣/٦/٢٩.

(١٤٨) دروزة : حول الحركة جـ ٢ ، ص ٣٩٠

(١٤٩) انظر : السعيد : المصدر السابق جـ ٢ ص ٥٦ - ٥٧ قارن السفري بالمصدر السابق ص ٥٦ . وانظر الكرمل من أجل رفضه المؤتمر السادس والعبرة من هذا الرفض - الى الحكومة البريطانية .

(١٥٠) انظر تقرير المندوب السامي الى وزير المستعمرات والذي بحثت من اثر اللجنة التنفيذية في انتخاب اعضاء المجلس الاستشاري
H.C. to Co Political Report for June,1923.
قارن ايضا بدروزة " حول الحركة " جـ ٢ ص ٤٠

(١٥١) Marlowe: op.cit, p.94.
يعتبر كاتب سيرة موسى العلمي اقتراح تكوين الوكالة العربية "

قريب من الاهانة لان فلسطين كانت بلادا عربية وكان اليهود

انظر : Forlonge: op.cit, p.84

(١٥٢) Marlowe: op.cit, p.95

(١٥٣) Lykes: op.cit, pp. 54,83,124.

(١٥٤) Harkabi,Yehoshavat: Time Bomb in the Middle East.(Friendship Press,N.Y., 1959)p. 19.

(١٥٥) Quandt: opcit, p. 28

(١٥٦) من هؤلاء المؤرخين المعاصرين للاحداث نفسها ومن المؤرخين الثنان عبد الوهاب الكيالي وباحي علوش وكامل جله .

(١٥٧) Hirst,David: The Gun & the Olive Branch: the Roots ofViolence in the Middle East, (London Faber & Faber 1977),P. 59

(١٥٨) Porath: op.cit, Vol: I, p. 135

(١٥٩) Machover,J.M: Governing Palestine, The Case against a Parliment(London 1936)p.37.

(١٦٠) Kinche: OP.cit, p. 203

(١٦١) Porath: op.cit, Vol:I,p.52

(١٦٢) الكيالي : المصدر السابق ، ص ٢١٥

(١٦٣) انظر رسالة وايزمن الى وزير المستعمرات البريطاني عشرين ساعة ١٩٢١ والتي يقول فيها " هنالك خلف طبيعي بل مماثل في المصالح قائم تقريبا بين الصهيونية وبريطانيا"

عودة راجل : جذور القضية الفلسطينية (مركز الابحاث - بيروت ١٩٧٤) ص ١٢٤ .

(١٦٤) Conen: op.cit, p.211

(١٦٥) ليس افضل من Ingrams كمرجع يحاول ان يرصد المواقف المتقابلة والطرح وضده من اجل الصورة التي آلت اليها امور فلسطين في الايام الاولى للغزوين الصهيوني والبريطاني.

Ingrams: op.cit.,: pp. 44,83,85.

(١٦٦) Marlowe: op.cit. p.103

(١٦٧) Hirst: op.cit. p. 61

(١٦٨) Porath: op.cit. Vol:Ip.102.

(١٦٩) Ibid.,

(١٧٠) الكرونيكل ١١ ابريل ١٩٢٥

(١٧١) Hurewitz: op.cit., p.51.

فارن الحافظ : المصدر السابق ص ٩

(١٧٢) H.C. to CO 13 April 1923, The Political Report for March 1923. CO 733/44.

(١٧٣) H.C. to CO Political Report for June 1922, Co 733/23

(١٧٤) Ibid.,

(١٧٥) Hirst: op.cit., p. 61

(١٧٦) Marlowe: op. cit. p. 102

(١٧٧) H.C. to CO 13 Aug.,1924 CO 733/389 Political Report for July 1924.

(١٧٨) H.C to CO 25 Feb.,1925 CO 733/389 Political Report for Jan. 1925.

(١٧٩) Weizman,C: Trial & Error, the Autobiography of Chaim Weizmann, (London,1950)p. 366.

(١٨٠) Sykes: op.cit., p. 95

(١٨١) Peel Report Cmd. 5479,London-July 1937, p.85.

(١٨٢) Porath: op.cit., Vol: I,p.215

(١٨٣)

فارن العارف . عارف : تاريخ القدس (القاهرة ١٩٥١) ص ١٤٧

(١٨٤) انظر دروزة : " القضية " جـ ١ ص ٥١ ـ ٥٢

فارن الشقيري : " المصدر السابق " ص ١٢١

(١٨٥) دروزة : المصدر ذاته ، جـ ١ ص ٥٦

(١٨٦) الشورى : ١٢ يونيه ١٩٢٩

(١٨٧) علي، محمد علي : ملف واوراق القضية الفلسطينية (هيئة الاستعلامات القاهرة

(١٨٨) دروزة : القضية ج ١ ص ٥٤

(١٨٩) SIS Intelligence Summary 31 Jan.1923 FO 371/8998

(١٩٠) ملف وثائق فلسطين ج ١ ص ٤٨

(١٩١) مجلة "الزهرة" العدد ٧ ـ ٨ السنة الخامسة ، انظر علوي ياحن المقاومة العربية في فلسطين | مركز الاحباب ـ حزيران ١٩٦٧ : ص ٤٥ ـ ٥٣

(١٩٢) الجزيرة ٢٩/٥/١٩٢٤ ، انظر حلة : المصدر السابق ص ٢١٤

(١٩٣) H.C. to CO,June 1924,CO 733/69 Political Report for May 1924.

(١٩٤) Kisch: F.H. Palestine Diary,(London, 1938)p. 146.

(١٩٥) Hurewitz op. cit, p. 52-53.

فارن بدران : المصدر السابق : ص ٨٣

(١٩٦) Kinche: op.cit, p. 203

(١٩٧) عن دور نجم الحاج امين الحسيني انظر :

ا ـ حدوري ، مجيد : عرب معاصرون ، ادوار العامة في السياسة (بيروت ـ الدار المتحدة للنشر ١٩٧٣) ص ١٢١ .

ب ـ Pearlman,Maurice: Mufti of Jerusalem, The Story of Haj Amin el Husseini (London; Victor Collanez 1947)p. 10.

جـ ـ Norman Bentwitch: op.cit, p.162.

د ـ Hurewitz: op.cit, p. 53

هـ ـ Porath: op.cit, Vol: I pp. 184-207.

(١٩٨) العارف المصدر السابق ص ٢٧٦ .

(١٩٩) Hurewitz: op.cit, p. 53

(٢٠٠) Peel Report: op.cit.,p181

(٢٠١) Hurewitz: Ibid., p . 54.

من اجل ان ندرك اهمية مناسبة النبي موسى يراجع تقارير المندوب

السامي ودائرة التحقيقات الجنائية في دائرة السجلات البريطانية

(٢٠٢) توما : المصدر السابق ١٥٠

(٢٠٣) Hurewitz: opCit.p. 53

(٢٠٤) Hurewitz: op. cit, p. 102

(٢٠٥) Sykes: op.cit,p. 123

(٢٠٦) Ibid.,

(٢٠٧) السفري : المصدر السابق : ص ٥٢

(٢٠٨) الكرمل : ١٩٢٢/١/٤

(٢٠٩) العسوري : فلسطين حـ ١ ص ٨١

Sykes: op.cit., p.123

فارن بالذي يقول بورات انه ليس كل اسماء العائلة في عصبة واحدة

(٢١٠) Porath: op.cit, Vol: I p.155.
Harlowe: op.cit, p. 103.

(٢١١) دروزة : القضية حـ ١ ص ٥٢

(٢١٢) H.C. to CO 10 May 1922- Political Report for April 1922 CO 733/21; compare to
(٢١٣) Porath: op.cit, Vol: I pp. 215-216.
SIS Intelligence Summary 31 January 1923, FO 371/8998.

(٢١٤) Porath: op.cit, pp.216.

(٢١٥) العسوري : المؤامرة الكبرى ، ص ٦٢

(٢١٦) دروزة : القضية حـ ١ ص ٤٦

(٢١٧) العسوري : المؤامرة الكبرى ص ٦٢

(٢١٨) انظر مثلا Kisch: op.cit, pp. 88-150.
قارن Porath: op.cit, Vol: I p. 230.

(٢١٩) توما : المصدر السابق ص ١٥٨

(٢٢٠) Porath: op.cit, Vol:I,p.211

(٢٢١) انظر الكرمل ٢٦٠ يناير ١٩٢٤

(٢٢٢) العسوري : المؤامرة الكبرى ص ٦٤

(٢٢٣) انظر بيان جمال الحسيني حول الاحزاب والحركة الوطنية عام ١٩٢٤ في الملحق رقم ٣٥ ـ جملة : المصدر السابق ص ٤٤٥

(٢٢٤) Porath: op.cit, Vol:Ip.216

(٢٢٥) Ibid., p. 229

(٢٢٦) Kbid., pp. 226-228

(٢٢٧) SIS Intelligence,31 Jan,1923, FO 371/8998.

(٢٢٨) Kisch: op.cit.p. 134

(٢٢٩) Porath: op.cit,Vol. I,p. 229

فارن العوري : المؤامرة الكبرى ص ٦٢

(٢٣٠) دورزة : القضية جـ ١ ص ٤٨

(٢٣١) Kisch: op.cit, pp.50,53,73.

(٢٣٢) H.C. to CO 21 Nov.,1924 Political Report of Oct.,1924 CO 733/75.

(٢٣٣) H.C to CO 25/1/1924 CO 733/63

(٢٣٤) دورزة : حول الحركة جـ ٢ ص ٤٢ ـ ٤٣

(٢٣٥) انظر بيان تاسيس الجمعية الاسلامية في القدس (١٩٢٢) في الملحق رقم ٣٠ . الموجود في جملة المصدر السابق ص ٥٢٩ ـ ٥٣٠

Palestine a Study of Jewish,Arab, and British Policies . Published for ESCO Foundation for Palestine (London, 1942) hence ESCO Vol: II,p. 968.

(٢٣٦) H.C to CO Political Report for Oct.,1921 CO 733/7

(٢٣٧) الكرمل ١١ /٦/ ١٩٢٤

(٢٣٨) H.C to CO 14 Dec.,1923. CO 733/52 Political Report for Nov.,1923.

(٢٣٩) Porath: op.cit., Vol: Ip. 223.

(٢٤٠) النظام ٩/١١/١٩٢٢. انظر جملة المصدر السابق ص ٢٢٩.

(٢٤١) الكرمل : ٤/١/١٩٢٤.

H.C to CO 19 Oct.,1923 CO 733/50 Political Report for September.

(٢٤٢) تقرير آخر للمندوب السامي

H.C. to CO 12 Dec., CO 733/76 Political Report For Nov., 1923.

(٢٤٣) فلسطين : ١٩٢٥/٨/١١

(٢٤٤) جابا : المصدر السابق ص ١٧٠

(٢٤٥) الصراط المستقيم ٢٧ /٩/ ١٩٢٥ انظر ايضا : المصدر السابق ص ١٧٥

(٢٤٦) Porath: op.cit, Vol: I, p. 190,219.

(٢٤٧) دروزة : القضية جـ ١ ص ٥٢

(٢٤٨) المصدر ذاته جـ ١ ص ٥٣

(٢٤٩) العورى : فلسطين جـ ١ ص ٩٤ . من هذه الصحف التي يذكرها العورى مرآة الشرق والصراط المستقيم والنفير وبشه العورى حملاتها بانيها ، كانت مماثلة لتلك التي قام بها الاحلير واليهود .

(٢٥٠) H.C. to CO 14 Dec.,1923 CO 733/52 Political Report for Nov.,1923.

(٢٥١) الكرمل في امداد متفرقة

(٢٥٢) المنظم ١٨/١١/١٩٢٣

(٢٥٣) الكرمل ٢١ يونيه ١٩٢٤

(٢٥٤) الكرمل ٢٢ اكتوبر ١٩٢٤

(٢٥٥) H.C to CO 21 Nov.,1924 CO 733/75 Political Report for Oct.,1924.

(٢٥٦) الكرمل ١٩ يوليه ١٩٢٤.

(٢٥٧) الكرمل ، ٢٠ اغسطس ١٩٢٤.

(٢٥٨) الاهرام ، ٣١/٥/١٩٢٤

(٢٥٩) الكرمل ، ٣١ مايو ١٩٢٣.

(٢٦٠) الكرمل ١٦ ديسمبر ١٩٢٥.

(٢٦١) المنظم ١٢/١١/١٩٢٦

(٢٦٣) دروزه : القضية ج ١ ص ٥٤.

(٢٦٣) Porath: op.cit., Vol : I,p. 236

(٢٦٤) Porath: op.cit, Vol: I,p.239.
نفي جمال الحسيني هذه التهمة انظر فلسطين ٤/٢/١٩٢٧.

(٢٦٥) Ibid., p. 239

(٢٦٦) الشورى ٢/١٢/١٩٢٦.

(٢٦٧) جلسة : المصدر السابق ص ٢٧٦.

(٢٦٨) Porath: op.cit, Vol: I,p.240.

(٢٦٩) فلسطين ٣٠/٧/١٩٢٦.

(٢٧٠) دروزه : القضية ج ١ ص ٥٨

(٢٧١) انظر نص المذكرة كاملا في ملاحق دروزه : القضية ص ٢٨٧.

(٢٧٢) المصدر نفسه ص ٥٨

(٢٧٣) علموش : المصدر السابق ص ٦٠

(٢٧٤) دروزه : القضية ج ١ ص ٥٩

(٢٧٥) H.C to CO 12/6/1929 CO 733/167

(٢٧٦) H.C to CO 14/6/29 CO 733/126

(٢٧٧) Porath: op.cit., Vol: I,p.257.

(٢٧٨) توما : المصدر السابق : ص ١٩٠

(٢٧٩) عن احداث هذه الهبة انظر:
أ. السعيد : المصدر السابق ص ١٠٢ ، ١٠٣
ب. العوري : المؤامرة الكبرى ص ٦٨
جـ. الكيالي : المصدر السابق ص ٢٤٠ ـ ٢٤٢
د. السعدي : المصدر السابق ص ١٦٠
هـ. صدقة : المصدر السابق ص ١٦٠

(٢٨٠) توما : " جذور القضية " (ط ، الناصرة) ص ١٦٣ ، ١٦٤

(٢٨١) السفري : المصدر السابق ص ١٦٠

(٢٨٢) الاهرام ٥ سبتمبر ١٩٢٩.

(٢٨٣) الجامعة العربية : ١٢ آب ١٩٣٠ .

(٢٨٤) A. Report of the Commission of Palestine Disturbances of Aug.,1929, London 1930. Cmd 3530 p. 124

B. Hope Simpson Report,Cmd 3686,pp. 131-6.

(٢٨٥) انظر في الكتاب في :

Hansard Parliamentary Debates, Commons, 5th Series Feb., 13,1931,Vol.244,cols.749-755.

(٢٨٦) انظر مثلاً رسالة الوفد الفلسطيني الذي زار بريطانيا عام ١٩٣٠ المندوب السامي في دروزة القضية ج ١ ص ٧٠ — ٧١ - وانظر أيضاً رسالة المندوب السامي التي تصف شعور الطبقات الأولى وسكان الارياف في :

H.C to CO 9/10/1929, CO 733/163.

(٢٨٧) الاهرام : ٢٨ اغسطس ١٩٢٩ .

(٢٨٨) السفرى : المصدر السابق ص ١٣٠ .

(٢٨٩) ياسين ، عبد القادر : " الطبقة العاملة والحركة السياسية في فلسطين " في " شؤون فلسطينية " نيسان ١٩٧٦ ص ١٢١ .

(٢٩٠) Hope Simpson Report: Cmd 3686 pp. 131-6

(٢٩١) توما : المصدر السابق ص ١٨٢ .

(٢٩٢) Sykes: op.cit., p. 135 : الجامعة العربية ٩/١٠/٨٤

(٢٩٣) الجامعة العربية ٩/١٠/٨٤ :

(٢٩٤) السكاكيني : المصدر السابق ص ٢٥٠ .

(٢٩٥) Marlowe: op.cit., pp. 131-132.

(٢٩٦) Survey I: op.cit,p. 30

(٢٩٧) Peel Report: op.cit.,pp.68-69.

(٢٩٨) دروزة : القضية ج ١ ص ١٠٠ — ١٠١ .

(٢٩٩) يعقوب : المصدر السابق ص ١٠٧ .

(٣٠٠) الطالبي عمار : الطبقة العاملة الفلسطينية وتنظيماتها ١٩١٨ — ١٩٢٩ . في شؤون فلسطينية العدد ١٥ تشرين الثاني ١٩٧٢ ص ١٧٢ .

(٢٠١) يعقوب : المصدر السابق ص ١٠٧.

(٢٠٢) Lucas,Joah: Modern History of Israel (Aeiden :old & Nicolson,1974)pp. 123-124.

(٢٠٣) عن هذا التطور في الحزب الشيوعي انظر :

ا. ياسين ، عبد القادر : "الحزب الشيوعي الفلسطيني والقضية الوطنية" في مجلة الكاتب (ابريل ١٩٧١) ص ـ ١٠٠ ـ ١١٨ ، والعدد ١٢٢ ص ١٤٢ ـ ١٥٥ (يونيه ١٩٧١).

ب. يعقوب : المصدر السابق ص ١٠٧ ـ ١٠٨.

ج. Esco, op. cit, Vol: II,p. 780.

د. Lenczowski,G: Communism & Nationalism in the Middle East. - New York;1955. - PP. 73-85.

(٢٠٤) الشقيري : المصدر السابق ص ١٦٤.

(٢٠٥) Hurewitz: op.cit, p.60.
Esco, op.cit, Vol:II,p.706.

(٢٠٦) الشقيري : أربعون عاما في الحياة العربية والدولية الحرب ١٩٦٩) ص ـ ١٧٠.

(٢٠٧) الدوري : فلسطين ج ١ ص ١٥٥.

(٢٠٨) السفري : المصدر السابق ص ١١٧.

(٢٠٩) البيانة الاسبوعية ١٩٢٨/٤/٢٨ انظر ايضا المصدر السابق ص ٢٨٠

(٢١٠) انظر دستور جمعية الشبان المسلمين في وثائق الندوة ص ١٠٧ ـ ١١١

(٢١١) يعقوب : المصدر السابق ص ١٠٨

(٢١٢) بدران : المصدر السابق ص ٢٦٦

(٢١٣) المصدر ذاته ص ٢٨٤

(٢١٤) الجامعة العربية ٦ حزيران ١٩٢٧.

(٢١٥) الجامعة العربية ٦ حزيران ١٩٢٧

(٢١٦) انظر يعقوب المصدر السابق ص ١٠٨

(٢١٧) السفري : المصدر السابق ١٩٥

(٣١٨) عن هذه القيادة انظر المصدر ذاته ص ١٩٥.

(٣١٩) انظر اسماء هذه المدن والقرى في المصدر ذاته ص ١٩٦.

(٣٢٠) فارن ياسين ، صبحي ،الثورة العربية الكبرى في فلسطين (١٩٢٦-١٩٢٩) ص ٢١

Kuandt;op.cit,p. 55

(٣٢١) " Tegrat Papers" in St. Antony's College, Middle East Centre, Box I File 3(hence Tegart).

(٣٢٢) صبحي ياسين : المصدر السابق ص ٢٢

فارن : خلف علي حسين : " تجربة الشيخ عز الدين القسام معلم معمي في تاريخ فلسطين " مجلة الحرية " (١١ كانون الاول ١٩٧٨) ص ٢٥.

(٣٢٣) خلف : المصدر ذاته ص ٢٥

Tegart: oc.cit,Box I File(c)DS.126.2 Date,1983.

(٣٢٤)

(٣٢٥) الكيالي : المصدر السابق : ص ٢٤٧.

(٣٢٦) H.C to CO,9/10/1929, CO 733/163.

(٣٢٧) Bowden,Tom:" The Politics of the Arab Rebellion in Palestine" in Middle Eastern Studies, Vol:II,'75,p.147.

(٣٢٨) Tegart,op.cit., Box I File 3

(٣٢٩) فارن حلة المصدر السابق ٢٠٦ - ٢٠٧

(٣٣٠) Ibid.,

(٣٣١) Ibid.,(hence P.A.S.) op.

(٣٣٢) فارن الدوري : فلسطين جـ ١ ص ٢٢٠.

(٣٣٣) الدوري : المصدر ذاته ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ص ١٥٧

(٣٣٤) المصدر ذاته : ص ١٥٧.

(٣٣٥) المصدر ذاته ص ٢٢٣

(٣٣٦) Daring,Kennet:" Arab Rebel Documants" an Article which was sent to the" Times" for Publication However the article is available in Tegart op.cit, Box II.

(٣٣٧) العوري : المصدر ذاته ص ٢٣٣ – ٢٣٤

(٣٣٨) العوري : المصدر ذاته ص ٢٣٤.

(٣٣٩) العوري : المصدر ذاته : ص ٢٣٤.

(٣٤٠) Antonius: op.cit., p.292

(٣٤١) Hurewitz: op.cit. p.62

(٣٤٢) أوراق سنة العطبة وثيقة رقم ١٨ ملف ٣ : ١٩٣١ (مؤسسة الدراسات الفلسطينية – بيروت .

(٣٤٣) المصدر ذاته : وثيقة رقم ٣ الملف ٥ : ١٩٣٢.

(٣٤٤) Esco: op.cit., Vol:II,p.765

(٣٤٥) المصدر ذاته الملف ٥ : ١٩٣٢.

(٣٤٦) انظر بيان الحزب في دروزة القضية ج ١ ص ٢٠٦ – ٢٠٨ وانظر كذلك قانون الحزب في المصدر ذاته ص ٢٠٩ – ٢١٠

(٣٤٧) المصدر ذاته : مقتطف من بيان تشكيل الحزب ص ١٠٥

(٣٤٨) دروزة : حول الحركة ج ٣ ص ٩٨ – ١٠٦.

(٣٤٩) علوش : المصدر السابق ص ٥٨.

(٣٥٠) Segart,op.cit., Box I File 3(a)

(٣٥١) دروزة : القضية ج ١ ص ١٠٩.

(٣٥٢) المصدر ذاتـــه .

(٣٥٣) عميم : المصدر السابق ص ٢٥٠ نقلا عن رسالة من محمد عزة دروزة للمؤلف نفسه مؤرخة ١٥/٤/١٩٦٤.

(٣٥٤) دروزة : حول الحركة ج ٣ ص ١٠٣ – ١٠٤.

(٣٥٥) وثائق المقاومة ص ١٨٤.

(٣٥٦) المصدر ذاتـه ص ١٩٥.

(٣٥٧) المصدر ذاتـه ص ٢٤٨.

(٣٥٨) H.C. to FO, 14 May,1930 FO 371/14495

Hyamson,A: Palestine Under the Mandate . - London,1950.p-124 ـ هارن ايضا

الذى ذكر " لقد كان الراى البريطانى بوجه عام لا يزال مؤيدا للصهيونية ،كلا مجلس البرلمان كانا بصورة طاغية مؤيدان ما عدا الصهيونية الى اقصى حد ممكن " .

(٣٥٩) الثورى ٢١ مايو ١٩٣٠ .

(٣٦٠) H.C to CO,26 Sept.,1931 FO 371/15333.

(٣٦١) Ibid.,

(٣٦٢) عيسى : المصدر السابق ص ٢٢٢ .

(٣٦٣) Porath,Y: The Palestinian Arab National Movement 1929-1939 from Riots to Rebellion(Frank Cass,1977) Vol:II, p. 58.

(٣٦٤) عيسى : المصدر السابق ص ٢٢٨ .

(٣٦٥) الاهرام : ١٦ ديسمبر ١٩٣١ .

(٣٦٦) انظر هذه القرارات في عيسى : المصدر السابق ص ٢٢٩ .
H.Z.Z.Gibb:" The Islamic Congress at Jeruesalem in Dec.,1931" in Arnold Toynbee(ed.): Survey of International Affairs 1934,p .102.

(٣٦٧) الكيالى : المصدر السابق ص ٢٦٩ هارن ايضا دروزه : حول الحركة ج ٢ ص ٢٦٨ – ٢٩٩ عن فشل جهود المفتى فى جمع التوقيعات المقترحة التى وضعت من قبل المؤتمر والذى عزوه دروزة الى النفوذ البريطانى لدى اغنياء المسلمين .

(٣٦٨) المصدر ذاته ص ٢٧٢ .

(٣٦٩) عيسى : المصدر السابق ص ٢٥٨ .

(٣٧٠) P.M.S. 10 March 1933 FO 371/16926

(٣٧١) CABINET,on the Situation in Palestine, 18 Dec.,1933 CO 733/257.

(٣٧٢) دروزة : القضية ج ١ ص ٩٢ :

(٢٧٣) Report by His Majesty Government on the Administration on Palestine and TransJordan, 1933 p. 17.

(٢٧٤) النفير ٩/١٠/١٩٣٣ انظر بدران : المصدر السابق ص ٢١٩ .

(٢٧٥) السكاكيني : المصدر السابق ص ٢١٦ .

(٢٧٦) P.A.S. 16 Dec., 1933 FO 371/16926

(٢٧٧) الكيالي : المصدر السابق ص ٢٥٢ .

(٢٧٨) Tegart, op.cit; Box I File 3

(٢٧٩) Tegart: op. cit, Box I File 3.

(٢٨٠) الكيالي : المصدر السابق ص ٢٥٢ .

(٢٨١) Tegart: op.cit, Box I File 3.

(٢٨٢) الكيالي : المصدر ذاته ص ٢٥١ — ٢٥٢ .

(٢٨٣) Bowden: op.cit, p. 75.

(٢٨٤) Tegart: op.cit, Box I File 3.

(٢٨٥) السفرى : المصدر السابق ص ٢١٠ .

(٢٨٦) المصدر ذاته ص ٢١٠ — ٢١٤ .

(٢٨٧) الكيالي : المصدر السابق ص ٢٨١ .

قارن ايضا : Survey I, op.cit, p. 31.

(٢٨٨) دروزة : القضية ج ١ ص ١١٤ — ١١٥

(٢٨٩) السكاكيني : المصدر السابق ص ٢٥٧ .

(٢٩٠) Hyamson, Albert: Palestine Under the Mandate 1920-1948(London 1950) P.106.

قارن بما هو مذكور ايضا في: Survey I, op.cit, p. 32

(٢٩١) Report by H.M.J on Palestine and TransJordan 1934. P. 4.

(٢٩٢) ياسين ، عبد القادر : " الطبقة العاملة والحركة السياسية في فلسطين " في شؤون فلسطينية ، نيسان/ابريل ١٩٧٦ ص ١٢١ .

(٢٩٣) Acting H.C to CO 3/11/1934 CO 733/253.

الباب الثاني

قيام الحزبين وسيرهما على طريق التنظيم

جاء قيام الحزبين ، كاحدى محصلات ممارسات المرحلة الثالثة ، وبالذات ما يتعلق من هذه الممارسات ، بدور جناحين من أجنحة الحركة الوطنية هما المجلسيون والمعارضة . ولما كانت المرحلة الثالثة قد اتخذت في مجملها طابعا راديكاليا ، فقد تركت هذه المرحلة طابعها على ممارسات كل من هذين الجناحين فعلى الرغم من ان ممارساتهما اتخذت طابعا عائليا او شخصيا احيانا الا انها ظلت في اعماقها جزءا لا يتجزأ من الممارسات الوطنية ، واعطت في النهاية مردودا وطنيا تمثل في فرز الحركة الوطنية لعناصرها وحرصها على انتقاء هذه العناصر على اساس اكثر تبلورا ووضوحا . ومن هنا فقد ظهر استحالة العمل تحت خيمة اللجنة التنفيذية بتركيبها المعروف ، والذى شمل حشدا لعناصر كثيرة بدون تمييز ، بحيث التقى فيها التطرف الوطني المتمثل في بعض عناصرها مع التخاذل الوطني المتمثل في عناصر اخرى . كما تمثل ايضا في سيطرة المجلسيين على قطاع عريض من الحركة الوطنية وهم الاكثر تماثلا في مواقفهم الوطنية مع الاتجاه المتصاعد للحركة الوطنية ، اكثر من المعارضة التي حافظت على كثير من اتجاهها نحو الاعتدال .

ومهما يكن فقد سبق قيام الحزبين عدة جولات من الصراع بين هذين الجناحين ـ المجلسي والمعارض ـ سنتحدث عنها في ما يأتي ، وكيف ادت الى ظهور هذين الحزبين .

سجلت انتفاضة ١٩٢٩ لصالح المفتي وانصاره فعلى الرغم من عدم اشتراكه المباشر في هذه الانتفاضة كما شهدت بذلك لجنة شو (١) والتي اعتبرت الانتفاضة عملا عفويا الا ان ما القى به المفتي من ثقل ـ قبل الانتفاضة وبعدها ـ في تيارها وما قام به من جهود كبيرة قانونية واعلامية برز فيها دور جريدة الجامعة العربية (مقابل جهود مرآة الشرق المعارضة) (٢) جعلت اسم المفتي هو الاكثر توهجا

وأعطته صفة المدافع الاول عن المقدسات الاسلامية في فلسطين . وبالتالي ، وبالنظر لذكاء المفتي في تحويل القضايا الدينية الى قضايا وطنية سياسية الطابع تحول هو ايضا الى زعيم سياسي راسخ معاني الزعامة . ولما كان كل انتصار او كسب سياسي للمفتي كان يسجل لدى المعارضين بانه هزيمة او خسارة لهم ، فانهم سرعان ما تنادوا الى تجميع صفوفهم وظهرت قيادات جديدة لهم شكلت ما سمي بحزب الاحرار في يناير ١٩٣٠ (٣) ولكن ومع هذا فان المعارضة لم تستطع ان تصل الى درجة كبيرة من القوة . كما فشلت محاولات المعارضة في تأسيس احزاب اخرى غير حزب الاحرار الذى لم يعش سوى اشهر فقط ... ويعزو بورات اخفاق المعارضة الى النزعة الانتهازية لاصحابها : " لم تعزز محاولات المعارضة في تكوين احزاب موافقها . بل لقد اجهضت هذه الاحزاب من جراء الدوافع الشخصية التي كانت تكمن ، وراء مبادرات مؤسسيها " (٤) .

ومع هذا فقد رافقت جهود المعارضة في تكوين احزاب لها محاولات اخرى في احياء الهجوم على المجلس الاسلامي الاعلى . فقد تميزت فترة اوائل الثلاثينات بالعودة الى المطالبة بتقليص صلاحيات الحاج امين في تعيين القضاة الشرعيين وسيطرته على الاوقاف (٥) .

ولقد كان انعقاد المؤتمر الاسلامي في القدس ـ والذى سبق الاشارة اليه باعتباره مظهرا من مظاهر النشاط الوطني ـ في عام ١٩٣١ ، مشهدا لتجدد حملات الهجوم المتبادل بين المجلسيين والمعارضة ، ابتدأتها المعارضة بان فتحت رشاشاتها على هذا المؤتمر واعتبر انعقاده مناسبة لتسديد سهامهم على المفتي بصورة خاصة . فقد " نشروا مناشير متعددة حملوا فيها على الحاج امين وجماعته واستشاروهم في امر المؤتمر واستغلاله استغلالا شخصيا وحزبيا (٦) .

وبلغ الامر بهم اشده عندما عقدوا مؤتمرا مضادا في فندق الملك داود ، سموه مؤتمر الامة الاسلامية ، وحشدوا له عددا كبيرا من الاشخاص من مختلف انحاء فلسطين ، شمل جميع المعارضين والمناوئين في المدن وقرروا فيه قرارات في انتقاد المجلس الاسلامي والحاج امين واصدروا في ذلك بيانا وقعه اركانهم (٧) .

ومع ان هذا المؤتمر في محصلته النهائية سجل لحساب المفتي ، لدرجة انه ـ كما يذهب البعض ـ حقق مجدا شخصيا لنفسه ، ودعم مركزه ونفوذه في انحاء العالم الاسلامي ، بحيث تخطت شخصيته الحدود بعد هذا المؤتمر ، وأصبح

وبخاصة بعد وفاة فيصل الاول عام ١٩٣٣ ، وموسى كاظم الحسيني عام ١٩٣٤ ، من أبرز الشخصيات في العالم العربي (٨) الا أنه من الناحية الاخرى ، تمكنت المعارضة أيضا من تسجيل موقف لها . فقد وقع في روع الكثيرين من المؤتمرين أن الشعب الفلسطيني منقسم على نفسه ، وأن الحاج أمين ـ على الرغم من قداسة القضية التي ينادي بها ـ ليس هو الوحيد في الصورة . يقول الاستاذ عزة دروزة : " كان عملهم هذا بشعا جدا ، اذ اظهروا فيه انقسام المسلمين في فلسطين ، وتنازعهم على مسائل شخصية ومحلية ، في وقت يأتي فيه وفود ورجالات العالم الاسلامي الى فلسطين استجابة لدعوتها واظهارا للتضامن في قضيتها (٩)

ويؤيد بورات هذا القول بطريقة اخرى عندما يذكر " حقا لقد اعتبر المؤتمر نجاحا لامين الحسيني بالمفهوم الدولي . ولكن المعارضة في فلسطين نفسها كانت ذات قوة معتبرة . والهجوم المضاد الذي قام به معسكر المعني والذي سن بصورة خاصة على صفحات الجامعة العربية لم يستطع محوه (١٠) .

اعطى موقف المعارضة هذا دفعة قوية لها وكان وسيلة لتقريب صفوفها ، بعد أن كانت قد ابتليت بكثير من مظاهر التمزق والانحلال ، التي أشرنا الى محاولات ترقيعها . فقد انبثق عن مؤتمر الامة في فندق الملك داود حزب للمعارضة التي كان هذا المؤتمر مناسبة لاعادة التئام صفوفها . ولكن هذا الحزب لم يكن سوى تكرار لاحزاب المعارضة السالفة من حيث أنه نادى بسياستها المعتدلة " خذ وطالب " والتي أثبتت عدم جدواها ، كما سبق للحزب الوطني أن طالب عام ١٩٢٣ . ولم يزد هذا الحزب من الناحية التنظيمية عن كونه مهادنة أو مصالحة بين عائلات فلسطين الكبرى مثل عائلة النشاشيبي والدجاني والخالدي وعناصر المعارضة في نابلس من آل طوقان (١١) .

انعكس هذا الصراع المجلسي المعارض في هذه الاونة على اللجنة التنفيذية التي اعتبرت دائما مظهرا ورمزا لوحدة الامة عامة والحركة الوطنية معها بالرغم من توجهها النسبي نحو الحسينية . يقول عزة دروزة : " لقد كان عدم الانسجام في اللجنة التنفيذية العربية وما زاده التهاتر والتشاد اللذان وقعا في ظروف انعقاد المؤتمر الاسلامي ، من توتر وتفكك فيها ، ومن فتور بالحركة

الوطنية بالنسبة ميئسا للكثير من أعضائها في امكان فائدة هذه التشكيلة المؤلفة من مختلف الاهواء والاحزاب والصفات ، للحركة الوطنية " ومن هنا فقد جرى التفكير في انشاء أحزاب متمازجة حيث تكون أملك للحرية وأقوى على تكييف الجهود في نجوة من التشاد المنفعي المعطل (١٢) .

وقد بدا هذا واضحا عندما ذهبت جهود المصالحة بين الطرفين ، والتي قام بها موسى كاظم الحسيني رئيس اللجنة التنفيذية ، ادراج الرياح ، واستمر نزاعهما الذي بدا اثره واضحا على صفحات الصحف والذي على ما يظهر أصاب فيه المعارضون النجاح الاكيد (١٣) ولعله ليس بلا مغزى أن المعارضين امعانا منهم في الخصومة فكروا في هذه المرحلة في انشاء جريدة الامة على اسم حزبهم كما أنهم تمكنوا من أن يكسبوا تأييد سامي السراج (الاستقلالي السابق) الذي بدا في تحرير جريدة الجامعة الاسلامية ، بعد أن استقال من سكرتيرية المؤتمر الاسلامي العام ، واعتبرت استقالته نصرا شخصيا لفخري النشاشيبي ، الذي استطاع بجهوده ضمه (أي السراج) الى صفوف المعارضة . كما أن النشاشيبيين كسبوا الى صفهم أيضا خير الدين الزركلي (الاستقلالي المتشدد أيضا) . ومن الناحية المقابلة فان الحسينيين أصدروا جريدة الجامعة بثوب جديد وبشكل واسع (١٤) وقد كان للصراع الصحفي بين جريدتي الامة والجامعة العربية أثره حتى أن أحد تقارير البوليس عقب على هذا الصراع الصحفي بأنه ربما كان بداية لتكوين حزب جديد من قبل المفتي من أجل غايتين رئيسيتين : الاولى تفويت الفرصة على حزب الاستقلال في الاستئثار بالقيادة الوطنية ، مستفيدا من الخصومة بين الطرفين الحسيني والنشاشيبي ، والثانية استبقاء تأييد الطبقات الدنيا من المسلمين(١٥) .

وعلى أية حال فلم يلبث ميزان القوى أن مال لصالح المجلسيين ولقد ظهر ذلك خلال عام ١٩٣٣ عندما مالت الحركة الوطنية في مجملها نحو الراديكالية . وقد بدت مظاهر التفوق المجلسي في أكثر من موقف . ففي مؤتمر يافا الذي انعقد بتاريخ ٢٨ مارس وحضرته عناصر وطنية من جميع أنحاء البلاد تحت شعار " عدم التعاون " مع الحكومة ، وافق المفتي على مبدأ عـــــدم التعاون (١٦) ولكنه رفض الاستقالة من منصب رئاسة المجلس الاسلامي الاعلى . وكان مما قاله ردا على الذين أرادوا احراجه بالاستقالة ، فيخسر رئاسة المجلـس الاسلامي الاعلى ، والا فانه سيتعرض لسخط الشعب : " أنا لست في هذه الحركة

الوطنية دخيلا ، ولم ألصق بها الصاقا ، ولم تأت الى الرئاسة الا على الحاشية ولقد خضت غمار الحركة الوطنية قبل الحرب العامة . وعملت قبل الآن الى الآن .. ولو كنت موظفا كما يظن البعض لما كنت بينكم الآن ، ولو كنت موظفا لما قمت باعباء الحركة الوطنية من أولها الى آخرها ، ولما حوكمت ولما صدرت على من أجل القضية الوطنية عدة أحكام ... أن الوظيفة ليست لها قيمة ، والحياة ليست لها قيمة فلا تضيعوا أوقاتكم الثمينة في ذكر الوظائف والاشخاص . لقد كنت في طليعة الحركة الوطنية ، وساظل في طليعتها غدا والى ماشاء الله . ولن اتخلف عن مواقع الخطر في المستقبل كما أنني لم أتخلف في الماضي فسجلوا علي هـــذا (١٧) .

ولعل الاهم والذي يعنينا هنا ، أن نعلم أن فخري النشاشيبي كان ، بالدرجة الاولى ، وراء هذه المناورة ، وقد اتخذها وسيلة من أجل توحيد جهوده مع عناصر حزب الاستقلال ، مؤملا بذلك أن يبعد الاستقلال ــ وهم الذين كانوا من أوائل دعاة سياسة اللاتعاون ــ عن الحاج أمين ، وذلك لادراك فخري انه يرغب في اقامة علاقات جيدة مع الحكومة ومن غير المحتمل أن يوافق على اللاتعاون . وهكذا ينكشف للجماهير كمؤيد للحكومة وغير صالح كقائد أو زعيـــم (١٨) . ولعله ليس بلا مغزى أن يذكر أحد التقارير بانه " لقد كان أمرا يدعو للاستغراب أن يؤيد فخري النشاشيبي ، اللاتعاون مع الحكومة ، ولعل هذا كان مناورة حزبية من أجل تحدي الحسينيين (١٩) .

ومهما يكن من أمر ، فان المفتي تمكن من احباط هذه المناورة بل أنه تمكن من السيطرة على المؤتمر ، وكان استقطابه لاكثر الموجودين فرصة جيدة لتقوية مركزه ودافعا لـــه " لكي يتقدم في برنامجه من أجل احكام سيطرته على الحركة الوطنية (٢٠) ، ومن هذه فنحن لا نستغرب استغلال راغب من رئاسة مؤتمر حزب الامة في شهر يوليه ١٩٣٣ ، بل لقد كان هذا المؤتمر آخر مرة يذكر فيها اسم هذا الحزب (٢١) .

وفي أحداث هبة اكتوبر ، وبالرغم من عدم مشاركة المفتي شخصيا ، ومشاركة اللجنة التنفيذية بموسى كاظم الحسيني وجمال الحسيني ، فقد سجلت هذه الهبة لصالح الحسينيين اذا قيسوا بالمعارضة . فقد اعتبرت السلطات هذه

الاحداث مسيرة من قبل الحسينيين (٢٢). كما أنها اعتقلت جمال الحسيني على اثر مظاهرة يافا الدامية والتي أوذي فيها أيضا ، من قبل رجال السلطة ، موسى كاظم الحسيني ، وكان قد بلغ الرابعة والثمانين من عمره . ومن الناحية الاخرى ، فقد تميز موقف النشاشيبية بالسلبية ، فبالاضافة الى كون راغب النشاشيبي لم يشارك في هذه الانتفاضة ، فانه أخبر المندوب السامي " بمعارضته للمظاهرات ووعد با ستخدام نفوذه ضد المشاركة فيها (٢٣).

ومهما يكن من امر فان ما تلا هبة اكتوبر ١٩٣٣ لم يزد في حدة الخلاف والابتعاد التدريجي لكل من معسكرى المجلسية والمعارضة عن بعضهما البعض . فقد توفي في مطلع ١٩٣٤ موسى كاظم الحسيني ، الذي كانت وفاته بمثابة غياب صمام الامان للقاء المجلسية والمعارضة في ظل حيماللجنة التنفيذية . فقد عرف عن موسى كاظم الحسيني مقدرته الكبيرة على بث روح المصالحة بين الاطراف المختلفة كما انه هو شخصيا كان مثالا للارتفاع عن الحساسيات العائلية والروح الحزبية . ووصفه التقرير السوى للحكومة البريطانية لعام ١٩٣٤ بانه قاد الحركة الوطنية منذ الاحتلال حتى وفاته واستحق احترام كل قطاعات الشعب العربي في فلسطين بفضل نزاهته وترفعه عن المصالح الشخصية (٢٤) ولهذا ما أن اختفى موسى كاظم الحسيني نهائيا من المسرح السياسي ، حتى كان غيابه ، والفراغ الذى تركه ، ايذانا ببداية او على الاصح باستئناف التنافس من جديد بين المعسكرين المتخاصمين . وقد اخذ الخلاف شكلين (او مظهرين) رئيسيين : الشكل الاول هو الخلاف على من سيخلف موسى كاظم الراحل . والشكل الثاني هو أن وجود اللجنة التنفيذية ذاتها اصبح محل تساؤل .

اما من حيث الموضوع الاول ، موضوع الخلافة ، فقد حاول الحسينيون انتهاز الفرصة وترشيح جمال الحسيني لرئاسة اللجنة ، لا سيما وأن المفتي كان قد عينه سكرتيرا للمجلس الاسلامي الاعلى من أجل أن يعوضه عن الخسارة التي ستلحقه ، من جراء انخراطه انخراطا كليا في العمل السياسي ، تحت راية اللجنة التنفيذية (٢٥). وهنا لم توافق المعارضة على هذا الترشيح . وعندماحاول الحسينيون أن يقوموا ببعض التنازلات بالعدول عن ترشيح جمال الحسيني والقبول باسناد الرئاسة الى عوني عبد الهادي او معين الماضي (٢٦) ، رفضت المعارضة هذين باعتبارهما اكثر قربا الى الحسينيين وكحل بديل طرح

المعارضون أسماء راغب النشاشيبي أو الشيخ سلمان التاجي الفاروقي أو عمر صالح البرغوثي أو الشيخ أسعد الشقيري (٢٧) .

وعندما وافقت الاطراف المختلفة على أن تبقى رئاسة هذه اللجنة بالوكالة ليعقوب فراج (٢٨) نائب موسى كاظم ، كان هذا نوعا من الترضية أو الحل الوسط بالرغم من كون يعقوب فراج من معسكر المعارضة . وقد كان عدم الحسم في موضوع الرئاسة عاملا معوقا لعقد المؤتمر الثامن ، لاختيار لجنة تنفيذية جديدة . ففي اجتماع اغسطس ١٩٣٤ تقرر أن يؤجل موعد انعقاد المؤتمر الثامن الى ستة أشهر أخرى . ولقد كان لتأثير النشاشيبيين أثره الواضح في ذلك (٢٩) .

وأما من حيث الموضوع الثاني ، فاننا نلاحظ أن اللجنة التنفيذية أصبحت في حالة انعدام الوزن تقريبا باختفاء موسى كاظم الحسيني . ففي تقرير لدائرة التحقيقات الجنائية كتب بعد أيام معدودة من وفاة موسى كاظم باشا ، سببا في كثير من الخيبة . وقد انهمت اللجنة التنفيذية في اخفاقها بتبني سياسة عملية من أجل المستقبل ، كما انهمت بتأخيرها انعقاد المؤتمر الثامن (٣٠) ، بل الاكثر من ذلك أن وجود اللجنة التنفيذية ، كوجود ، أصبح مستهدفا ، وبوجه خاص في المعارضة ، التي يصف الغوري موقفها بقوله : " كانوا يتجهون الى التعصبة على آثار اللجنة التنفيذية والتخلص منها . وبذلك تترك البلاد بدون قيادة جماعية ، ويخلو الجو لذوي الاغراض والاهواء لعمل ما يريدون .... وتنفيذ ما يؤمرون به (٣١) .

ومن هنا نشاهد أن الهجوم على اللجنة التنفيذية أصبح جزءا من استراتيجية المعارضة ، ولقد نشرت جريدة الجامعة الاسلامية سلسلة من الحملات على عدم كفاءة القادة والحاجة الى التنظيم وتغيير القادة (٣٢) .

والامر الذي يدعو الى الغرابة أن اللجنة التنفيذية لم تسلم من هجوم الحسينيين فيها أيضا . ولعل موقفهم هذا كان نوعا من المزايدة على المعارضة التي ركزت على أغراض اللجنة التنفيذية ، كما أنهم أرادوا أن يظهروا للناس أن العيب الاساسي في اللجنة هو وجود عناصر المعارضة فيها . تلك العناصر التي اعتادت المصادر الحسينية وصفها بأنها " مشبوهة ومطعون في وطنيتها ، ومتهمة بالتعاون والتعامل مع اليهود وبيع الاراضي والسمسرة للاعداء (٣٣) ، ومن هنا أيضا فقد دعت الجامعة العربية الى تطهير اللجنة والعدول عن سياسة الترقيع

الى سياسة التجانس والاندماج و " خدمة المبادئ الوطنية المجردة " وتكوين النخبة الصالحة (٣٤) .

بل لقد سرر جمال الحسيني تأسيس الحزب العربي بحديث له لصحيفة دمشقية ، نقلته عنها الجامعة العربية على الوجه التالي : " ظهر بالسنتين الاخيرتين عقم اللجنة التنفيذية السابقة لانها ضمت شتيتا من ذوى الغايات المختلفة الذين لا يمت البعض منهم للبعض الاخر ، بل ظهر للمخلصين انها ضمت معها عددا من الجواسيس والسماسرة للاراضي واذناب الحكومة ، مما جعل العمل معها مشينا ، ولذلك فكر المخلصون ان يضعوا انفسهم في حزب "

وعلى اية حال ، وعلى ما يظهر ، فان هذا الموقف من جمال لم يتقرر الا بعد ان يئس من اصلاح اللجنة من الداخل . ففي احد اجتماعات مارس ١٩٣٤ على سبيل المثال حاول جمال أن " يعرى اعضاء اللجنة من المعارضة مثل عمر البيطار وشكرى التاجي . من كان لهم علائق مع اليهود ، ومن اجل أن يضمن ـ في النهاية ـ قرارا بعقد المؤتمر الثامن (٣٦) .

ومهما يكن من امر فقد انتهى هذا الهجوم والمناورات من داخل اللجنة وخارجها على تقرير مصيرها ، بضعفها الكامل ، او سيرها التدريجي نحو الموت . وقد تحولت في آخر ايامها الى مؤسسة صغيرة تعتمد في نفقاتها على صدقات الحسينيين (٣٧) وباختفاء اللجنة التنفيذية الذى يصفه اميل الغورى بانه اصاب الحركة الوطنية بالشلل ' كان لا بد من التفكير بالبديل . وعلى هذا اخذت فكرة تكوين الاحزاب صورة اكثر الحاحا من اى وقت سابق . فجميع الاطراف اتجهت بالتفكير جديا نحو تاسيس احزاب او عمل تنظيمات معينة ، تحت لافتات جديدة غير اللجنة التنفيذية . بل ان احد اجتماعات اللجنة التنفيذية اقر أن ينعقد المؤتمر الثامن بوساطة ممثلين عن الاحزاب (٣٨) . ويعقب عزة دروزة على هذا المنطلق الجديد بقوله " لقد اشتد اليقين بعدم امكانية استمرار العمل الوطني في نطاق اللجنة وانبثق عن هذا اليقين خطوات في سبيل تشكيل الاحزاب المتمازجة ونفض اليدين من اللجنة (٣٩) . ويصفه بوراث من الناحية الاخرى بانه اختفاء للرابطة الوحيدة بين النشاشيبيين والحسينيين وأن الارض اصبحت ممهدة لصراع كامل (٤٠) .

ولقد اعتبر الكثيرون من العاملين في الحركة السياسية الفلسطينية تأجيل انعقاد المؤتمر ، وأن عناصره المقبلة ستكون من الاحزاب ، بمثابة فرصة لهم لاعادة تنظيم صفوفهم . فالنشاشيبيون الذين كانوا وراء فكرة التأجيل كما لاحظنا اعلاه ، بادروا الى اغتنام هذه الفرصة . ففي هذه الفترة عمد فخري النشاشيبي الى اقامة نقابة للعمال بفروع عبر البلاد ، وعلى ما يظهر حاول أن ينظمها على أساس صلب شبيه بالتنظيمات الفاشية ، واتصل بالدوائر الايطالية لارشاده في هذا السبيل . ويذهب أحد التقارير الى أن فخري حصل على نسخة من القوانين التنظيمية للاتحاد الاشتراكي الوطني من اجل هذه الغايات (٤١).

ولقد اعتبرت هذه النقابة عنصرا جديدا في المنافسة بين انصار المفتي والنشاشيبيين ولعلها زادت في مكانة الاخيرين (٤٢).

ومن ناحية أخرى فان التأجيل كان ملائما أيضا للمجلسيين من أعضاء اللجنة التنفيذية. وهنا نجد أنهم عادوا الى التفكير في انشاء حزب لهم ، يضم القادة البارزين في الحركة الوطنية ، لا سيما الاستقلاليون منهم ، اولئك الاستقلاليون الذين كثيرا ما حاول فخري النشاشيبي أن يضمهم الى صفه ، ولكن هذا امر قد بدا في حكم الاستحالة. (٤٣) ويؤرخ أميل الغوري لقيام أول لجنة تحضيرية للحزب بأنه اول رد فعل للخلافات التي تمت داخل اللجنة التنفيذية لاختيار خليفة موسى كاظم الحسيني وتمشيا مع شعار التطهير" (٤٤).

كما كانت أسرة الخالدي ، انطلاقا من الواقع الجديد للجنة التنفيذية قد فكرت بانشاء حزب جديد ، وارتأت الاسرة أن يكون الحزب تحت اسم جديد ، وأن يعلن القادة انسحابهم من حزب الامة الذي كانت قد التفت تحته جميع فئات المعارضة تحت زعامة النشاشيبية (٤٥).

كان ضعف اللجنة التنفيذية التي اصيبت في آخر امرها بالشيخوخة والعجز عاملا اساسيا في التفكير بانشاء الاحزاب ، ولكن المنعطف الحقيقي الذي سبب الفراق الكامل (الطلاق البائن بين المجلسيين والمعارضة ، كان الانتخابات البلدية التي سبقت قيام الحزبين بصورة رسمية . وكانت آخر جولات الصراع قبل هذا القيام .

ولدت فكرة الانتخابات البلدية من جراء اقتراح من المندوب السامي لتنمية

الحكم الذاتي . ولما لم يعتبر المجلسيون أن هذا الاجراء كاف لتحقيق نوع من الحكم الذاتي ، فانهم جندوا أنصارهم لمقاطعتها باعتبارها بديلا غير كامل عن الحكومة الوطنية المستقلة . ولذا فانهم حملوا على رؤساء البلديات ليحملوهم على الاستقالة احتجاجا على قانون البلديات الجديد . وعلى ما يظهر لم يجد رؤساء البلديات (الذين كانوا في أغلبيتهم من المعارضة) في أول الامر ، مانعا من الاستقالة ، الا أنهم لم يلبثوا أن عادوا عن ذلك ، واعتبروا الضغط الحسيني مناورة سياسية المقصود منها حرمان هؤلاء الرؤساء من مراكزهم (٤٦) .

ولقد عبر أحد التقاريرعن هذا الخلاف في وجهات النظر : " ان الخلاف بين أنصار المفتي وخصومه يتركز على التالي : الاولون (أنصار المفتي) يوافقون على مقاطعة الانتخابات ، اذا وافق رؤساء البلديات الحاليون على الاستقالة ، بينما رؤساء البلديات الذين يمثلون الفريق المعارض للمفتي ، يقولون بأنهم سيؤيدون المقاطعة بشرط أن لا يطلب اليهم الاستقالة . وهذا يدل دلالة واضحة على أن معارضي المفتي حريصون على التمسك بمراكزهم وأن خصومهم يريدون الاستيلاء على هذه المراكز ، اذا شاركوهم في الانتخابات . وبسبب هذا الخلاف في الرأي فان موضوع المقاطعة سيفشل في النهاية (٤٧) .

وعلى الاثر أدرك راغب ـ على وجه التحديد ـ من بين رؤساء البلديات ، أن محاولة حفزه على اخلاء منصبه كانت مناورة من الحسينية للحلول محله ، الامر الذى أعاد الخرق بين حزبي المفتي والنشاشيبي ، على الرغم من محاولات المصالحة النسبية بينهما (٤٨) ويعقب حسين فخرى الخالدى بدوره على هذه الناحية بقوله : " ولم يقع هؤلاء في الفخ الذى نصبه لهم أعداؤهم في المعسكر المقابل وحدث بينهم مهاترات صحفية قرر بعدها رؤساء البلديات البقاء في مراكزهم وخوض معركة الانتخابات (٤٩) .

وهكذا فان فشل فكرة مقاطعة الانتخابات ـ التي سقطت ضحية الصراع المحلي ـ كان مدخلا لاشتراك كل من الحسينيين والنشاشيبيين في الانتخابات بكل ما أوتوا من قوة .

فالمعسكر الحسيني الذى يصفه دروزة بقوله : " اعتزم المجلسيون (الكتلة الحسينية) زحزحة راغب النشاشيبي من البلدية مهما كلف الامر (٥٠) فلجأوا الى أول اجراء في معركتهم مع خصومهم ، الا وهو شق جبهة المعارضة بالتفاهم

مع حسين فخري الخالدي (٥١) كمرشح لهم ، ومرشح قوي يمكن أن يصمد لمنافسة راغب ، وقد ساعدهم في ذلك أن ولاء الخالدي للمعارضة كان قد بدأ يخبو لدرجة أنه فكر في انشاء حزب خاص به وبأسرته كما ذكرنا أعلاه. وقد أضيف الى ذلك جهود موسى العلمي واحسان الجابري في عقد المصالحة بين الطرفين الخالدي والحسيني وانهاء الخلاف العائلي بينهما (٥٢).

وكان الاجراء التالي أن بذل المفتي ـ وهو المشهود له بالبراعة في ادارة مثل هذه الانتخابات ـ جهدا هائلا في اقناع الناخبين من اجل أن يقبلوا بانتخاب الخالدي وهنا ركز المفتي في دعايته على أن راغب عنصر غير وطني ، وأنه دأب طول حياته على معارضة مشروع اسلامي ، أو وطني ، اراده المفتي ، فان راغب كان قطعا بعارضه " (٥٣) ، وانما كان بذلك يخدم أهداف الانتداب والصهيونية . وبلغ الامر بالمفتي الى أن يأخذ العهد على الناخبين بجعلهم يقسمون على القرآن الكريم ، على أنهم سينتخبون الخالدي ولا ينتخبون النشاشيبي (٥٤) كما ذهب المفتي الى التدليل على مواقفه المؤيدة للحكومة والصهيونية والمعارضة للاسلام بعقده مؤتمرا في فندق يهودي لمعارضة المؤتمر الاسلامي في عام ١٩٣١ (٥٥).

كما أن جريدة الجامعة العربية انطلقت تشن حملة مقدسة وحربا لا هوادة فيها على النشاشيبي . فقد جعلت هي أيضا معركة بلدية القدس معركة بين الوطنية والخيانة والحق والباطل (٥٦). وفي مقالة افتتاحية بخط كبير وتحت عنوان " الكلمة الفاصلة هي لكم غدا فقولوا كلمة الحق أيها الناخبون " قالت " أيها الناخبون الكرام لا تنتخبوا السماسرة باعة البلد ولا تنتخبوا الخونة ولا الذين يوالونهم ولا الملاحدة ولا من يساعدونهم ،ولا يوالي الخائن الاخائن ، ولايساعد الملحد " ومن يتولهم منكم فهو منهم " (٥٧) وفي عدد آخر بلغ عنفها درجة قالت معها " حطموا الاصنام الجوفاء " (٥٨)

وقد وصف تقرير مؤرخ في ١٥ أكتوبر ١٩٣٤ حملة المفتي بالفاعلية والنجاح

" ان الحملة التي شنها المفتي شخصيا اثبتت مقدرته وحده" والتأثير الكبير الذي يمارسه الدين على عقول المسلمين. فكونه يستطيع أن يوظف عدم رضا آل الخالدي (باستثناء مصطفى الخالدي وأن يستخدمهم كوسيلة لاسقاط راغب ، عدوه اللدود ، وصفه

الكثيرون من العرب بأنه ضربة معلم . وهذا هو السبب نفسه الذى تسبب في شعور راغب بالخيبة من نتيجة الانتخابات (٥٩) .

ومن الناحية الاخرى فقد بذل النشاشيبيون جهودهم في مجابهة حملة المفتي الانتخابية . وبذلوا في تجميع الاصوات اقصى ما يستطيعون بما في ذلك بذل الاموال بسخاء . ولقد ركز النشاشيبيون على كسب اصوات اليهود وقربه لفتا التي كان في يدها عدد كبير من الاصوات (٦٠) وقد بدا حرص راغب على كسب الاصوات اليهودية من انه مهدلكسبها منذ ما قبل سنه من انتخابات البلدية . فيعزو تقرير للسلطة استقالة راغب من حزب الامة الذى سبب في حينه كثيرا من التخمينات ، الى كونه يريد ان يكسب ود اليهود من اجل الانتخابات البلدية المقبلة (٦١) .

ولقد بلغت هذه المعركة من الحدة على الجبهتين ، بحيث وصفت بان نتائجها ، ستحدد بصورة كبيرة ، اتجاه الحركة السياسية في البلاد ، والاتجاهات السياسية المستقبلية لكل من الحسينيين والنشاشيبيين (٦٢) . لقد كانت هذه الانتخابات في حقيقة الامر بمثابة آلام المخاض التي ولدت منها الاحزاب بصفة عامة . يقول دروزة : وحرت الانتخابات في اليوم المعين ولم تشهد المدينة المقدسة يوما كذلك اليوم " (٦٣) .

ومهما يكن من امر فقد لعبت عوامل متعددة دورها في تقرير نتيجة الانتخابات بالاضافة الى ما ذكرنا . فقد استنكف اليهود عن راغب ، كما اعتادوا ان يفعلوا في الانتخابات السابقة ، وبخاصة الانتخابات التي جرت عام ١٩٢٧ . لقد كان هؤلاء قد سئموا ادارة راغب ، التي اتسمت بكثير من الفساد ، وتحكيم المحسوبية ، واخذ الرشوة من اجل اختيار المعاونين او الموظفين فيها ، الامر الذى جعلهم يخذلونه لحساب اعدائهم القوميين (اى الحسينيين) كما يذهب بسوراث . (٦٤) .

وعلى اية حال فانه عندما ظهرت نتيجة الانتخابات كان وقعها وقع الصاعقة على راغب . فقد كانت هزيمته منكرة . وجاءت شدة وقعها من كونها لا راغب ولا الرأى العام ولا حتى الحكومة كانت تتوقعها .

وجاءت فداحة خسارة راغب من ان البلدية كانت معقله ومركز قوته بل ان كيان المعارضة في مجمله ، انما كان مرتكزا على البلديات ، تماما كما كان

المجلسيون يستندون على المجلس الاسلامي الاعلى . يقول الخالدي : " أما رئاسة القدس وكانت صلاحيتها لا تتعدى مدينة القدس وضواحيها فقط ولكنها على ضيق حدود صلاحياتها هذه فقد كانت من الوظائف الرئيسية المرموقة لما لمدينة القدس من حرمة دينية وأهمية خاصة لا بين الطوائف الثلاث فحسب بل الجاليات الاجنبية فيها ايضا كما أن رئيس بلدية العاصمة كان بمثابة كبير رؤساء البلديات في مدن فلسطين الاخرى ، ودوائرها أكثر اتساعا ، وأكثر عددا من الموظفين وميزانيتها تزيد كثيرا حتى عن ميزانية الاوقاف فميزانية الاوقاف لم تتعد المئة ألف جنيه سنويا الى حين نشوب ثورة (٣٦ ـ ٣٩) ، بينما تجاوزت ميزانية بلدية القدس نصف مليون جنيه (٦٥) .

وقد اشتكى راغب بعد ذلك من خذلان الحكومة له بعد خدمة خمس عشرة سنة طوال (٦٦) ، كان ذلك من جراء شعوره بحسامة الخسارة التي عادت عليه من حرمانه من موقع حساس ، يعتمد عليه نفوذه في جزء كبير منه .

وبهمنا هنا أن نتتبع ابعاد هذه المعركة (الانتخابية) السياسية ، وبوجه خاص على ظهور الحزبين موضوع هذه الدراسة . فنحن نجد أن الموتر الذي سبقها ورافقها لم ينته بانتهائها ، بل استمرت ذيولها حتى ولادة الحزبين وما بعد ذلك لفترة غير قصيرة

علقت الجامعة العربية على فشل راغب بشكل واضح ووصفته وأنصاره بانهم " خرجوا من عقولهم وأصابهم الخبال حتى صاروا لا يفقهون مايقولون خسر رجال البلدية الحاضرة المعركة . وكان خير ما يصنعون أن يتقدموا الى خصومهم الفائزين بالتهنئة ولكنهم لم يصنعوا وكيف يصنعون والبلدية مورد رزق ظلوا يكرعون من حياضه أربع عشرة سنة وقطع الارزاق يقطع الاعناق كما يقال (٦٧) .

ولقد كتبت الجامعة العربية هذه المقالات ردا على مقالات كانت قد نشرتها فلسطين تحت عنوان " الصياح على قدر الوجع " (٦٨) .

ولعل الاهم في نتيجة الانتخابات عموما أنها حطمت التوازن السياسي القائم بين معسكرى الحسينيين والنشاشيبين . ومن هنا فقد بدأ راغب ـ وسيبقى على ذلك الى نهاية عهد الانتداب ـ يعمل على استعادة هذا التوازن بين الطرفين . وفي هذا السبيل صمم راغب على خلق تكتل سياسي أو منظمة سياسية

يجمع بها اشتات المعارضة التي تعرضت الى ضعف كبير ظهر في انفصال آل الخالدي ، والفشل في استقطاب الاستقلاليين ، هذا فضلا عن خسارة الانتخابات البلدية، وكان راغب قد صرح قبيل الانتخابات تحسبا للمستقبل ، " انه اذا هزم في نهاية الامر فانه سيكرس بقية أيام عمره ، وما له من أجل تنظيم حزبهومعارضة الحاج أمين (٦٩) وبعقب تقرير سري للسلطات على هذا التصريح بأنه " اذا فشل راغب في استعادة منزلته برئاسة البلدية أو بتعيينه لمنصب آخر يلائم مكانته ، فانه لن يكون له أي خيار سوى أن يدير وجهه للجمهور ، ومن أجل أن يكون مقبولا أكثر لدى الجماهير وينافس المفتي ، فانه سيتبنى سياسة وطنية (٧٠) .

وكان من شأن نتيجة الانتخابات البلدية ، واحتفاء البلدية كنقطة استقطاب رئيسية للمعارضة ، من خلال رئيسها راغب النشاشيبي ، وما ترتب عن ذلك من اخلال بالتوازن السياسي التقليدي بين المجلسيين والمعارضة ، من ناحية ، واختفاء دور اللجنة التنفيذية بعد وفاة رئيسها من الناحية الاخرى ، ان خلقا فراغا سياسيا على المستوى التنظيمي للحركة الوطنية ، وكان لا بد من ملئه ، ومن هنا ولدت الاحزاب ، واتخذت فترة منتصف الثلاثينات صفة فترة الاحزاب في تاريخ فلسطين الحديث . فبالاضافة الى الحزبين موضوع هذه الدراسة ولد حزبان جديدان هما حزب الاصلاح ، الذي تأسس في رام الله يونيه ١٩٣٥ ، وكان أهم شخصية فيه الدكتور حسين فخري الخالدي ، كما عقد مؤتمر الشباب ، كما تأسس في نابلس في ٤ أكتوبر حزب الكتلة الوطنية برئاسة عبد اللطيف صلاح (٧٢)

وهكذا أصبح في أواخر عام ١٩٣٥ ستة أحزاب هي : حزب الاستقلال ، وحزب مؤتمر الشباب ، وحزب الدفاع ، والحزب العربي ، وحزب الاصلاح وحزب الكتلة الوطنية مرتبة بحسب ظهورها من الناحية الزمنية .

وقد اتفقت هذه الاحزاب في نواح كثيرة : أهدافا وغايات ونوازع خاصة ، بالاستقلال لفلسطين استقلالا يكفل لها السيادة العربية وعدم الاعتراف بأي تعهد دولي والسعي لتأليف حكومة وطنية في البلاد . كما أن هذه الاحزاب لم تخل أحيانا كثيرة من النزعة الشخصية أو المصلحية وراء تأليفها . وعلى الرغم من أن هذه الاحزاب لم تكن أحزابا بالمعنى المفهوم للكلمة ، أو أحزابا بالمفهوم

الحديث أو الغربي ... فهي لم تشارك في الانتخابات ، كما أنها افتقرت الى أهداف مبرمجة ، حتى أنها لم تصل الى مستوى الاحزاب في البلاد العربية حيث كانت تجرى الانتخابات وبشكل اتباعها الحكومات . فانه من الناحية الاخرى أصبحت الحركة الوطنية هي الحقل الرئيسي للسياسيين العرب في فلسطين . ولعل من مميزاتها أنها حاولت أن تملأ الفراغ الذى خلفه عدم انشاء حكومة عربية أو انشاء مؤسسات للحكم الذاتي . ومن هنا فقد تركز دور الاحزاب العربية في محاولة السيطرة على الحركة الوطنية مع غياب الحكومة العربية (٧٣) .

ومهما يكن من أمر فانه يجب أن نذكر أنه قد ولد حزب الدفاع بصورة رسمية في ٢ ديسمبر ١٩٣٤ . وقد كان هذا الحزب تجسيدا أو امتدادا للمعارضة التي برزت في أوائل العشرينات وتمثلت في الجمعيات الوطنية الاسلامية والحزب الوطني وحزب الزراع ، والاحزاب التي تلتها في أوائل الثلاثينات مثل حزب الاحرار وحزب الامة ، والتي كان الشاشيبيون - وبخاصة راغب - بصورة ظاهرة أو باطنة ، مباشرة أو غير مباشرة ، هم عمودها الفقري والقاسم المشترك الاعظم فيهـــا .

كما ولد الحزب العربي الفلسطيني بصورة رسمية في ٢٧ مارس ١٩٣٥ أي بعد حوالي أربعة أشهر من ولادة حزب الدفاع الوطني . وقد كان هذا الحزب أيضا بمثابة امتداد لجماعة المجلسيين التي ولدت أيضا في أوائل العشرينات . ولم يزد الحزب العربي عن كونه التطور التنظيمي لهذه الجماعة الامر الذى سنوضحه عند حديثنا عن سير الحزبين في طريق التنظيم في الصفحات التالية .

هذا القانون الداخلي، وعلى الاخص القسم المختص بانشاء الفروع "حتى لا يأتي موعد اجتماع اللجنة (التنفيذية) التالي الا والفروع منشأة في كل قضاء (٨١)، واعتبر ذلك جزءا أساسيا من "الجهاد والتنظيم" (٨٢).

ومن الناحية الاخرى اعتبر القانون الاساسي العضوية مرتبطة جغرافيا بالفرع الذي يقيم فيه العضو وليس في مكان آخر. فقد ورد في المادة الاولى ما نصه "ان الدخول الى الحزب يقتضي الطالب أن يقدم طلبا خطيا الى الفرع الذي يقيم فيه كما أن العضو يحلف اليمين امام مجلس ادارة الفرع ويدفع رسم الدخول ويسجل بذلك عضوا للحزب "كما ورد أيضا في هذه المادة"، اذا غير العضو مكان اقامته أصبح تابعا لفرع المنطقة التي انتقل اليها (٨٣).

٢. جعل القانون الاساسي الفرع مفتوحا أمام الجميع بلا تمييز كما انه سمح بالتوسع في عدد أعضائه ويبدو أنه لم يكن هنالك شروط تحدد العضوية الا موافقة اللجنة التنفيذية للحزب. فقد ورد مثلا في القانون : "ان اللجنة التأسيسية للفرع تعد قوائم بأسماء الاشخاص الذين ترشحهم لعضوية الحزب في منطقتها وترسلها الى اللجنة التنفيذية، فان وافقت اللجنة التنفيذية عليها أمكن قبولها في الحزب (٨٤).

كما ورد في نفس القانون أنه في حالة وجود أعضاء جدد يريدون الانتساب الى الحزب، فان الحزب يفتح فروعا لهم بعد تأسيس "لجنة تأسيسية للفرع".

٣. تظهر للفرع بحسب نص القانون الاساسي ذاتية واستقلالية في حدود معينة. كما انه يمارس قسطا كبيرا من الديمقراطية في علاقة الاعضاء برئاسة الفرع وذلك من النواحي التالية :-

أ. يتولى الفرع اختيار مجلس ادارته والذي يتكون من : ستة افراد. فحسب نص القانون ينتخب (مجلس الادارة) الاعضاء من بينهم ومدته ثلاث سنوات كما ان هذا المجلس ينتخب من بين اعضائه رئيسا ونائبا للرئيس وسكرتيرا وأمينا للصندوق" (٨٥). ب. كما أن الجمعية العامة لكل فرع تجتمع مرة في السنة على الاقل بدعوة من مجلس ادارة الفرع ويدعى الى اجتماعها جميع الاعضاء المنتسبين الى الفرع ويقدم فيها بيان عن حالة فرع الحزب" (٨٦).

جـ. كما تظهر ذاتية الفرع وبروز ككيان مستقل يستطيع العيش على موارده الخاصة في تنظيمه لشؤونه المالية فلكل فرع صندوق خاص. ومجالس الادارة التي ترسل الى المركز العام لنفقات الحزب العامة "يظل الباقي في صندوقه وتحت كامل تصرفه (٨٧).

٢. البنـــاء العـــام للحـــزب

حرص القانون الاساسي على توضيح صلة الفرع ـ باعتباره الوحدة الاساسية من الناحية التنظيمية ـ بالفروع الاخرى واللجان الفرعية المنبثقة عنها من ناحية ،وصلته بالمركز العام للحزب وبالهيئات الاعلى منه في سلم القيادة، أو هيكلها ، من الناحية الاخرى ، كما أنه يوضح كيف ارتبطت الهيئات المختلفة للجسم الحزبي لتشكل الحزب كحزب أو كمؤسسة سياسية وهنا نلاحظ التالي :

١. تبني القانون التقسيمات الادارية لفلسطين بحسب الهرم التدريجي الذي وضعته الحكومة في فلسطين (ألوية ، اقضية ، نواح) . فقد اتخذ القانون نظام اللجان الفرعية على مستوى القرى ، والفروع على المدن (عواصم الاقضية) والمدن الاكبر منها (مراكز الالوية) ، وجميع هذه ترتبط بالمركز العام بالقدس فقد نصت المادة الرابعة في القانون الاساسي على ما يلي . " المركز العام للحزب في القدس وتؤسس له فروع في مدن فلسطين" وعن اللجان الفرعية نص القانون على أنه " يعتبر كل فرع مركز اللجان الفرعية الموجودة في منطقته ومرجعـــا لها (٨٨) .

٢. يأخذ البناء السياسي في مجمله شكلا ديمقراطيا فالتنظيم الهرمي (الذي يعبر عنه الشكل التوضيحي على هذه الصفحة) يحاول الموازنة بين السلطات الممنوحة لكل من العناصر الاساسية للتنظيم الهرمي .

مكتـــب الحـــزب

يشكـــلان المـــركز العـــام

اللجنـــة التنفيذية (تنتخب مكتب الحزب)

المؤتمـــــر (ينتخب اللجنة التنفيذية)

الفـــــــرع (الاعضاء في الفروع ينتخبون المؤتمر)

اللجنـــة الفرعية

فالمؤتمر يمثل القوة التشريعية واللجنة التنفيذية والمكتب يمثلان القوة التنفيذية ومع هذا فهنالك سلطة محلية بيد القادة المحليين للحزب في الفروع فهم يبرزون من القاعدة في الفرع نفسه كما مر معنا عن طريق الانتخاب (انظر ما سبق ص ١٢٨) .

٣. اتخذت العلاقة بين اللجان الفرعية في الحزب العربي (وهي الفروع الصغيرة في القرى) مع الفروع في المدن الشكل العمودي أو المركزي. فقد نص القانون الداخلي للحزب (المادة ١٧) على أنه "يعتبر كل فرع مركزا للجان الفرعية في منطقته (٩٠)" فلا يحق للجان الفرعية على هذا الاساس أن تقيم علاقات أفقية فيما بينها على مستوى القرى، وانما يتم لقاء المندوبين عن هذه الفروع في المركز الاقليمي (القضاء) لهذه القرى. كما أن مندوبي الاقضية لا يلتقون مع بعضهم الا في المؤتمر العام للحزب اذ لا يتم بينهم لقاءات أفقية على المستوى المحلي وارتباط العضو على هذا الاساس ـ وكما مر معنا ـ بمنطقته فقط. ويؤكد هذه الرابطة العمودية أيضا ما نصت عليه المادة التاسعة تحت عنوان "تنظيم الحزب": "تنظيم دوائر الحزب على أساس المركزية".

كما أن اللجان الفرعية وهي الحلقة الدنيا في التنظيم يجب الموافقة عليها من قبل الفرع واللجنة التنفيذية "تؤلف اللجان الفرعية في القرى ويختار أعضاؤها بناء على تنسيب الفروع وترشيحها وقرار اللجنة التنفيذية (٩٢) وهكذا نجد أن التنظيم العمودي يسير في الممارسات اليومية على هذا الشكل: اللجنة الفرعية ـ الفرع ـ المركز العام وبالعكس. ولعل ما قصد اليه قانون الحزب العربي في اعتماد النظام العمودي هو حصر الاعضاء بعضهم ببعض في مستويات محدودة أو مفيدة: اللجنة الفرعية والفرع والمركز العام. ولهذا النمط من التنظيم فوائد عديدة: فهو من ناحية يساعد في سيطرة المركز على الفروع واللجان الفرعية، كما أنه من ناحية أخرى يساعد على ضمان الوحدة والتجانس في الحزب. وهو أمر كان يسعى اليه الحزب طوال الوقت. وكان هدفا أساسيا من أهداف تكوينه (أنظر فيما سبق ص ١١٤) منعا للتشرذم والانشقاق. ورغبة في اختيار العناصر العضوية ذات الميول الوطنية الحقيقية. فالارتباط العمودي بالمركز على أساس من المركزية الصحيحة أو القوية يجعل التوجيه من قبل المركز... كما أن كل الردود تصل الى المركز عبر الخط الهرمي وبهذا تتسق دائرة الحزب صعودا ونزولا، فاعدة وقمة. وتتم الدورة الحزبية كاملة وتصبح الصلة بالقيادة من قبل القاعدة صلة دقيقة وفعالة... والعكس صحيح.

٤. وأزن الدستور في الحزب العربي بين الديمقراطية والمركزية. فهنالك مستويات من المركزية الواحد أو توقراطي بمعنى أن تتخذ القرارات

النهائية على مستوى القمة ، والاخر ديمقراطي ، بمعنى أن تأخذ القمة رأى القواعد وتبقى على صلة بها أو معها ، لا سيما وأنها هي ـ أى القواعد ـ التي ستتولى التطبيق أو التنفيذ وتتم هذه الناحية عن طريق المؤتمرات الدورية .

وعلى هذا نجد أن القادة المحليين قادة الفروع بالرغم من انتخابهم من القاعدة الا أن مسؤوليتهم في الامور العامة للحزب ، أمام المستويات القيادية الاعلى منهم وليس أمام منتدبيهم أو منتخبيهم وتقتصر مهمتهم بالنسبة للقواعد على أن ينقلوا بدقة الى المستويات العليا آراءهم وردود أفعالهم ، ومن ناحية أخرى أن يوضحوا للقواعد الاسباب التي ادت الى اتخاذ قرارات المركز . فقد جاء في المادة الرابعة عشرة عن مسؤولية الفرع ما نصه " الفروع مسؤولة أمام اللجنةالتنفيذية ، وهي تسير وفقا للقرارات والتعليمات الصادرة اليها من اللجنة التنفيذية للحزب ومكتب الحزب " (٩٣) .

كما جاء في المادة الثانية عشرة من القانون الداخلي ما نصه " اذا صدر من أحد الفروع أو من احدى اللجان الفرعية خروج على مبادئ الحزب أو خططه المقررة أوأى عمل من شأنه الاضرار بالحزب فان للجنة التنفيذية الحق في انذاره أو توقيفه أو الغائه وحل مجلس ادارته بحسب ما ترى لمعالجة الموقف وفي حالة حل الادارة يحق للجنة التنفيذية أن تعتمد لجنة مؤقتة لادارة الفرع الى أن يجرى انتخاب المجلس الجديد " (٩٤) .

كما ورد في المادة التاسعة عشرة ما نصه " للجنة التنفيذية عند الحاجة أن تفرض على الفروع مبالغ اضافية تقدمها لنفقات الحزب العام " (٩٥) .

القيـــــادة

طرق اختيارها وصلاحياتها : يوضح القانون الاساسي طرق اختيار القيادة على أساس هرمي يبدأ من القاعدة وبطريقة تدريجية أو تدرجية صعودا حتى اختيار الرئيس العام للحزب على أن تجرى هذه الانتخابات بطريقة ديمقراطية . فاعضاء الحزب في الفروع ينتخبون المؤتمر " وهو اجتماع تمثيلي واسع يشمل أعضاء الحزب وفروعه ، ومهمة هذا المؤتمر النظر في الشؤون الرئيسية ويعقد كل ثلاث سنوات مرة " (٩٦) .

والمؤتمر بدوره ينتخب الهيئة الاعلى منه في سلم القيادة وهي اللجنة التنفيذية . فقد ذكرت المادة الثالثة في القانون الداخلي ما نصه وهي (أى اللجنة التنفيذية) هيئة مركزية ينتخبها مؤتمر الحزب ويراعى فيها تمثيل

الفروع. وهي كما يظهر من القانون تمارس السلطة الاساسية في تسيير شؤون الحزب . تمثله وتتولى قيادته وادارة شؤونه فيما يطرأ من شؤون رئيسية لم يفصل فيها المؤتمر " (٩٧).

واللجنة التنفيذية ، تتولى أيضا بدورها ، انتخاب الهيئة الاعلى منها أي مكتب الحزب الذي هو " ادارة مركزية سؤوله تقوم بأعمال الحزب اليومية وتخلف اللجنة التنفيذية في قيادة الحزب أثناء عطلها " . ولكنه مع ذلك لا يقرر في الامور الرئيسية ، فاذا طرأ امر هام تركه للجنة التنفيذية تنظر فيه عند انعقادها فاذا كان الامر يقضي الاسراع دعاها الى اجتماع اضافي . وعلى أية حال فقد حددت المادة التاسعة في القانون الداخلي مهمات المكتب بأنه" هو الذي يحفظ وينظم أوراق الحزب وملفاته ووثائقه وعليه أن يعد مشروع الميزانية السنوية للمركز العام ويقدمها للجنة التنفيذية (٩٨).

ثالثا : العضـــــــوية :

شروطها ومفهومها: . يزودنا القانون الاساسي للحزب العربي ونظامه الداخلي بشروط أساسية للعضوية .

١ أن يكون هنالك طلب خطي ممهور بتوقيع مقدمه " يقدم طالب الدخول طلبا خطيا بتوقيعه (٩٩).

٢. يرتبط القبول للعضوية في الحزب بموافقة الفرع أولا، اذ أن القبول كما يظهر من القانون حق أو صلاحية من صلاحيات الفرع أولا واللجنة التنفيذية بعد ذلك . وللفرع أن يوافق على دخوله أولا أو لا يوافق وفي حالة موافقة الفرع يقدم اسمه الى اللجنة التنفيذية ، فان وافقت أمكن قبوله عضوا في الحزب (١٠٠) وهذا التشدد الظاهر في قانون الحزب العربي في القبول للعضوية وجعله على مرحلتين أو مرحلتين بدلا من مرحلة واحدة عائد الى أن الحزب حرص من البداية على اختيار أعضائه بدقة وما اشتراط موافقة اللجنة التنفيذية الا زيادة في الاحتياط. ونحن نلمس من أدب الحزب في هذه الفترة التأسيسية أن الحزب طرح فكرة الصفوة أو النخبة الوطنية كما طرح فكرة التجانس والاندماج الوطني وذلك حرصا على تطهير صفوفه من الجواسيس ، ووضع حد لساسة الترقيع التي كان من حرائها مداراة الخونة والسماسرة والنفعيين

والموصليين وأعوان المستعمرين والصهيونيين وكل ذى لوثة ومعرة (١٠١).

٣. أن يحلف العضو اليمين ، وهو اجراء المقصود منه كما يظهر زيادة توكيد العضوية واعطاء الرابطة معنى أكثر التزاما من الناحية الادبية ، بالاضافة الى الناحية القانونية .فعلى العضو العامل فيالحزب العربي أن يقسم اليمين التالي : "الحرية حقي والاستقلال غايتي والعربية مبدأى وفلسطين بلادى وليس لغير العربية فيها مقام . وبهذا آمنت وعلى الاخلاص لمبادئ الحزب العربي الفلسطيني المنطوية لهذه المبادئ الشريفة أقسمت . على ذلك عهد الله وميثاقه والله على ما أقـــول شهيد " (١٠٢).

ثالثا : الشـــروط التعاقديـــة :

هنالك شروط أخرى بالاضافة الى شروط القبول السابقة اشترطها الحزب وسماها شروطا تعاقدية . وهذه الشروط هي :-

١ أن يكون العضـو عربيـا.

٢. أن يلتزم العضو بمبادئ الحزب ويعمل لصالحه فلا "يخرج عن مبادئ الحزب وأن لا يأتي ما من شانه الاضرار بالحزب وأن لا يقوم بعمل باسم الحزب من غير تفويض من الدائرة المختصة (١٠٣).

رابعـا : دفـــع الـــرسوم :

وهنا نجد أن القانون يفرض على العضو :-

١. دفع رسم دخول على أن لا يقل عن مائة مل (١٠٤).

٢. دفع الرسوم شهريا وليس سنويا على أن لا يقل عن ٢٠ مل (١٠٥).

٣. أهمية دفع الرسوم لان " مالية الحزب تتكون من الرسوم والاشتراكات التي يدفعها أعضاؤها والتبرعات التي يقدمها انصاره وما الى ذلك من الموارد الشريفـة (١٠٦).

قيـادة كل من الحزبيـن

ظهورهـا وشخصياتها وسلطاتها

عقد المعارضون مؤتمرهم الاول الذى انبثق عنه حزب الدفاع الوطني بصورة رسمية في ٢ ديسمبر ١٩٣٤ . كما عقد المجلسيون مؤتمرهم الاول الذى انبثق عنه الحزب العربي في ٢٧ مارس ١٩٣٥ .

١. مؤتمر حـزب الدفاع ، ٢ ديسمبر ١٩٣٤ .

ليس لدينا مادة مصدرية كبيرة عن هذا المؤتمر ، اللهم الا انه سبقه اجتماع عام للجنة التحضيرية للمعارضة في ٤ نوفمبر ، في مدينة يافا ، اقر فيه تسمية الحزب باسم " حزب الدفاع الوطني " (١٠٧) . والا انه (أى المؤتمر) انعقد في يافا في سينما أبو للو ، وان عدد الحضور فيه كما أوردته جريدة فلسطين المؤيدة للحزب ، بلغ ستمائة شخص . وقد كان راغب النشاشيبي والحاج نمر النابلسي واسعد الشقيرى خطباء هذا المؤتمر (١٠٨) . وأما عن اختيار قيادة الحزب ، وكيف تم ، فانه ليس لدينا من معلومات تبين طريقة الاختيار وقد اكتفى تقرير السلطة بذكر أنه تم اختيار الرئيس : راغب النشاشيبي ، ونائبه : يعقوب فراج . ولم يورد أى شيء عن اختيار القادة الاخرين (١٠٩) . وهذا ما يجعلنا نميل الى ترجيح أن اختيار هذين الزعيمين لم يتم بطريق الانتخاب وانما عن طريق التزكية والمبايعة المطلقة .

وأما بالنسبة للقيادات الاخرى فعلى ما يظهر أن حزب الدفاع تبنى السلم الهرمي في توزيع جهازه القيادى بما يشابه ما جاء في القانون الاساسي للحزب العربي . فكما أن في قاعدة الهرم في الحزب العربي تقع الفروع ، فانه لدينا قاعدة مماثلة في حزب الدفاع . وكما يتلو الفرع في سلم السلطة الحزبية المؤتمر فان لدينا في حزب الدفاع ما يسمى "الهيئة العامة للحزب" . كما أن اللجنة التنفيذية في الحزب العربي يقابلها الهيئة المركزية في حزب الدفاع . كما أن مكتب الحزب في تنظيم الحزب العربي يأخذ ايضا نفس التسمية في سلم المسؤولية الحزبية الهرمية في حزب الدفاع . وهكذا يطرد الحال بالنسبة لقمة الهرم القيادى : الرئيس ونائبه في الحزبين .

ومهما يكن من امر فلم يكن راغب النشاشيبي ولا نائبه يعقوب فراج هما القائدان الوحيدان الفعليان ان صح القول. كما أن الهرمية الحزبية بمؤسساتها التي اشرنا اليها آنفا لم تمارس شؤون القيادة بصورة منتظمة او على أساس المؤسسة الحزبية ، فراغب النشاشيبي الذى كان قد كبر في السن وأصبح محطما قديما كما وصفه المندوب السامي ماكمايكل ، لم يكن يملك الطاقة على القيادة (١١٠) ، ولا الديناميكية الواجبة لمثل هذه المهمة. ومع هذا فقد احتفظ بما له من تأثير ونفوذ ووجاهة بالقيادة الرسمية أو الواجهة العلنية للحزب ومهما يكن من امر ، فان ما لدينا من مادة مصدرية من تقارير وشواهد ، تصف راغب النشاشيبي بانه " لا يوثق به كما أنه ليس من السهل تجاوزه (١١١) . كما تصفه بعض المراجع بانه يفسد الادارة ويتناول الرشوة " فقد استبقى بعض التقاليد الوظيفية مثل الرشوة والمحسوبية ولكن ضمن حدود " (١١٢) ـ كما تعكس بعض المراجع الاخرى بعضا من صفات راغب الشخصية " فهو رجل دنيا ، مرح ، وكلبي النزعة ، كما أنه لا يخلو من التعصب " (١١٣) . وعلى ما يظهر فان راغب لم يكن يخلو من روح الانتهازية وحب الوصول من أقرب السبل. يقول الدكتور الخالدى " راغب مشهور باغتنام الفرص وتوريط أخصامه . ولم تكن اليافطة الحميلة والموضوعة في مكان بارز من أركان مكتبه تقول الا "اذا هبت رياحك فاغتنمها (١١٤) .

وأما يعقوب فراج وهو مسيحي من أصل أرثوذكسي عمل سنوات طويلة نائبا لرئيس بلدية القدس وكان وكيلا لاملاك الكنيسة الارثوذكسية فتصفه التقارير بانه " رجل يظفر باحترام كبير من أجل نزاهته ولكنه ليس قائدا (١١٥) . ومن شارك ايضا في قيادة الحزب مفتي معتم ، الذى عمل سكرتيرا للحزب وتصفه المصادر بانه محام مسيحي موهوب من أصل سورى وكان منظما قديرا" (١١٦) . السكرتير الاخر للحزب فقد كان حسن صدقي الدجاني ، وهو محام من القدس ، قدير وذو عقلية سياسية ، تتهمه المصادر الانجليزية بأنه ذو ميول فرنسية ، كما أنه ارتبط بصداقة مع الامير عبد الله (١١٧) .

ويبدو أن الشخصية الاولى التي مارست نفوذا حقيقيا في الحزب أكثر من أي شخص آخر ـ وبصورة خاصة من الناحية التنظيمية ـ كانت فخرى النشاشيبي الذى عمل ايضا سكرتيرا للحزب من الناحية الرسمية ولكن يصفه نجيب صدقة

بانه " قائد حقيقي (١١٨) . كما وصفه المندوب السامي "بانه أكثر أعضائه (أي الحزب) طاقة وهو شاب ويكرس طاقاته جميعها لمصالحه الخاصة (١١٩) .

ونستوقفنا شخصية فخري النشاشيبي كقائد فعلي لهذا الحزب من نواح عديدة : أنها شخصية متقلبة وقلقة . فبينما هو متطرف وموغل في المواقف الوطنية تصفه جريدة فلسطين فتقول " يرتدي رداء الوطنية المتطرفة " (١٢٠) . ويشهد على ذلك موقفه من ثورة ١٩٣٦ ومشاركته فيها بعنف حتى دخل من أجل ذلك المعتقل ،ونجده من ناحية أخرى يميل الى الاعتدال الى درجة الاستخذاء ، وليس ذلك فقط وانما يقف من الثورة ـ في مرحلتها الثانية ـ موقف المعارض لها الدرجة انه يصبح زعيم الثورة المضادة وقائد فرق السلام التي تحارب الثوار والثوار ـ ولعل هذا التناقض في شخصية فخري يجد تفسيره في أنه تميز بين جميع أركان حزب الدفاع بتحزبه العنيف الذي وصل الى درجة الحقد الشخصي على المفتي بصورة خاصة ، والحسينيين بصورة عامة . ومن هنا فانه لم يتوان عن استخدام أي اسلوب ـ مهما كان تقييمه من النواحي الوطنية ـ من أجل محاربة الخصوم . ففي حين أنه كان بين اوائل الشباب الفلسطينيين مشاركة بالعمل السياسي (١٢١) ولعب دورا رئيسا في تنظيم الحزب الوطني (أول أحزاب المعارضة ظهورا وسلف حزب الدفاع (١٢٢) لدرجة أنه لجأ الى كالفرسكي (١٢٣) للحصول على العون المادي لترسيخ أقدام هذا الحزب . كان هو نفسه أيضا الذي اتفقت جميع المصادر على أنه أثناء خصومته مع الحسينيين خلال المرحلة الثانية من الثورة ، كان يتلقى العون المادي من اليهود فقد قال احد تقارير المندوب السامي ـ ضمن تقارير أخرى تؤكد هذه الناحية ما نصه " ليس هنالك أدنى شك في أن فخري يرتشي من قبل اليهود (١٢٤) .

وهنالك أدلة من مصادر رسمية على أن فخري كان بالاضافة الى كونه يتمتع بديناميكية وطاقة كبرى ، الذي عرض به عن ضعف امكانياته القيادية (تصفه التقارير بانه متوسط الذكاء) (١٢٥) كان يمتاز بطموح لا حدود له . طموح لا يجعله يحلل أو يحرم أي شيء في سبيل مصلحته الخاصة . فهو لا يتوانى عن التآمر على عمه والتفكير في شق الحزب وتكوين حزب تحت قيادته هو بالاتفاق مع الامير عبد الله (١٢٦) من أجل اشباع رغبة الوجاهة والزعامة . وتظهر الشواهد أيضا أن فخري تمكن من ضم عدد ليس بقليل من مراكز الثقل الاساسية للحزب

لصفه . ونجد من بين أنصاره في الحزب بعض أفراد عائلة الشوا ،ومن بين هؤلاء زعيمهم عادل الشوا الذي يصفه عارف العارف في مذكراته بأنه " من أخلص أصدقاء فخري المنشق على الامة (١٢٧) وآل البيطار ومن بين هؤلاء بالذات عبد الرؤوف البيطار الذي تصفه المصادر الانجليزية بأنه يد فخري اليمنى (١٢٨) .

وتبدو في ممارسات فخري لسلطته القيادية في حزب الدفاع مقدرته على توظيف صلاته الاجتماعية ، وبخاصة في الاعضاء البارزين في الحزب وفي الحكومة ؛ " فخري ذكي وواسع الاطلاع في الحياة الاجتماعية . وقد أصبح ذا شخصية عالية وكثر المعجبون به كما كثر كارهوه ، وفخري هو المستشار الوحيد للحكومة بين العرب في هذه الايام (١٢٩) .

٢. مؤتمر الحزب العربي ٢٧ مارس ١٩٣٥.

تفيدنا المادة المصدرية عن مؤتمر الحزب العربي الاول أن قيادة الحزب أو لجنته التحضيرية لم تلتزم تماما بنص القانون الاساسي من حيث اختيار القيادة بطريقة تدريجية من القاعدة الى القمة عن طريق الانتخابات المباشرة. فهذا المؤتمر كان المؤتمر الوحيد الذي انعقد ولم يعقد بعده ــ باعتباره المؤتمر الاول ــ مؤتمرا آخر يستدرك ما فاته من عدم الاخذ بأسلوب الانتخاب المباشر . ليس هذا فقط بل أن وقائع المؤتمر ، تظهر أن الامور أخرجت أو خرجت بطريقة يظهر معها التدبير المسبق ، وأنه خلافا لمبادئ قانون الحزب ان عملية الاختيار قد تمت من قبل الاركان الفعليين للجماعة المجلسية من خلال المقابلات والاجتماعات التحضيرية . وان المؤتمر كان تتويجا لامور سبق الاتفاق عليها . وقد تجلت هذه النواحي في ما يلي :ــ

١. لم يتم انتخاب المؤتمر ــ كما تكشف المصادر ــ من قبل القواعد . فالقواعد لم تكن وجدت بعد ، لان تأسيس الفروع بدأ بعد المؤتمر وليس قبله . والظاهر أن عناصر هذا المؤتمر جمعت تجميعا من الانصار والمؤيدين . حقا لقد كان لهم بعض الصفة التمثيلية ، فاغلبهم من الوجهاء أو رؤساء الاسر والطوائف ولكن ليس التمثيل القائم على اساس انتخابي . وتعدد الجامعة العربية خلفيات المؤتمرين على النحو التالي : " زاد عدد الحضور عن الف وخمسمائة شخص من زعماء البلاد ورجالاتها المخلصين وأصحاب الفضيلة العلماء والطبقات المستنيرة

من أطباء ومحامين وأساتذة ورؤساء العشائر ومشايخ القبائل بسيوفهم الطويلة وشيوخ القرى والوجوه وكبار التجار ورؤساء الحارة وكان الكل ممن لم يتدنسوا بأعمال الخيانة ومن المتجانسين في البعد والعقيدة الذين يرجى منهم الخير للبلاد " (١٢٩) ويؤيد الغوري هذا القول ويضيف الى الخلفيات الاجتماعية : عنصر الشباب الجدد " (١٣٠) .

٢ . عقد المؤتمر في القدس القاعدة الاساسية لنفوذ الحسينيين وحيث يسهل تجميع الانصار كما أشرف على تسيير وتنظيم المؤتمر لجنة من أنصار الزعامة الحسينية والمجلسية " وكان حضرات الاساتذةالوطنيين الافاضل اسحق درويش وصفوت أفندي الحسيني وعبدالله أفندي سمارة وعارف أفندي الجاعوني وغيرهم من الفضلاء يستقبلون المدعوين " (١٣٢) ولعله ليس بلا معزى ان هذا الترتيب لم يغب عن جريدة فلسطين مما جعلها تكتب " وليس صحيحا أن اجتماع الفندق (أي المؤتمر) أضاف الى تحقيق رغبة الامة بدعة استبدال نظام سياسي قديم آخر جديد يكفل لها الجدة في العمل ، والصحيح في ذلك أن الاجتماع حقق بقاء القديم على قدمه ، كما عرفت منذ سنين وفي الصورة التي يقضيها كل البغض ونفرت منها أشد النفور ، وكل ما جرى في اجتماع الفندق هو سوق الانصار والاعوان ومأموري الاوقاف ليقيموا للحسينيين رئيسا جديدا مكان الراحل الجليل وليرسلوا جمال مرة أخرى الى لندن حاملا لقبة الجديد " (١٣٣) .

٣. كما أن عملية اختيار الرئيس ـ بحسب ما تصفها الجامعة العربية ـ والتي تمت في مؤتمر الحزب تكشف الكثير من التجاوز لاصول الديمقراطية وحرية الاختيار . فلم يتم الانتخاب عن طريق أوراق سرية مختومة ـ على سبيل المثال ولم يأخذالتصويت حتى شكلا أقل ديمقراطية من رفع الايدي بل أن المؤتمرين وضعوا أمام هذا السؤال من أجل اختيار رئيس الحزب " اذا كان أحد يعارض " (١٣٤) مما جعل عملية الاختيار لا تأخذ الشكل القانوني وكما يفترض قانون الحزب (أنظرفيما سبق ص ١٣٣ ـ ١٣٤) بل أننا لنستطيع الاستنتاج من وصف الجامعة العربية لوقائع الاجتماع مدى الديماغوجية التي سيطرت على المؤتمرين في اختيار الرئيس فقد ذكرت التالي : " وهنا أعلن الاستاذ اميل الغوري اقتراح الرئيس المؤقت بانتخاب الاستاذ جمال الحسيني الى رئاسة المؤتمر . واذا كان أحد يعارض في ذلك فارتفعت الاصوات تقول موافق موافق .

وبين عاصفة من التصفيق انتخب الاستاذ جمال الحسيني لرئاسة المؤتمر فاعتلى حضرته المنصة وجلس في كرسي الرئاسة . ثم وقف السيد يوسف بك ضيا واقترح أنه بمنتخب الوطني الكبير الفرد روك نائبا للرئيس فوافق الاخرون بالاجماع . وأعلن حضرته نائبا للرئيس وسط عاصفة من التصفيق واعتلى حضرته المنصة وجلس الى جانب الرئيس (١٣٥) .

٤ كما أنه ليس لدينا ما يدل على أن اختيار بقية الهيئات القيادية تم بطريقة أفضل . بل أن هنالك معارضة صريحة (نص القانون الاساسي النظام الداخلي في طريقة اختيار المكتب للرئيس ، الذي من المفروض أن تنتخبه اللجنة التنفيذية كما مر معنا ، ولكن الذي جرى أنه اختير من قبل أفراد المؤتمر جميعهم اختار المؤتمر بالاجماع الفردروك (يافا) نائبا للرئيس وأميل الغوري (القدس) سكرتيرا عاما وخالد الفرح وكامل الدجاني (يافا) ووجيه المشاوي (نابلس) أعضاء في هيئة المكتب (١٣٩) بل أن أميل الغوري ليذكر ما يفيد بأن اللجنة التنفيذية ـ وهي من الناحية النظرية وحسب النظام الداخلي للحزب أقوى سلطة هرمية للحزب ـ كانت هي نفسها اللجنة التحضيرية (١٣٧) وأنها لم تنتخب من المؤتمر ، كما هو الامر البديهي . بل أكثر من ذلك يذكر الغوري أن اللجنة التحضيرية هي التي اختارت جمالا رئيسا للحـــزب قبـــل انعقـــاد المؤتمر (١٣٨) .

ونحن اذا علمنا أن هذا المؤتمر أقر في جلسته التاريخية هذه دستور الحزب وكون كوادره التنفيذية وسكرتيريته (١٣٩) على هذا الوجه الذي لا يخلو من كثير من التلفيق والاصطناع وسياسة تمشية الحال ، ندرك أن عملية الاختيار للقيادة أو الموافقة على أساسيات تكوين الحزب كالدستور انما تمت بدون تمثيل . وأن مبادئ الحزب كانت ضربا من الامنيات ولم تزد أحيانا كثيرة عن كونها حبرا على ورق .

بل أن المتعمق في دراسة القيادات الفعلية للحزبين العربي والدفاع ، يدرك أن وراء المظاهر الانتخابية تختفي حقائق أساسية قوامها أن القيادة في أغلب الاحيان كانت فردية أوتوقراطية أو أنها تشمل فقط أقلية من النخبة (أوليجاركية) وأنها مارست درجات متفاوتة من السلطة الفردية والسبب في هذه الظاهرة يعود الى ناحيتين :ـ

١. طبيعة الاشياء في أن القوة أو النفوذ تمارسه في الغالب فئة محدودة أو اقلية.يقول دوفرجية " السلطة دائما للاقلية" (١٤٩).

٢. تفوقت في الحزبين الروابط الشخصية والعائلية والاقليمية . ولعل أقرب تعريف ينطبق عليها كأحزاب هو تعريف رجينز للاحزاب في العالم الثالث ، أو ما يسميه حزب الشلة " clique " الذى يعرفه على الوجه التالي :-

" أن الافراد القياديين(الزعماء) يكون لديهم أو حولهم شلل يتبعون زعماء شخصيين بسبب الروابط العائلية والامل الاقليمي المشترك ، والمشاركة في التجارب السياسية الحزبية ، وبعض القرابة أو الصلة العميقة والاحزاب ليست اكثر بكثير من تجمعات من الاتباع الشخصيين يجمعهم بصورة مؤقته هدف سياسي: المطالبة بالاستقـــلال " (١٤١).

وعلى هذا لا يستغرب الدارس للقيادة في الحزب العربي أن يجد نوعا من الازدواج بين القيادة المنتخبة (ظاهرا) والتي برزت في المؤتمر وبين القيادة الحقيقية . ولعلنا لا نستطيع أن نوفي القيادة حقها اذا وصفناها بالازدواجية . فنحن في حقيقة الامر امام فئات من القيادات الرسمية (أوالاسمية) والقيادات الفعلية ، والقيادات الظاهرة المعروفة والقيادات الباطنة المستترة ، ووراء هذه التعميمات تختفي انماط من الحلقات الداخلية أو مراكز القوى والقوى الضاغطة التي مارست ألوانا شتى من السلطة والمناورة بحسب مواقعها وقربها أو بعدها من الزعيم أو القائد ولكننا سنكتفي بمثل واضح عليها ــ توضحها امثلة اخرى ــ سترد في سياق هذه الدراسة عن القيادة . فالقيادة الاسمية والقيادة الفعلية تتمثل في نموذجين : النموذج الاول هو جمال الحسيني ، الذى على الرغم من تعرسة الكبير في قيادة الحركة الوطنية اذ عمل سكرتيرا للجنة التنفيذية منذ اوائل الانتداب ، بل ظل احدى الشخصيات المؤثرة فيها والمدير الحقيقي لاعمالها اليومية (١٤٢) وبالرغم ايضا من اعتداده بنفسه وما تكشفه الوثائق من قوة شخصيته ومواقفه التي كانت تتسم في الغالب بالصلابة والعنف (انظر الباب الثالث عن مواقف جمال الحسيني وبخاصة في لقاءاته مع المندوب السامي) وما اشتهر به من كونه " المجاهد الكبير" لم يستطع أن يحتل منصب المتصرف في قيادة الحزب ، رغم أنه كان كذلك من الناحية الرسمية ، وانما تولى الهيمنة الفعلية والسيطرة الحقيقية على مقدرات الحزب ، وفقا لسياسته ،

ومن موقعه كزعيم ، الحاج أمين الحسيني ، ولم يزد جمال الحسيني عن كونه القائد الاسمي للحزب (١٤٣) فالحاج أمين لم يشأ أن يفقد امتيازه ومكانته باعتباره رئيس المسلمين جميعا ـ بصفته رئيس المجلس الاسلامي الاعلى ـ وزعيم عرب فلسطين عموما (انظر في ماسبق ص٥٧) ليصبح رئيسا لفئة من عرب فلسطين ، ممثلة في حزب مهما كان هذا الحزب . كما أن سياسة المفتي ـ ومنذ وقت مبكر ـ كانت تنكمش في عدم البروز على المسرح السياسي وايثار العمل المستتر . يقول الخالدي : " لم يكن سماحة الحاج أمين الحسيني يظهر على المسرح السياسي في نادي الامر لمقامه ، الديني ، ومع ذلك لا ينكر ما كان له من النفوذ المستتر في ذلك الحين وهو لا يزال في سن الشباب المبكر (١٤٤) ويعزو عزة دروزة عدم رغبة المفتي في البروز على المسرح السياسي بأنه لم يكن يريد الصدام مع الانكليز (١٤٥) . وبالرغم من هذين العاملين عامل الترفع وعامل ايثار الاستتار فان الحاج أمين كان القائد الفعلي للحزب كما تدل جميع الاحداث والقرائن وكما سيظهر معنا واضحا عند معارضات كل من الحزبين الباقين الثالث والرابع . بل أكثر من ذلك فقد نسب الحزب العربي بحملته الى المفتي فقيل عنه " حزب المفتي " يقول الغوري " كان الحزب العربي يعرف عند الجميع بحزب المفتي " ويؤيده في ذلك كثير من المؤرخين (١٤٩) .

من هذا الموقع في قيادة الحزب مارس المفتي سلطة كبيرة لا حدود لها . بحيث أصبحت شخصيته مؤسسة بذاتها فوق المؤسسة الحزبية . وهذا ما يجعلنا ندخل في الجانب الشخصي للسلطة الحزبية . ونحن هنا ازاء مثل فريد من نوعه في تاريخ فلسطين ، وقليلة هي الشخصيات الشبيهة به في تاريخ الشرق الاوسط أو العالم الثالث . وقد لا نتجاوز الحقيقة اذا قلنا العالم أجمع . هذا المثل يتضح في شخصية نالت من السلطة والنفوذ أكثر مما يناله رئيس الحزب ، ووصل تأثيرها الى الجماهير العريضة ، حزبية وغير حزبية ، وتفننت بحبها فترة غير قصيرة .

وفي حقيقة الحال لقد تجاوزت شخصية الحاج أمين المعروف والمتآلف عليه من الشخصيات لتدخل حيز الشخصيات الكبرى ذات الرسالة الشخصية التي ترمز الى آمال جيل ، الشخصية التي تترسب حولها طموحات أمة ، والتي تحلم بها كوسيلة انقاذ ، شبيهة بذلك النمط الذي يتحدث عنه ريجنز ويسميه "المنقذ والمخلص " . والذي كما يقول عنه تتطلبه " الطبيعة البشرية .. التي تحتاج

البطل من أجل أن تمجده أو تعبده من أجل أن تنجح " ويستشهد على هذه الشخصية المنقذة ، بالمسيح المنتظر ، يقول أحدهم عن الدكتور باندا أحد زعماء أفريقيا : " أن شهرة الدكتور باندا ينبغي أن تبني ... وينبغي أن لا يصيبه الدعر اذا أطلق عليه المسيح السياسي ... فان الشهرة التي تأتي عن هذا الطريق ينبغي أن تستغل كشيء مفيد " (١٤٧) ، ومع هذا فانه نستوقفنا شخصية المغني كقائد حزب أو بالاحرى كقائد لامة وتتيح لنا المادة المصدرية المتوفرة عنه دراسة خصائص " cult " قائد تستحق الدراسة .

أول ما يطالعنا في هذه الشخصية أنها شخصية ينطبق عليها تعريف الكاريسما كما يراها ماكس ويبر والتي تقول إن الشخصية ذات الكاريسما : تمارس جاذبية طاغية ، وتجمع حولها عددا كبيرا من الاتباع " كما أنه يصف الكاريسما بأنها " ليست عقلانية وليست تقليدية كما أنها ليست بروقراطية ايضا . أنها صفة معينة عن صفات شخصية معينة ، والتي بعضها لايعامل صاحبها باعتباره انسانا عاديا . بل يعامل على أنه يمتلك صفات غير عادية وهذه الصفات ليس بمقدور الانسان العادي أن يتوصل اليها ، ولكنها تعتبر من أصل مقدس ، أو مثالي . وعلى أساس منها يعامل الانسان المعني كزعيم . والكاريسما بمعناها البحت تستحيل على الاعتبارات الاقتصادية . وعند ظهور هذه الكاريسما فانها تشكل " نداء " بأجلى مظاهر الكلمة وأعمق معانيها ، او أنها " رسالة " (١٤٨) والدارس لهذه الشخصية الكاريسمية للمغني يستوقفه منها التالي :-

١. مجموعة من الصفات الشخصية تؤهله للقيادة أو الزعامة . فهو منذ صغره يتسم بالذكاء والبراعة في القيادة وحسن التصرف (١٤٩) . كما أن الحاج أمين الحسيني كما تشهد بذلك مصادر كثيرة ، كان يتميز بجاذبية وسحر شخصية كبيرين ، يصفه سايكس فيقول : " أنه ذو شخصية ذات تأثير كبير عندما تلتقي معها . ولديه سحر يعدي ، وهو وسيم جدا رغم ضآلة قامته ، شرقي الشرقيين ، لم يلبس الملابس الاوروبية ، ولكنه ارتدى الرداء الوحيد لعالم مسلم ولم يعرف عنه أنه يومئ أو يرفع صوته . لقد كان يجعل الاخرين يحسون حياله بأنهم عوام اذا قيسوا به (١٥٠) كما تثني على ذلك تقرير سري يقوله "أن لديه قسطا كبيرا من سحر الشخصية (١٥١) ويصف عزة دروزة لبسه العمامة بأنها "تاج العرب " (١٥٢) ، بل أن أكثر من ذلك فانه يبدو أنه كان يتمتع بجاذبية روحية

بجذب الرجل العادي ولا بنجو من تأثيرها المثقف أيضا ، (كان جورج أنطونيوس يعتقد أن المفتي قديس (١٥٣)) ، وكما يهيم بها أيضا الفلاح في كوخه وورا محراثه ولقد تضخمت أسطورة الحاج أمين الحسيني وتأثيره على محدثيه وجماهيره ؛ فنظرته (السحرية) تحول الاعداء الى أصدقاء ، والانصار الى مجاهدين ومناضلين ، يفتدون الحاج أمين . لم يكن يركن المفتي الى المكونات الطبيعية أو الفطرية في شخصيته بل عمل جاهدا على تطوير قدراته وواصل الجهود المكثفة لتحقيق أغراضه فهو من النوع الهادف في تصرفاته ، الذي يبيت الليل ساهرا ، ويصل الليل بالنهار ، في سبيل تحقيق هذه الاهداف ، وبمجرد أن يتضح له الهدف المنشود يتحول كيانه كله الى آلة مسخرة لتحقيق هذا الهدف ، يتمام ويقوم عليه حتى يحققه مهما كانت التكاليف (١٥٤) . ثم أنه كتوم عامل بصمت يخفي تصرفاته ، يمتاز بالغموض الذي يخفي فاعلية كبيرة . ولعل من هنا رسمت له المصادر بالانجليزية صورة سوداء مرات كثيرة فاعتبرته دوائعيا مكيافيليا من الطراز الاول .

ويستحل الاغتيال السياسي في سبيل الوصول الى أهدافه . فقد وصفه المندوب السامي ماكمايكل بأنه : " سيد من سادة الخداع والمكر والمناورة ، وهو المحرك لاكثر من اضطراب وثورة " (١٥٥) واعتبره اورمسبي غور " أكثر انسان قلبه أسود في الشرق الاوسط " (١٥٦) ، ولكن كثيرا من العناصر العربية مع ذلك اعتبرته انسانا معصوما عن الخطأ ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ويبلغ الامر ايمانا بمعصوميته أن تشكل جماعة " تدين بالولاء الى زعيم معصوم لا يخطيء يطاع طاعة عمياء " (١٥٧) .

ومع كل هذا فقد شهد له حتى أعداؤه بأنه سياسي ومخطط من طراز ممتاز (١٥٨) .

٢ . العامل الروحي أو الديني : أضاف العامل الروحي أو الديني بعداً آخر لشخصية الحاج أمين . فانتسابه الى فاطمة بنت الرسول (ص) ، وكونه مفتي الاسلام ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى جعل تأييده في قطاع عريض من الشعب الفلسطيني (وبخاصة الفروبين) ضربا من الواجب الديني . ولقد تنامت هذه الناحية الروحية أو البعد الروحي في شخصية المفتي بتنامي تصديه لمقاومة

الانكليز والصهاينة اثناء الثورة وما بعدها . لقد حان وقت أطلق عليه فيه لقب النبي" : " أن المفتي ليعتبر من جمهرة المسلمين في فلسطين ليس فقط زعيما وانما أيضا نبيـا " (١٥٩) .

وعلى مستوى العالم الاسلامي أصبح المفتي في الثلاثينات الشخصية الاسلامية الاولى من الناحية الروحية لدرجة أن ابن سعود بات يخشى حضورها في مؤتمر المائدة المستديرة (١٩٣٩) خوفا من أن يكون ذلك ، وما سيحرره المفتي من مكانة بحضوره ، عبورا الى الخلافة وبالتالي تهديدا لكيان الانظمة الاسلامية القائمة (١٦٠) وفي هذا الوقت كتب المندوب السامي يؤكد طموحات الحاج أمين الحسيني الى الخلافة انطلاقا من موقعه أو مكانته الروحيةفي عالم الاسلام . وهو الى ذلك ينفي عنه كونه فوهررالشرق ويصفه بانه خليفة الاسلام : "ليس هنالك حدود لمطامح المفتي . وانه ليبدو عجيبا مدهشا ، ولكن هنالك اشخاصامختلفين مثل السيد أونرى القنصل الفرنسي العام (وهو دبلوماسي صغير وحكيم) والسيد ليفي مراسل النيويورك تايمز (وهو مخادع بالوراثة ونشيط جدا) قد اكدوا لي أن المفتي ينظر الى نفسه بمنظار " فوهرر الشرق" ولكني أناأقر بطريقة أخرى ، وأقول أن موضوع الخلافة يسود كل المفاوضات الحاضرة بين مصر والسعودية والمفتي (١٦١) .

وعندما أراد أمير الغوري فياجتماع بعصبة الامم في لبك سكس أن يجد شبيها للمفتي " الضحية " ضحية المؤامرات اليهودية ، ومحاولات التشويه المتعمدة ، اختار أن يشبهه بالمسيح المصلوب (١٦٢) ، بل أننا لنجد أن احترام المفتي وشعبيته فيكثير من القطاعات المسيحية لا تقل كثيرا عن تلك التي في القطاعات الاسلامية ، كما أنه بلغ حدا من القداسة وجد صدى في نفوس المسيحيين والمسلمين على السواء . بلأنه لا يوجد الا القليل من الزعماء الوطنيين الذين تمكنوا أن يكسروا حاجز الطائفية كما كسره المفتي ليقفز من فوقه الى مستوى الزعامة القومية (راجع فيما سبق ص ١٥٠) وأصبحت روحية شخصيته رصيدا قوميا للطرفين . فقد كان الحاج أمين بمقدار ما هو " سيف الدين الحاج أمين" بالنسبة للمسلمين " ، هو كذلك " حاج أمين يا مفتينا" التي ينشدها شباب المسيحيين في كنيسة القيامة (١٦٣) .

٣. ولعل هذا يدخلنا فيالبعد الثالث من أبعاد شخصية الحاج أمين . وهو

البعد الوطني القومي في هذه الشخصية . لقد سبق لنا أن تحدثنا عن دور المفتي في الحركة الوطنية منذ أن فر من الجيش التركي يجمع الحشود لقوات فيصل (راجع في ما سبق ص ٨) . واستمر على ذلك بصورة أو بأخرى طـــوال العشرينات . ولكن الحاج أمين لم يتمكن من تحقيق عملية الاختراق الكبرى في تاريخه السياسي ــ تلك العملية التي يمكن تشبيهها بمسيرة الملح بالنسبة لغاندي أو كرفض المجتمع الفرنسي بالنسبة لسيكونوري في عينيا (١٦٤) الا خلال ثـــورة ١٩٣٦ عندما كتب واكهوب الى ماركسيون يخبره أن مفتي اليوم غير ما عهدناه قبل سنة أو سنتين (١٦٥) وهنا نجد أنه بينما اعتبره وزير المستعمرات " العسقرية الشريرة " (١٦٦) اعتبره آخرون "روح الثورة " (١٦٧) .

وكما تنامت شخصية الحاج أمين الروحية لدرجة أنها أصبحت تنافس على الخلافة أو بطرح اسمها على بساط التنافس عليها . تعمقت شخصيته القومية الى درجة الوله القومي . ومنحه لقب الشهيد أو الرمز . ولقد تنامى رصيد الحاج أمين القومي لدرجة أنه غلب بمراحل ما لخصومه . بل لقد جاء الوقت الذي التحم به الشعب في مجمله .... بمن فيهم خصومه الشخصيّون من حزب المعارضة . فعندما قررت الحكومة البريطانية حرمان المفتي من حضور مؤتمر المائدة المستديرة كتبت جريدة فلسطين " أن حكومة جلالته قررت أن تحرم حضرة صاحب السماحة المفتي من العودة الى فلسطين . وسماحة المفتي الذي ينفصل الوزير بادعاءه ذلك الحديث عنه هو الفرد الذي تمثلت فيه أمة والامالي تجمعت ارادتها في فـــرد " (١٦٨) .

وعندما زعم فخري النشاشيبي أن الحاج أمين سبب المصائب التي حصلت بفلسطين أثناء الثورة في رسالته الشهيرة الى المندوب السامي ونشرتها البالستين بوست . وجد من حزب الدفاع من يبرقون الى راغب النشاشيبي أنه لم يعد هناك حزب دفاع " نحن أعضاء حزب الدفاع في نابلس أطلعنا على بيانك (بيان راغب النشاشيبي) ومع تقديرنا لاستنكارك فعلة فخري النشاشيبي النكراء نلفت انتباهك الى أن حزب الدفاع لم يعد موجودا وأن ثقتك التامة تحمل الاحزاب العربية الاضطلاع بمهام المفاوضات كان يجب أن تكون حيث استقرت مشيئة الامة الصريحة اذ لم يبق في فلسطين احزاب فقد دمجتها قدسية الاهداف ووحدتها فواجع المآسي . عرب فلسطين ككتلة واحدة تحت لواء الزعيم الامين وهو الذي يملك حق المفاوضة باسمهم " (١٦٩) .

لقد حقق البعد القومي غايته في شخصية الحاج أمين عندما لم تعد مكانته مستمدة من كونه ابن العائلة العريقة فقط . وانما بكونه المناضل الذي يعمل من أجل مصلحة الوطن . يقول الشقيري " ولقد كان الحاج أمين هو ذلك القائد المعبود الشعب . فلا مكان للتغيير ولا امكان . وهو فوق ذلك شجاع جسور مخلص ، صلب ، وفيه كثير من مؤهلات الزعامة " (١٧٠) .

ويقول عارف العارف في مذكراته " كما انني لا أنكر أني أحب الحاج أمين . لا لانه حسني ولا لانه ابن فلان من الناس بل اخلص من احبته فلسطين للقضية العربية والوحدة العربية " (١٧١) . ويرى مالرو أيضا أنه اكتسبت له سيطرته مع تغلب التناقض الوطني على التناقض العائلي " (١٧٢) .

بل أن الشخصية الوطنية للحاج أمين تجاوزت التقدير أو الحب الوطني من الجماهير الى حد أنها أضفت عليه أبعادا أسطورية ، اختلطت بمقومات زعامته الوطنية والقومية . ويظهر أن مرحلة الزعامة القومية أضفت تلقائيا أو أنها تطورت الى مرحلة الزعيم الرمز . وبخاصة بعد فشل الثورة وهجرة الحاج أمين من لبنان الى العراق . يقول عارف العارف بعد هذه الهجرة : " الحاج أمين وان تقوده قد تضعضع قليلا بسبب الاحداث الحاضرة لا يزال يتمتع بثقة الاكثرية الساحقة من العرب الذين يعتبرونه رمز الوطنية " (١٧٣) .

واستمر معنى الرمز هذا يلف شخصية الحاج أمين مع تنامي غربته عن الوطن (بعد هجرته الى ألمانيا) ففي أواخر الحرب العالمية الثانية كتب المندوب السامي يعبر عن شعور الفلسطينيين :-

" هنالك اهتمام واضح لمعرفة مكان الحسيني . فان غالبية السكان العرب من الفريقين يرغبون رغبة واضحة في عودته السريعة الى فلسطين . فهو في رأيهم رمز الوطنية والقومية في هذه البلاد . وان ما كشفته الاذاعة البريطانية عن حقيقة كون المفتي الحاج أمين في أيدي الفرنسيين سبب انفجار مظاهر الاستحسان والتقدير لدى فرويزام الله " (١٧٤) .

ليس هذا فقط ، بل لقد جاء الوقت ، وكان هذا أيضا خلال ضعف قوة المفتي من الناحية السياسية ، وأثناء ابتعاده عن الوطن أن أرتدت شخصيته ليس بطابع البطل القومي لفلسطين - ولعل هذا مما يثير الكثير من الاستغراب - بل ارتدت شخصية البطل القومي للامة العربية ولقد بلغت هذه الناحية قمتها في

بغداد فهناك تمتشهرته من شهيد عربي فلسطيني الى بطل القومية العربية . ولقد بلغ الامر حدا انحرف فيه السياسيون الموالون لبريطانيا في هذه الناحية ...
وقبل نهاية ١٩٤٠ اصبح المفتي شخصية كبرى او عملاقة في السياسة الاهلية للعرب وبخاصة في العراق ، حيث اصبح في امكانه ان يعين او يرقى أو يطرد من يشاء من موظفي الحكومة ... الى درجة انه كان وراء تعيين طه الهاشمي رئيسا للوزراء (١٧٥) .

ويؤكد الخالدي الذي عاصر وجود المفتي في بغداد الاحترام الشديد الذي كان يلقاه المفتي هنالك ، لدرجة أن الناس اصبحوا ينتظرون رؤيته للتبرك به وأن أركان الحيش كانوا يبادئونه بالزيارة قبل زيارتهم لسمو الوصي على العرش (١٧٦) .

ومن جراء هذه النواحي المختلفة ، مارس المفتي سلطات لا تحد تجاوز فيها الهرمية الحزبية لقب " الخاصة " (١٧٧) او " رجال الحاشية" (١٧٨) أو حلقة المستشارين (١٧٩) او الحاشية تحد البعض يطلق عليهم لقب "الشلة" أو "المربدين" ١٨٠) . وقد ارسى اعتماد المفتي على هؤلاء عدة صفات او مظاهر

١. طابع حب الظهور والجاه : فالحاشية هنا تلعب دور حاشية الملك أو الخليفة او السلطان او الامير ، تستمر بين يدي الزعيم فتكسبه شيئا من السلطان والعظمة ، وتزيد من شعوره باهميته وبرداد بها زهوا وكبرياء .

وقد حرص الحاج امين على اصطحاب فئة من هؤلاء الافراد في كل رحلاته وكان بعضهم لازمه من لوازم مرافقي المفتي ومن بين هؤلاء ،جمال وصفوت الحسيني واسمل الغوري " (١٨١) .

٢. أو أنها تكسبي طابع استقطاب فئة من العاطلين الاكفاء الذين يستطيع المفتي أن يتعاون معهم . ولا سيما عندما كان في ظروف الخطر وكثرة التحديات (أثناء الثورة وما بعدها) . فوسط الاجهزة المسلطة عليه من الانتداب والصهيونية لم يكن الحاج امين يلقي بسره او يشرك في أمره الا من وثق به كل الوثوق . ومن هنا فقد اصطفى لنفسه بعض من ربطته بهم الوشائج العميقة على مستوى عائلي أو مستوى شخصي . ليس هذا فقط وانما نجد أن الحاج امين في مرحلة الثورة وما تلاها اصبح زعيم فلسطين جميعها ، وبلا منازع . وليس زعيم حزب أو طائفة . وعلى هذا فقد تجمعت لديه أو بين يديه جوانب ليست قليلة من السلطة

والفاعليات القيادية . ولذا فاننا نجد أنه يوسع دائرة الاعوان ، بحيث تتشكل لديه فئة من الفنيين ذوي الكفاءات الممتازة في أكثر من حقل واحد نستطيع أن نطلق عليهم لقب الاستراتيجيين (١٨٢) . ومن بين هؤلاء الذين تعاون معهم الحاج أمين نجد :-

١. السياسيين من مثل جمال الحسيني ، وموسى العلمي ، وجورج انطونيوس واسحق درويش . ولكل من هؤلاء منزلته لدى القائد ومهمته التي يكلفه بها . كما سنوضح عند الحديث عن الممارسات .

ب. كما نجد أيضا العسكريين ، فبالاضافة الى قادة الثورة الذين ارتبطوا بصورة أو بأخرى بالحاج أمين ، نجد فئة ممن عايشوا الحاج أمين والتصقوا به التصاقا وطيدا . ووظفهم الحاج أمين لنواح عسكرية مثل عبد القادر الحسيني وصفوت الحسيني .

ج. كما وجد بين هذه الدائرة الفنية الاعلاميون مثل منيف الحسيني رئيس تحرير جريدة الجامعة العربية ، وأميل الغوري الذي يرأس أكثر من جريدة ناطقة بالعربية أو الانجليزية (١٨٣) .

ولعل النص التالي ، مع ما يشوبه من شائبة التحامل ، يوضح لنا بعضا من أدوار هذه الفئات الفنية التي اعتمد عليها الحاج أمين من أجل تسيير دفة نشاطه السياسي والدعائي والعسكري الخ أثناء وجوده في بغداد :-

" سرعان ما أسس المفتي مركز قيادته ، وعدل فيه بحيث يناسب الظروف الجديدة التي اصبح في ظلها . فقد كان جمال الحسيني رئيس أركانه . وكان الشيخ حسن أبو السعود المستشار لشؤون الدين الاسلامي . كما قام موسى العلمي بدور المستشار القانوني والناقد للشؤون العربية . وبسبب من خلفيته فقد تحدث بصورة مقنعة الى المنصتين اليه من مسؤولين وراغبين في السماع عن نواحي "الظلم البريطاني" . وكان فوزي القاوقجي العضو المناضل ، وقد قام بالاتصال بالجيش العراقي وكان يحصل من هذا المصدر على الاسلحة والذخائر والتسهيلات اللازمة لتدريب الرجال على حرب العصابات . كما أن سليم عبد الرحمن عمل ضابطا صحفيا ورجل دعاية . وكون منيف وموسى وتوفيق صالح الحسيني وأميل الغوري وعزة دروزة وابراهيم درويش وعز الدين الشوا وآخرون ، كونوا ، لجان اتصال ، وكانوا مسؤولين عن الدعاية وأعمال الحيلة والخداع (كذا)

والنشاطات الهامة داخل العراق وخارجه (١٨٤) .

بل انه ليظهر ان الحاج أمين كون من هؤلاء الاحصائيين وزارة صورية . يقول الخالدي: " واراد سماحته وحلقة مستشاريه الخاصة تدريب الشباب الفلسطيني على الحكم الذاتي فشكل لهم وزارة صورية ومجلس نواب تتولى احتماعاتها ومناقش المواضيع والاوضاع (١٨٥) .

تكوين الفروع وعملها

شهد عام ١٩٣٥ فترة ذهبية في تأسيس الفروع للحزب العربي وحاول حزب الدفاع ان يحذو حذوه . ولقد تميز الحزب العربي بكثرة فروعه التي بلغت ١٧ فرعا (١٨٦) ويفسر عزة دروزة كثرتها بأن " اكثرية فلسطين مجلسية ووطنية معا " ففي فترة قليلة لا تتجاوز الايام او الاسابيع نجد جمال الحسيني رئيس الحزب العربي يفتتح فروعا في عدة مدن وقرى في فلسطين ومنها يافا وغزة وخان يونس والمجدل وبئر السبع وحيفا وعكا والناصرة والصفورية (١٨٨) ولقد بلغت كثافة الفروع أشدها في منطقتي القدس وصفورية (١٨٩) .

كما أن حزب الدفاع أنشأ أيضا فروعا في مدن متفرقة من فلسطين هي غزة ويافا ونابلس والرملة (١٩٠) .

ويتضح من النظر في فروع كل من الحزبين من الناحية العددية أن الحزب العربي استأثر بالكثرة كما أن حزب الدفاع بالمقابل استأثر في فروعه بالاشخاص ذوي النفوذ الذين عوضوا عن غياب الكثرة . يقول عزة دروزة عن فروع حزب الدفاع بانها كانت " قوية باشخاصها دون اعدادها " وان هذا الحزب لم يكن له شعبية ذات شأن (١٩١) .

ولعل تبني هذه الناحية الجغرافية من قبل الحزبين بحيث تشمل جميع ارجاء فلسطين . كان احدى حسنات التنظيم على أساس اتخاذ الفرع وحدة أساسية (راجع في ما سبق عن قانون الحزب العربي ص١٢٧) فقد وصل تأثير كل من الحزبين (وبخاصة الحزب العربي) الى ركن من أركان فلسطين . وكانت الفروع الاطار الذي حاول من خلاله كل من الحزبين ربط جميع نواحي فلسطين بالتوجيه السياسي الصادر من المركز القدس .

واقع الامر أن هناك فجوة كبيرة بين المبادئ التنظيمية للحزب العربي

وبين ما امكن تطبيقه من هذه المبادئ . فنحن لانستطيع ان نتبين مما لدينا من شواهد ما يدل على ان اجتماعات هذه الفروع كانت منتظمة (١٩٢) على مستوى محلي . وحتى ما انعقد منها نادرا . (١٩٣) وعندما كانت تتم هذه الاجتماعات ـ في صورتها المحدودة ـ فانها كانت مفرغة من المحتوى . اذ يبدو من صحف هذه الفترة وتقارير السلطة ان اجتماعات الفروع لم تتعد ان تكون مناسبات للاستعراضات والهتافات والوداع والاستقبال او لتناول الوجبات الدسمة على مائدة احد الوجهاء من اعضاء الحزب (انظر ممارسات الاحزاب في الباب الثالث فهنالك امثله على هذه المناسبات) . بل اننا لا نبالغ اذا قلنا ان المظهر الاساسي للنشاط الحزبي في هذه الفترة كان الاجتماعات الصورية . فقد تنافس الحزبان على عقد الاجتماعات للحشـــــد للدعاية الحزبية وكسب المزيد من الانصار . وفي اكثر الحالات لا نجد اثرا يذكر للتثقيف السياسي الذي يعتبر المبرر الاساسي للحزب . اللهم الا بعض محاضرات او قل خطابات ، غالبا ما كانت تلقى عند حد تدشين افتتاح الفرع او الاحتفال بمناسبة اجتماعية وقد تتطرق الى الموضوعات السياسية وتبقى خطابة رنانة لا اكثر ولا اقل (١٩٤) .

ونحن لانجد في ما بين ايدينا من شواهد ما يدل او يفيد بانه كان لدى الفروع الحماية المالية الكافية او المنتظمة ، كما هو المفروض بالنسبة لقانون الحزب العربي ، وكما هو المفروض ان يكون الامر بالنسبة للفرع كفرع والذي هو الوسيلة الوحيدة لتغطية نفقاته ونفقات الحزب عامة . فليس في الاحزاب القائمة على الفروع كوحدة تنظيمية اساسية ـ وكما يذهب دوفرجيه ـ اي مصدر للتمويل غير جيوب الاعضاء (١٩٥) .

واختفاء دور الاعضاء هو الا في الحزبين العربي الدفاع من حيث الجباية سيدخلنا في بحث العضوية في فروعها بصورة عامة .

للاسف ليس لدينا في مادتنا المصدرية عن الحزبين اية سجلات للعضوية نستطيع ان ندرس على ضوئها العضوية ومدى التزامات الاعضاء الحزبية . ولعل هذا عائد كما اسلفنا (انظر حاشية، ص ١٥٩) ، الى ان فترة عمل الحزبين على مستوى الفروع كانت محدودة من الناحية الزمنية ، الامر الذي يجعل دراسة قائمة على الاحصائيات عبر فترة زمنية قصيرة امرا بالغ الصعوبة . والاغلب انه لم يكن هناك نظام تسجيل للاعضاء كما انه لم يكن هنالك جمع منظم للاشتراكات بل

اعتمد الحزب في تمويله على زعمائه أو على موسسات ذات علاقة بصورة أو بأخرى بالحزب. يقول نجيب صدقة عن الحزب العربي ما نصه " وليس فيه أعضاء مسجلون تنظم اتصالاتهم بالمركز ويدفعون الاشتراكات ويجتمعون في مؤتمرات دورية وينتخبون الهيئات الادارية (١٩٦) ومع غياب هذين الشرطين الاساسيين للعضوية اللذين لا يكون الحزب بدونهما ، كما يرى بعض العلماء السياسيين ، حزبا ، ويكون حال الحزب بدونهماكمايقول دوفرجيه ، كمدرس بلا تلاميذ (١٩٧) ينبغي أن نبحث عن طبيعة العضوية أو ما يطلق عليه عادة عضوية في كل من حزبينا بحثا نستمده من الشواهد التاريخية والمحاكمة العقلية وقياسا على الاحزاب الاخرى في العالم ، وهنا يطالعنا وجود صنفين من الناس ، لا ينطلق في تصنيفهما مما هو معروف من شروط العضوية في الاحزاب الغربية ولا حتى من الشروط التي وضعها قانون الحزب العربي للعضوية بل من شروط أخرى نبعت من ظروف الحزبين ، هذانالصنفان هما المناضلون والانصار :-

١. دائرة المناضلين : وهي دائرة صغيرة ، وتحتوى على الاعضاء النشيطين ، ونستعير هنا ، من أجل وصفهم ، تعبير قانون الحزب العربي، عما يسميهم "الاعضاء العاملين " (١٩٨) لكن في أضيق الحدود ، فالمناضلون هؤلاء لا يدفعون اشتراكات ولا يحضرون اجتماعات منتظمة ، كما أنهم غير مسجلين.

وتتفق المصادر التاريخية ومصادر كل من الحزبين على وصف هؤلاء بأنهم من المشاركين في الحزبين وأنهم النواة أو الركيزة الاساسيةالتي قام عليها كل منهما ، وقد نمت هذه الفئة وتبلورت من خلال تجربة كل من الحزبين ومعاناته الطويلة قبل التكوين الرسمي وبعده ، وتعود في أصولها الاولى الى الجمعيات الاسلامية المسيحية والتي قامت عليها نشاطاتها ، ومع انشقاق الحركة الوطنية ازدادت هذه الفئة تمرسا في نشاطها ضد بعضها ، وعندما قام كل من الحزبين ورث عناصره العاملة قبل أن يتكون رسميا ، مجلسية كانت أو معارضة ، وعلى أية حال فان مصادر الشرطة تطلق على هذه الفئة من النشيطين حزبيا " العاملين السياسيين " (١٩٩) (Political workers) كما يطلق عليهم بعض المؤرخين اسم " النشيطين سياسيا (Political activite)

٢. دائرة الانصار : وهذه هي الدائرة الاوسع والتي لا حدود لاتساعها ، وطبيعة العناصر في هذه الدائرة سطحية بعيدة كل البعد عما يشترطه الحزب العربي مثلا

في الاعضاء المؤازرين (الذين يؤازرون الحزب ماديا ومعنويا) (٢٠١) ولا ما يشترطه العلماء السياسيون فيما يطلقون اسم الاعضاء المناصرين أو المؤيدين (Supporters) في أحزاب الفروع (٢٠٢). فمما نعلم ومما يتوافر بين أيدينا من شواهد لا نجد من بين هؤلاء الانصار والمناصرين من يحضرون باستظام أو التحشدات الدعائية للحزبين ، كما أنهم ليسوا قابلين للتطور الى أعضاء كاملي العضوية . وعلى هذا فليس لدينا مقياس ثابت نقيسهم عليه . ولكن الظاهر أن هؤلاء قطاع عريض من المجتمع يتفق مع أحد الحزبين على شعاراته الكبرى ، أو أنه بالاحرى يناصر الزعيم الذي يلتقي معه على عاطفة وطنية أو شخصية أو أنه يناصر الحزب أو الزعيم من أجل مصلحة دانية أو عائلية أو اقليمية وهكذا وأما عن نشاطات هؤلاء الانصار فنظهر أنها كانت هبات مؤقتة أو اجتماعات عارضة في مظاهرة تحشد وهم في الغالب أدوات يستثيرها ، ويجمعها ، ويعبرئها العاملون السياسيون الذين سبق لنا الحديث عنهم وسنعرض لامثلة من نشاطات هؤلاء الانصار وتحشداتهم عند الحديث عن الممارسات .

وعلى أية حال فمن الملاحظ من المناصرة الحزبية أن كلا الحزبين بل والاحزاب الاخرى كان يسعى الى الفوز بالقطاع الاكبر من الشعب العربي في فلسطين أو كما سبق لنا القول أنه لما لم تكن لهؤلاء فرصة في الفوز في انتخابات عامة أو الوصول الى الممارسة في الحكم ، أصبح همهم السيطرة على الحركة الوطنية وكسب العدد الاكبر من الشعب أو الرأي العام . ولعل هذا كان عائدا الى غياب التنظيم الفعال الذي يؤثر القلة الفعالة على الكثرة التي لا فائدة ترجى من وراثها . وقد وفق الحزبان الى استقطاب العدد الاكبر من الشعب الفلسطيني ، وجاء وقت كان الناس فيه يحطون في كل قرية ومدينة في فلسطين ، لافتة مجلسية أو معارضة . كان هذا في العشرينات واستمر الحال عليه الى حد كبير في الثلاثينات .

ومع هذا فقد كان هنالك تفاوت في عدد أنصار كل منها . ولعل دراستنا لطبيعة المناصرة وعلى أي شيء قامت ، ستلقي ضوءا عليها ـ أي المناصرة ـ وبالذات من حيث قوة كل من الحزبين من حيث عدد مناصريهما .

٩. الاساس السياسي أو الوطني : كان توجه كل من الحزبين كحزبين سياسيين توجها وطنيا بالدرجة الاولى وبعض أصالتهما ينبع من كونهما جناحين من أجنحة الحركة الوطنية أكثر من كونهما على سبيل المثال حزبين ذوي نهج

انقلابي ذي برامج اجتماعية واقتصادية كالاحزاب الشيوعية أو الفاشية أو حتى الاحزاب العربية ذات المناهج الاصلاحية . وعلى هذا فبمقدار ما كان كل منهما يبدي اخلاصا للمبادئ الوطنية قولا وعملا ، مبادئ وتطبيقا ، كان يلقى صدى شعبيا ويكسب العدد الاكبر من المناصرين . ولعلنا لا نجد تفسيرا لكثرة المناصرين التي حظي بها الحزب العربي الا مواقفه الوطنية . فمن المؤرخين العرب الى مصادر السلطة نجدها تتفق على أن " شعبية " الحزب العربي انما كانت بسبب وطنيته . فبينما عزا عزة دروزة كثرة فروعه لكونه يمثل أكثر فلسطين التي هي مجلسية ووطنية معا (٢٠٣) تذكر الوثائق البريطانية "هذا حزب وطني متطرف وأنه يتمتع بالعدد الاكبر من الاتباع (٢٠٤) وحتى عندما كانت بعض المصادر تعزو قوة هذا الحزب للعقلي (٢٠٥) كانت صفة العقلي الوطنية ، وليست فقط العائلية او الدينية ـ كما سيأتي معنا ـ هي المقصودة . ونعطينا دراسة مناصرة كل من الحزبين على المستوى الشعبي قبل الثورة ١٩٣٦ وما بعدها ، صورة عن ارتباط شعبية كل منهما بموقفها الوطني .

١ . مرحلة ما قبل الثورة : فبينما نجد أن هذين الحزبين يتمتعان بقوة متقاربة تقريبا . فالحزب العربي الذي فاز بالاغلبية بين الاحزاب العربية الستة ، جاء بعده مباشرة من حيث القوة العددية والنفوذ حزب الدفاع . فالغوري يتحدث عن الاحزاب الاخرى ـ غير الحزب العربي ـ فيقول : " كان حزب الدفاع الوطني في الواقع أكبر هذه الاحزاب من حيث عدد أعضائه المنتمين اليه ونفوذهم في البلاد في حين كان حزب الاستقلال يليه من حيث قوته الشعبية في البلاد (٢٠٦) ويعتبر الخالدي الحزبين العربي والدفاع ـ الحزبين الكبيرين في البلاد ، فهو عندما يتحدث عن تكوين اللجنة العربية العليا وفوزهما بنصيب الاسد فيها يقول " فيكون الحزبان الكبيران قد حازا على مقاعد نصف اللجنة " (٢٠٧) كما أن المندوب السامي يشير في تقرير له في عام ١٩٣٩ الى القوة التي كانت لحزب الدفاع قبل قيام الثورة : " منذ ثلاث سنوات ، كان حزب الدفاع قوة في البلاد ، وكان له جريدة فلسطين ، وكان كثير من رؤساء البلديات من أتباعه ، ولقد مثل طبقة الموسرين في المجتمع " (٢٠٨) .

ب ـ مرحلة ما بعد الثورة : كانت الثورة بمرحلتيها الاولى والثانية امتحانا

قاسيا لكل من الحزبين فبينما راهن الحزب العربي ، أو بالاصح جماعة الحاج أمين على الخط الثوري ، واندفعوا به ومعه الى النهاية مما وضعهم في بؤرة الوطنية ، وأكسبهم شعبية طاغية ، كان لموقف حزب الدفاع المتذبذب ، الوطني المتطرف أحيانا ، كما بدا في الشهور الاربعة الاولى من ثورة ١٩٣٦ ، والمعتدل أحيانا أخرى كما بدا في الشهرين الاخيرين من هذه الثورة ، والمتخاذل ، أو المناهض للثورة بعد ذلك ، ان أفقدهم الجزء الاكبر من قوتهم وبخاصة على المستوى الشعبي . بل لقد أطردت القاعدة أنه بمقدار ما شارك الحزب العربي بالثورة بمقدار ما اكتسب قوة وأنصارا ، وكان العكس صحيحا بالنسبة لحزب الدفاع أنه بمقدار ما ابتعد عن الثورة أو تصدى لها بمقدار ما خسر من أنصاره ونفوذه . فليس بلا مغزى أن التقارير البريطانية تذكر أن المفتي خرج من الثورة وهو رجل فلسطين القوي" (٢٠٩) وبالمقابل" فقد خسر راغب الكثير من نفوذه ولا يستطيع مقارنة نفوذه (الحالي) بنفوذه التي كانت له في الامس القريب (٢١٠) . كما أن تقريرا للمندوب السامي علل فقدان حزب الدفاع لنفوذه بموقف راغب النشاشيبي السلبي من حل اللجنة العربية العليا ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى (٢١١) .

وفي أثناء المرحلة الثانية من الثورة (١٩٣٧ ــ ١٩٣٩) بلغ المفتي وأنصاره أقصى قوتهم . " لقد عزز المفتي وأنصاره موقفهم ، وبفعل استخدام جميع أشكال الدعاية نجحوا في كسب التأييد والتشجيع من العالم الاسلامي بوجه عام (٢١٢) ويذهب ضروورز الى أن الثورة المسلحة أصبحت الذراع الضارب للحسينيين (٢١٣) .

وبالمقابل فقد كان لموقف النشاشيبيين المتخاذل من التقسيم وانسحابهم قبل ذلك من اللجنة العربية العليا ، وموقفهم من الثورة أن بلغت جماعة النشاشيبيين وبقايا حزب الدفاع المرحلة الدنيا ضعفا وقلة شأن . وقد ذكر أحد تقارير دائرة التحقيقات الجنائية عن حالة الحزب في هذه الفترة بعد أن غادر زعماؤه فلسطين فارين بجلدهم : " ان مقدرة راغب النشاشيبي وسليمان طوقان وأحمد الشكعة وأعضاء آخرون من المعارضة (فلسطين) الى أوروبا قد نتج عنه الانحلال الكامل لحزب الدفاع الوطني الامر الذي يترك البلاد بدون أي كيان سياسي معترف به (٢١٤) .

٢ . العامل الشخصي ، أ ــ بالنسبة للمفتي : اتخذت المعاصرة طابع الولاء

لشخصية الزعيم . ففي الحزب العربي نجد أن شخصية الحاج أمين بما لها من كاريسما بلغت درجة التقديس ، كانت وراء كثير من قوة الانصار ، التي أحرزها الحزب العربي . وليس بلا مغزى أن الغوري ينسب التأييد الكبير الذي حظي الحزب العربي الى المفتي : " والتفت أكثرية الفلسطينيين حول الحزب على هذا الاعتبار " (أي اعتبار الحزب حزبا للمفتي) . (٢١٥) وبالنسبة للخالدي أيضا فان الذي عدل كفة الحزب العربي على حزب الدفاع كانت شخصية المفتي .

ولو اردنا تحليل قوى كل من الحزبين الرئيسيين لوجدنا ان الحزب العربي كان أضعف برجالاته البارزين الظاهرين من رجال حزب الدفاع وفوق على ذلك اتباع الطرفين من مؤيدين ولكن وراء الحزب العربي القوة المستترة وهي شخصية الحاج أمين " (٢١٦) .

وقد شمل الانصار الذين جاءوا الى الحزب العربي عن طريق المفتي التاليين :-

ا . جماعة المجلس الاسلامي الاعلى ، وقد ذكرنا سابقا (راجع فيما سبق ص ٥٦ ـ ٥٧) كيف تكونت هذه الجماعة وكيف كان المفتي يختار رجالاتها . وما يهمنا هنا أن نذكر ان ولاء هؤلاء ترسب بالدرجة الاولى حول المفتي . حتى أنهم ارتبطوا به برابطة يشبهها أحد التقارير بأنهم كانوا مريدين لشيخ هو الحاج أمين (٢٠٧) . كما أنه ليس بلا مغزى أن نجد في أدبيات الحزبين هذه اللازمة ، والتي نكررها بصورة خاصة الصحف المعادية للمفتي ، لتبين أين تكمن القوة : " مأموري الاوقاف وماذوني الانكحة (٢٠٨) وبياع عسان كتفاني في وصف هؤلاء فيعتبرهم نوعا من الاقطاعية الاكليركية (٢١٩) .

ب . لعب الحاج أمين دورا خاصا في استقطاب فئات معينة عن طريق توظيف الرابطة الشخصية بين بعض الوجهاء أو الزعماء بمناصريهم ، باعتبارهم مفاتيح للوصول الى هؤلاء المناصرين ، وشدهم نحوه . فعلى سبيل المثال ، تمكن المفتي عن طريق الفرد روك وجيه الكاثوليك ، والذي عمل نائبا لرئيس الحزب كما ذكرنا ، وكانت تربطه بالمفتي والعائلة الحسينية رابطة الولاء والصداقة ، من استقطاب تأييد الطائفة الكاثوليكية الى حد كبير (٢٢٠) .

وبوساطة الدكتور حسين فخري الخالدي ، الذي تصفه التقارير ـ وبخاصة أثناء الثورة ـ بأنه مؤيد عنيد للمفتي (٢٢١) ، تمكن المفتي من السيطرة على

حزب الاصلاح . وتسييره في تياره بالرغم من أن هذا الحزب احتفظ باستقلاله الظاهر : " أن هذا الحزب مستقل من الناحية الاسمية في حقيقة الحال فان المفتي يسيطر عليه بوساطة الدكتور الخالدي الذي هو مؤيد عنيد للمفتي (٢٢٣)

وبوساطة اشخاص مثل عزة دروزة (٢٢٣) وصبحي الخضرا اللذين كانا من أركان موظفي المجلس الاسلامي الاعلى . والثاني منهما تصفه التقارير بانه " مؤيد عنيد للمفتي وعامل نشيط في دعم سياسته " (٢٢٤) تمكن المفتي من الوصول الى حزب الاستقلال ، الذي تعاون زعماؤه وعدد كبير من أفراده ، مع المفتي الى درجة التحالف الحقيقي ، ولدرجة أن تقارير البوليس تصنف عشرات منهم بانهم مجلسيون ، وتعتبرهم بعض المصادر نظرا لتشددهم الوطني بانهم يسار المفتي (٢٢٥) .

ولقد بلغ الامر حدا انه مع ازدياد حدة الثورة وخاصة في المرحلة الثانية ان تلاشت الى حد كبير الشخصية المستقلة للاحزاب واصبحت جميعها تأتمر بأمر المفتي : " أن ما يطلق عليها أحزاب لا تعدو أن تكون أطفالا بين ذراعي المفتي كما وصفها تقرير آخر " أن الاحزاب ليست مستقلة الا اسما وهي تشكل في حقيقة الامر حزبا واحدا تحت امرة المفتي " .

كما أن المفتي استطاع أن يستقطب عددا ليس بالقليل من زعماء الفلاحين وبخاصة أثناء الثورة مثل فرحان السعدي وهاشم الخطيب . (٢٢٦) .

ولقد تمكن المفتي من النفاذ الى الحركة العمالية من خلال بعض قادتها فمن خلال عارف الجاعوني وهو من أقرب المقربين للحاج أمين (٢٢٧) تمكن المفتي من النفاذ الى جمعية عمال القدس التي يصفها أحد التقارير على الوجه التالي :

" جمعية عمال القدس :

" الرئيس عارف الجاعوني "

هذه من الناحية الاسمية نقابة للعمال في القدس ، ولكنها تحت تأثير المفتي " (٢٢٨) كما أن من خلال رجاله مثل الشيخ حسن أبو السعود وصبري عابدين حول جمعية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الى جمعية ناطقة باسمه وتدار بوساطته وبوظفها لاغراضه السياسية . (٢٢٩) .

كما انه كسب الى جانبه بحارة يافا عن طريق زعيمهم حسن أبو شباح . (٢٣٠) .

ب . العامل الشخصي لراغب النشاشيبي وشخصيات حزب الدفاع الاخـــرى : اطرد عامل الرابطة الشخصية بين الزعيم والمناصرين في حزب الدفاع كما كان الامر بالنسبة للحزب العربي . وقد كان لشخصية راغب النشاشيبي بالذات فضل كبير في كسب المناصرين للحزب . فقد انضم عدد كبير من روءساء البلديات عن طريق ولائهم لراغب النشاشيبي بصفته عميدهم : "ان اعضاء الحزب فيهم دائما عدد من الوجهاء بمن فيهم عدد كبير من روءساء البلديات وروءساء المجالـــس المحليـــة " (٢٣١) .

كما أن راغب النشاشيبي استطاع أن يستقطب عددا كبيرا من المخاتـــير الذين شكلوا بدورهم نقاط ارتكاز له في قراهم . وكان ذلك على امتداد جغرافيـة فلسطين . وكثيرا ما رأينا أعمدة الصحف تتحدث بالتأييد لراغب عن طريـــق البرقيات التي يرسلها هوءلاء المخاتير . فمن منطقة غزة مرورا بالقدس ورام الله الى نابلس والناصرة كان هنالك عدد من المخاتير الذين اعتبروا أنفسهـــم " الجنود المخلصين لراغب" وينطبق نفس الشيء على عدد كبير من الوجهـاء والاعيان في جهات فلسطين المختلفة (٢٣٢) .

كما لعب العامل الشخصي دوره في توظيف بعض المفاتيح من الانصار لصالح النشاشيبين . فصالح عبده الذي هو صاحب كاراج في القدس وعضو الجمعيـــة الوطنية فيها يلعب دور القبضاي " "Tough" وينظم العناصر" الحسنـــة " للنشاشيبـــين . (٢٣٣) .

كما أن العامل الشخصي لعب دوره بالنسبة ليعقوب فراج ، الذي من جراء انضمامه لحزب الدفاع جلب معه عددا كبيرا من أبناء طائفته . (٢٣٤) .

٣ . العامل العائلي : ترتبط بالعامل او الرابطة الشخصية ، الرابطة العائلية وقد سبق لنا أن تحدثنا عن العائلية وأهميتها في تنظيم المجتمع الفلسطيني . ولقد عملت العائلية في فلسطين بالاضافة الى العوامل السابقة ـ الخط الوطني والناحية الشخصية ـ على استقطاب فئات كثيرة من المناصرين لكل من الحزبين على أساس عائلي بل لقد شكلت هذه العائلية هرمية خاصة بها كما سبق أن ذكرنا وامتدت صعودا ونزولا من أقصى القرية الى المدينة الصغيرة الى المدينة الكبيرة الى العاصمة . ففي قمة الهرم كانت ، بالنسبة لكل من الحزبين ، العائلتان الرئيستان واللتان كثـــيرا ما أطلـــق أسمهمـــا على الحـــزب الـــذي راستـــاه أو تزعمتـــاه : العائلـــة الحسينيـــة والعائلة

النشاشيبية (٢٣٥) (وقد سبق لنا أن أشرنا اليها في صفحات متعددة من هذا البحث) اللتين استقطبتا عددا كبيرا من العائلات على مستوى الوطن جميعه، وجيرت هذه العائلات ولاءها لحزب كل منهما.

ومع هذا فقد تميز حزب الدفاع عن الحزب العربي بأنه استقطب عددا من العائلات التي شكلت الارستقراطية العائلية - ان صح القول - في فلسطين ويظهر النص التالي من جريدة فلسطين تنوعها وأصولها: "تلقينا من سكرتيرية الدفاع ما يلي:

في الساعة الواحدة والنصف بعد ظهر السبت الماضي وصل الى عمان وفد من حزب الدفاع لتعزية سمو الامير وهو مؤلف من السادة:

راغب النشاشيبي رئيس الحزب، عبد الرحمن الناجي، سليمان بك طوقان، الحاج نمر أفندي النابلسي، عفيف أفندي عاشور، الشيخ شاكر أبو كشك، عمر أفندي البيطار، الشيخ مصطفى أفندي الخيري، عيسى أفندي العيسى، بشير أفندي الشرابي، عبد الرؤوف افندي البيطار، مصطفى أفندي الصوراني، شاكر افندي الفلاسيني، الشيخ توفيق طهبوب، راشد افندي عرفه، اسماعيل أفندي العسيد، الحاج عبد المعطي افندي بدر، عبد الله بشير عمرو، مصطفى أفندي ناصر الدين، حسن أفندي سرحان، الشيخ عبد الرحمن العزة، الشيخ حسن العزة، الشيخ ملحم عبد الرحمن ملحم، الشيخ عثمان العبادله، اسماعيل أفندي الجار الله، حسن صدقي الدجاني (سكرتير الحزب) أفندي معتم، فخري النشاشيبي (٢٣٦).

ومن ناحية أخرى نجد أنه بينما تميزت العائلات التي تؤيد حزب الدفاع بالقوة والنفوذ والارستقراطية فان العائلات التي أيدت الحزب العربي لم تكن بنفس القوة. ومع هذا فقد وجد بين العائلات الفلسطينية عائلات تميزت بالقوة ومنحت ولاءها للحزب العربي مثل عائلة الدجاني في يافا (٢٣٨) ونجد أيضا عائلة الزعبي في الناصرة التي تصدت منذ وقت مبكر في العشرينات لعائلة الفاهوم المعارضة (٢٣٩) وفي طولكرم نجد عائلة سمارة وعائلة الحاج ابراهيم اللتين تصدتا لعائلات المعارضة من آل الحيوسي وحنون. (٢٣٩).

وفي القدس نجد بعض العائلات العريقة تؤيد الحسينيين وبخاصة بعد انتخابات بلدية القدس. فقد ذكر أحد التقارير للمندوب السامي "انه ينبغي

علينا أن نتذكر أن عائلة رئيس البلدية الخالدي تؤيد المفتي" (٢٤٠).

كما أن هنالك عائلات كثيرة من الدرجة الثانية في القوة أيدت الحزب العربي، وعلى مستوى جميع مدن فلسطين وقراها. (٢٤١).

ولا تكتمل دراستنا عن الفروع والعضوية في كلا الحزبين حتى نحدد الصلة للفرع، كبنية تنظيمية، بالفروع الاخرى واللجان الفرعية من ناحية، وصلته بالمركز العام من الناحية الاخرى، وكيف ارتبطت الهيئات المختلفة للجسم الحزبي لتشكل الحزب كحزب أو كمؤسسة سياسية، أو ما يطلق عليه عادة البناء العام للحزب.

وهنا نلاحظ أنه لم يحصل التزام بالهرمية كما ورد في قانون الحزب العربي، وكما ينبغي للاحزاب القائمة على الفروع كقاعدة الهرم الحزبي، والمركز كقمة لهذا الهرم. وعلى أية حال فانه ينضح التالي بالنسبة للبناء العام لكل من الحزبين.

الحزب العربي: كان الحزب العربي حزبا شعبيا.. أي لديه تأييد من اكثر الشعب، وقد نبع هذا من توجهه للجماهير العريضة من أجل تحقيق غايات وطنية أو قضايا اساسية تهم جميع المواطنين مثل الاستقلال والحكومة الوطنية وتحقيق الوحدة العربي. وعلى هذا فقد حرص هذا الحزب على تجميع عناصر كثيرة تحت لواء الوطنية ذكرنا أنماطا منها عند حديثنا عن أنصاره. ولما كان - شأنه في ذلك شأن الاحزاب الفلسطينية الاخرى - ممنوعا من ممارسة حق الانتخاب وتكوين حكومة، فانه مع غياب هاتين الناحيتين، ومع كونه ليس حزبا شموليا كالاحزاب الشيوعية أو الاشتراكية أو الفاشية فقد انصرف - ضمن اشياء اخرى - لتحقيق الغايات الوطنية، وجرى تسابقه مع غيره من الاحزاب للسيطرة على الحركة الوطنية. ومن هنا فانه لم يجد مانعا من ضم اى فئة اجتماعية أو دينية أو سياسية أو اى فئة اخرى (مجلسيين، طوائف، أحزاب، شبان، شيوخ يسار، يمين). تجاوب فيها الولاء للزعامات مع الولاء للوطن أو المبادئ، ومن هنا فان طابع اللقاء أو التجمع بين هذه الفئات لم يكن على أساس هرمي، كما نادى بذلك قانون الحزب، بمقدار ما كان تحالفا أفقيا آنيا ليس فيه الانضباط والنظام. يقول غسان كنفاني "كانت الاحزاب اطارات عامة دون مبادئ محددة تحكمها شلل من الوجهاء تعتمد على ولاءات متحدرة اليها من نفوذها الاقطاعي

والديني والوجاهي ، كما أنها لم تكن احزابا لها قواعد منظمة . وفيما عدا القسام (الشيوعيين طبعا) فان احدا من زعماء الحركة الفلسطينية لم يكن مسلحا بعقل تنظيمي " (٢٤٢) .

ويعرف أحد الباحثين الحزب العربي بأنه الائتلاف التنظيمي لجماعة المجلسيين (٢٤٣) كما اختفت لحساب القيادة والسلطوية القيادية ، الديمقراطية المركزية التي نص عليها الدستور وظلت السيطرة للمركز ممثلة بالقيادة الحزبية بالدرجة الاولى .

ونظرا لهذه الخصائص المختلفة من سيادة طابع المجتمع والحشد وغياب المهرسية والديمقراطية المركوبة التي أدت الى اختفاء المؤسسة الحزبية ، وسيادة مؤسسة ، أو على الاصح ظاهرة ، لا تنطبق عليهاشروط الحزبية الصحيحة ، آثر بعض المؤرخين اطلاق اسم " الحركة" على الحزب العربي اكثر من كونه حزبا " الحزب العربي حركة سعبية أكثر منه حزبا مما للفظ من معنى مألوف " (٢٤٤) .

٢ ـ حزب الدفاع : كان حزب الدفاع هو حزب الارستقراطية الفلسطينية كما وصفناه سابقا ، ولعل أصح ما يصدق عليه هو وصف جريدة فلسطين : فريقا متجانسا من اغنى الشخصيات في البلاد" ونظرالكون نسبة كبيرة من اتباعه كانوا من العائلات النافذة والوجهاء والاعيان ورؤساء البلديات والشخصيات البارزة ، كثر بين اتباع هذا الحزب ذوو المصالح(٢٤٥) . وتبعر مواقفهم عموما بالاعتدال من السلطات . وعلى هذا وكما غابت المهرسية والديمقراطية المركزية (تركيب حزب الدفاعمن الناحية التنظيمية "يوحي بها)والبناءالمتماسك لحساب التجمعات العريضة والائتلافات الاقفية في الحزب العربي نجد أنهاغابت بصورة اوسع ايضا في حزب الدفاع ، بسبب النزاع على النفوذ والمصالح . وقد برزت نواحي التفكك والضعف والنزاعات الداخلية في حزب الدفاع طوال تاريخ الحزب ، قبل قيامه رسميا ، وبعد ذلك . وفي حقيقة الحال كان الحزب احزابا وليس حزبا واحدا . فقد كان هنالك في داخل الحزب دائرة خاصة لفخري النشاشيبي كما أن راغب النشاشيبي كان له دائرة الخاصة وقوامها انصاره من رؤساء البلديات .

كما أن حسن صدقي الدجاني مارس دورا شبه مستقل عن الحزب واعتمد من الناحية الشعبية على نقابة السواقين التي عمل رئيسا فخريا لها (٢٤٦) كما انه طمح الى التعاون مع الامير عبد الله لدرجة أنه فكر في انشاء حزب خاص به ملكي النزعة (٢٤٧) .

وقد شكل سليمان طوقان في نابلس ما يشبه الامير المستقل حزبيا ، واستغنى كليا عن الحزب ، وحدد علاقته فقط بمراعب النشاشيبي من بين القيادات الاخرى (٢٤٨) .

ونحن اذا اردنا اختبار النقيض التام لحزب متماسك يقوم على الهرمية ، ونتزاوج فيه الديمقراطية مع المركزية ، وتتلاقى فيه اراء القواعد مع توجيهات المركز في نسق منتظم ، نختار له مثلا ما يمكن ان تطلق عليه " حزب الاعيان " الذي مثله خير تمثيل حزب الدفاع .

الميليشيا

ميليشيا الحزب العربي : فرق الفتوة

عمد الحزب العربي الى انشاء فرق شبه عسكرية قامت بدور الفرق المساعدة للحركة الوطنية او اليد الضاربة لهذه الحركة (٢٤٩) .

وقد قامت هذه الفرق شبه العسكرية على الشباب (٢٥٠) . ويظهر ان قيامها كان مسيرة لتطور الحركة الوطنية الراديكالية بفعل الحاح الظروف السياسية الحرجة وتفاقم الخطر السياسي . فقد دأبت الصحف في هذه الفترة (الثلاثينيات) على دعوة الاحزاب الى وضع برامج لتدريب الاطفال والشبان على الحياة الخشنة وتحمل المشاق . كتبت جريدة الجامعة العربية " والذي نأمله ان يسرع الحزب في تأليف هذه الفرق وبذلك يكون قد خطا خطوة عملية في سبيل تخشين الشباب وحملهم على هجرة التخنث والترهل " (٢٥١) كما ان جمال الحسيني اعتبرها البديل الوحيد لفشل المفاوضات مع الحكومة وذلك من اجل توظيفها في اعمال العصيان المدني والتظاهر العنيف . (٢٥٢)

ومن ناحية اخرى ، فان انشاء هذه الفرق ربما جاء نتيجة او انعكاسا لسيطرة الروح العسكرية على المؤسسات الصهيونية وتوجهها نحو العنف (٢٥٣) ولعل ما اوردته جريدة الجامعة العربية ، وبالاستشهاد بشباب الهاجانا والترمبلدور والمكابي والهاشموناي ودعوتها لانشاء " فرق من الشباب العرب تقطع الطريق عليهم وتخفف من عتوهم واستكبارهم (٢٥٤) كان لسان حال الكثيرين

من الفلسطينيين في هذه المرحلة .

ومن ناحية ثالثة فان تدريب الشباب عسكريا كان قد أصبح ظاهرة العصر . فالاحزاب الفاشية والنازية التي اتخذت الميليشيا العسكرية اساسا لتنظيماتها وجدت انعكاسا لها في غير الدول الاوروبية ،ووجدت لها صدى في البلاد العربية مثل مصر وسوريا والعراق . وقد اختلفت المصادر حول من اقتدت به الفتوة في تنظيمها بين تنظيمات الشباب التي سبقتها في البلاد العربية . فبينما نسبها هيروونز الى اصول عراقية سورية (٢٥٥) وبينما نسبتها مصادر اخرى الى تأثيرات مصرية ، فان أمين ابو الشعر ـ مؤرخ حياة كامل عريقات الذي قدر له قيادة فرق الفتوة في أواسط الاربعينيات يرى أن " الحزب اقتبس الفكرة عن سوريا" (٢٥٦) .

ومهما يكن من أمر فقد ولدت فرق الفتوة بعد اجتماع تمهيدي انعقد في مدرسة الروضة في القدس في فبراير من عام ١٩٣٦ (٢٥٧) . وقد حرص الحزب العربي على ما يظهر على اختيار عناصرها من الشبان ذوي الابدان القوية والايمان الوطني الراسخ . فقد كان مما قاله جمال الحسيني في الاجتماع التأسيسي لهذه الفرق : " على كل فرد أن يسأل نفسه هذا السؤال هل جسمي مكون من الطين أو من الصخر (٢٥٨) وقد اقسم كل عضو يعين العضوية في الحزب العربي .

وقد ارتدى افراد هذه الفرق زيا عسكريا موحدا كما كان لهم شارات عسكرية تدل على الرتبة (٢٥٩) . وشعارا موحدا هو فارس يعتلي صهوة جواد (٢٦٠) ويظهر أن هذه الفرق خضعت لمستوى جيد من التدريب العسكري وتمكنت قيادة الحزب العربي مع أواخر ايام الحرب العالمية الثانية من تدريب مئات الشبان في مدن فلسطين المختلفة : القدس ورام الله والخليل ونابلس وجنين وطولكرم ويافا وطبريه وغزة (٢٦١) كما انها تمتعت بمستوى من التثقيف السياسي والتعبئة النفسية ـ ربما بسبب كونها قائمة على الشباب المختارين بعناية ويتدربون على الاعمال العسكرية والحياة الخشنة ـ أكثر مما كان عليه الحال في الفروع . ويظهر في أدبيات التوجيه السياسي لهذه الفرق اللهجة الهادئة والافكار الهادفة والتركيز المدروس على اختيار القوة كاسلوب للحل . وهنا نجد أن التاريخ السياسي لبعض الدول ـ وبخاصة تلك التي هزمت خلال الحرب العالمية الاولى ثم عادت الى النهوض على قدميها ـ استخدم وسيلة للتثقيف واختبرت تلك الدول كمثل يحتذى

مدني أكبر منه بكثير . ولعل مطمح الحزب العربي في البداية كان ايجاد تنظيم عسكري ، أو شبه عسكري ، يخدم الهدف السياسي ، كما لمسنا من مبررات قيام تنظيم الفتوة وخطابات قادته في الاجتماع الاول ، ولكن غياب المقدرة التنظيمية لدى القادة ، لم تستطع أن تخلق منه الكيان العسكري الفاعل أو القادر ، فانه حتى في عنفوان قوته لم يقم بدور يذكر ، اللهم دور العسكتاريا ، التي تحافظ على الانضباط وحماية الاجتماعات . ولعل هذا ما جعل الخالدي بصفهم (وليس بدون كثير من التقليل من شأنهم) بانهم بلطجية الحزب العربي (٢٦٩) كما أن صبحي ياسين يقصر دورهم على المشاركة في مهرجانات الحزب " وحمد النشاط نهائيا اللهم من اطلاق الرصاص في الهواء من جماعة الفتوة في مؤتمر سينما الحمراء بمدينة يافا عندما خطب جمال الحسيني " (٢٧٠) .

حواشي الملحق الثاني

(١) Shaw Commission Report: pp. 70-78.

(٢) Porath: op.cit, Vol:II,p.49.

(٣) Porath: op.cit, Vol:II,p.51.

(٤) Ibid,.

(٥) Porath: op.cit, Vol:II,pp.56-57.

(٦) عنبتاوي ، عادل : "المؤتمر الاسلامي العام ١٩٣١" شؤون فلسطينية " العدد ٢٥ (سبتمبر ١٩٧٣) ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٧) المصدر ذاته .

(٨) المصدر ذاته : ص ١٢٤ .

(٩) دورة : القضية ج ١ ص ٨١ .

(١٠) Porath:op.cit,Vol:IIp.58.

(١١) Ibid.,

(١٢) دورة : القضية ج ١ ص ١٠١ - ١٠٢ .

(١٣) P.S.S. - 18 February 1933,FO 371/16926.

(١٤) Ibid.,

(١٥) Ibid.,

(١٦) وثائق المقاومة ص ٢٢٠ - ٢٢٢ .

(١٧) وثائق المقاومة ص ٢٢٤ - ٢٢٦ .

(١٨) P.A.S. 10 March 1933 FO 371/16926.

(١٩) Ibid.,

(٢٠) P.A.S. 1 April 1933 FO 371/16926

(٢١) Porath: op. cit, Vol:II,p.61.

(٢٢) الكيالي : المصدر السابق ص ٢٨١ .

(٢٣) Porath:op.cit, Vol:II,p.26.

(٢٤) report on Palestine & Transjordan, 1934, p.34.

قارن الخالدى : المصدر السابق ص ١٥٩ .

(٢٥) P.A.S. 25 March 1933 FO 371/16926.

(٢٦) الغورى : فلسطين جـ ١ ص ١٨٩ .

(٢٧) المصدر ذاته ص ١٩٠

(٢٨) المصدر ذاته ص ١٩٠ .

(٢٩) P.A.S. 28 Aug., 1934 FO 371/17878

(٣٠) P.A.S. 26 April 1934 FO 371/17878.

(٣١) الغورى : فلسطين جـ ١ ص ١٩١ .

(٣٢) المصدر ذاته .

(٣٣) الغورى : فلسطين جـ ١ ص ٩١ .

(٣٤) الجامعة العربية : ٢٩ مارس ١٩٣٥ .

(٣٥) الجامعة العربية : ٣ كانون الثاني ١٩٣٥ .

(٣٦) P.A.S. 10 March 1933, F.O 371/16926.

(٣٧) Hurewitz: op.cit, p.60

(٣٨) المقطم : أبريل ١٩٣٥ .

قارن P.A.S. 28 August, 1939 FO 371/17878.

(٣٩) دورزة : القضية جـ ١ ص ١٢١ .

(٤٠) Porath: op.cit, Vol:IIp.62.

(٤١) P.A.S. 28 August 1934, FO 371/7878.

(٤٢) Ibid.,

(٤٣) Ibid.,

(٤٤) الغورى : فلسطين جـ ١ ص ١٩١ — ١٩٢ (43).

(٤٥) P.A.S. 26 April 1934, FO 371/17878.

(٤٦) خلة : المصدر السابق ، ص ٢٤٠ .

(٤٧) P.A.S. ,12 February FO 371/17878.

(٤٨) P.A.S. ,8 March 1934, FO 371/17878.

(٤٩) الخالدي : المصدر السابق ص ١٨٥ .

(٥٠) دروزة : القضية ج ١ ص ١١٧ .

(٥١) المصدر ذاته .

(٥٢) عن الترشيح للخالدي انظر :-

أ - الخالدي : المصدر السابق ص ١٨٦ - ١٨٧ .

ب - العوري : فلسطين ج ١ ص ٩٩ - ١٠٤ .

(٥٣) P.A.S. 15 October 1934 FO 371/17878.

(٥٤) Ibid.,

(٥٥) Ibid.,

(٥٦) علوش : المصدر السابق ص ٩٠ ، انظر : الجامعة العربية ، ٢٧ ابريل ١٩٣٥ .

(٥٧) الجامعة العربية : ٢٥ ايلول ١٩٣٤ .

(٥٨) الجامعة العربية : ٢٧ ايلول ١٩٣٤ .

(٥٩) P.A.S. 15 October 1934, FO 371/17878.

(٦٠) Ibid.,

(٦١) P.A.S. 10 August 1933, FO 371/17878.

(٦٢) P.A.S. 20 September 1934, FO 371/17878.

(٦٣) دروزة : القضية ج ١ ص ١٨٩ .

(٦٤) -orath: op.cit, Vol:II,p.63.

(٦٥) الخالدي : المصدر السابق ، ص ١٥٧ - ١٥٨ .

(٦٦) P.A.S. 21 January 1935, FO 371/17878.

(٦٧) الجامعة العربية : ٢ كانون الثاني ١٩٣٥ .

(٦٨) العدد ذاته .

(٦٩) P.A.S. 15 October 1934, FO 371/17878.

(٧٠) Ibid.,

(٧١) العمري : المصدر السابق ، ص ١٩٦ .

(٧٢) المصدر ذاتـــه ، ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧ .

قارن الخالدي : المصدر السابق ص ١٩٣ الذي يقول أن الاحزاب جميعها كانت تطالب " الاستقلال التام ... والجلاء قبل المقاومة وتاسيس حكومة عربية ديمقراطية تنتخب انتخابا حـــــرا " .

(٧٣) من أجل أخذ فكرة واضحة عن هذه الاحزاب تاسيسا واشخاصا وأهدافا ، انظر المراجع التاليهـــــة :ـ

أ ـ غنيم : المصدر السابـــق ص ٢٨٤ ـ ٢٨٦ .

ب ـ السقزي : المصدر السابق ص ٢٤٦ ـ ٢٧٤ .

جـ ـ Porath: op. cit, Vol:II,p.75-79.

د ـ دورة : القضية جـ ١ ص ١١٧ ـ ١١٩ .

هـ ـ Hurewitz:op.cit, p. 60-63.

(٧٤) ليس لحزب الدفاع قانون مطبوع مثل قانون الحزب العربي .

(٧٥) P.A.S. 22 Feb., 1935 FO 371/18957.

(٧٦) وثائق المقاومـــــة ص ٣٥٩ .

(٧٧) المصدر ذاتـــــه ص ٣٦٠ .

(٧٨) من أجل الاطلاع على النماذج التنظيمية المعروفة للاحزاب انظـــر :ـ

Duverger,Maurice: Political Parties(London,1964)

Sartory,J.: Parties & Party System (Cambridge 1967).

Lawsen,K.: A Comparative Study of Political Parties (New York,1976).

(٧٩) Duverger: op.cit, p. 23-40.

يقسم دوفرجيه الوحدات التنظيمية الاساسية للاحزاب وهي الخلية (للاحزاب الشيوعية) والمليشيا (للاحزاب الفاشية والنازية) والفرع للاحزاب الاشتراكيـــــة وغيرهـــــا .

(٨٠) وثائق المقاومـــــة ص ٣٦١ .

(٨١) وثائق المقاومـــــة ص ٣٦١ ـ ٣٦٢ .

(٨٢) المصدر ذاتـــــه ص ٣٦١ .

(٨٣) المصدر ذاتـــــه ص ٣٦٥ ؛

(٨٤) المصدر ذاتـــــه ص ٣٦٥ ؛

(٨٥) المصدر ذاتـــــه ص ٣٦٥ – ٣٦٦ ؛

(٨٦) المصدر ذاتـــــه ، ص ٣٦٥ – ٣٦٦ ؛

(٨٧) المصدر ذاتـــــه ، ص ٣٦٧ ؛

(٨٨) المصدر ذاتـــــه ، ص ٣٦٦ ؛

(٨٩) راجع صلاحيات ودور كل من هذه الهيئات في القانون الاساسي في المصدر ذاته ، ص ٣٦٤ – ٣٦٥ ؛

(٩٠) المصدر ذاتـــــه ، ص ٣٦٦ ؛

(٩١) المصدر ذاتـــــه ، ص ٣٦٤ ؛

(٩٢) المصدر ذاتـــــه ، ص ٣٦٥ ؛

(٩٣) المصدر ذاتـــــه ، ص ٣٦٦ ؛

(٩٤) المصدر ذاتـــــه ، ص ٣٦٦ ؛

(٩٥) المصدر ذاتـــــه ، ص ٣٦٤ ؛

(٩٦) انظر المادة الرابعة في القانون الاساسي في المصدر ذاته ص ٣٦٤ ؛

(٩٧) المصدر ذاتـــــه ، ص ٣٦٤ ؛

(٩٨) المصدر ذاتـــــه ، ص ٣٦٣ ؛

(٩٩) المصدر ذاتـــــه ، ص ٣٦٣ ؛

(١٠٠) المصدر ذاتـــــه ، ص ٣٦٣ ؛

(١٠١) الجامعة العربيـــة :

(١٠٢) وثائق المقاومـــة ، ص ٣٦١ ؛

(١٠٣) المصدر الســـابق ، ص ٣٦١ ؛

(١٠٤) المصدر ذاتـــــه ، ص ٣٦٧ ؛

(١٠٥) المصدر ذاتـــــه ، ص ٣٦٢ ؛

(١٠٦) المصدر ذاتـــــه ، ص ٣٦٢ ؛

(١٠٧) فلسطـــين ٦ نوفمـــبر ١٩٣٤ ؛

(١٠٨) فلسطين ٣ ديســـمبر ١٩٣٤ ؛

(١٠٩) P.A.S. 19 December 1934 FO 371/18957.

(١١٠) H.C. to CS, 27 Feb., 1938 CO 733/398.

(١١١) H.C to CS, 13 Nov.,1938 FO 371/21865.

(١١٢) Bentwitch: op.cit, p. 195.

(١١٣) Ibid.,

(١١٤) الحالدى : المصدر السابق ، ص ٢٢٢ .

(١١٥) Appendix"B" Short list of Principal Arab Personalitiee in Paleetine FO 371/20824.

(١١٦) ESCO II, op. cit, p. 777.

(١١٧) Appendix "B" Short list of Prin. Arab Person. in Palectine FO 371/20824.

(١١٨) صدقه : المصدر السابق ص ٢٧٢ .

(١١٩) H.C to CS 27 June 1940 FO 371/24563.

(١٢٠) فلسطين ١٨ تشرين الثانـــــي .

(١٢١) الحالدى : المصدر السابق ، ص ٦٨ .

(١٢٢) صدقه : المصدر السابق ، ص ٢٧٢ .

(١٢٣) Porath-:op.cit, Vol: I,p.224.

(١٢٤) H.C to CO 27 June 1940 FO 371/24563.

(١٢٥) H.C to CS 29 December,1938 CO 733/398.

(١٢٦) H.C to CS 6 April,1940 FO 371/24563.

(١٢٧) عارف العارف : المصدر السابق بتاريخ ٢٤ أكتوبر ١٩٣٩ .

(١٢٨) H.C to CS 27 February CO 733/398/75156.

(١٢٩) العارف : المصدر السابق ، ١٥ شباط - ١٩٤ .

(١٣٠) الجامعة العربية ، ٢٩ مارس ١٩٣٥ .

(١٣١) الغورى : فلسطين ، حـ ١ ص ١٩٦ .

(١٣٢) الجامعة العربية : ٢٩ مارس ١٩٣٥ .

(١٣٣) فلسطين ، أبريـــل ١٩٣٥ .

(١٣٤) الجامعة العربية ، ٢٩ مارس ١٩٣٥ .

(١٣٥) الجامعة العربية ، ٢٩ مارس ١٩٣٥ .

(١٣٦) المصـــــدر نفســـــه .

(١٣٧) الموري : فلسطين جـ ١ ص ١٩٦ .

(١٣٨) المصدر نفسه جـ ١ ص ١٣٥ .

(١٣٩) P.A.S. 20 April,1935 FO 371/18957.

(١٤٠) Duverger: op.cit, p.160.

(١٤١) Wriggins,W.Howard: The Ruler's Imperative (New York: Colombia Univereity Press 1969). PP 73-74.

قارن ايضا دوفرجيه الذى يقول عن الاحزاب فى الشرق الاوسط انها : اساسا تتجمعون حول حماة متنفذين وعائلات تتجمعون حول عائلة قوية أو رمان تتجمعون حول قائد عسكرى : Duverger:op.cit,p.3

(١٤٢) Porath: op. cit, Vol: I,p.275.

(١٤٣) ESCO II: op.cit,p.776.

(١٤٤) الخالدى : المصدر السابق ، ص ١٥٩ .

(١٤٥) دروزه : حول الحركة جـ ٣ ص ١١٨ .

(١٤٦) الموري : فلسطين جـ ١ ص ٣٦ ، جـ ١ ص ١٩٨ " المؤامرة الكبرى " ص ٥٧ . قارن ايضا الخالدى الذى يقول "والمعروف المتداول فى ذلك الحين أن الحرب العربى كان ولا يزال حرب المعنى الاكبر " المصدر السابق ص ٩٤ .

(١٤٧) Wriggins: op. cit, p. 101.

(١٤٨) Gerth,H.H & Wright Mills, C (trked) From Max Weber: Essays in Sociology:(New York 1946) pp.243-252.

(١٤٩) انظر حدوري : المصدر السابق ، ص ١٢١ – ١٢٢ .

(١٥٠) Sykes: op.cit, p. 230-231.

(١٥١) Tegart: op.cit, File 3(A).

(١٥٢) دروزه : حول الحركة جـ ٢ ، ص ١٦٠ .

(١٥٣) Sykes: op.cit, p. 231.

(١٥٤) مقابلة المؤلف للاستاذ اكرم زعيتر فى بيروت عام ١٩٧٧ .

(١٥٥) Macmichael Papers in St. Antony's College. Middle East Centre D6. 12 E 1939.

(١٥٦) Ibid.,

(١٥٧) الخالدي : المصدر السابق ، ص ٣٥٠ .

(١٥٨) Schectman: op.cit, p. 40.

(١٥٩) Ibid.,

(١٦٠) Cabinet Committee on Palestine,24 Oct., 1938 FO 371/21865.

(١٦١) H.C to CO 2 January 1939 CO 733/393.

(١٦٢) الخالدي : المصدر السابق ، ص ٣٤٥ .

(١٦٣) العوري : فلسطين جـ ١ ص ٨٤ ، يقول العوري : " وقد بلغ من حب شباب النصارى للعتي وتعلقهم به أنهم كانوا يهتفون باسمه في جميع الاجتماعات والمظاهرات التي يقومون بها في الميدان الارثوذكسي العربي . كما كانوا ينادون بحياته حتى في الاحتفالات التي كانت لهاصفة دينية ، كموسم عيد النور

(١٦٤) Arriggine: op.cit.,p. 101.

(١٦٥) H.C to Jamieson 12 September 1936 CO 733/ 11.

(١٦٦) S.S.O Gaza (1955 Baghdad) 7th Oct., 1936 CO 733/311/75528.

(١٦٧) Griffiths J.M.N: Palestine: the Reality(London) 1939. 674.

(١٦٨) فلسطين ، ٢٩ اكتوبر ١٩٣٨ .

(١٦٩) العدد ذاته .

(١٧٠) الشعيبي : المصدر السابق ص ١٨١ .

(١٧١) العارف : المصدر السابق ٢٢ نيسان ١٩٣٩ .

(١٧٢) Marlowe: op. cit, pp.142-143.

(١٧٣) العارف : المصدر السابق ، ٢١ تشرين الاول ١٩٣٩ .

(١٧٤) Jerusalem District Report for Period 16th to 31st May 1945. CO 733/456.

(١٧٥) Hurewitz: Op.cit., p. 149-150.

(١٧٦) الخالدي : المصدر السابق ، ص ٣٥٠ .

(١٧٧) الخالدي : المصدر ذاته ص ٣٦٥ ، ٥٢١ .

(١٧٨) المصدر ذاته .

(١٧٩) المصدر ذاتـــه ·

(١٨٠) Kurowitz: op. cit, p. 150.

(١٨١) فلسطين : ١٦ نيسان ١٩٣٥ ·

(١٨٢) انظر : ص ١٥٦ من اجل معرفة ايضا هذا العنوان انظر المراجـــع التالية في اكثر من صفحـــة –

١ – العوري : فلسطين جـ ١ ، جـ ٢ ·

٢ – Furlonge: op.cit.

٣ – الخالدي : المصدر السابق في صفحات متعـــددة ·

٤ – Appendix "B" Short list of Arab Personalities.

هذا فضلا عن الوثائق البريطانية مما سنستشهد به عنـــد حديثنا عن المعارســـات ·

(١٨٣) يقول هيرودوتر : ان العوري كان المسيحي العربي الوحيد الذي لحق بالمفتي الى العراق بعد نشوب الحرب العالمية الثانية انظر:

Schectman: op.cit, pp. 97-99.

(١٨٤) الخالدي : المصدر الســـابق ص ٣٥٠ ·

(١٨٥) العوري : فلسطين جـ ١ ص ١٩٨ ·

(١٨٦) دروزة : حول الحركة جـ ٣ ص ١١٤ ·

(١٨٧) P.A.S. 5 August 1935, FO 371/18957.

(١٨٨) الجامعة العربية ، بولبو وفلسطين ١٩٣٥ ·

(١٨٩) قارن ايضا العوري : فلسطين جـ ١ ص ١٩٨ ·

(١٩٠) دروزة : القضـــــية ص ١١٨ ·

(١٩١) دروزة : حول الحركة ، جـ ٣ ص ١١٤ ·

(١٩٢) في مقابلة المؤلف مع الاستاذ كامل الدجاني احد اعضاء المكتب السياسي للحزب العربي ذكر أن اجتماعات الفرع في فالمهما لم تكن تزيد عن لقاءات غير منتظمة تتم في بيت احد الاعضاء وتجمع فئة صغيرة من مناضلي الحزب ـ تمت المقابلة في شتاء ١٩٧٧ .

(١٩٣) لعل من أسباب هذه الظاهرة أن هذه الفروع لم تمارس نشاطها الا في فترات زمنية محدودة ، فقد توقف نشاط الاحزاب كفروع ، مع انشاء اللجنة العربية في ابريل ١٩٣٦ ، وبينما مارس حزب الدفاع نشاطه بصورة غير منتظمة بعد ذلك ، نجد أن الحزب العربي لم يستانف نشاطه الا حوالي عام ١٩٤٢ ، واستمر على ذلك حتى عام ١٩٤٥ حيث أوقف نشاطه التنظيمي مرة أخرى ، فالحزب العربي اذن كان قائما من حيث التكوين التنظيمي في فترتين ١٩٣٥ ـ ١٩٣٦ ، ١٩٤٣ ـ ١٩٤٥ .

(١٩٤) يطالع القارىء في صحافة هذه الفترة العناوين الكبيرة التالية :
" المهرجان الوطني الكبير في بيسان لمناسبة افتتاح الحزب العربي فيها ـ طعام العشاء لـ ٢٥٠ شخصا في بيت فريد
فخر الدين ـ حفلة افتتاح الحزب العربي في الناصرة ـ وصول الرئيس وموكبه ـ انظر مثلا الجامعة العربية اعداد شهر تشرين ١ ، ١٩٣٥ .

(١٩٥) يتبين من التقارير البريطانية ان التبرع لمشاريع الحزبين أو نشاطهما كان من الهيئات القيادية ، كما تظهر مصادر اخرى ان الحزب العربي كان يلقى دعما ماليا من بعض المؤسسات الوطنية مثل البنك العربي .
انظر مثلا P.A.S. 20 April 1935 FO 371/18957
P.A.S. 31 May 1935 FO 371/18957.
قارن : Hurewitz: op.cit. p. 185.

(١٩٦) صدقة : المصدر السابق ص ٢٣٢ .

(١٩٧) Duverger: op.cit., p. 93.

(١٩٨) وثائق المقاومة ص ٢٦١ .

(١٩٩) P.A.S. 20 April 1935 FO 371/18957.

(٢٠٠) Porath: op.cit, Vol:I,p. 289.

(٢٠١) وثائق المقاومة ، ص ٢٦١ .

(٢٠٢) Duverger: op.cit, p. 90.

(٢٠٣) دروزة : حول الحركة ج ٣ ص ١١٣ . كما اخبر دروزة كاتب هذه السطور شخصيا ، ان الحزب العربي كان هو الوحيد الذي له قاعدة جماهيرية ـ المقابلة تمت في صيف ١٩٧٨ .

(٢٠٤) Appendix Arab Political Parties FO 371/20824.

(٢٠٥) الخالدي : المصدر السابق .

(٢٠٦) الموري : المؤامرة الكبرى ص ٧٥ .

(٢٠٧) الموري : فلسطين ج ١ ص ١٩٨ .

(٢٠٨) الخالدي : المصدر السابق ص ٢٢٢ .

(٢٠٩) H.C to CS 27 February 1938 CO 733/398.

(٢١٠) P.A.S. 7 Nov., 1936 FO 371/20018.

(٢١١) Ibid.,

(٢١٢) H.C to CS 13 Nov., 1937, CO 733/333.

(٢١٣) P.A.S. 1 Nov., 1938 CO 733/359.

(٢١٤) Hurewitz: op. cit, p. 83.

(٢١٥) P.A.S. 1 Nov.,1938 CO 733/359.

(٢١٦) الموري : المؤامرة الكبرى ص ٧٥ .
Hurewitz: op.cit, p. 61.
P.A.S. 5 Aug.,1935 FO 371/18957. وقارن

(٢١٧) الخالدي : المصدر السابق ص ٢٠٢ .

(٢١٨) Tegart: op.cit, Box1 File 3.

(٢١٩) انظر فلسطين في اكثر من عدد ، مثلا ٢ نيسان ١٩٣٥ .

(٢٢٠) كنعاني : المصدر السابق ص ٥٩ .
Hurewitz: op.cit, p.61.

(٢٢١) Appendix Arab Political Parties FO 371/20824.

(٢٢٢) Appendix A:Arab Political Parties FO 371/20824.

(٢٢٣) Al-Nashef: op. cit, p. 80.

(٢٢٤) Tegart: op.cit, Box I File 3 De. p26.2

قـــارن : Porath: op. cit, Vol:II, p. 137.

(٢٢٥) Tegart: op.cit, Box I file 3 De. 126.2

(٢٢٦) Al-Nashef: op. cit., p. 78.

(٢٢٧) Tegart: op.cit, Box I file 3 De. 126.2.

(٢٢٨) Ibid.,

(٢٢٩) Ibid.

(٢٣٠) مقابلة المؤلف مع الاستاذ كامل الدجاني في شتاء ١٩٧٧ .
قارن الجامعة العربية ٢٩ مارس ١٩٣٥ .

(٢٣١) قارن الخالدي : المصدر السابق ص ١٥٩ .

(٢٣٢) انظر امثلة على هذا في اعداد فلسطين لعام ١٩٣٥ : ٢٩ كانون الثاني ١٩٣٥ ، ٢٦ آذار ١٩٣٥ : حيث تجد محاضر قرى متعددة كدير غسانة ، ودير نظام ، والسن صالح ، وبرهام ، وحبيـــا ، ومارورة وبعلين وبدروس وقولة وبيت سالا وسمع وبتير الخ . يحرمون بالتأييـــد .

(٢٣٣) Appendix "H" Short list of Principal Arab Personalities in Palestine FO 371/20824.

(٢٣٤) Hurewitz: op.cit, p. 62.

(٢٣٥) يقسم تقرير للمندوب السامي العائلات الرئيسية في فلسطين الـــى ســـت وهـــي :-

ا ـ الحســـي ب ـ الشاشبـــي جـ ـ عبد الهـــادي
د ـ الخالدي هـ ـ طوقـــان و ـ ناطـــــي

في الاصل ـ عائلة يهوديـــة .

انظـــر :-
H.C to CS 13 Nov.,1938 FO 371/21865.

(٢٣٦) فلسطين ١٥ آذار ١٩٣٥ .

(٢٣٧) Porath: op.cit, Vol:I p. 276.

(٢٣٨) Porath:Ibid.,p.217. فارن العوري فلسطين جـ ١ ص ١٩٧

(٢٣٩) Porath:Ibid.,p.217. فارن العوري فلسطين جـ ١ ص ١٩٧

(٢٤٠) H.C. to CS 28 November 1938 FO 371/21867.

(٢٤١) انظر العوري : فلسطين جـ١ ، في صفحات متعددة وبالذات ص١٩٧

(٢٤٢) كنفاني : المصدر السابق ص ٦٣ .

(٢٤٣) عساف : المصدر السابق ص ٢٨١ .

(٢٤٤) صدقة : المصدر السابق ص ٢٢٢ .

(٢٤٥) لعل أصدق ما يصور أصحاب المصالح ، هي مذكرات عارف العارف الذي سخر من نزعة انتصار الحرب مثل محرى الشاشي وبعض ال النوا والحسيني والبيطار والفاهوم وعبرهم الى النعمة والشعب من السلطات .

(٢٤٦) الخالدي : المصدر السابق ص ١٢٤ – ١١٥ .

(٢٤٧) P.A.S. 28 Feb.,1937 FO 371/20824.

(٢٤٨) H.C to CS 13 Nov.,1938 FO 371/21865.

(٢٤٩) P.A.S. 5 August 1935, FO 371/18957.

(٢٥٠) انظر ابو النصر ، امين ، مجاهد من ابو دس(عمان ١٩٧٧) . ص ١٠٢ الذي يقول "كانت فرقة الفتوة اكثر منظمة للشباب في فلسطين وكان ذات طابع عسكري جاد " .

(٢٥١) الجامعة العربية ١٧ كانون الثاني ١٩٣٥ . فارن ايضا ما أبداه رشاد الخطيب في اول اجتماع لفرق الفتوة من تشجيع لهذه الروح واستشهاده بقول بسمارك " ان مشاكلنا لن تحل بالصمت والصراخ ولكن بالحديد والنار .

(٢٥٢) انظر : P.A.S. 10 March 1936 FO 371/20018.

P.A.S. 10 March 1935 FO 371/20018.

(٢٥٣) Lucas: op.cit. p.149.

وهو يعزو الى س غوريون " وسائل العنف" والتي بدا في توجيه الحركة الصهيونية نحوها بعد صعوده الى قيادتها عام ١٩٣٥ على الرغم من ان اقرانه كانوا يؤمنون بالحل السلمي للنزاع مع العرب

(٢٥٤) الجامعة العربية ١٧ كانون الثاني ١٩٣٥ .

(٢٥٥) Hurewitz: op.cit. p.61.

(٢٥٦) ابو الشعر : المصدر السابق ص ١٠٣ .

(٢٥٧) P.A.S. 10 March FO 371/20018.

(٢٥٨) Ibid.,

(٢٥٩) P.A.S. 9 August 1935 FO 371/18957.

(٢٦٠) ابو الشعر : المصدر السابق ص ١٠٤ .

(٢٦١) المصدر ذاتـــه .

(٢٦٢) P.A.S. 10 March 1936 FO 371/20018.

(٢٦٣) Ibid.,

(٢٦٤) Ibid.,

(٢٦٥) Ibid.,

(٢٦٦) Ibid.,

(٢٦٧) المقطم ١٩٣٥/٩/٢٦ .

على اية حال لم تشهد هذه القرى عهدها الذهبي الا مع أواخر ايام الحرب العالمية الثانية عندما بلغ عددها الالوف وانتشرت في اغلب مدن فلسطين وقراها وأصبح لديها ٢٠٠٠ قطعة من السادس والعشمات والرشاشات للتدريب عليهـا .

انظر الخالدي : المصدر السابق ص ٥٣٢ – ٥٣٣ .

قارن ابو الشعر : المصدر السابق ص ١٠٢ – ١٠٤ .

(٢٦٨) القوري : فلسطين جـ ١ ، ص ٣٦ .

(٢٦٩) الخالدي : المصدر السابق ص ٥٣٥ .

(٢٧٠) ياســين : المصدر السابق ص ٢١١ .

البـــــاب الثالـــث

ولد الحزبان الدفاع والعربي في ظروف عصيبة . فقد كانت السنة التي شهدت ولادتهما من الناحية الرسمية ١٩٣٥ ، نقطة تحول كبيرة في نضال الفلسطينيين ومصيرهم بوجه عام . ففي هذه السنة أحس العرب بما لم يحسوا به في أي يوم من الايام السابقة ، بأن كيانهم أصبح مهددا بصورة خطيرة . فقد أيقنوا أن سياسة الانتداب" ستنتهي ان آجلا وان عاجلا بالاستئصال الكامل للعرب من أرضهم وتشريدهم وتدمير كيانهم القومي لكي يقام على انقاضه وطن قومي لليهود " (١) ففي هذه السنة أحس العرب بأن كابوس الوطن القومي قد أصبح ماثلا للعيان و " أن الوطن القومي الموعود قد تحقق وأنه لم يعد هنالك متسع لليهود ليدخلوا البلاد " (٢) .

وقد زادت الهجرة اليهودية المتصاعدة في قلق العرب ومخاوفهم . فبفضل سياسة واكهوب المندوب السامي شهد عام ١٩٣٥ هجرة لم يسبق لها مثيل . (٣) ففي حين أنه كان يسمح في الماضي بهجرة (٥٠٠٠) مهاجر كل عام وفي الحالات الاستثنائية بـ (٨٠٠٠) ، فانه في هذا العام سمح بهجرة (٦٠٠٠٠) (٤) هذا بالاضافة الى الهجرة غير الشرعية التي لم تكن بأي حال اقل من الهجرة المسموح بها أو الشرعية . (٥) .

وكانت ثالثة الاثافي بالنسبة للفلسطينيين ، مما بدا أثره واضحا في هذا العام أيضا ، هو غياب أي نوع من الحكم الذاتي وان جهودهم في هذا المجال لم تلق أي نجاح يذكر. وانه ليس بلا مغزى أن نجد أن واكهوب استشعر المشاكل التي عانى منها العرب وصورها في أحد تقاريره : " ان لدى العرب أو أنهم يتصورون أن لديهم ، ثلاث ظلامات منفصلة ، واساسية ، ضد الحكومة : الاولى منها أن العرب يعتقدون أن وعدا قد صدر اليهم بأنه ستقام لهم دولة مستقلة ، بعد الحرب الاخيرة . وأن هذه الدولة ستشمل فلسطين ، والثانية والتي

سيبت الضيق للعرب ، تعود الى وعد بلفور وما ترتب عليه . أما ثالثة هذه الظلامات فانها تكمن في اهمال الحكومة لتشجيع الحكم الذاتي " (٦).

وبادراك كامل لتأثير هذه الظلامات في نفسية العربي استأنف واكهوب قوله : "اننا قد ننظر الى هذه الظلامات على أنها خيالية أو وهمية ، ولكنها بالنسبة للعربي حقيقة ، وهي ـ الى ذلك ـ سبب في انتشار الاعتقاد لديهم أنهم عوملوا بصورة غير عادلة . والى هذا الاعتقاد بالظلم واللاعدالة ينبغي أن يضاف الان شعور العرب بالخوف من أن اليهود سينجحون في توطيد اقدامهم باعداد كبيرة لدرجة أنهم قد يتمكنون من الهيمنة الاقتصادية والسياسية على البلاد " . (٧).

وفي اطار هذه الخلفية للاوضاع التي عاناها الفلسطينيون ، عانى العرب أيضا من أزمة اقتصادية زاد في استفحالها حرب الحبشة والاجراءات التي اتخذتها بريطانيا ضد ايطاليا في هذه الحرب ، والتي وضحت آثارها في سحب المواطنين لنقودهم من البنوك ، كذلك انهار عدد من المصانع الصغيرة وزاد عدد العاطلين عن العمل كما خيم الكساد على البلاد (٨). كما انه جرى حدثان هامان في فلسطين خلال خريف عام ١٩٣٥ وكان لهما تأثيرات واضحة على المواطنين العرب والحركات السياسية عموما ، الحدث الاول هو اكتشاف الاسلحة اليهودية المهربة الى يافا . والامر الثاني هو استشهاد الشيخ عز الدين القسام .

ازاء هذه الظروف والتحديات المختلفة ، والمتفاقمة ، لم تتخذ السلطات البريطانية اي خطوة حقيقية لمواجهة المظالم العربية وروح النقمة المتصاعدة الا مشروع المجلس التشريعي الذي قصد منه تحذير العرب أكثر من حل مشاكلهم الحقيقية.

وازاء هذا كله وجه الحزبان العربي والدفاع نشاطهما ضمن اطارين : الاطار الاول : محاولة التصدي للتحديات المختلفة ، والاطار الثاني هو عدم التخلي عن الخصومات التقليدية.

الصراع بين الحزبين

سنستهل دراستنا لنشاطات الحزبين بالتركيز على حزب الدفاع الذى ظهر رسميا في ٢ ديسمبر ١٩٣٤. سابقا بذلك الحزب العربي بحوالي أربعة شهور. وهنا نجد أن هذا الحزب قد فشل في اظهار أى نشاط يذكر في الاسابيع التي تلت تأسيسه. (٩).

ولعل هذا يعزى الى العوامل التالية :ـ

١. لم يكن الحزب مؤهلا لكي يقوم بأى نشاط منتظم أو ذى قيمة بسبب من بنيته المفككة. وكذلك بسبب ضعف قيادته. فكما سبق الاشارة فان بناء الحزب لم يكن على أساس هيكلي من القاعدة الى القمة حتى يساعد على تقنية أى نشاط منتظم.

٢. ان أهداف الحزب الكبرى لم تكن مبلورة أو مبرمجة بحيث يمكن تطبيقها بصورة تدريجية وعلى مراحل. وحقيقة الأمر لم يكن لدى الحزب أى تخطيط جدى من أجل تسيير التجربة الحزبية. فالذى كان لدى الحزب لم يزد عن شعارات كبيرة. فعلى سبيل المثال اقترح فخرى النشاشيبي، في الايام الاولى لتأسيس الحزب، سياسة قومية متطرفة، كما أشار الحزب في مبادئه الى الاستقلال الكامل (١٠) ومع ذلك فان هذه الشعارات لم تجد طريقها الى التنفيذ من خلال ممارسات مستمرة تتحول الى تراكمات متكاملة التنسق وتؤدى في النهاية الى تحقيق الاهداف التي تضمنتها الشعارات والاهداف الكبرى.

٣. كما أن قيادة الحزب لم تكن في الايام الاولى لولادة الحزب متأكدة مما ينبغي عمله. فراغب النشاشيبي الذى وقع فريسة للاحباط الذى نجم عن فشله في الانتخابات البلدية في القدس عام ١٩٣٤ والذى نسب فيه خصومه من الحسينيين، توقف بصورة مؤقتة عن أى نشاط يذكر. فقد أشار أحد التقارير الى أن "راغب يحس بهزيمته بصورة حادة، كما أنه اتهم الحكومة بالفشل في دعمه بالرغم من أنه خدم الحكومة جيدا طوال خمسة عشر عاما" (١١) بل أن راغب وغيره من العرب الحزبيين لم "ينصرفوا الى التركيز على الشؤون القومية" الا

بعد الانتهاء من ذيول هذه الانتخابات والا بعد أن رفضت الحكومة الالتماس من راغب نفسه الى الحكومة محتجا على نتائج هذه الانتخابات (١٢)٠

٤٠ كما أن الحزب حاول أن يعزز من قوة صفوفه الداخلية وخلق نوع من الادارة الحزبية ، فبسبب من ضعفه التنظيمي ركز الحزب على الجهاز الدعائي كبديل ، وفي سبيل ذلك فقد اجتمع راغب بالشيخ التاجي الفاروقي محرر جريدة "الجامعة الاسلامية" واتفق الطرفان على التعاون ، ولقد تضمن اتفاقهما فيما تضمن أن " مؤيدي النشاشيبي سيدعمون " الجامعة الاسلامية" ماليا وفي نفس الوقت قايل راغب النشاشيبي ايضا ابراهيم الشنطي ـ الذي اتبع قبل ذلك خطا مستقلا ـ صاحب جريدة "الدفاع" الذي وافق على تأييد حـــزب الدفاع (١٤)وعلى هذا فقد شكلت الجامعة الاسلامية والدفاع بالاضافة الى جريدة فلسطين السلاح او القوة الضاربة لحزب الدفاع ، واستغلت في الصراع الحزبي كما سنرى٠

٥٠ ان نشاطات حزب الدفاع التي استأثرت بها الاحقاد "التاريخية" بين النشاشيبيين والحسينيين ، تلكأت حتى تم تكوين الحزب العربي من الناحية الرسمية ٠ ومن هنا فانه باعلان الحزب العربي رسميا في مارس ١٩٣٥ ، اصبح المسرح السياسي في فلسطين مهيأ للعمل٠

تلك كانت الاسباب التي أعاقت حزب الدفاع عن ممارسة نشاط فعال عند تأسيسه ٠ ومن الناحية الاخرى فان الحزب العربي الذي يعاني ايضا من افتقاره الى كثير من مظاهر التنظيم الفعال صرف بعض الوقت في تعزيز جبهته الداخلية٠ فقد عنى الحزب بالاضافة الى انشاء الفروع بصـــــورة مكثفـــــــــة بالصحافة التي تضافرت فيها جهود " الجامعة العربية" بالتعاون مع "الشهاب" و "الوحدة العربية" و "الاوقات العربية " (١٥)٠

وعلى أية حال فقد استهل حزب الدفاع نشاطه في عقد اجتماع للجنة التنفيذية للحزب في مكاتبه ، التي تم استحداثها في القدس٠ ولكن مع ذلك فان هذا الاجتماع لم يسفر عن شيء يستحق الذكر (١٦) فقد اقتصرت المناقشات في هذا الاجتماع على تقديم احتجاج يتعلق بحادث (عرب) الزبيدات (١٧) والمطالبة بالعفو عن المشاركين بمظاهرات ١٩٢٩ وعدد مـــن المشاكـــــل الداخلية (١٨)٠

وبمقارنة نشاط الحزب العربي الفلسطيني بحزب الدفاع الوطني آخذين بعين الاعتبار تأخره في التأسيس عن حزب الدفاع ، نجد أن الحزب العربي لم يحقق أي نشاط ذي بال. فقد غلب الاهتمام في الحزب بالتخطيط على تنفيذه. ولم يزد نشاطه في هذه الفترة عن التفكير في ارسال وفدين من المبعوثين لاغراض دعائية الاول منهما الى الغرب والثاني الى الشرق.

وبالرغم مما تذكره تقارير البوليس لهذه الفترة ان الحزب العربي " سيغتنم الفرصة الاولى لاجتماع لجنته التنفيذية لكي يبدأ أعمال تهييج واثارة لا زالت طبيعتها تحت البحث (١٩) فانه من الناحية الواقعية لم يحصل شيء من هذا القبيل.

وبينما قلص كلا الحزبين نشاطه على المستوى القومي أو الوطني ، فقد كان عليهما أن ينتظرا حتى عودة صراعهما الحزبي ليبدأ بنشاطهما الفعلي غير المجدي.

ارتبط الصراع الحزبي بين الطرفين بعدد من الاسباب الهامة قد يكون أهمها دور السلطات الحاكمة التي ركزت جهودها على المستوى المحلي ، في استراتيجية بدأت منذ وقت مبكر ، وهي سياسة "فرق تسد" (٢٠) كما أن الصراع ارتبط بطبيعة التكوين التنظيمي للاحزاب التي بسبب من العوامل الاجتماعية كانت محكومة بـ " الشخصية" و"العائلية".

وفضلا عن ذلك فان الحزب العربي الذي عرف بتوجهه القومي كما بدا في دستوره ودعايته ، لم يكن على استعداد ـ كما يظهر ـ لتبني استراتيجية قومية يضم فيها صفوفه الى الاطراف المختلفة في الحركة الوطنية. بل حافظ على نزعته نحو التفرد أو الانفراد بالعمل. ولعل هذا يعود الى أنه من ناحية اخرى أحس بمدى قوته وشعبيته ولم يجد حاجة الى تنسيق العمل مع الاحزاب الاخرى (٢١).

حقا لقد ولد الحزبان في مرحلة راديكالية الحركة الوطنية واشتداد مجابهتها للسلطات البريطانية. ولكن لا بد من مرور فترة أطول حتى يتمكن الحزبان من تغليب التناقض القومي على التناقض الحزبي.

أخذت المعارك الحزبية شكل الحملات الصحفية المتبادلة. ولقد ركزت معظم هذه الحملات على الامراض الداخلية للحركة الوطنية ولكن المعنى الاهم ، الذي انطوت عليه ، كان الخلاف الحزبي أو العائلي.

وعلى سبيل المثال لا الحصر فان الحزب العربي اتهم أعضاء حزب الدفاع بالعمالة لبريطانيا ، كما اتهمهم بانهم سماسرة للاراضي (٢٢) ومتعاونين مع اليهود على أكثر من صعيد . ففي هذه الفترة اتهمت جريدة الجامعة العربية ـ في معرض ردها على التهم التي كانت توجهها جريدة فلسطين ـ صاحب جريدة فلسطين بانه "شخص طفيلي جاء مع الاحتلال الانجليزى خادما جيش المستعمرين " (٢٣) . كما وصفت جريدة فلسطين ايضا بانها "مشبوهة" تتقاضى النقود من اليهود بالاف الجنيهات (٢٤) كما اتهمت عائلات حزب الدفاع بانهم " قد باعوا وسمسروا لليهود " (٢٥) ، كما انها كتبت تقول : " كانت السمسرة في السابق ترتكب في ظلمات الليل البهيم فأصبحت ترتكب في وضح النهار . وكان السماسرة يصطادون الضحايا في المقاهي فأصبحت لهم مكاتب رسمية . فهم يحصلون على رخصة رسمية من الحكومة مقابل اجر معلوم ، وتنشر أسماؤهم في الوقائع الفلسطينية التي هي جريدة الحكومة" (٢٦) .

وبالمقابل فان اتهامات حزب الدفاع لخصومه لم تكن اقل حجما ولا اخف ضراوة . ولقد سخر الحزب لهذه الغاية جهازه الصحفي الاوسع انتشارا . وشن حملة شرسة ضد الحزب العربي بوجه عام ، وضد رجله الاول المفتي بوجه خاص . ولقد كان الهجوم منسجما مع غاية الحزب او سياسته التي تركزت بالدرجة الاولى على تشويه سمعته وجعله يفتقد ثقة الحكومة من ناحية وكسب العمال العرب والشباب الى صف المشاشيبيين من الناحية الاخرى " (٢٧) .

ولقد تركز النقد الاول للحزب العربي على وقوفه موقف المهادنة من الانجليز ـ فبدلا من تصنيف الانجليز على انهم العدو الاول وتوجيه جهودهم نحو هذا العدو ، فانهم على العكس من ذلك تجاوزوا ذلك ولكن بطريقة سلبية الى تركيز جهودهم على الصهيونيين الذين كانوا في نظر الدفاعيين خطرا صغيرا ومحدودا اذا قورنوا بالانجليز " اساس الداء ورأس البلاء " .

ولقد كان لهذا النقد وجاهته الظاهرة ، فقد اتخذ حزب الدفاع من المكان الرسمي للمفتي كرئيس للمجلس الاسلامي الاعلى ، الامر الذى لم يسمح المقدرة على مجاهرة الانجليز بالعداء ، اتخذ حزب الدفاع من ذلك ذريعة للحكم عليه وحزبه بانهم موالون لبريطانيا .

وفي جريدة فلسطين أكثر من شاهد على هذا الاتجاه في دعاية حزب الدفاع .

فهي تقول : " وقد مضى حتى الان نحو ١٧ سنة والامة كلها تهيب بالحاج أمين ، ان يطلق وظائف الانكليز ، ويسير بقوة الشعب لا بقوة الانكليز فيابى الا أن تسير الامة في وادوهو في واحد آخر" (٢٨) كما أن جريدة فلسطين لم تتردد في تفسير تاريخ فلسطين الحديث في مجمله بانه سلسلة من المواقف الانهزامية أو المتخاذلة التي قام بها المجلسيون والتي عادت في النهاية بتمزق فلسطين وضياعها : " وبحسب مؤرخ الحركة الوطنية أن يسجل على الحسينية مساومتهم مع السر هربرت صموئيل على ثورة الامة ١٩٢١ ، وفتنة انتخابات المجلس ١٩٢٥ ، وموقفهم من ثورة ١٩٢٩ التي جعلوها بفضل استخذائهم وتظلعهم الى وظائفهم ثورة عنصرية لا تشرف بها سمعة تاريخ أمة تجاهد في سبيل قضية وطنية لا قضية دينية وتعمد الحاج أمين قتل روح العصيان المدني الذي تبدت به وفود الامة في مؤتمر ٢٦ آذار ١٩٣٣٠٠٠" (٢٩).

وعلى أية حال فقد كانت جريدة فلسطين رائدة هذه الحملات وسرعان ما حذت الصحف الاخرى للحزب حذوها. فقد ذكر تقرير لدائرة التحقيقات الجنائية " ان الصحف الثلاث " فلسطين" و " الدفاع " و "الجامعة الاسلامية" (وبصورة خاصة الاولى من بينها) جعلت من سياستها التشهير بالمفتي والتشكيك بزعامة العائلة الحسينية : الحاج أمين وجمال الحسيني والاخرين" (٣٠) كما أن هذا التقرير لم يغفل ذكر الاثر السلبي على الحسينيين والذي تسبب في شل جزء كبير من نشاطهم : " ان ما فعله الزعماء المذكورون في الاونة الاخيرة قليل. فقد تركز اهتمامهم وانتباههم على حملة صحفية لاستعادة مكانة الحاج أمين الحسيني" (٣١). وبالفعل فقد تضافرت جهود صحف الحزب العربي "الشهاب" و " الوحدة العربية" فضلا عن " الجامعة العربية " للدفاع عن المفتي (٣٢).

والظاهر أن صحف حزب الدفاع كانت صاحبة السبق في هذه المعارك الصحفية . بل ان هذه الصحف كانت سببا في حرج غير قليل للمفتي. فقد اقام المفتي دعاوى على صحيفتي الدفاع وفلسطين واتهمهما بالتشهير به (٣٣). وعلى الاثر اقام بعض أعضاء حزب الدفاع دعاوى مماثلة على جرائد الحزب العربي فعاصم السعيد رئيس بلدية يافا ، وعضو في حزب الدفاع اقام دعوى على " الاوقات العربية " وكذلك فان عيسى العيسى صاحب " فلسطين" اقام دعوى على منيف الحسيني رئيس تحرير الجامعة العربية (٣٤).

وصلت هذه الحرب الصحفية أوجها عندما نشرت "فلسطين" و"الجامعة الاسلامية" بتاريخ ١٩ ابريل صورة (فوستات) لرسالة موجهة من شكيب ارسلان – رئيس " الوفد السوري الفلسطيني " في جنيف والذي كان يعيش في المنفى – الى المفتي يطلب اليه فيها أن يستغل حرج موقف بريطانيا في الصراع على الحبشة ويبدأ بالدعاية لايطاليا ، وانه قد اتفق على ذلك مع موسوليني : " تم الاتفاق على المبادرة في بث الدعاية لايطاليا في البلاد العربية بأسرع ما يمكن " (٣٥) كما انه ينصحه بأن لا يستمر في الاعتماد على بريطانيا ويحذره من التمادي في ذلك " لهذا فاننا نعتقد أن تمسككم بصداقة القوم سيضيع نفوذكم ليس عند أبناء وطنكم في فلسطين فحسب بل عند اقوام آخرين " (٣٦) .

أثارت هذه الرسالة جدلا حارا في الصحافة العربية بشكل لم يسبق له مثيل وكان هذا الجدل كما هو العادة مصحوبا بالاتهامات والاتهامات المضادة . وكتبت الجامعة الاسلامية فوق الرسالة بخط عريض : " جادلوا عن أنفسكم يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ، وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون " وكتبت على الجانب اليمين :" من غشنا ليس منا " وعلى الجانب الايسر :" الرائد لا يكذب أهله " (٣٧) ولقد تطور هذا الجدل لدرجة انه بات هنالك " خشية من أن يلجأ الاطراف المتنازعون الى استعمال القوة او العنف " . (٣٨)

ولقد كانت جريدة "فلسطين" وبدءا من تاريخ ١٦ ابريل ١٩٣٥ قد كتبت تتهم المفتي ورفاقه في الوفد السوري الفلسطيني بالتآمر مع موسوليني ووصفتهم بانهم " كتلة ماجورة تدعو لايطاليا – الوفد السوري وحلفاؤه في القدس وخدمة الاستعمار في الشرق (٣٩) كما أن "فلسطين" اتهمت "الجامعة العربية" لسان حال المفتي بأنها صدى لـ" صوت بارى " وانها لا تتصل مباشرة باذاعة بارى ولكن من خلال وزارة الدعاية الايطالية " (٤٠) كما شارك ابراهيم الشنطي من خلال جريدة "الدفاع" في الهجوم على شكيب ارسلان (٤١) .

وقد ردت الجرائد الحسينية وبوجه خاص " الجامعة العربية " بسلسلة من المقالات فاتحة النار – كما يقال – على النشاشيبيين حتى النهاية . وقد عكست هذه المقالات حدة وعنف كاتبيها . وكان عنوان احدى المقالات " وثيقة مزورة ومؤامرة حقيرة على الامير شكيب ارسلان يراد بها الكيد للعرب والدس للاسلام " واضافت الجريدة قائلة " ايتها الامة احذري الدساسين وافتراءات المفترين " كما

نشرت مقالا آخر بقلم شكيب ارسلان ـ الذى بادر بالابراق بتكذيب الوثيقة ـ بعنوان " الغريق الذى يريد أن ينقذ من هم على البر" وقد حاول ارسلان في هذا المقال ان يبرر موقفه تجاه الطليان بدون أن يعترف ـ بطبيعة الحال ـ بأنه كاتب الرسالة . فقد زعم في مقاله بأنه انما كان يعمل لصالح البلاد العربية : " نحن تكلمنا معكم بالعربي الفصيح لا بالسرياني فقلنا لكم اسبابا تدعونا الى مجاملة ايطاليا من باب السياسة . وهذه الاسباب عائدة الى فلسطين قبل كل شيء والى سوريا والعراق الذى ما زال محتاجا الى الدول العظام (٤٢) ، وفي مقالة ثالثة بعنوان " القنبلة الفارغة والسلاح المفلول " اتهم الكاتب جرائد خصمه بانها " اشتركت في ترويج تلك المؤامرة الوضيعة والمفتريات الباطلة . (٤٣) "

وفضلا عن ذلك وفي خلال حمى هذه المعركة ، فان الجامعة العربية ، في محاولة منها للبرهنة على أن هذه الرسالة غير صحيحة نشرت صورة زنكوغرافية تظهر خط شكيب ارسلان نفسه في شكل رسالة معنونة الى " سماحة المفتي الاكبر الحاج أمين افندى الحسيني " وقد استخدم في هذه المرة اية من القرآن الكريم عنوانا لها " بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون " (٤٤) وكان شكيب ارسلان قد كتب مقالة اخرى بعنوان آخر من القرآن الكريم : " ولقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون ؟" (٤٥) وفي هذه الرسالة حاول شكيب ارسلان ان ينفي التهمة عن نفسه بالتوكيد على أنه لو أراد التحالف مع الدول الاجنبية لكان اختار الدولة التي تحتل سوريا : " لو كنت ممن يدعون الى دولة اجنبية لاتفقت مع الدولة التي تحتل سوريا " (٤٦) ومن أجل أن نجلو الحقيقة وراء غبار هذه الحملات والحملات المضادة سنحاول أن نحقق في أمر هذه الرسالة من أجل هدفين : الاول : أن نكتشف الى اى مدى كانت هذه الرسالة موثقة أو صحيحة ، الامر الذى قد يعني أبعادا سياسية معينة غير الخلاف الحزبي . والثاني : هو معرفة هذه الابعاد السياسية ـ على أية حال ـ وذلك بالنظر لتحديد موقف الحزب العربي من الناحية السياسية في هذه المرحلة . وهنا نجد أن هنالك مصادر كثيرة معاصرة غير مصادر الحزب العربي تتضافر على التشكيك في صحة هذه الرسالة ونفي ما ورد فيها : " فعزة دروزة الذى هو مؤرخ معاصر وشارك في الاحداث يقول ان هذه الرسالة مزيفة ويعزو الضجة التي اثيرت حولها الى فخري النشاشيبي : " وقد اثيرت ضجة كبيرة حول صحة هذه الرسالة تولى كبرها فخرى النشاشيبي .

وثبت فيما بعد أن الكتاب مزور بقلم شخص مقدسي . ولم يستبعد الناس أن تزوير الكتاب والصحة التي أثيرت حوله من تشجيع الانكليز أو اليهود أو الفريقين معا بشكل ما بقصد اتهام الحركة الوطنية الجديدة التي بدأت بمظاهرات عام ١٩٣٣ وبقصد تسوية سمعة الحاج أمين والعناصر الوطنية بل أن هذا كان في نظر المخلصين كاليقين " (٤٧) .

كما سجل أكرم زعيتر في يومياته عن هذه الفترة ما يأتي : " لقد اطلعت على هذه الوثيقة فقررت أنها مزورة وأنا أعرف خط الامير شكيب ، فالتقليد في الوثيقة ظاهر . وفي الوثيقة أخطاء لغوية واملائية لا يمكن أن تصدر عن كاتب بسيط فكيف تصدر عن كاتب عظيم لقب بأمير البيان " (٤٨) .

كما أن المندوب السامي اعتبر الرسالة متناقضة في محتواها : " ان خطي الهجوم (في الرسالة) في الوقت الحاضر متناقضان : الاول أن الحاج أمين يتآمر مع الطليان والثاني هو تمسكه بالانجليز بدلا من أن يقود حملة ضد الحكومة الامر الذي يعتبر خيانة للقضية العربية (٤٩) . كما انه عزا الحملة على المفتي الى الحسد والتناحر العائلي " ان الحملة الصحفية ضد الحاج أمين تزداد فجيعا ولجاجا وعنفا . ان سببها الصحيح هو الحسد لقوته ونفوذه والكراهة العائلية والعداوات الشخصية " (٥٠) .

وبالاضافة الى ما تقوله هذه المصادر عن شكل الرسالة ومحتواها مما يجعل امر صحتها بعيد الاحتمال ، فان الظروف السياسية التي صاحبت نشر هذه الرسالة لا تبرر ما ورد فيها من نسبة الحسينيين الى التعاون مع الايطاليين . فالمندوب السامي واكهوب يؤيد بوضوح وبأسلوب لا يقبل الشك أن موقف الحاج أمين من الحكومة " ودي بصورة قطعية(definitely friendly) فقد أورد في الرسالة التي أرسلها الى وزير المستعمرات واشرنا اليها اعلاه ما نصه : " لقد تابعت موقف الحاج أمين تجاه الحكومة ـ موقفه خلال السنتين الاخيرتين والان . وان موقفه بصورة قطعية موقف ودي ، وبصورة خاصة نحوي انا ، كما سبق أن أشعرتك بذلك " (٥١) .

ومن ناحية أخرى نجد أنه بينما تتهم دائرة التحقيقات كثيرين من قادة حزب الاستقلال بتلقي المساعدات المالية من الايطاليين ، فاننا لا نجد هذه المصادر لا في هذه المرحلة ولا في مرحلة متأخرة عنها . تعزو اى شيء من هذا القبيل لزعماء الحزب العربي (٥٢) بل أنه على العكس من ذلك تصف دائرة التحقيقات قادة الحزب العربي ، الحاج أمين وجمال الحسيني بصورة خاصة ، بأنهم ذوو اتجاه عربي متطرف (Pro Arab) " (٥٣) .

وبفحص المصادر الاخرى نجد أنها تتطابق الى درجة كبيرة مع المصادر البريطانية . وفي هذا المجال فان وقائع المحادثات التي جرت بين موسى العلمي ـ وهو معاصر ومن ذوي الدراية (in the know) كما يصف نفسه ـ مع موسى شاريت رئيس الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية مثل جيد يمكن أن يلقي ضوءا على الموقف الحقيقي للمفتي . فموسى العلمي يذكر بوضوح كامل أن التوجه العربي خلال الحرب الحبشية ـ السبب الرئيسي في كل هذه السجلات المتعارضة حول الرسالة ـ كان موالياً للانجليز . فهو يخاطب شاريت حرفيا بقوله : " في الحقيقة فانك رأيت ان توجهنا الكلي(Entire Orientation)خلال الحرب الحبشية كان موالياً لبريطانيا " (٥٤) وليس هذا كل ما في الامر بل ان موسى العلمي يحاول أن يرفض الزعم المتأخر زمنا عن تاريخ الرسالة ـ والقائم على دعاوة انتشرت بصورة واسعة وحاولت ان تنسب ثورة ١٩٣٦ لعوامل خارجة عن فلسطين وانها انما كانت بدعم من الفاشست الايطاليين ـ وهو يسب كل الصحة المتعلقة بالعون المادي الايطالي للعرب الى مصادر صهيونية تتحمل المسؤولية في هذا الافتراء : انا لا اعلم ما الهدف من توكيدكم الدائم أن الحركة العربية مدعومة بالنقود الايطالية . أولا وقبل كل شيء دعوني اخبركم أن هذه اكذوبة . . . وانتم تركزون على هذا طوال الوقت . كما انه يلتقطها منكم البرلمان (البريطاني) . (القوس ليس في الاصل) .

ولا تدل روح الحوار التالي بين العلمي وشاريت على أن الحاج أمين كان متورطا مع الايطاليين خلال عام ١٩٣٦ .

كما ان المصادر الاخرى غير الصهيونية وغير البريطانية تؤكد انه لم يكن هناك عون مادي من الايطاليين حتى في وقت متأخر عن تاريخ هذه الرسالة وعندما كان العرب بحاجة الى عون خارجي وبالذات خلال الثورة . فالدكتور حسين فخري الخالدي يطلق على مساعدة الايطاليين والالمان للعرب لفظ " الاسطورة " ويستشهد على ذلك بأن الاسلحة التي حارب بها العرب خلال ثورتهم كانت " مجموعة عجيبة من مختلف الاسلحة القديمة : ويقول أيضا " نعم لقد كان المال لازما لاغاثة منكوبي الثورة والعمال العاطلين واعمال الاسعاف ولكن ما جمع من اموال من مدن فلسطين وما جاورها من اعانات من الاقطار العربية الشقيقة المجاورة كان كافيا لتدارك الامور ولو كان على نطاق ضيق " (٥٥) .

ويمكننا وبالنظر للشواهد التي اوردنا ان نرجح الى درجة مؤكدة أو شبه مؤكدة ان الرسالة لم تكن صحيحة . واغلب الظن انها كانت مظهرا من مظاهر الصراع الحزبي كما انه لا يفوت دارس هذه الرسالة ما تضمنته من محاولة استعداء للحكومة على الحزب العربي وتوريطه . واذا اضفنا الى موقف النشاشيبيين هذا ، موقفهم السابق في محاولة اتهام المفتي بولائه لبريطانيا نجد انهم حاولوا عزل المفتي من الناحيتين الرسمية والشعبية .

- ٣ -

محاولات متعثرة لكل من الحزبين في تنسيق أو توحيد الجهود الوطنية

لقد طرح شعار " وحدة الكلمة " في الثاني من ابريل ١٩٣٥ - أي بعد فترة قليلة من ظهور الحزبين بصفة رسمية - فقد كتبت فلسطين " فكر بعضهم في دعوة الاحزاب العربية في البلاد الى عقد اتفاق بينها لتسير يدا واحدة من أجل سلامة الوطن المهدد " (٥٦) .

بل انه وجدت اصوات متعددة في فلسطين تقمت على الحزبية منذ ولادتها وحتى قبل ذلك - أثناء الاعداد لنأ سيسها - واتهمت " كل حزب بانه يركز على الامور العائلية والشخصية كما انه لا يعير التفاتا لمصالح الامة (٥٧) . "

بل لقد كانت النقمة السائدة بين الفلسطينيين في هذه الفترة تعزو كل تقصير الى " الزعامة والزعماء " . (٥٨) كتبت الدفاع تقول " ولرب شعب باسل من غير قيادة مترددة مخلة أجدى عليه كثيرا من البقاء مستسلما الى تلك القيادة تسير به الى موارد الخسارة والهوان " (٥٩) كما كتبت فلسطين تدين جميع الزعماء . " تاريخ الزعماء لا تشرف به قضية اعملوا لبلادكم لا لانفسكم " (٦٠) .

ويظهر أن الحزبين العربي والدفاع اللذين غرقا حتى الاذقان بالمهاترات الحزبية اصما آذانهما عن نداءات الوحدة وصيحات الادانة والتقصير . ويظهر أكثر من دليل انه كان هنالك محاولات للتوحيد بين الاحزاب حتى من قبل الحكومة

من اجل حد ادنى من المجلس التشريعي . الا أن هذه المحاولات فشلت . ففي لقاء للمندوب السامي مع المفتي وجمال الحسيني اقترح عليهما تكوين لجنة عربية من قادة جميع الاحزاب (٦١) وبعد أن وافقا مبدئيا وكتب المندوب السامي : " ان من السهل تكوين لجنة عربية قبل عودتي (المندوب السامي) " لم يظهر فيما بعد أن هذا الامر قد تحقق . فقد كتب تقرير لاحق " لقد اجهضت حتى الوقت الراهن المحاولات التي بذلت من اجل السلام بين الشاشيبي والحسيني " (٦٢) .

وعلى أية حال فلم يكن البديل لهذه الجهود التوحيدية سوى " ان يشترك الحزبان في اعداد مذكرة للحكومة تتضمن المطالب الوطنية ، حتى اذا استتبع ذلك عدم الرضا أو القناعة برد الحكومة فان عليهما أن يشتركا في تنفيذ نوع من السياسة المحددة ، كعدم التعاون على سبيل المثال " (٦٣) .

وعندما دعا الوجيهان خليل العزة ورشدي الشوا ـ وهما من العائلات المناصرة لحزب الدفاع ـ الى اجتماع في الخليل حضره ٢٠٠٠ شخص ودعا الى "السعي مع الشخصيات العاملة في البلاد للتفاهم وتوحيد الكلمة للسير في مصلحة البلاد يدا واحدة " (٦٤) لم يكن مصير قرار هذا الاجتماع افضل من غيره . ولم تمض سوى أيام قليلة حتى شن سكرتير حزب الدفاع هجوما على الدعوة الى " وحدة الكلمة " وهو الشعار الذي صدر عن ذلك الاجتماع . بل انه ذهب الى القول :" وليسمح لي القائمون على هذه الفكرة ان أسألهم اذا كانوا يقصدون بذلك جعل الامة كلها حزبا واحدا . فهذا خطأ ولا نفرضه عليه مصلحة البلاد . وهذه هي اللجنة التنفيذية التي كانت تمثل الامة بجميع أحزابها كانت أول من نادى بلزوم تأسيس أحزاب متعددة (٦٥) بل أن نفس الرجل مضى في جهوده لتهديم فكرة الوحدة عندما فسرها بأنها محاولة لتسليم الحسينيين مقاليد السياسة الفلسطينية . (٦٦)

ومهما يكن من أمر فان الدعوة الى الوحدة لم تلبث أن أصبحت مطلبا ملحا لبعض الاحزاب الاخرى . وكان حامل لواء المطالبة بالوحدة في هذه الفترة حزب الكتلة الوطنية ، الذي على الرغم من كونه حزبا اقليميا ، اقيم خصيصا لتوكيد زعامة أو مكانة رئيسه عبد اللطيف صلاح ، لم يكن منه ـ أمام التقصير الذي وصلت اليه الاحزاب بالنسبة للوحدة والتوحيد ـ الا أن جدد بحماس الدعوة اليها

ففي مؤتمر الحزب الذى عقد في ٦ اكتوبر ، القى عبد اللطيف صلاح خطابا لم يتردد فيه عن تسمية الاشياء باسمائها . بل انه في واقع الامر عزا المسؤولية في تمزيق الامة الى الحرب بين الحزبين العربي والدفاع (٦٧) كما أن هذا المؤتمر قرر ارسال رسالتين الى كل من راغب النشاشيبي وجمال الحسيني من اجل عقد اجتماع في ١١ أكتوبر لمناقشة الوسائل التي يمكن بها توحيد الامة (٦٨) .

ولقد أيد حزب مؤتمر الشباب بقيادة يعقوب الغصين ـ والذي كان طوال الوقت من المتحمسين للوحدة ـ ايد الاقتراح الصادر عن الكتلة الوطنية في توحيد " القوى المتصارعة " بعد يوم من انقضاض مؤتمر نابلس .

والظاهر أنه من جراء هذه الضغوط لقي الاقتراح ترحيبا من حزب الدفاع ايضا . فقد اصدر بيانا قال فيه " انه على اتم استعداد للتفاهم والتعاون مع سائر الاحزاب الفلسطينية العربية على خدمة قضية البلاد العربية بصورة واضحة" (٦٩) بل ان الحزب حاول المزايدة عندما دعا الى تعريب الوحدة والتعاون مع الاحزاب العربية في سوريا وفي شرق الاردن وعلل ذلك : " لما للظروف الحاضرة التي تكتنف البلاد العربية بوجه عام ، وفلسطين بوجه خاص ، وما يحدث في القريب العاجل من التأثير على القضية العربية الفلسطينية " (٧٠) .

وعلى الرغم من هذا فان المؤتمر لم ينعقد في الموعد المحدد له في ١١ اكتوبر . ولم يكن هذا التأخير بسبب الموقف الذى تميز بالمزايدة ، وربما بالمساومة ، من هذه الاحزاب ولكن بسبب ظهور اشارة لخطر جديد لم يكن من السهل تجاهله أو تجاوزه . فقد كان اكتشاف الاسلحة المهربة لليهود في كل من يافا وتل أبيب ،مصدر احساس بتهديد كبير للعرب . وقد اعتبرت الصحف العربية هذا الحدث برهانا كبيرا على ان اليهود يتسلحون على مستوى كبير . وشنت على الاثر حملة شديدة على الحكومة البريطانية واليهود (٧١) .ولم تملك جريدة " الوحدة العربية " المؤيدة للحزب العربي الفلسطيني ، وكان يحررها اميل الغوري ، سوى أن تخاطب السلطات ، فيما ليس هو أقل من هذه الكلمات : " أرواحنا أيتها السلطة ! " . (٧٢)

جاء هذا الحدث ـ مضافا الى غيره ـ بحيث لم يترك لقيادة الاحزاب عذرا في أن يستمروا في ممارسة ضغائنهم وصراعاتهم . واخذت انتقادات الجمهور

للزعامة بأنهم انما يصغون الى صوت مصالحهم الشخصية دون المصلحة الوطنية شكلا جديدا . فقد دعا هذا الجمهور الزعماء الى أن يفرقوا خلافاتهم الشخصية وان يلتقوا على صعيد واحد وان يحتجوا مجتمعين على ما حصل (٧٣) .

ونجد هنا أن حزب مؤتمر الشباب عاد الى المناداة بعقد اجتماع عام لجميع الاحزاب ، في مكاتب مؤتمر الشباب وحدد لذلك تاريخا هو ١٨ اكتوبر ١٩٣٥ . ولكن الحزب العربي ـ مع ذلك ـ لاسباب محض حزبية ، تتعلق بكونه صاحب الاغلبية العددية بين الاحزاب ، وانه لا حاجة له لكي يتعاون معها ، لجأ الى المناورة وأرسل احتجاجه الى الحكومة في نفس اليوم المقترح لاجتماع الاحزاب كما أن اللجنة التنفيذية اجتمعت وقررت القيام باضراب يوم ٢٢ اكتوبر . وهكذا فانه لم يحضر الاجتماع المقترح الا ثلاثة أحزاب هي الدفاع والاصلاح وحزب الشباب . (٧٤) .

الا ان المؤتمرين ، وقد استشعروا فشلهم في تحقيق وحدة الاحزاب أو اتفاقها ، حاولوا اللجوء الى خيار آخر . فانطلاقا من شعار "المصالحة والتعاون" وافقوا على عقد اجتماع آخر . ومع هذا فقد فشلت المفاوضات من أجل عمل مشترك امام عناد جمال الحسيني ورغبته في التفرد بالعمل (٧٥) . ولم ينقذ هذه الجهود من أجل التوحيد الا تدخل المفتي ، الذى وجه عن طريق لجنة مؤتمر الشباب الدعوة الى الاحزاب الفلسطينية لتعمل في سبيل " التآلف والاتحاد ، وأيده الرأى العام في دعوته هذه " (٧٦) وعلى الاثر وافق جمال الحسيني على عقد اجتماع مع الممثلين الاخرين للاحزاب في ٢١ اكتوبر . وعندما انعقد هذا الاجتماع تمخضت الجهود المضنية للاحزاب عن تكوين جبهة متحدة من الاحزاب اطلق عليها " لجنة الاحزاب الفلسطينية " ساهم فيها جميع الاحزاب ، ما عدا حزب الاستقلال الذى كان يأخذ على الزعامات الحزبية تخاذلها ومهادنتها للحكومة .

وعلى أية حال فقد قررت الاحزاب الفلسطينية تقديم مذكرة للحكومة عن وجهة نظرها ومطالبها بالنسبة لمنع تسليح اليهود . (٧٧) كما أنها دعت للقيام باضراب على مستوى البلاد جميعها في ٢٦ اكتوبر ١٩٣٥ .

رفع مندوبون عن الاحزاب مذكرتهم الى المندوب السامي . أما الاضراب فانه قوبل بالرفض من الحكومة ، ومع ذلك فقد قامت الاحزاب ومعها جماهير الشعب

الفلسطيني بهذا الاضراب الذي كان شاملا . ووصفه السكاكيني بقوله : " كان اليوم موعد الاضراب في فلسطين كلها ، وقد كان الاضراب عاما في طول البلاد وعرضها ، ولم يشذ عن الاجتماع أحد " . (٧٨) ويؤيد تقرير بيل هذا القول عن الاضراب ويصفه أيضا بانه كان "شاملا وسبب هياجافي يافا ، وكاد يقع صدام في تل أبيب (٧٩) .

الا أنه لم يمض طويل وقت حتى تمزق التنسيق المؤقت بين الاحزاب والجماهير والذي بدأ أثره في تجاوب هذه الجماهير مع دعوة الاحزاب الى الاضراب الشامل . وقد انعقد في نابلس بتاريخ ٢ نوفمبر مؤتمر وطني بمبادرة من بعض العناصر الوطنية في نابلس . (٨٠) وحضرته أيضا عناصر وطنية أخرى من انحاء فلسطين . ولقد اتخذ المؤتمر عدة قرارات كان من بينها الاضراب بمناسبة عودة المندوب السامي ـ الذي كان آنذاك في لندن ـ الى البلاد احتجاجا على تسليح اليهود .

وقد جاء في قرار الاضراب أنه سيكون " تعبيرا له (أي المندوب السامي) عن سخط الامة التي لا تؤمن بصداقته المزعومة " (٨١) .

ويظهر أن هذا القرار اكتسب زخما جديدا من كثرة الحضور الى المؤتمر ومن الجو العام الذي سيطر على فلسطين في هذه الفترة . فقد وصفه أكرم زعيتر في مذكراته بقوله : " كان هذا اليوم من أيام القضية الزاخر بالحماسة والاندفاع . الوفود تفد الى نابلس من جميع أنحاء فلسطين . البرقيات تترى علينا من الاقطار العربية ومن مدن فلسطين . دوريات البوليس تتجول في الشوارع .. " (٨٢) وأكثر من هذا يبدو أن مركز الاستقطاب في الحركة الوطنية تحول من القدس حيث مركز الاحزاب والزعامة الفلسطينية عموما ، الى نابلس .

أبرق المؤتمر الى زعماء الاحزاب يدعوهم الى انفاذ اضرابه وهنا كان رد فعل هؤلاء الزعماء مترددا او متذبذبا . فبعد أن وافقوا على الاضراب والقيام بمظاهرة بمناسبة عودة المندوب السامي المنتظر ، عاد مندوب حزب الشباب ومعه مندوب حزب الاصلاح فعدلا عن هذه الموافقة . ولم يلبث أن لحق بهما جمال الحسيني وراغب النشاشيبي ومندوب الكتلة الوطنية وكانت حصيلة الاجتماع الذي ضمهم جميعا ـ عشية عودة المندوب السامي الى البلاد ـ بتاريخ ١٩٣٥/١١/١٠ بدار حزب الدفاع في القدس ، من أجل الحسم في موضوع طلب مؤتمر نابلس ما يلي : " انه بالنظر لقرب عودة فخامة المندوب السامي من لندن وتقديم مذكرة

الاحزاب الوطنية اليه محتوية على مطالب الامة ... فان المجتمعين يرون ضرورة ارجاء كلمة الامة الحازمة الى ما بعد تلقي هذا الرد في الوقت المعقول والمناسب ... " (٨٣)

لقي هذا الموقف السلبي من زعماء الاحزاب رد فعل عنيف على مستوى الصحافة والجماهير الفلسطينية عموما . فقد وصفت جريدة فلسطين موقف كل من جمال الحسيني وراغب النشاشيبي بالتقلب ، واتهمت جمالا بأنه غير موقفه بناء على رسالة تلقاها من القائم بأعمال المندوب السامي وقالت " أن ذلك الكتاب ومحتوياته جعل الاستاذ جمال ينضم نهائيا الى المعارضة فسارت الاكثرية ضد الاضراب وانتهى الاجتماع " (٨٤) ومع أن جمال حاول الرد على هذا الاتهام وتفنيده في منشور وزعه في نفس اليوم (٨٥) ، فان رده لم يكن مقنعا ولا صحيحا وعلى هذا فقد استمر الموقف الغاضب على صعيد فلسطين جميعها في التفاعل مدينا موقف جمال ، وغيره من الزعماء من عدم الاضراب . فقد بدأت نابلس وبالذات لجنة المؤتمر الوطني ، يتلقى برقيات التأييد من كل مكان في فلسطين تنادي بالقيام بالاضراب مهما كانت النتائج ، وتحمل على تخاذل الزعماء . فقد ابرقت جمعية العمال العرب بيافا تقول : " اذا كان ائتلاف الاحزاب للعمل ضد رغبات الامة ، فلا كانت الاحزاب ولا كان الائتلاف . نؤيد مقررات نابلس ونصر على الاضراب " وقد أبرقت حيفا " نؤيد نابلس تأييدا كليا في اضرابها ، ستضرب حيفا رغم انوف الزعماء والمتزعمين " . (٨٦)

وقد انعكست هذه البرقيات التي بدأت تترى على نابلس في برقية أرسلتها لجنة المؤتمر الوطني في نابلس في ١٩٣٥/١١/١١ الى الزعماء في القدس تقول ان موقفهم " لا يعبر عن ارادة الامة العربية .. وانما هو دليل على ضعف المتزعمين .. وهي تعتبر هذا الانهزام الذي مني به الائتلاف آية جديدة على افلاس الزعامة ... " (٨٧)

وفي اليوم الذي حدد للاضراب ـ من قبل الجرائد الفلسطينية ـ وهو ١٣ نوفمبر ١٩٣٥ اضربت فلسطين ويظهر ان هذا الاضراب حقق نجاحا كبيرا ولم يشذ عنه أحد ـ بالرغم من موقف زعامة الاحزاب ـ وقد حيت جريدة فلسطين موقف الجمهور بالنظر لموقف زعماء الاحزاب وقالت : " ثم اجمع الجمهور على الاضراب فاضرب وكان في هذا مخلص الضمير ووطنه . ومهما قلنا عن حيرة الجمهور واضطرابه

فقد كان الاضراب عظيما ، يزيد في شانه ، انه تم في غير دعوة رسمية اليه ، ومن غير تنظيم له ، وعلى الرغم من دعوات وبيانات الهيئات المسؤولة " ونشرت برقية واردة اليها من عكا تقول : " تمنع الشعب اليوم بحريته ، اضربت مدينة عكا ، لتحيا الامة غير مقيدة بزيد أو عمرو " (٨٨) . أما جريدة "الجامعة الاسلامية" فقد عقبت على الاضراب بمقال افتتاحي عنوانه : " الامة تنتصر " قالت فيه " فماذا يقول الائتلاف في هذا الانتصار ؟ " . (٨٩) وقد امتلأت اعمدة الجرائد الفلسطينية ببرقيات من مختلف مدن فلسطين تعلن نجاح الاضراب : من يافا وقلقيلية والخليل وجنين وصفد وغزة وبئر السبع وحيفا وفريق كبير من القدس (٩٠)

وقد كتبت جريدة "الجامعة الاسلامية" تدين اسلوب الاحزاب في الحرب بوساطة المذكرات ومقابله الحكام مقالا بعنوان " خذها يا فخامة المندوب كلمة صريحة " تقول : " وجاء القرار الهزيل المتداعي المهلهل انه بمناسبة عودة فخامته تقدم له المذكرة " راسا " من قبل ممثلي الاحزاب وبعد وصول الجواب يقرر مندوبو الاحزاب (الخطة الحازمة) " الى آن تقول " يا فخامة المندوب القادم خذها كلمة صريحة : البلاد ساخطة على السياسة المتبعة في البلاد مجمعة على استنكارها الامة يا فخامة المندوب تصارحك اليوم قائلة : ان اسوا عهد رأته هذه البلاد الشقية التاعسة هو هذا العهد الذى امتاز بتدفق الهجرة تدفقا جارفا ماحقا" (٩١)

ومهما يكن فان زعماء الاحزاب ـ على ما يظهر ـ لم يعدلوا عن موقفهم او مواقفهم في تقديم المذكرات واجراء المقابلات مع المندوب السامي ففي ٢٥ سبتمبر تقدموا الى المندوب السامي بمذكرة ، في مقابله اجروها معه ، وقد حملت هذه المذكرة مطالب الامة الاساسية وهي ايقاف الهجرة فورا ، ومنع انتقال الاراضي العربية الى اليهود ، وتاسيس حكومة ديمقراطية . (٩٢)

ومما يستوقفنا هنا أن هذه المقابلة والمذكرة والمداولات جاءت بعد اسبوع فقط من استشهاد الشيخ عز الدين القسام ، ولم تلمح المذكرة كما لم تذكر الاحزاب استشهاد الشيخ القسام وانتفاضته كما سنوضح في ما يأتي

النشاطات القائمة على التظاهرات الاجتماعية وكتابة المذكـــرات والاحتجاجـــات

١ ـ التظاهرات الاجتماعية :

شكلت التظاهرات الاجتماعية أو التجمعات ذات الطابع الاجتماعي التـــي اكتسبت طابعا دعائيا ، أو سياسيا ، ملمحا رئيسيا من ملامح نشاطات الحزبين . فقد حرص كل منهما على تغطية المناسبات الاجتماعية مثل الاستقبال والوداع ومواكب الجنازات والحـــج الـــخ .

ففي اليوم الاول من فبراير ١٩٣٥ دعي راغب النشاشيبي والاعضاء البارزون في حزبه الى الغداء في بيت الوجيه بشير افندي عمرو من الخليل . وكانت المناسبة من اجل القيام بواجب الوداع لقريب الداعي . ولقد اغتنم راغب هـذه المناسبة لكي يلقي خطابا اتسم بطابع المجاملة في بعض منه ، ثم انثنى بعد ذلك لكي يؤكد أنه في خدمة الشعب ، لا سيما وانه لم يعد مقيدا بمقتضيات الوظيفـــة وقال : " لقد كنت بالامس مقيدا بحكم الوظيفة ولم يكن باستطاعتي أن البي مثل هذه الدعوات . اما اليوم فانني طليق وساكون رهن اشارة أصغر صغير منكم اذهب حيث تريدون " (٩٣) . كما أن راغب لم ينس في هذا الخطاب أن يتعرض لخصومه معرضا بسلبيتهم " ... انا اقول ليس بيننا وبين احد من مواطنينا الاخرين اى فرق . فكلنا نعمل لمصلحة البلاد وسنعمل على التعاون معهم . وكلما ابتعدوا عنا ســـنقترب منهم " (٩٤) .

وفي ٢٣ فبراير اناب حزب الدفاع سكرتيريه حسن صدقي الدجاني وفخـرى النشاشيبي من اجل أن يحضرا جنازة الوجيه المحارب ليهما في الناصرة توفيـق بك الفاهـــوم . (٩٥)

وبعد ذلك بفترة وجيزة زارت طائفة من ممثلي الحزب الامير عبد الله بمناسبة وفاة أخيه الملك علـــي . (٩٦)

ولما لم تجد هاتان المناسبتان الاهتمام الكافي من قبل الحزب العربي ، تعرض هذا للنقد الشديد من قبل حزب الدفاع وكتبت فلسطين تعبر عن رايـــه

وينتصر للامير عبد الله تقول : " محاولة غير ادبية . سمو الامير فوق المناورات العائلية والحزبية " . (٩٧)

وفي دعوة أخرى اقيمت على شرف راغب ورفاقه في رام الله في ٢١ يوليه ، القيت خطابات سياسية . ففي هذه المناسبة وقف حسن صدقي الدجاني ـ وهو من مثقفي الحزب ويتمتع بعقلية سياسية (٩٨) ومقدرة على الخطابة ـ خطيبا . وتعرض لموضوعات لا تخلو من الاهمية وان كان ينقصها في مجملها الجدة . فبعد أن تعرض لثورة الشريف حسين ، ودور العرب فيها عبر ، ببصيرة ثوبة ، عن أن العرب لن يستطيعوا بعد ١٥ عاما ، ان يعقدوا اجتماعا كذلك الاجتماع . ثم ذهب الى القول ان التركيز ينبغي أن يكون على الحكومة في المقام الاول بصفتها العدو الاساسي ، وهي التي أحضرت اليهود الى البلاد .

وعلى أية حال ، فان الدجاني لم يختم خطابه ، الا بعد أن أشار الى موقف خصومه الحزبيين . وقال انه على استعداد للعمل تحت راية الحاج أمين الحسيني (وراغب النشاشيبي) وجمال الحسيني ، أو أي شخص آخر على استعداد لمعارضة الحكومة ، من أجل الدفاع عن البلاد وتحريرها . (٩٩)

وقد مارس الحزب العربي ـ بدوره ـ هذه الضروب من النشاطات الاجتماعية السياسية أيضا . ففي هذه الفترة ، زار المفتي يافا لافتتاح مدرسة خاصة ، حيث استقبل مع حاشيته بالتظاهرات والتجمعات الحزبية المعروفة . (١٠٠) وقد القيت بهذه المناسبة الخطابات التي تميزت عن خطابات زعماء حزب الدفاع ، بكونها أكثر مسايرة وتمشية للحال ، مما كان يتفق مع سياسة المفتي في عدم استعداء الحكومة . وفي هذه المناسبة لم يتطرق المفتي ـ كغيره من الخطباء ـ الى أكثر من موضوع " سياسة الحكومة التعليمية نحو العرب " (١٠١) .

كما شهدت هذه الفترة ـ ١٩٣٥ ـ تدشين جمال لافتتاح كثير من فروع الحزب كما سبق الاشارة ، حيث كانت تتحول حفلات التدشين الى تظاهرات ، ومناسبة لالقاء الخطابات الوطنية . كتبت الجامعة العربية تصف افتتاح فرع بيسان تقول : " ما كادت سيارة الرئيس وصحبه تصل ، حتى هتفت الجماهير المحتشدة بحياة الرئيس وصحبه ، والحزب العربي الفلسطيني ، واسرع الفرسان على خيولهم المطهمة ، يحيطون بالرئيس وصحبه ... وكانوا يهزجون الاهازيج الوطنية العربية بينما كان يسير حول وخلف السيارات جماهير غفيرة من الاهلين . ولما دخل

الموكب الى بيسان قابله الشعب بالتصفيق، والهتاف، كما قابلته النساء بالزغاريد والتهاليل". (١٠٢).

ولقد كانت زيارة الامير سعود فلسطين في صيف ١٩٣٥، مناسبة جيدة للحسينيين ليسجلوا نصرا كبيرا على خصومهم. لقد استأثرت هذه الزيارة باهتمام القادة. كما أن هذه المناسبة تحولت الى "فرصة للتظاهرات وتحشدات الجماهير العربية التي تجمعت لمشاهدة الامير العربي" (١٠٣).

ولقد تمكن المفتي الذي هيمن على هذه الظاهرات من استغلالها لاظهار قوته. بل لقد نجح في أن يولد لدى الامير الزائر انطباعا بأنه ـ أي الحاج أمين ـ الزعيم الوحيد، والقدير في فلسطين. ولقد عاد هذا النجاح على المفتي، بحسد خصومه، كما سبب لهم كثيرا من الحرج، لا سيما وأنهم قد وقفوا موقفا سلبيا خلال هذه الزيارة، ولم يكونوا من بين لجنة الاستقبال. (١٠٤).

ب. المذكـــرات والاحتجاجـــات :ـ

كانت المذكرات التي يوجهها كل من الحزبين الى الحكومة او الجهات الاخرى في العالم هي المظهر الثاني من مظاهر نشاط الاحزاب. وترى بعض المصادر أن كتابة المذكرات والاحتجاجات الى بريطانيا ولجنة الانتدابات الدائمة، كانت المظهر الاساسي لنشاط الحزب العربي. (١٠٥) كما أن المادة المصدرية بين أيدينا تؤكد أن هذه المذكرات كانت مظهرا أساسا من نشاط حزب الدفاع، لدرجة قد تزيد عن الحزب العربي.

ولعل المأخذ الاساسي على هذه المذكرات انها لم تكن تستتبع بأية اجراءات عملية تؤيدها وتجعل لها قيمة فعلية. ومع هذا فان هذه المذكرات ذات اهمية معينة باعتبارها من اهم ادبيات كل من الحزبين وتعكس آراؤها صورة عن التفكير السائد في الحزبين حول المشكلات المختلفة. هذا فضلا عن أن هذه المذكرات ـ في صورتها النظرية ـ كانت معبرة عن المشاكل الحقيقية التي يعاني منها العرب الفلسطينيون. والذي يدرس هذه المذكرات ـ دراسة تحليلية ـ ومستوى تناولها للمشكلات المختلفة يستطيع أن يستنتج ما لم تتمكن الاحزاب أن تفعلـه.

ومهما يكن من أمر فان هذه المذكرات عالجت ثلاث ظلامات أساسية : بيع الاراضي والهجرة وموضوع الحكم الذاتي (Self government) وسنتناول بالبحث هنا الموضوعين الاولين ونرجئ بحثنا لموضوع الحكم الذاتي لفصلنا عن المجلس التشريعي .

١ ـ مشكلة الاراضي : عالج حزب الدفاع الوطني هذه المشكلة في أول مذكرة له بعد تاسيسه رسميا ، وهي مؤرخة في يناير ١٩٣٥ . وقد قام بتسليم هذه المذكرة الى المندوب السامي رئيس الحزب نفسه . (١٠٦)

ولقد جرى معالجة موضوع مشكلة الاراضي وانتقالها لليهود من زاوية اتصالها بـ " الكيان القومي للعرب في فلسطين " كما ركزت هذه على عملية " نزع الاراضي " المستمرة من " العرب " الى "اليهود الاجانب " . وانطلاقا من فكرة ازدياد انتاجية الارض بفضل الرأسمال اليهودي ـ التي طالما رددها اليهود لتبرير تملكهم الاراضي من غير أن يضار العرب ـ بينت المذكرة بكثير من المنطق ، ان لم نكن المرارة أنه ، " عندما تنتزع الاراضي العربية من العرب ، فانه من غير الوارد اذا ازدادت انتاجية الارض أم لا ، لان العرب لا يستطيعون ان يجنوا منها أي فائدة بعد ذلك " (١٠٧)

كما جرى معالجة مشكلة الاراضي من زاوية أخرى . فقد ركزت على واجب الانتداب في حماية مزارعي الاراضي أو مستأجريها . فهي تشير الى قانون نقل ملكية الاراضي لعام ١٩٢٣ ، الذي احتوى على مواد لحماية الفلاح نصت على أنه "قبل تسجيل عملية نقل الاراضي أو التخلي عنها ، فانه يجب أن تتخذ خطوات لتأمين تزويد المزارع مع عائلته بمساحة كافية من الارض على نفس الموقع ، أو في أقرب منطقة مجاورة لها " . (١٠٨)

ومن أجل أن تعزز المذكرة حجتها فانها تتعرض الى تقرير سمبسون وتقرير هرنش (١٠٩) وتنتهي الى القول أن قانون ١٩٢٢ " لم يسبق له أن طبق لسبب أو لاخر " (١١٠) . وتنتهي مذكرة حزب الدفاع بالمطالبة باصدار قانون جديد للاراضي وتورد ما نصه : " ان الحزب يطالب الحكومة باصرار بأن تتحرك فتصدر قانونا يمنع بصورة قطعية ومطلقة اي انتزاع لاراض اخرى لحساب اليهود (١١١)

لم تقتصر المعالجة لموضوع الاراضي من الناحية القانونية على مذكرة واحدة . فمن أجل أن يؤكد الحزب الحقيقة القائلة ان القوانين التي استصدرتها

الحكومة بشأن الاراضي لم تطبق ، وبخاصة من ناحية تعويض بائعي الاراضي بأرض اخرى من أجل استيطانهم ، فانه يقتبس عن شهادة شهدها السيد ستيس مدير الاراضي بفلسطين أمام لجنة شو ، وتتعلق بالكيفية التي تنتقل بها الاراضي الى اليهود ، وجاء فيها ما يلي : " كان البائع يأتي ويقوم بكتابة بيع وشراء مع اليهود . ولم نكن نعلم بهذا الا بعد أربعة أو خمسة أو ستة شهور بعد ذلك ، عندما كانت تأتي معاملة نقل الاراضي الى الموظف المختص . عند ذاك كنا نصدر تعليماتنا الى موظف المقاطعة المعنية (التي تم فيها الشراء) من أجل أن يقدم تقريرا عن المستأجرين ، لهذه الاراضي المنقولة لليهود . وعندما كان يذهب الى القرية ، فانه كان يجد في بعض الاحايين ان جميع السكان قد تركوا القرية ، واسهم قد أخذوا بعض النقود من اليهود ، وهكذا فانه لم يعد بامكاننا ان نقدم لهم أية حماية مهما يكن نوع هذه الحماية " . (١١٢)

ولقد عالجت مذكرات الحزب العربي موضوع الاراضي . ففي شهر مايو ١٩٣٥ تقدم الحزب العربي بمذكرة حول الفلاحين الفلسطينيين وحاجتهم الى الارض (١١٣)

وفي مذكرة مشتركة (١١٤) موقعة من جمال الحسيني وراغب النشاشيبي (مع زعماء الاحزاب الاخرى) اتفق الزعيمان على الاشارة الى خطورة حالة العرب فيما يخص مشكلة الاراضي . ولقد استشهدت مذكرتهما برسالة خانكين خبير الاراضي اليهودي ، ووكيل " شركة تطوير اراضي فلسطين " التي وجهها الى المستر فرنش ، والتي اعترف فيها خانكين بأن ما يمكن استملاكه من الاراضي العربية (من قبل اليهود) بدون الحاجة الى اعادة توطين أهاليها وبدون أن يلحق ضرر بهؤلاء الاهالي ، هو ١٠٠,٠٠٠ دونم فقط . وتضيف المذكرة ـ الى ذلك ـ ان اليهود استملكوا بالفعل ضد شهادة خانكين تلك ٦٠٠/٠٠٠ دونم (١١٥) . وتضيف المذكرة ايضا ان المزارعين الذين ابعدوا عن هذه الاراضي التي انتقلت الى اليهود لم تتح لهم الفرصة للاستيطان البديل بأي حال من الاحوال (١١٦) .

والى ذلك فان الجزء الاخير من المذكرة لا يخلو من الخطابية التي مارسها كلا الحزبين في مذكراتهما المتعددة ولكن بلا جدوى : " واذا ما استمر انتزاع الاراضي ... فان ذلك سيعني أن كل فلسطين ستنتزع " . (١١٧)

٢ ـ الهجرة : كانت الهجرة هي الموضوع الثاني الذي استأثر بالقسط الاكبر من المذكرات المقدمة الى السلطات . فالهجرة بحسب ما تقوله مذكرة حزب الدفاع

في يناير ١٩٣٥ (١١٨) تنقسم الى قسمين : الهجرة المسموح بها والهجرة غير المسموح بها .ففيما يتعلق بالنصف الاول فان المذكرة تعارض مفهوم المندوب السامي ، في أن الهجرة هي سبب الازدهار في فلسطين ، وذلك بالنظر الى ما يصاحبها من رأسمال يأتي من الاقطار الاوروبية . واعتراض المذكرة نابع من أن رؤوس الاموال المنقولة هذه مؤقتة " وانها انما تنتقل الى فلسطين بسبب حالة القوضى في أوروبا " . ومن هنا فانه " مما لا ريب فيه أن أي تحول أو تغيير يمكن حصوله في الحالة السائدة في أوروبا الوسطى ، سينتهي لا محالة ، بعودة مثل رؤوس الاموال هذه من حيث أتت " . (١١٩)

وتلخص المذكرة موضوع الهجرة المسموح بها ، بهذه الفقرة ، التي تحاول أن تضع مشكلة الهجرة في سياقها التاريخي والقومي : " ان سعادتكم ستتحقق من خطر الهجرة اليهودية الوشيك الحصول وأنه سيعود في نهاية الامر على البلاد بسوء الحال ان عاجلا أو في المستقبل القريب " . (١٢٠)

اما في ما يتعلق بالصنف الثاني من الهجرة (غير المسموح بها) فان المذكرة تنحي باللائمة على الحكومة التي تعلم تمام العلم عدد هؤلاء المهاجرين ومحل اقامتهم ولكنها لا تقوم بطردهم من البلاد ، بالاضافة الى أنها لا تجلبهم امام المحاكم . وتمضي المذكرة في عرض حججها فتذكر " ان هذه الحالة ستدفع بالعرب الى الاعتقاد أن الحكومة تنتهج سياسة تستهدف خلق أغلبية يهودية في البلاد مما سيترتب عليه أن يضطر العرب الى الهجرة منها " . (١٢١)

وتعالج مذكرة حزب الدفاع المؤرخة ١٤ مايو موضوع الهجرة من زاوية أخرى وتقوم مقولتها هنا على أساس القدرة الاستيعابية للبلاد . وتستند المذكرة في المناقشة على النتائج التي توصلت اليها لجان التحقيق . وتستشهد المذكرة ـ بوجه خاص ـ بالكتاب الابيض (١٩٣٠) وتوصيات لجنة شو والتي نادت بتحديد الهجرة .وتختتم المذكرة بالقول أن " عرضنا (حزب الدفاع) يقوم على أن الحالة في البلاد لا تبرر السماح بهذا العدد الكبير من المهاجرين ، الذين كانوا ولا يزالون يسمح لهم بالدخول الى فلسطين ويأتون من مختلف بقاع العالم (١٢٢)

وفي المذكرة المشتركة للحزبين الى المندوب السامي والتي سبق الاشارة اليها ، طالب الطرفان بالغاء الهجرة . وقد اقترحا في هذا السبيل " تكوين لجنة من عناصر ذات كفاءة لتدرس الطاقة الاستيعابية للبلاد تكون مهمتها وضع قاعدة للهجرة ، كما هو الحال في معظم بلاد العالم " . (١٢٣)

واذا أردنا تقييم المردود الحقيقي لهذه المذكرات فاننا نجد أنه في الغالب لم يكن يعدو في حقيقته القيمة الاكاديمية . فلم يترتب على هـــذه المذكرات نتائج عملية تستحق الذكر . ولعل هذا عائد الى أن الحزبين ، مـــن جانبيهما لم يتبعا مذكراتهما باجراءات عملية كافية تتناسب مع خطورة وأهميـــة المشاكل كما عرضاها وصورتها مذكراتهما . فنحن اذا أخذنا موضوع بيع الاراضـــي كمثال ، كان الحزبان مرشحين للاسهام به بصورة جدية ، أكثر بطبيعة الحال من موضوع الهجرة التي كانت سياسة حكومية مقننة ، وليس من السهل تغييرها ، اذا أخذنا موضوع الاراضي هذا فاننا نجد ان كلا الحزبين كان لهما محاولات ولكن هذه المحاولات كانت أقل مما ينبغي . فتذكر التقارير مثلا أن حزب الدفاع قام بمحاولة لتكوين شركة رأسمالها ٢٥٫٠٠٠ جنيه فلسطيني ، ارتفع فيما بعد ليصل ٥٠٫٠٠٠ ، ولقد وعد بعض الاعضاء بشراء أسهم في هذه الشركة بما تتوف قيمته عن ١١٫٠٠٠ جنيه . (١٢٤) ولكن بالرغم من هذه المبادرة ، فلا تفيد التقارير بأن شيئا ذا بال قد تحقـق من الناحيـــة الواقعيـــة .

ولعل دور الحزب العربي ممثلا بصورة خاصة بجهود المفتي زعيم الحزب ، ورجاله ، كان هو الدور الابرز في مقاومة بيع الاراضي لليهود . فقد ركز المجلـــس الاسلامي الاعلى منذ وقت مبكر على شراء ما يسمى بالاراضي المشاع وخاصة فـــي الاراضي الساحلية المتاخمة لمنطقة طولكرم (١٢٥) وذلك لقطع الطريق على استملاكها من قبل اليهود . فقد عقد المجلس الاسلامي الاعلى اتفاقا مع أهالـــي القرية الطيبة عام ١٩٣٢ لشراء ٦٠٠٠ دونم من أرضهم المشاع . وفي عام ١٩٣٤ زاد المجلس الاسلامي الاعلى في شرائه للارض في هذه المنطقة فقد اشترى من أراضي عيلبل المشاع ١٦٠٠ دونم . وفي وقت متأخر عن ذلك تمكن أيضا من شراء اراضي زيتـا العشـــاعيـة . (١٢٦)

وقد ذكرت الجامعة العربية أنه كان للمفتي دور في توقف بيع الاراضي فـي ستين قرية من قضاء يافا . (١٢٧) كما تمكن رجال المفتي وبالذات صبري عابديـن من اقناع أهل بيت جبرين (الخليل) بالعدول عن بيع ١٠٠٠ دونم من أراضيهم لليهود . ورد باسم بيت جبرين سعيد العزة " معاهدا الله على عدم بيع شبر منها لليهود ولا للسماســـرة " (١٢٨) .

وكجزء من حملة اعلامية لمقاومة بيع الاراضي دعا المفتي الى عقد مؤتمر

" الامر بالمعروف والنهي عن المنكر " بتاريخ ٢٥ يناير ١٩٣٥ . وقد حضر هذا المؤتمر ٤٠ مندوبا : أئمة وقضاة ومفتين ووعاظا ومدرسين . وقد افتتح المفتي وقائع هذا المؤتمر بالتركيز على الخطر الماثل في بيع العرب لاراضيهم وقدسية هذه الاراضي . كما اصدر المؤتمر فتوى تحرم بيع الاراضي وتعتبر باعة الاراضي كمرتدين ينبغي أن يحرموا من الدفن في مقابر المسلمين . (١٢٩) وكانت هذه الفتوى نفسها قد طبعت ووزعت منها نسخ على مستوى البلاد جمعها (١٣٠) . وكان للعلماء الذين تشكلت منهم جمعية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد هذا المؤتمر دور كبير في ردع الفلاحين البسطاء عن بيع الاراضي في قرى مثل الظاهرية وغالبه وغيرهما . (١٣١)

وليس من السهل الحكم الى أى مدى نجحت هذه الحملة فضلا عن الجهود الاخرى المبذولة من قبل أنصار الحزب العربي . ولكن الظاهر أنها كانت أقل من أن تحيط بمشكلة الاراضي .

ومن الناحية الاخرى فان هنالك اشارات وأدلة على انه كان هناك جهود سلبية تمثلت في تسهيل بيع الاراضي وبخاصة من أنصار حزب الدفاع (١٣٢) . ولعل هذا نابع من ناحيتين الاولى أن عددا كبيرا من أعضاء حزب الدفاع كانوا من كبار الملاك . والثانية الطبيعة المفككة لتكوين الحزب من حشد الانصار بدون التزام محدد يتفق على الاقل مع السياسة المعلنة للحزب كما نظهر في المذكرات والخطابات وغيرهما من أدبيات الحزب . فقد اشارت صحيفة " العرب " الى أن عددا من المشاركين في المؤتمر السابع (١٩٢٨) كانوا من باعة الاراضي : " لجنة حالاتيه ... وتجمع الى صفة الحالاتية التنافس القبيح . "

" تثور اللجنة على خروج الارض من يد العرب ، وفي اللجنة ناس باعوا ويبيعون أراضي عزيزة لليهود . وتنادى اللجنة بالمقاطعة وفيها من هو عاكف على المواصلة " (١٣٣) . ولعله ليس بلا مغزى أنه في اجتماع اللجنة التأسيسية لحزب الدفاع في ٢ ديسمبر ١٩٣٤ . كان القسم الذي طلب من الحضور أن يقسموه : " الامتناع عن السمسرة (١٣٤) ، وأضاف الخطيب الذي طلب اليهم القسم قائلا : " وعفى الله عما مضى " وعندما حاولت لجنة بيل كشف الغطاء عن الابعاد الحقيقية لعملية انتقال الاراضي لليهود فانها قوبلت بالعناد من قبل الزعامتين العربية واليهودية على السواء . (١٣٥)

وفضلا عن ذلك فاننا نجد حاكم لواء نابلس في تقريره المؤرخ ٢٧ مارس ١٩٤٤ ، يذكر بوضوح انه " قد علم بصورة موثقة أن ثلاثة أعضاء رئيسيين في حزب الدفاع الوطني ممن يعيشون في طولكرم (بمن فيهم رئيس البلدية) يعملون منذ اشهر كسماسرة لبيع الاراضي لليهود لحساب اعضاء آخرين للحزب يقيمون في نابلـــس " (١٣٦)

وكما سبق لنا القول عند الحديث عن الحملات الصحفية فان صحافة الحزب العربي اعتبرت السمسرة احدى نقاط الضعف الرئيسية في حزب الدفاع ،وركزت عليها في اكثر من مناسبة (انظر فيما سبق ص ١٨٦) وقد ردت جرائد حزب الدفاع ـ في معرض الدفاع عن الحزب ـ (١٣٧) بتوجيه نفس التهمة لاعضاء الحـــزب العربي . (١٣٨) ولكن على ما يظهر فان هذه الحملات الصحفية لم تسهم في محاربة بيع الاراضي بمقدار ما كانت وقودا آخر اضيف الى نار الحزبية بين الطرفين بل لعله من المؤكد أن الحرب ضد باعة الاراضي لم تنعد في معظم الاحيان هذا الضرب من الحرب اللفظية يقول ديفد هيرست : " لم يكن هنالك مقاطعة جماعيـة ناهيك عن وجود عقوبة عادلة أو رادعة ... وفضلا عن ذلك ـ وهنا يكمن المقياس للزعامة الفلسطينية ـ فانه بالرغم من أن باعة الاراضي والسماسرة ربما عانوا من المضايقات اللفظية ، الا انهم نادرا ما عوقبوا باكثر من ذلك " (١٣٩) .

حقا لقد كانت نسبة الاراضي التي بيعت لليهود من بداية الاستيطـــان اليهودي الى عام ١٩٤٨ لا تزيد عن ٦ . ٦ ٠/٠ من مجمل الارض الفلسطينية ولكن لا ينبغي أن ننسى أن عملية البيع نفسها كانت أيضا ذات اثر كبـــير في تدمـــير النفســـية الفلســـطينية . (١٤٠)

ومهما يكن من أمر فان بحث موضوع المذكرات التي هي مدار دراستنا هنا كجزء من نشاط الحزبين ، لا يتم ، حتى نعرف رد فعل السلطات المباشر عليها .

ولدينا في تقرير للقائم بأعمال المندوب السامي على مذكرة لحـــزب الدفاع (١٤١) شاهد مناسب يستحق الوقوف عنده لانه يجلو لنا كيف أن السلطات كانت تتصرف حيال المذكرات كاسلوب من أساليب نشـــاط الحزبـــين .

يبدأ القائم بالاعمال تقريره بالتعقيب على مذكرة حزب الدفاع الوطنـــي المرفوعة اليه بتاريخ ١٩٣٥/٦/١٩ بانها تسير على " الخطوط المعتادة (والتي هي اقرب الى الرتابة) والتي لا يظهر فيها اى اصالة " (الفوس في الاصل) . كما

أن القائم بالاعمال يتناول مناقشة هذه المذكرة ويحاول أن يسفه كل الاطروحة التي قامت عليها المذكرة وبخاصة في موضوعي الاراضي والهجرة ومن أجل ذلك فهو لا يتوانى عن التشكيك في صحة الاحصائيات التي أوردها السير جون هوب سمبسون والتي تستشهد بها المذكرة ، لتأكيد وجهة نظرها في أحقية العرب بالنسبة لمشكلة الاراضي . كما أنه يرد على ما احتسبته المذكرة " الكمية المناسبة " من الاراضي لكل مزارع (وهي ١٢٠ دونما) ويعتبر تقديرات الحزب باطلة لانه " لا يأخذ في الاعتبارات التغيرات التي حصلت في الظروف المحلية بالنسبة لمستوى الحياة وتغير الضرائب الخ " (١٤٢) كما أنه لا يوافق على العلاج الذي تقترحه المذكرة بالنسبة لضبط عملية انتقال الاراضي لليهود . وزيادة على ذلك فانه يرفض مطلق حزب الدفاع في تكذيب الادعاء بأن انتاجية الارض تزداد بوساطة الرأسمال اليهودي . ويعتبر رأي الحزب في هذه الناحية " مدعاة للشك بصورة كبيرة " . (١٤٣)

وفي رده على مقولة حزب الدفاع في موضوع الهجرة ، وبالذات فرضيتهم انه بالنظر للتفاوت بين الصادر والوارد فان حالة البلاد لا تسمح بمزيد من الهجرة يعتبرها بأنها " لحد ما انغماس أو اقحام النفس في بحر للنظريات الاقتصادية تتقاذفه العواصف " . (١٤٤)

وعلى أية حال فان تشكيك القائم بالاعمال لا يقتصر على موقف حزب الدفاع بل أنه يشمل كذلك وجهات نظر الصفي التي تتردد في مذكرة حزب الدفاع فهو يعتبر قضية التهديد الواقع على الاماكن الاسلامية المقدسة بأنه " لا يقوم على أساس " . (١٤٥)

ومهما يكن من أمر هذا التقرير للقائم باعمال المندوب السامي والتي لا تصمد كثير من آرائه فيه للنقاش الموضوعي القائم على الحقائق والارقام والذي فيه مغالطات كثيرة وتشكيك حتى في التقارير البريطانية نفسها ، فان الفقرة الاخيرة منه ذات دلالة كبيرة وهي تجري على الوجه التالي : " استقبل المندوب السامي وفدا من الحزب (الدفاع) بعد أن رفعت مذكراتهم . ولا ضرورة لعمل آخر " (١٤٦) وهذه الجملة " لا ضرورة لعمل آخر " تتحدث عن نفسها . وهي كافية في حد ذاتها

للدلالة على التلقي السلبي الذي كانت السلطات تستقبل المذكرات به في أغلب الاحيـــان .

ولعل هذا الموقف من قبل السلطات مما زهد العرب الفلسطينيين بجدوى حرب المذكرات والبيانات ـ والتي قلنا في صدر حديثنا عنها أنها كانت أبـــرز معالم نشاط الحزبين ـ فقد كتب أكرم زعيتر يطالب بتغيير اساليب الكفاح يقول : " اندفع البيانات على العالمين ـ الاسلامي والعربي وقد كثرت بياناتنا حتى ذهبت قيمتهـا وقـل قراؤهـــا ؟

ولعل هذا الموقف من قبل السلطات العمل الجدي المستمر هو في تغيـــير أســـاليب الكفـــاح "(١٤٧) .

ـ ٥ ـ

موقـــف الحزبـــين من القســـام

في الايام الاولى من شهر نوفمبر ١٩٣٥ لجأ الشيخ عز الدين القسام مع رفاقه (١٤٨) الى الجبال في منطقة جنين من أجل أن يدعو لثـــورة الفلاحـــين ولكنه لم يلبث أن قتل بعد أسبوع من قبل البوليس البريطاني بعد أن رفع شعـاره المشهور " موتوا شهداء " (١٤٩) . وبين عشية وضحاها أصبح القسام رمزا للمقاومة محققا بموته البطولي أكثر مما كان يمكن أن يحققه بامكاناته المتواضعة . بل لقـــد وصفته الصحافة العربية بأنه شهيد الامة والعقيدة . وقال أحد المعلقين : " ايهـا الصديق العزيز والشهيد ، لقد سمعتك تعظ فوق منصة مستندا الى سيف ، وأمـــا اليوم وأنـت في جوار اللـــه ، فقد أصبحت في مماتـك أكثر عظـة مما كنـــت فـــي حياتـــك " (١٥٠)

ولقد تحقق المندوب السامي ذلك عندما كتب في تقريره الى وزارة المستعمرات : " دعا كثير من العرب (القسام) ورفاقه " في الجريمة " (كذا) شهداء وأبطالا يضحون بانفسهم من أجل قضية الامة العربية واستقلالها " (١٥١) . وعندما دعا البلاغ الرسمي للحكومة العصابة بأنها " عصابة أشقياء " قالت الجامعة الاســلامية " عصابة اشـقياء في البلاغ الرســمي وعصبة من الشـــهداء في سجـل القضيـــة " (١٥٢) .

جاءت حركة القسام هذه في وقت انخرط فيه الحزبان في نشاطاتهما مثل الصراع الحزبي والتظاهرات وكتابة المذكرات وعقد المقابلات مع السلطات الخ . ولقد تميزت حركة القسام هذه بأنها كانت ردا ممتازا على التهديد الاجنبي لانها اعتمدت النضال المسلح اسلوبا لها . وكما يقول عجاج نويهض : " دل القسام الجماهير على الطريق رغم ادراكه لقوة بريطانيا . وقاتل السلطة بعدد قليل من الرجال ليحي الثورة (١٥٣) . ولعله الى القسام الذي يطلق عليه دبقد هيرست أول فدائي في تاريخ فلسطين الحديث (١٥٤) . يعود فضل اشعال الثورة التي قامت بعد خمسة شهور من استشهاده . بل أن كاتبا معينا يذهب الى أن ثورة ١٩٣٦ قد بدأت يوم خرجت حيفا بشيوخها وشبابها ونسائها تضطرب في موجة حزن ، حاملة اعلامها ورايتها مودعة الشيخ القسام وصحبه الشهداء (١٥٥) .

ويهمنا في هذه الدراسة توضيح دور كل من الحزبين في هذه الحركة .

ابتداءنود القول أن هنالك فرقا واضحا بين كل من الحزبين من القسام . فبينما لا تشرك المصادر الراهنة والمعاصرة للقسام حزب الدفاع ايجابيا (١٥٦) باسطورة القسام , فان موقف هذه المصادر نفسها من الحزب العربي ، وبالذات المفتي ، موقف مختلف . وعلى أية حال فان هنالك عددامن الروايات والتقارير المختلفة والمتناقضة احيانا مما سنحاول التحقق عنه في الصفحات التالية .

يرتبط اختلاف الشواهد والروايات بناحيتين أساسيتين :-

أولا : هوية القسام السياسية والتنظيمية .

ثانيا : الدوافع التي عملت على تقصير انتفاضته .

وبالنسبة للناحية الاولى فانه يتبين لنا أنه ربما لا توجد شخصية في تاريخ فلسطين الحديث كانت كالقسام منار خلاف أو اختلاف حول هويتها الحقيقية . فهنالك أكثر من حزب أو فريق حاول أن ينسب القسام اليه . فعلى سبيل المثال فان عزة دروزة الذي هو أحد المصادر الاستقلالية (جماعة حزب الاستقلال) الاساسية يزعم ان القسام ، كان ممن انتسبوا الى حزب الاستقلال ، وانه كان على صلة وثيقة ببعض أركانه ، كما يروى أيضا أنه كان لبعض زعماء الحركة الوطنية صلات مع التشكيلات الجهادية قبل الثورة ١٩٣٦ ، وان من هؤلاء الحاج امين الحسيني وعزة دروزة وصبحي الخضرا ورشيد الحاج ابراهيم . (١٥٧)

كما أن مصادر الحزب العربي ، والمتمثلة باسبل الغوري ومجلة "فلسطين" (١٥٨)

التي أصدرتها الهيئة العربية العليا في بيروت في الستينات ، تزعم أن هنالك علاقة وطيدة بين القسام والحزب العربي وقيادته . فالغوري يؤكد أن القسام كان عضوا بارزا في الحزب العربي وعلى هذا فانه انتخب من قبل أعضاء الجمعية التأسيسية للحزب في ربيع ١٩٣٥ (قبل أشهر قليلة من استشهاده) ليكون ممثلا لمدينة حيفا في اللجنة التنفيذية للحزب ، مع زميلين آخرين هما حكمت التملي وفؤاد عطا الله . (١٥٩)

وليس هذا كل ما يقوله الغوري بل انه يحاول أن يعود بالعلاقة بين القسام والمفتي الى تاريخ مبكر تماما ، الى أيام قدوم القسام الى فلسطين من سوريا ، في أوائل العشرينيات ، حيث عينه الحاج أمين مدرسا وواعظا في جامع الاستقلال من أجل أن يسخر امكاناته في الحقل الوطني . كما أن الحاج أمين كان الانسان الذي سهل التعاون بين القسام وعناصر الحركة الوطنية في حيفا والقضاء الشمالي ، مما يسر على القسام اطراد التقدم وفرض مكانته بين صفوف هذه الحركة حتى أصبح أحد قادتها البارزين . وقد برر هذا بوضوح عندما اصبح القسام عضوا في اللجنة التنفيذية خلال العشرينات والجزء الاول من الثلاثينات (١٦٠)

وبالنسبة لرواية الغوري أيضا فقد كان المفتي هو الذي أوصى القسام بما أصبح فيما بعد انجازه الاكبر في سجل النضال : تنظيمه السري ، الذي فجّر حركته التي تحدثنا عنها . وبحسب هذه الرواية فان هذا التنظيم انما أخذ شكل جمعية ذات طابع ديني ـ قومي باقتراح من المفتي الذي طلب من القسام أن يختار عناصره من أولئك الذين لديهم استعداد حقيقي " للتضحية والفداء " . ولا تنسى رواية الغوري ـ الى ذلك ـ أيضا ان تفسر الانقطاع الظاهري الذي كان بين المفتي والقسام والذي سبق انتفاضة الاحمر بأنه كان مقصودا وذلك من أجل احاطة حركة القسام بالتستر والكتمان ، نأيا لها عن أعين السلطات البريطانية . ولقد آتت هذه الاساليب أكلها عندما اعتقد الكثيرون أن خلافا حقيقيا نشب بين الطرفين . (١٦١)

ورواية الغوري هذه التي تصل بعلاقة المفتي بالقسام ـ والعكس ـ الى درجة الالتزام الكامل تقتضينا ان ننظر اليها ـ وهي التي صدرت عن صاحبها في وقت متأخر وكانت استجابة لنقمة سبقتها وظهرت في الادب السياسي للهيئة العربية العليا في أوائل الستينات ، كما أنه نظرا لصلة الغوري بالحزب العربي والمفتي

شخصيا ـ بشيء من الحذر ، وان نقيسها على غيرها من الروايات والشواهد ، وهنا ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار رواية القسم الاكبر من القساميين أنفسهم المكتوبة منها والشفاهية .

فصحي ياسين ذو الاتجاه القسامي يكتب في كتابه " الثورة العربية الكبرى " " اما تبعية القسام وارتباطاته بحزب معين فان الذي أعرفه معرفة حقيقية وبعرفه العديد من اخواني الاحياء بان القائد الشهيد لم يكن له ارتباط مع أي حزب من الاحزاب وان ارتباطه الوحيد كان مع العقيدة الاسلامية وحدها " .(١٦٢) ويؤكد هذه الرواية الروايات الشفهية التي طالما رددها زملاء القسام ومريدوه ـ ومن بينهم بصورة خاصة أبو ابراهيم الكبير أحد القادة الذين كان يعتمد عليهم الشيخ القسام اعتمادا كبيرا ـ والتي تركز على استقلاله . (١٦٣)

وفضلا عن ذلك فان مصدرا مستقلا هو عجاج نهويض يرى أن القسام لم يكن مؤسسا لأي حزب ولم يكن مرتبطا بحزبه على الاطلاق ١٦٤) ، ولكن مع هذه الروايات المتعارضة مع رواية الغوري فاننا لا نستطيع استبعاد هذه الرواية تماما ، ولا سيما عندما ننظر اليها من زاوية روايات اخرى محايدة ـ وبوجه خاص عندما نقارنها بروايات الفرق والاحزاب المتعارضة ـ هذه الروايات هي التي تعتمد على المادة المصدرية البريطانية واليهودية .

أما بالنسبة للمادة المصدرية البريطانية فاننا نجد مصادر البوليس ـ وبالذات أوراق تيجارت ـ والتي تعتبر الحركة القسامية بداية الحركة " الارهابية " في فلسطين ، تتفق مع رواية الغوري ، في أنه كان هنالك فعلا عناصر ذات طابع ديني قومي وكونت جمعية كانت تابعة للمفتي والقسام . وبينما الغوري لا يطلق عليها اسما معينا فان أوراق تيجارت تسميها بجمعية الشبان المسلمين . وكلا المصدرين (البوليس والغوري) يزعمان أن القسام كان عضوا فعالا في هذه المجموعات . ويقول أحد تقارير تيجارت هذه " كانت الجمعية قد أسست بوساطة الرؤساء الدينيين على امتداد البلاد تحت رعاية مفتي القدس ، الحاج أمين الحسيني " . (١٦٥)

ويطرد التشابه بين هاتين الروايتين في تحديد أهداف هذه الجمعيات النضالية ، مما تطلق عليه التقارير السرية للبوليس : " النشاط الهدام " كما أن تقارير البوليس تعود بالعلاقة بين القسام والمفتي ـ كما عاد بها الغوري ـ الى

تعيين المفتي للقسام كواعظ ، الذى تحول به الى منظم ممتاز للجمعيات في منطقة حيفا : " ان اكثر فروع جمعيات الشبان المسلمين نشاطا كانت تلك التي وجدت حول حيفا والناصرة وجنين وكانت الاجتماعات للجانها (الفروع) تعقد بصورة منتظمة (١٦٦) . واستطرادا تنتهي الروايات الى ان القسام انما عمل كل ما عمله بصفته واعظا يرعاه ويعزز موقفه المفتـــي .

اما بالنسبة للمصادر اليهودية فان بورات يذهب الى أنه كان لجمعيات الشبان المسلمين دور واضح في النضال المسلح: " فهو يذكر أنه " ابتداء من صيف ١٩٣١ (التاريخ الذى يذكره الغورى كنقطة انطلاق للنشاط العملي للمقاومة المسلحة للقسام (ابتدأ هؤلاء الشبان في الحديث عن النضال المسلح لتحقيق الاهداف القومية في فلسطين ... وقد نظم رئيس جمعية الشبان المسلمين في حيفا الشيخ عز الدين القسام ، مجموعات مسلحة ابتدأت ضروبا من "الارهاب والجرائم " ضد اليهـــود " . (١٦٧)

وبحل بورات معضلة انتماء القسام حلا جزئيا عندما يستنتج أن الاستقلاليين (الذى نسب دروزة القسام اليهم) من أصدقاء المفتي وبالذات صبحي الخضرا ورشيد الحاج ابراهيم كانوا صلة الوصل بين القسام وجمعيات الشبان المسلمين في الشمال . بل أنه يصف صبحي الخضرا مدير الاوقاف في الشمال بأنه كان حلقة اتصال مثالية بين القسام والحاج أمين الحسينـــي " (١٦٨) .

الا ان بورات ــ الذى يعتمد على مصادر صهيونية ــ مثله مثل الغورى وتقارير البوليس لا يعطينا جوابا شافيا عن هوية القسام الحقيقية وبصفة خاصة من الناحية التنظيمية . فكل هذه المصادر لم تجب عن سؤالين أساسيين الا وهما : هل كان القسام منظما عضويا كتابع للمفتي بحسب هيكلية معينة يأخذ القســـام بموجبها منه أوامر العمل اليومي بمافيها بطبيعة الحال المقاومة المسلحة ؟والثاني منهما :هل كانت العلاقة بينهما لا تعدو في مجملها ولاء مشتركا لنفس المبادئ وان الطرفين وجدا أنفسهما يناضلان تحت نفس الخيمة ويرفعان نفس الراية ــ كل بأسلوبه ــ بدون أن يندمج في تنظيم صارم ؟ هذان السؤالان يبقيان بدون اجابة ولكن الشواهد ــ باستثناء روايات القساميين ــ تتواتر لتدلل على أن القســـام والمفتي كانا مشتركين في جمعيات الشبان المسلمين الاول كعضو ، ولكن مع هذا عضو منفذ والثاني كراعي وحامي على مستوى البلاد جميعها . ويدخل في نطاق دائرته الكبرى القسام كفرع من الكيان الكلي لهذه الجمعيات . وتؤكد هـــذه

الشواهد ايضا أنه كان هنالك نوع من الصلة الوطيدة ـ ولو لبعض الوقت ـ بين الطرفين ، وان هذه الصلة كانت تترجم الى تخطيط وتنفيذ مشتركين ولكن رغم كل ذلك لم تستطع الاجابة على السؤال الخاص بالهوية الدقيقة للقسام . وعلى ما يظهر فان هنالك حلقة مفقودة وباكتشافها يمكن الكشف عن هوية القسام . ولعل هذه الحلقة المفقودة يكمن وراءها رأى اولئك الذين يزعمون أن هذه الشخصية ستبقى في حيز المجهول . ومن هؤلاء عسان كنفاني الذي يقول : " بالرغم من الكثير الذي كتب عنه الا أنه يوسعنا ان نقول أن هذه الشخصية الفريدة ، ما تزال وربما ستظل شخصية مجهولة في الحقيقة " وبالنسبة لكنفاني الذي يريد تفسير ثورة القسام تفسيرا طبقيا : " ان معظم الذي قد كتب قد مسه من الخارج فحسب . وبسبب هذه السطحية في دراسة شخصيته لم يتردد عدد من المؤرخين اليهود في اعتباره " درويشا متعصبا " بينما اهمله الكثيرون من المؤرخين الغربيين "(١٦٩)

ولعلنا نكون اقدر على معرفة الشخصية الحقيقية للقسام في اطار علاقته بالحرب الغربي ، لو أننا استطعنا ان نحقق في دور الحرب وفائدة المفتي في انتفاضة القسام والتي كونت قمة مصيره (القسام) النضالي ، ورسخت مكانته في تاريخ فلسطين الحديث . وهذا سيقودنا الى الحزء الثاني من مناقشتنا والذي هو دراسة حوافز ووقائع حركة القسام . وهنا نجد أن المصادر التي حاولت أن تفصل القسام عن أي فريق آخر من موقع كونه مستقلا ، قائدا ومنظما ، تصر على موقفها ، وهذه المصادر هي المصادر القسامية " (١٧٠)

كما أننا نجد أن المصادر الانجليزية (المندوب السامي بوجه خاص) التي تتفق معهم (أي القساميين) على هويته المستقلة تميل هنا الى الاتفاق معهم بالنسبة لحوافز حركته ووقائعها . الامر الذي سيزيد في صعوبة تحديد دور الاحزاب وبخاصة الحزب العربي من هذه الحركة .

فبالنسبة للقساميين نجد أن صبحي ياسين يرفض جملة وتفصيلا أي دور للمفتي والحزب العربي في حركة القسام . وفي رأيه ايضا أن موقف المفتي لم يكن سلبيا فقط خلال الانتفاضة ، ولا قبلها بقليل ، وانما قبل ذلك بمدة طويلة .
وخلافا لما أوردناه قبلا فانه يذكر أنه حتى في مجال الوعظ الاسلامي لم يكن هناك تعاون . فقد رفض المفتي ـ بحسب رواية ياسين ـ " تعيينه ـ أي القسام ـ واعظا عاما متنقلا ليستطيع الاتصال مع سائر طبقات الشعب في المدن والقرى ومضارب

البدو للاعـــداد للثـــورة " (١٧١) .

كما أن صبحي ياسين يروي بوضوح انه قبيل حركة القسام ، رفض المفتي التنسيق مع القسام من أجل القيام بالانتفاضة في الشمال والجنوب في نفس الوقت . فقد انتهت مقابلة رسول القسام واسمه المخزومي ، مع أحد أعوان المفتي وهو الشيـــخ العزاوي بأن أجاب المفتي ـ عبر العزاوي ـ "أن الوقت لم يحل بعد لمثل هذا العمل ، وان الجهود السياسية التي تبذل تكفي لحصول عرب فلسطين على حقوقهم . (١٧٢)

بحسب رواية اخرى لاحد القساميين وهو ابراهيم الشيخ خليل فان الاتصال مع المفتي لم يقتصر على المخزومي ، وانما تم بوساطة احد أفراد حزب الاستقلال البارزين وهو الشيخ كامل القصاب ، وهو مناضل من أصل سوري ، ولكن هذا الاتصال لم يتمخض عنه شيء أيضـــــا (١٧٣) .

كما أن المصادر البريطانية الرسمية عموما تصمت عن مساهمة مباشرة للمفتي في انتفاضة القسام (١٧٤) ففي تقرير المندوب السامي وصف الانتفاضة بأنها "نشاطات لعصابة مسلحة في جنين وقائد هذه العصابة اطلق النار بصورة متعمدة ومقصودة على رجل البوليـــــس ... " .

وتعارض هذه الروايات القسامية والبريطانية ، رواية الغوري وبعض القساميين معارضة كلية ، كما تعارضها المصادر اليهودية معارضة جزئيـــة .

فرواية الغوري في مجملها تقوم على أن الحركة كانت بموافقة المفتي الكليـة ورعايته . ويعزز هذا الرأي ما نشرته مجلة فلسطين ـ التي سبق الاشارة اليها ـ لبعض اخوان القسام (ومن غير اولئك الذين سبق لنا الحديث عنهم والذين يصرون على استقلالية القسام تنظيما وانتفاضة) وردوا فيه على ما جاء في كتاب صبحي ياسين واعلنوا ان الشيخ القسام وجميع اخوانه وزملائه وتلاميذه كانوا يعملون بتعاون تام مع مفتي فلسطين وبتفاهم معه ، وبتوجيه وتأييد منه ، وان الشيخ كامل القصاب كان صلة الوصل بين القساميين والمفتي ، وانه كان يسافر الى القدس بين فترة واخرى ويعود حاملا للمجاهدين التوجيه الوطني والمدد المادي (١٧٥) ويزيد رواية الغوري عن رواية القساميين هؤلاء في انها اكثر تفصيلا . فهي مثلا تحدد العون المادي ـ في مرحلة معينة ـ بأنه كان النقود اللازمة لنفقات الحركة والتي كانت تعطى للقسام الذي "كان دائما ينفقها على الوجه الصحيح" (١٧٦) . كما أن رواية الغوري تذهب الى أن مشاركة المفتي بحركة القسام انما كانت من القوة بحيث شارك المفتي في تحديد ساعة الصفر لهذه الانتفاضة : "واتصل القسام بالحاج أمين بهذا الشأن للوقوف على رأيه فوافق المفتي على رأي القسام وأفرخطوته وتعهد بمد الثورة العتيدة بالرجال والاموال

والسلاح فعزم القسام وتوكل وفي اليوم التالي من تشرين الثاني ١٩٣٥ قاد الشيخ عز الدين القسام عدداً من رفاقه المؤمنين في حملة ضد القوات البريطانية (١٧٧) .

وهناك رأيان للمصادر اليهودية في مساهمة المفتي بانتفاضة القسام . فبينما يؤيد أحد تقارير المخابرات اليهودية مساهمة المفتي ولو على الاقل بطريقة جزئية (١٧٨) فان أحد المحامين اليهود ـ من الناحية الاخرى ـ والذي كان يعمل في بدون في رسالة له أن المفتي كان يؤيد القسام الى الحدود التي لا يتحدى فيها الانتداب (١٧٩) تلك كانت التقارير التي تحدثت عن الانتفاضة وماسبقها . وحتى تكتمل لنا المقدرة على محاكمة هذه التقارير ، لابد أن ننظر اليها في ضوء التقارير التي تلت هذه الانتفاضة وبالنظر بصورة خاصة لموقف الاحزاب من استشهاد القسام . وماذا كان رد الفعل عليهم . وهنا نجد أن التقارير لا تكشف عن أي دور لاحق لحزبنا نحو انتفاضة القسام . فعلى الرغم من دعوة اكرم زعيتر الاستقلالي المتحمس . الى مشاركة عامة في الجنازة ، وبالرغم من كثرة المشاركين فيها ، والروح العارمة المتحمسة التي تميزت بها الجماهير الفلسطينية ، والتي تبدت في عناوين الصحف الفلسطينية مثل " دعوة الاحزاب والهيئات الى المشاركة في جنازة الشهداء " و" معركة هائلة بين عصبة القائدين والبوليس " و" استشهاد فضيلة الشيخ عز الدين القسام رئيس العصبة ، قتل بعض الثائرين والبوليس والانكليز " و" هياج الافكار في اللواء الشمالي ، تشييع جنازة الشهداء اليوم " (١٨٠) . بالرغم من كل هذا فان قادة الحزبيين تغيبوا عن الجنازة كما كانت برقياتهم قاترة اللهجة (١٨١) . بل انه بعد ستة أيام فقط من استشهاد القسام نرى ممثلي الاحزاب الخمسة ـ باستثناء حزب الاستقلال ـ يجتمعون الى المندوب السامي (١٨٢) للدخول معه في مفاوضات جدية حول المطالب الاساسية للفلسطينيين وكان لهجة حوارهم معه أن الشعب يتصرف بدون الرجوع اليهم " ولقد اظهر الاهالي العرب اشارات أو علامات عن فقدان الامل وهم الان يخرجون عن الطوق " (١٨٣) ولم يشر الزعماء الى موضوع القسام وان كانوا أشاروا الى العنف بوجه عام . وتدل لهجة النقاش ان الاحزاب جميعاً لم يكونوا قد تجاوزوا في علاقاتهم مع بريطانيا روح المفاوضة ، او المساومة وسياسة " خذ وطالب " ، التي كانت قد اثبتت فشلها منذ زمن طويل ، والتي كانت حركة القسام رفضاً كاملاً ومطلقاً لها . جرى ذلك وقد كانت جريدة الجامعة الاسلامية كتبت قبل يوم واحد من اجتماع الزعماء بالمندوب السامي مقالاً بعنوان : " هل أنتم اعداء للانكليز أم أصدقاء ؟ الى رؤساء الاحزاب والزعماء والمحامين " قالت فيه : " ماذا ستقولون

لجناب المندوب السامي عن حادثة استشهاد القسام وصحبه . وهل وكيف تفهمون جنابه السر في اندفاع الامة هذا الاندفاع العجيب القد في تشييعهم الى لحودهم وهل تعلمون ان البيان الرسمي وصفهم بالاشقياء ؟ . أليس من مصلحة بريطانيا والعرب ان تصارحوا جناب المندوب السامي بالتعبير له عما يجيش في صدر كل عربي ... لقد سمعت صديقا يقول : سيتعمد رؤساء الاحزاب في مقابلتهم اغفال هذه الحادثة الخطيرة التي هزت البلاد هزا عنيفا " . (١٨٩)

وتتفق التقارير الاخرى للسلطات البريطانية في الفترة التي تلت استشهاد القسام على أن موقف الاحزاب جميعا تميز بالاعتدال ما عدا حزب مؤتمر الشباب الذي لم يخل موقفه على أية حال ، من روح المزايدة ، توسلا للشعبية على حساب الاحزاب ، الاخرى ، فقد قال أحد التقارير : " لقد استطاعت مجموعات حزب الشباب المحافظة على روح الانتفاض بل لقد استغل هؤلاء التمور العام في زحزحة القيادة عن الاحزاب المعترف بها وتوجيه الانتباه الى النشاطات المتطرفة (١٨٥) كما أن هذا الموقف من حزب الشباب تسبب في احراج كبير لقادة الاحزاب (١٨٦) ، ومن أجل التخلص من هذا الاحراج عمد جمال الحسيني الى التطرف أيضا . وكان موقفه هذا مع حزبه " من أجل استعادة منزلتهم ومنع انتقال الزعامة من أيديهم " ولا يزيد هذا التقرير عن أن نشاطات الحزب لم تكن قد تجاوزت : " الاحتجاجات والتظاهرات والمواكب العامة " . (١٨٧)

ولم يخف هذا الموقف المعتدل للاحزاب على الشباب الفلسطيني المتقد ذي الميول الوطنية . فقد كان الاحتفال في يافا بمناسبة ذكرى احتلال الانجليز للقدس والذي جرى في سينما أبو للو ، وحضره ٣٠٠٠ مندوب من أنحاء البلاد المختلفة مناسبة لكشف موقف الاحزاب من القضايا الوطنية الرئيسية . فقد وقف حمدي الحسيني خطيبا تحت صورة كبيرة للقسام لينتقد بقسوة الزعماء كما ندد " بالطرق الفاشلة للعمل الوطني الفلسطيني وذكر أنها كانت عاملا قويا في ترسيخ اقدام الاستعمار " (١٨٨) كما بين كيف " ان الزعامة سعت لتقوية مراكزها فقط عند المستعمرين بالتظاهر بالوطنية ، واستغلت الدماء الزكية التي سفكت في سني ٢٠، ٢١ ، ٢٩ ، ٣٣ حتى ضاعت هدرا " (١٨٩) . كما اتخذ الحضور القرار التالي : " يعلن المجتمعون الليلة في اجتماع يافا الكبير ان قضية العرب في فلسطين هي قضية كفاح وصراع بين العرب والانكليز ... وكل معاهدة مع الانكليز تبدو من

الهيئات والاحزاب والافراد تعتبر جناية على الوطن ، والمجتمعون يتنهزون فرصة الاجتماع الكبير ليعلنوا تقديسهم لذكرى البطل الشهيد عز الدين القسام وصحبه ، ويدعون الى تمجيدهم باعتبارهم قد عبروا عن سخط الامة ... "(١٩٠)

والان وقد رأينا أن الروايات المختلفة المتعلقة بهوية القسام السياسية والتنظيمية لا تبرهن على انتماء حزبي أو تنظيمي معين له ، فاننا عندما نضيف اليها التقارير المتعلقة بالانتفاضة نفسها ، ما سبقها وما تلاها ، فانه ليس من السهل علينا أن ننسب هذه الانتفاضة لاحد غير القسام نفسه ، وبالرغم من العلاقة التي كانت للمفتي بالقسام ، والتي تتواتر كثير من الادلة على توكيدها ، فانه لم يكن له مساهمة حقيقية في انتفاضة القسام .

واذا كان هنالك من مساهمة فقد سبقت هذه الانتفاضة ولم تكن مقصودة أو مخصصة لها . (١٩١) وان كل ادعاء على أنه كان هنالك اتفاق على موعد محدد لها ، لا يعدو كونه تحميل الاشياء اكثر مما تحتمل ورواية الغوري التي تنفرد تقريبا من بين الروايات في فرض دور المفتي في الانتفاضة لا تقف على أرض صلبة من عدة انواع :-

١ - لانها متاخرة زمنيا ولم تظهر في كتابات الغوري ، وهو معروف بأنه مكثر في الكتابة (١٩٢) وله مؤلفات عدة ، سبقت كتابه " فلسطين عبر ستين عاما " والذي وردت فيه هذه الرواية .

٢ - لم يبن الغوري رأيه هذا الا بعد أن نشرته فلسطين مجلة الهيئة العربية العليا عام ١٩٦١ . ومجلة فلسطين متاخرة ايضا في تاريخها . ولا يظهر أي اشارات مشابهة عن القسام في الادب السياسي للهيئة قبل عام ١٩٦١ .

٣ - يظهر في رواية الغوري طابع التعمد في الرد على كتابات اخرى وبالذات كتابة القاسميين ومن بين هؤلاء بصورة خاصة صبحي ياسين ، مما يجعلها اقرب الى رد الفعل منها الى الحقيقة المجردة أو الموضوعية . ويصل هذا الرد احيانا الى درجة تعمد قلب الحقائق .

٤ - كان الغوري عضوا رئيسيا في الحزب العربي - سكرتيره - كما أن كتاباته المختلفة تظهر تحمسا كبيرا للمفتي قد لا يجعله يتورع عن أن ينسب للحزب والمفتي مواقف وطنية معينة .

٥ ـ كتب الكثير عن القسام في وقت متأخر وبخاصة مع قيام الثورة الفلسطينية الحالية . واعتبر القسام بالنسبة للكثير من التنظيمات مثلا وقدوة . ومن هنا فقد انساق الغوري كغيره في محاولة تفسير الظاهرة القسامية تفسيرا خاصا لا يتعارض ـ بل يؤيد ـ الخط النضالي لحزبه .

وفي الخاتمة نستطيع القول إن القسام كان ظاهرة فريدة من نوعها في هذه المرحلة : تنظيما اعتمد على الطبقات الشعبية ـ وليس كغالب الاحزاب على الوجاهات ـ واستراتيجية وتاكتيكا اعتمد ايضا على المجابهة العسكرية المباشرة باعتبارها الحل الامثل أو الاوحد .

ـ ٦ ـ

الحزبان والمجلس التشريعي (١٩٣)

كان مشروع المجلس التشريعي الذي دارت حوله مداولات بين قادة كل من الحزبين مع المندوب السامي ، مشروعا قصد به الانتداب الى هدفين : الاول من أجل حل المشكلة الطويلة والمتعلقة بتحديد طبيعة العلاقة الدستورية بين العرب واليهود من ناحية ، وبين الانتداب من الناحية الاخرى . تلك المشكلة التي لم تكن قد حسمت بعد ، بالرغم من اهميتها وكونها المبرر الحقيقي لوجود الانتداب والثاني هو ارضاء العرب بالنظر للتيار ـ المتصاعد من الراديكالية العربية ـ وتعدد التنظيمات التي تمثل هذا الاتجاه مثل جمعيات الشباب ونوادي الرياضة ومظمات الكشافة (١٩٤) وغيرها من المنظمات التي تحدثنا عنها في الباب الاول والتي تمثل تأثيرا واضحا في حركة القسام .

وسنعنى الصفحات التالية بتوضيح مواقف كل من الحزبين من مشروع المجلس التشريعي . وسنقسمها الى ثلاث مراحل :ـ

١ ـ فيما قبل محادثات يوليه ١٩٣٥ ما بين قادة الحزبين والمندوب السامي .

٢ ـ محادثات يوليه ١٩٣٥ التي سبقت اصدار المشروع بصورة رسمية .

٣ ـ موقف كل من الحزبين من المقترحات الرسمية للمشروع الذي أعلن في ٢١ ديسمبر ١٩٣٥ .

١ ـ المرحلة الاولى : بالنسبة لهذه المرحلة نجد أن الشواهد تركز على حقيقة كبيرة وهي الحماس الكبير الذي طالب به انصار حزب الدفاع بهذا المجلس لانجد لهذا الحماس مثيلا في أدبيات الحزب العربي . كما لا يظهر موقف محدد للحزب من هذا المجلس) . وقد تجلت هذه الحقيقة في مذكرات ومحاضر محادثات رجال الحزب مع المندوب السامي . ففي مذكرة الحزب المؤرخة ١٩٣٥/٣/٤ (١٩٥) نجد معالجة لموضوع المجلس التشريعي "كخطوة في طريق الحكم الذاتي" (١٩٦) . كما أن المذكرة الحت على تذكير المندوب السامي بتعهداته السابقة من أجل انشاء المجلس التشريعي . ولقد عزت المذكرة تأجيل انشاء هذا المجلس الى الجهود اليهودية وقالت : " نحن على علم أن اليهود لن يوافقوا على هذا المجلس حتى يصبحوا أغلبية (١٩٧) وطالبت المذكرة في خاتمتها بتحديد موعد لانشاء هذا المجلس .

وقد ركزت مذكرة الحزب التالية والمؤرخة ١٤ مايو ١٩٣٥ (١٩٨) على موضوع الحكومة الذاتية (Self Government). وعززت مناقشتها لهذا النوع من الحكم بالعودة الى قانون الولايات العثماني والذي " اعطى للولايات الحق في تكوين سلطات حكومية محلية ذات صفة مستقلة تماما " ثم أشارت الى الاستقلال الذاتي " ضمن تماما " في مراسلات الشريف حسين مكماهون .

وكما أنهت المذكرة الاولى مطالبها بالمطالبة بتحديد موعد لانشاء هذا المجلس ، قالت المذكرة الثانية أن أي تأجيل لتأسيس الحكم الذاتي سيفسر من قبل الشعب بأن سياسة الانتداب لا تحبذ اشراك الشعب في ادارة بلاده . و " هذا أمر ضار " و " يتعارض مع مبادئ العدالة والمساواة ." (١٩٩)

والدارس لتأثير هذه المذكرات لا يستطيع القول انها كانت الوحيدة وراء قيام أو عرض مشروع المجلس التشريعي . فقد كان انشاء المجلس التشريعي سياسة مقررة ومدروسة من قبل البريطانيين تنفيذا لمضمون الكتاب الابيض عام ١٩٣٠ . ولعل أهم ما يمكن أن تكون هذه المذكرات قد ساهمت به لا يعدو أنها عززت موقف واكهوب أمام دوائر وزارة المستعمرات والحكومة البريطانية من أجل التعجيل باصدار المشروع خاصة بالنظر للعراقيل التي كان يضعها اليهود في سبيله أمام هذه الدوائر . تلك العراقيل التي نجحت أكثر من مرة في وضع هذا المشروع على الرف وأجلت اصداره بصورة رسمية (٢٠٠) الى ديسمبر ١٩٣٥ ، بالرغم من الموافقة

الميكـــرد عليـــه كميـــدا ... (٢٠١) .

٢ ـ محادثات يوليه ١٩٣٥ : تمهيدا لانشاء المجلس التشريعي استدعى المندوب السامي كلا من الحاج امين وجمال الحسيني لمقابلته في ٢٢ يوليه (٢٠٢) حيث دارت مباحثات حول المجلس التشريعي الذى قدم المندوب السامي الملامح الرئيسية له ودارت حول الموضوعات التاليـــة :ـ

١ ـ تطوير مؤسسات الحكم الذاتي والقيود المفروضة عليـــه .

٢ ـ تركيب المجلس من حيث صفة أعضائه واصنافهم : رسميين وغير رسميين ، منتخبين ومعينين ، وشروط العضوية فيـــه .

٣ ـ رئاســة المجلس : شروطها وصلاحياتهـــا .

٤ ـ مدة المجلـــس ودورات انعقـــاده .

٥ ـ التصويت : طرق الانتخاب ، والشروط الواجب توفرها في المنتخبـــين .

٦ ـ صلاحيـــات المجلـــس . (٢٠٣)

كما كشف المندوب السامي بعض النواحي التفصيلية لهذه الموضوعات الكبرى فقد كان على المجلس أن يتألف من الثالثين : ثمانية أعضاء منتخبين وثلاثة معينين من المسلمين ، عضو منتخب واثنان معينان ، من المسيحيين ، ثلاثة أعضاء منتخبين ، و ٤ ـ ٥ معينين من اليهود ، هؤلاء بالاضافة الى خمســة أعضاء رسميين بريطانيين ، ١ ـ ٢ أعضاء بحاريين " كما أن المندوب الســامي يحتفظ لنفسه بصلاحيات واسعة فهو يمتلك بحق الفيتو غير المشروط . كما أنـــه يحتفظ بحق التشريع في حالة عدم انعقاد المجلس ، كما أن له الحق الخاص بايقاف الصادرات المالية ، ويضاف الى ذلك صلاحية حل المجلـــس . (٢٠٤)

ولقد تمثل رد الزعيمين الحسينيين على هذه المقترحات في النقاط على ما سماه " مصالح العرب في فلسطين ، كما أنهما أصرا على ايجاد نوع من التمثيل الحقيقي ـ وليس الاسمي فقط ـ للفلسطينيين . وبالنسبة لتكوين المجلس أو تركيبه اقترحا أن عضوية المجلس يجب أن تقتصر على من لهم حق المواطنة (بالنظر لانه كان هنالك عدد كبير من اليهود الذين لا يتمتعون بهذا الحق لانهم عبروا البلاد بصورة غير شرعية) كما أنهما عارضا بشدة تمثيل اليهود بالعدد الذى اقترحـــه المندوب السامي واعتبرا ذلك تحيزا مباشرا لهم ، لا سيما وانهم سيكونون محميين بحق الفيتو (٢٠٥) كما أنهما اعترضا على تعيين عضو تجارى في المجلس والـــذى

ـ كما قالا ـ انه على حد علمهما لم يكن له شبيه في مصر وفي أي مستعمرة أخـــرى بريطانية (٢٠٦) كما أنهما اعترضا على أن يكون رئيس المجلس اجنبيا محايدا .

وبالنســـبة لطريقـة الانتخـاب كان موقفهمـا كالتالـــي :ـ

أ ـ فضلا النظام الطائفي(communal system) والذي تقسم بموجبه البلاد الى ثماني مناطق انتخابيـــة .

ب ـ آثرا الانتخاب المباشر على الانتخاب غير المباشر " الذي يؤدي فيما بعد الى الفســـاد " .

جـ ـ وافقا على اقتراح المندوب السامي بالنسبة لشروط من يحق لهم التصويت والتي تشمل تحديد سن المنتخب بـ ٢٥ سنة مع اقامة شرعية في البـــلاد مدتهـا ثلاث ســـنوات . (٢٠٧)

أما بالنسبة لسلطات المجلس التشريعي فقد اعترضا على أن الســـلطات أو الصلاحية الممنوحة للمجلس التشريعي ـ في هذه المحادثات المبدئية ـ محدودة . وتركز اعتراضهما على الصلاحيات الممنوحة للمندوب السامي وان هذه الصلاحيات ينبغي تحديدها . ونظرا في مناقشاتهما الى أن الانتداب نفسه ينبغي اعادة النظر فيه بحيث يحق للعربي " أن يناقش موضوعات لا يقرها الانتداب " وعلى سبيل المثال أن يحق له أن يتخذ قرارا لانهاء وعد بلفور (٢٠٨) وكانت هذه نقطة جوهرية أو مركزية في المطالب العربية طوال كفاحهم . وتشهد بذلـــك مذكراتهم وبياناتهم الى المندوب السامي والحكومة البريطانية ولجنة الانتدابـات الدائمة (٢٠٩) . ويذهب ماكوفر Machover انه " كان هنالك قناعة لدى بعض الاعضاء الدائمين للجنة الانتدابات الدائمة في عصبة الامم ان العرب انما يطالبون بالمجلس التشريعي من أجل منع تنفيذ الاهداف الاخرى للانتداب أو من أجـل تدمير الانتـداب نفســـه " . (٢١٠)

وتدل محاضر اللقاء الثاني الذي تم مع المندوب السامي بعد حوالي أسبوع (٣٠ يوليه ١٩٣٥) (٢١١) على أن موقف كل من المفتي وجمال الحسيني كـان أكثر تشددا من اللقاء الاول . فقد طالبا بتعديلات أخرى في الشروط التي اقترحها المندوب السامي للمجلس التشريعي ، وذلك من أجل أن تحقق الآمال العربية (٢١٢) وفي هذا اللقاء أشار المفتي الى أن البلاد العربية تتمتع بصلاحيات تشريعية أكثر اكتمالا من هذه التي تقدم آنفا لفلسطين كما أن تلك البلاد تتمثل بنظام تمثيلـي

أكثر اتساعا (٢١٣) . وبالنظر لهذه الناحية فقد وضح أن " جزءا من الشعب (الفلسطيني) ربما يرضى بالمجلس التشريعي - بينما يرفضه الجزء الاخر " (٢١٤) وهنا عزز جمال الحسيني موقف المفتي بقوله : " مثل هذه الحالة ربما تدمر خطة تنفيذ المشروع التشريعي الذي تحتاج اليه البلاد وتطلبه " (٢١٥)

ولكن بالرغم من هذه المناقشات والحجج ووجهات النظر التي أبداها الزعيمان الحسينيان فانهما لم يفلحا في زحزحة المندوب السامي عن عرضه الاساسي : " ولقد رددت قائلا ينبغي على ان أخبركم للمرة الثانية ان حكومة جلالته لن تغير الملامح الرئيسية لهذه المقترحات " (٢١٦) .

ولكن هذا الموقف من المندوب لم يمنع الزعيمين الحسينيين من أن يعيدا النظر في تركيب المجلس باتجاه مزيد من التشدد فقد طالب جمال الحسيني بأنه ينبغي أن يكون الاعضاء جميعا بالانتخاب وليس بالتعيين " لان الاعضاء المعينين سينظر لهم كموظفين أو خدم للحكومة " (٢١٧)

وبالانتقال الى موضوع صلاحيات المجلس أبدى الزعيمان تخوفهما من أنه " لن يكون مسموحا للاعضاء أن يناقشوا المسائل المالية " وردا على ذلك : " لقد قلت ؛ لا يستطيع الاعضاء أن يتقدموا باي قرار أو مناقشة في مايتعلق بالمسائل المالية " . (٢١٨)

ويظهر أيضا من وقائع هذا الاجتماع (٣٠ يوليه ١٩٣٥) أن المفتي وجمال ارادا العبور من البحث في صلاحيات المجلس التشريعي الى المطالبة بزيادة الصلاحيات التنفيذية للعرب من خلال المجلس التنفيذي للحكومة . فقد " طالبا بزيادة الاعضاء الرسميين للمجلس التنفيذي ، ومنح بعض السلطة للفلسطينيين في المجلس التنفيذي أسوة بالسلطة التشريعية الممنوحة لهم " (٢١٩) ولعل هذا كان نابعا من رغبتهما في تحقيق نوع من الحكم الذاتي الحقيقي القائم على السلطتين التشريعية والتنفيذية وليس فقط السلطة التشريعية . الا أن المندوب السامي أجاب " ان حكومة جلالته لن تتقدم أكثر من خطوة واحدة في المرة الواحدة . فبعد أن يسير المجلس التشريعي سيرا جيدا ، فان الحكومة ستنظر بعين الاعتبار لمسألة زيادة الاعضاء غير الرسميين للمجلس التنفيذي . ولكن مع هذا فانني لا أستطيع أن اتعهد بذلك في الوقت الراهن " (٢٢٠)

وفي ٢٣ يوليه عام ١٩٣٥ عقد المندوب السامي اجتماعا مع راغب النشاشيبي حيث تناول النقاش نفس الموضوعات التي عرضت على الحسينيين (٢٢١) وكانت ردود راغب على الوجه التالي :-

١ - بالنسبة لتركيب المجلس التشريعي : كانت أول ملاحظة لراغب النشاشيبي هي احتجاجه على خمسة أعضاء من اليهود واعتبر ان هذا العدد " نسبة كبيرة مما سيجعل العرب ينظرون اليها على أنها نسبة غير عادلة بل أنه اعتبر أن عضوين معينين من اليهود سيكونان كافيين ، وان أربعة سيكونون اقل شرا من خمسة "(٢٢٢) .

وبالنسبة لقضية الانتخاب أو التعيين فقد عبر راغب عن رغبته في " أنه يفضل مجلسا معينا ولتقل مدة سنتين وان تجعل هذا المجلس المعين يتقدم بمقترحات لجمعية تشريعية (٢٢٣) ولقد برر راغب النشاشيبي هذا الاقتراح بخوفه من نتائج المنافسات بين الفئتين اللتين يتكون منهما المجلس : المنتخبة والمعينة اذ أن الفئة المنتخبة ستعتبر نفسها الافضل . كما أنه اقترح كحل عملي مجلسين : مجلس يهودي ومجلس عربي . وكلا هذين المجلسين يمكن انتخابهما " وكل قراراتهما سترفع الى مجلس ثالث من أعضاء معينين والى هذا المجلس المعين سيكون التصويت النهائي " . (٢٢٤)

ويستوقفنا اقتراح راغب هذا من ناحيتين : الناحية الاولى انه يحرم الفلسطينيين من حرية التمثيل باعتبار أن الصلاحيات ستكون في يد المجلس المعين . كما أنه ردة الى مشروع شبه بالمجلس الاستشاري الذي رفضه العرب عام ١٩٢٣ باعتبار أن أعضاءه معينون وان الاكثرية فيه كانت للانكليز واليهود معا (٢٢٥) وباعتبار انه - بتركيبته هذه - يحرمهم من حق التمثيل ، وهم الذين رفضوا المجلس التشريعي ، الاقل حرمانا لهم من التمثيل فيما مثل ذلك .

ومن ناحية ثانية نجد أن هنالك تشابها بين هذا الاقتراح واقتراح آخر سبق لوايزمن ان اتفق عليه مع باسفيلد وزير المستعمرات ونص على ما يلي :-

" تشكيل مجلسين يهودي وعربي ، مستقلين ويتم انتخابهما بطريقة ديمقراطية . وكل من هذين المجلسين سيعنى بمشكلات طائفية . وعلاوة على ذلك سيتم عقد لجنة استشارية مكونة من عضوين من العرب وعضو من اليهود تحت رئاسة السكرتير الرئيسي (للحكومة) . وفي اجتماعات هذه اللجنة سيكون من المسموح به مناقشة موضوعات مثل الهجرة ومشكلات الاراضي على أن لا يؤثر ذلك على صلاحيات الوكالة اليهودية " . (٢٢٦)

وبالنسبة لرئاسة المجلس التشريعي المقترح فقد تمسك راغب بالفكرة لانه " يؤثر بقوة انسانا من الخارج كرئيس " . (٢٢٧)

أما في ما يتعلق باسلوب الانتخاب فقد آثر راغب الانتخاب " على أساس طائفي وبناء على المناطق الانتخابية " كما أنه قال أنه يفضل الانتخاب غير المباشر الامر الذى اختلف فيه عن موقف الحسينيين . وكانت وجهة نظره أن كلا الاسلوبين المباشر وغير المباشر " سيؤديان الى الفساد " (٢٢٨) الا أنه ـ كما اشار ـ من أجل أن يسهل المهمة على الحكومة فانه يفضل الاسلوب الثاني (غير المباشر) للانتخاب وطلب أيضا أن تتولى الحكومة اقرار هذا الاسلوب " لان المسلمين لن يتفقوا فيما بينهم " (٢٢٩)

٢ ـ وفي ما يتعلق بصلاحيات المجلس فقد اعترض راغب على اى شرط يمنع من مناقشة موضوع الوطن القومي لليهود . كما أنه طالب بتقييد سلطات المندوب السامي بالنسبة لاصدار شهادات الهجرة اذ أن شهادات الهجرة من وجهة نظره يجب أن تستعمل في أغراض ينبغي تحديدها . كما أن راغب اعترض على حق المندوب السامي في حل المجلس بدون تحديد ميعاد لاعادة تكوينه وارتأى راغب انه ينبغي أن يكون هنالك تاريخ محدود بعام واحد " . (٢٣٠)

ومن ناحية أخرى وافق راغب على النواحي التالية بالنسبة لسلطات المندوب السامي بالنسبة للمجلس التشريعي وهي مخالفة كل المخالفة لموقف الحسينيين :ـ

أ ـ " يوافق على حق الفيتو "

ب ـ " يوافق على انه ينبغي للمندوب السامي أن يصدر التشريعات وعندما لا يكون المجلس في حالة انعقاد " .

جـ ـ " يوافق على حق خاص بالمندوب السامي في أن يقرر في شؤون المال والضرائب " . (٢٣١)

وبعد وقت قصير من هذه المباحثات . وقبل أن يصدر المشروع بصورة رسمية ابتدأ راغب بالتبشير والدعوة لهذا المجلس ، ولكن ليس بالصورة التي ناقشها مع المندوب بل بصورة " محسنة " فدعاية الحزب في هذه الفترة لا تتطرق للصلاحيات المحدودة للمجلس مقابل الصلاحيات التي ستكون للمندوب السامي . وهنا اتهم خصومه بانهم " قبلوه (أى المجلس) علانية ورفضوه سرا " (٢٣٢)

وزاد على ذلك بان رفضهم هذا خدمة للصهيونية " لان هؤلاء لن يرضوا به الا اذا اصبحوا اكثرية في البلاد ، او عندما يصبحون يعادلوننا عددا " (٢٣٣)

ولقد بلغ حماس الدفاعيين للمجلس التشريعي الى درجة انهم نسبوا كل خسارة حلت بالبلاد لافتقاد المجلس التشريعي . فهو برأيهم الادارة " وبغيبة صوته داويا في الدفاع عن القضية الوطنية " . (٢٣٤)

وعلى العكس من حزب الدفاع فان الحزب العربي على ما يظهر لم يأخذ موضوع المجلس التشريعي مأخذ الجد وقد بدا تشككهم فيه عندما خاطب جمال الحسيني المندوب السامي ـ في لقاء الاخير بقادة الاحزاب بتاريخ ٢٥ نوفمبر ١٩٣٥ ـ قائلا : " لقد سمعنا منك قبل أربع سنوات حلت (عن المجلس التشريعي وان سعادتك تكرر الان عبارتك . ونحن نعتقد أنه لو امتدت مدة خدمتك خمس سنوات اخرى ، فاننا سنسمع في نهاية خدمتك نفس العبارة " . (٢٣٥) وشبيه بموقف الحزب العربي هذا كان موقف انصار حزب الاستقلال الذين اعتبروا المجلس التشريعي " حديث خرافة . وان المندوب لا يحمل في حقيبته شيئا " (٢٣٦) .

٣ ـ المرحلة الثالثة : في ٢١ ديسمبر ١٩٣٥ عرض واكهوب مشروع المجلس التشريعي على العرب واليهود وكان تركيبه على الوجه التالي :(٢٣٧)

	مسلمون	يهود	مسيحيون	تجاريون	رسميون	مجموع
اعضاء منتخبون	٨	٣	١	—	—	١٢
اعضاء معينون	٣	٤	٢	٢	—	١١
اعضاء رسميون	—	—	—	—	٥	٥
مجموع	١١	٧	٣	٢	٥	٢٨

وبمراجعة مقترحات كل من الحزبين العربي والدفاع بالنسبة لعدد الاعضاء لكل فئة من العرب واليهود نجد أن المندوب السامي والحكومة البريطانية لم يستجيبا لاي منهما فعلى سبيل المثال كل من الحزبين آثر عضوين معينين من اليهود وليس أربعة وبالنسبة لنوعية الاعضاء نجد أن المندوب السامي لم يستجب لرغبة الحسينيين اللذين عارضا تعيين أعضاء تجاريين وبالاضافة الى ذلك فان رغبة الحسينيين كانت في عدم تعيين رئيس من الخارج بالرغم من موقف النشاشيبيين المعاكس .

ومن ناحية أخرى فاننا نشاهد ان هنالك خلافا جوهريا بين منطلق كل من راغب النشاشيبي والمندوب السامي الذى اتفق هذه المرة مع وجهة نظر الحسينيين . فبينما آثر راغب مجلسا معينا كخطوة في طريق تكوين المجلس التشريعي فان اقتراح المندوب السامي تبلور في أغلبية رسمية .

وأما بالنسبة لصلاحيات هذا المجلس ، فاننا نجد ان هذا العرض الرسمي لمشروع المجلس التشريعي لم يحقق الامال التي راودت البعض من العرب من ورائه والتي سناها الى حدّ معقول المفتي وجمال في محادثاتهما مع المندوب السامي . ولم تزد صلاحياته في مجملها عن كونه منبرا للكلام وان شروطه كما يقول مالرو " تسمح بالقول ولا تسمح بالحرب " (٢٣٨) .

كما ان واكهوب نفسه علق عليه بقوله : " اننا سنفسح المجال للمناقشة ، ولكننا مع ذلك سنفرض على مداولاته مثل تلك التعقيدات الضرورية لمساعدة المندوب السامي لممارسة سموّ ولياته من أجل تنفيذ التعهدات الدولية لحكومة جلالته " (٢٣٩) .

والناظر الى المعنى الكامن وراء هذه العبارة " ان نفسح المجال أمام المجلس للمناقشة " لا يجد في العرض الرسمي للمجلس الجديد الا نسخة لبرالية مطورة بصورة طفيفة لمشروع المجلس التشريعي القديم الذى عرضه تشرشل عام ١٩٢٢ (٢٤٠) ومع هذا فان هذا المجلس يعتبر ارتدادة الى الوراء اذا أخذنا بالمعايير الدقيقة للتمثيل الديمقراطي الصحيح وحرية القول والعمل معا . يقول سايكس : " سيكون لهذا البرلمان (المجلس التشريعي) صلاحيات برلمانية من مثل تلك التي كانت في عهد اسرة تيودور المتأخر ، والشيء نفسه يمكن ان يقال عن السلطات التي سيحتفظ بها للمندوب السامي " (٢٤١) .

وبالنسبة لهذه النقط الاخيرة " سلطات المندوب السامي " فان المندوب السامي كان سيحتفظ بالسيطرة الكاملة على الهجرة ، كما انه سيكون له الحق في اصدار القوانين ، عندما يفشل المجلس في اصدار التشريعات اللازمة . كما ان ستة من الاعضاء يستطيعون تشكيل النصاب القانوني ، كما يحق للمندوب السامي علاوة على ذلك ، تعيين أعضاء بدلا من الاعضاء المنتخبين اذا رفضت احدى الطوائف التعاون (٢٤٢) .

ولعله من هنا كتبت جريدة الدفاع تقول : " مجلس سموه عدوانا وتجاوزا

مجلسا اشتراعيا تكونون فيه الاقلية ، ومن مزاياه انه يحق لكم أن تتمتعوا بمشاهده كبار الموظفين البريطانيين ، والاجتماع بزعماء الصهيونيين وتتعلموا فيه ادارة المجالس على يد سكسوني ... وتسألوا الهجرة يا فخامة المندوب ؟ فتجيبك الانباء انها ستظل دافقة جارفة . والاراضي ؟ فبجيبك منطق السياسة مشكلتها عويصة (٢٤٣) .

ومهما يكن من أمر ، فان مما يثير الدهشة ان هذا المشروع بشكله ومضمونه اللذين اشرنا اليهما نجح في تحقيق " نوع من التغير في الصورة السياسية " من ناحية تخفيف حدة المخاوف العربية والتقليل من روح التطرف . فبحسب ما يذكره تقرير لدائرة التحقيقات الجنائية كتب بعد عشرة أيام فقط من عرض مشروع المجلس التشريعي بصورة رسمية نجد التطور التالي في المزاج السياسي الفلسطيني : " لقد سبب لقاء المندوب السامي بالزعماء العرب في ٢١ ديسمبر ، والذي كشف فيه عن تفاصيل مشروع المجلس التشريعي ، تغييرا ملحوظا في الصورة السياسية . وعلى هذا فانه لا يحتمل أن تنشب الاضطرابات التي يخطط لها المتطرفون العرب في المستقبل القريب " كما أن هذا التقرير يؤكد ان العناصر المعتدلة ستصبح منفصلة عن موجة التطرف التي اجبرت على المشاركة فيها . (٢٤٤)

ولعل التعليل لهذا الموقف من المجلس ـ والذي تؤكده تقارير أخرى كما سيأتي معنا ـ يعود الى أن العرب القابلين به اعتبروا مجرد اصدار مشروع المجلس التشريعي ـ مهما كان مفرغا من المحتوى ـ مكسبا وخطوة الى الامام ولعل هذا الموقف ارتبط ايضا بموقف اليهود من هذا المشروع كما كان للدعاية والمجهودات المختلفة للمندوب السامي دورها في تحسين صورة هذا المشروع في أعين العرب (٢٤٥) .

ويهمنا في هذه الدراسة موقف كل من الحزبين العربي والدفاع وسط هذه الاجواء الجديدة التي أوجدها هذا المشروع .

فبالنسبة لتقارير السلطة نجدها تشير الى أن فئات الحزب العربي " مثل دوائر الجامعة العربية واللواء تظهر ميولها في ابراز مواده (المجلس التشريعي) الضارة بالعرب " وبالمقابل تبين الموقف المعارض لهذا الاتجاه عند حزب الدفاع وحزب مؤتمر الشباب : " يعقوب العصبين وحزب الدفاع يحاولان ابراز نقاطه الحسنة " . (٢٤٦)

وحتى تاريخ ٢٢ يناير لم يستطع قادة الاحزاب ان يصلوا الى اتفاق حول

المجلس التشريعي ، يقدمونه للمندوب السامي . وعلى أية حال فانه يظهر أن كلا من الحزبين العربي والدفاع استمر ثابتا على موقفه السابق من هذا المشروع : " في اجتماع ١٧ يناير طلب جمال الحسيني ذلك النمط من التعديلات مما اعتبره رفاقه حريا بالرفض الاكيد من قبل الحكومة " بينما " راغب بك النشاشيبي واسحق البديري لم يطالبا بتغييرات كاسحة " . (٢٤٧)

ونظرا لاختلاف الرأى حول المجلس التشريعي فان قادة الاحزاب ما عدا حزب الاستقلال الذى رفض المجلس التشريعي رفضا كاملا ـ اتفقوا على أن يقدم كل حزب رده منفصلا الى الحكومة على أن " يجتمعوا فيما بعد للنظر في موقفهم النهائي " . (٢٤٨)

ومع هذا فقد استمر حزب الدفاع ـ مستفيدا من رفض الصهيونية لهذا المشروع ـ في اتهام المعارضين لهذا المشروع بانهم عملاء للصهيونية . فقد حاول " الاشخاص المرتبطون بحزب الدفاع ان ينشروا اشاعات بأن اولئك الذين يعارضون المجلس انما يفعلون ذلك بتحريض من اليهود (٢٤٩) . كما أن راغب استمر في تصريحاته الخاصة ومناقشاته التي تؤيد القبول بالمجلس " كما أن انصاره في يافا اعدوا مضبطة وقعها عدد من السياسيين وملاك الاراضي ومن بينهم عدد من المسيحيين " وتحث هذه المضبطة الزعماء السياسيين عبر عمر البيطار أن يقبلوا المجلس " . (٢٥٠)

كانت ردود الفعل على مشروع المجلس التشريعي في فلسطين على الصورة التي وصفناها عندما أخذ هذا المشروع طريقه الى مجلس اللوردات وجرى نقاشه في ٢٦فبراير . وهنا عارض فيه المشاركون في مناقشته باستثناء واحد منهم (٢٥١) .

ولقد كانت نتيجة هذه المناقشة اشارة خطر لواكهوب . وبشكل أو بآخر اعتبر واكهوب نفسه الخاسر الاول بالنسبة لهذا المشروع . فواكهوب الذى يمكن اعتباره المدافع الاول عن هذا المشروع وجد نفسه في وضع لا يحسد عليه ، لا سيما وانه قد حاول أن يحترم كلمته ووعده الذى قطعه على نفسه في اقامة مجلس تشريعي فقد كان واكهوب كما يصفه ن . ا . روز من ذلك النوع الذى بالنسبة له " التعهدات التي تعطى ينبغي أن تنفذ واذا لم يحصل هذا او حصل العكس فان شرف الحكومة وكلمتها ستتعرض للاهانة " . من أجل هذا رفض واكهوب النتائج السيئة للمناقشة في مجلس اللوردات وحاول جاهدا أن ينقذ المشروع . ويبدو أن

هذا الموقف المتحمس لواكهوب ـ وبالنظر ايضا لرفض اللوردات ومن قبلهم الوكالة اليهودية لهذا المجلس ـ انعكس بصورة أو بأخرى على الاهالي في فلسطين . فقد كتب واكهوب في ٩ مارس : " ان الرأى العام العربي يسير بثبات في طريق ايثار أو تفضيل تأسيس المجلس التشريعي بل أن الغالبية العظمى من الاهالي العرب لعلى استعداد ان يتعاونوا مع الحكومة في تأسيس وتسيير المجلس " (٢٥٢) بل ان نفس التقرير يذكر " لقد تلقيت رسالة مؤرخة ٣ مارس ١٩٣٦ ... من ممثلي المسيحيين العرب يفهم منها أن الرأى المسيحي هو الاجماع على قبول الخطة ، هذا مع العلم بانه ينبغي ان يفهم أن الاهالي العرب سيكون لهم الحق في المطالبة بسلطات أوسع للمجلس وكذلك تمثيل أفضل " . (٢٥٣)

ويستوقفنا هنا أن الذي نقل هذا الموقف حول الاجماع المسيحي ـ ورغبة العرب عموما بشروط أفضل مع ذلك ـ عضوان بارزان في الحزب العربي والدفاع . وهما الفرد روك نائب رئيس الحزب العربي ويعقوب فرّاج نائب رئيس الحزب الدفاع ، بالرغم مما في هذا الموقف من تعارض واضح مع موقف كل من حزبيهما الذي لم يكن قد تبلور بعد باتجاه القبول الكامل . (٢٥٤)

والى هذا فلم يتوان واكهوب عن أن يحذر دوائر وزارة المستعمرات من الخطر الذي سينجم عن عدم تطبيق المجلس التشريعي : " اذا كنا لا نريد أن نتمسك بمقترحاتنا ، فان العصيان المدني سيكون النتيجة لا محالة ، وستعين حصول ذلك ـ بصورة خاصة ـ بالنظر للنجاح الظاهر لحالة الاضطراب في سوريا ، ولحركة الطلاب في مصر " (٢٥٥) .

ولقد ضمن واكهوب تقريره المطول هذا تلخيصا لملاحظات الاحزاب على بيان ٢١ ديسمبر وكان الملخص على الوجه التالي :ـ

١ ـ لا ينبغي ان يكون هنالك تعيين للاعضاء ولكن انتخاب .

٢ ـ أن حق الانتخاب ينبغي أن ينحصر في الفلسطينيين الذي يحملون الجنسية الفلسطينية .

٣ ـ ينبغي أن يمنح المجلس حق السيطرة الكاملة على سياسة الحكومة .

٤ ـ من أجل تنظيم علاقة الفلسطينيين الدولية لا بد من عقد معاهدة كما هو الحال بالنسبة للعراق . كما أن من حق المجلس ان يناقش ويقرر كل الامور المتعلقة بالشؤون السياسية والاقتصادية والادارية لفلسطين .

٥ ـ تشكل لجنة من أعضاء المجلس التشريعي تعالج موضوع الهجرة اليهودية من خلال اتصالهـــا بالادارة .

٦ ـ ينبغي أن يخول المجلس بصلاحيات تنفيذيـــة (٢٥٦) .

والدارس لهذه الملاحظات يلاحظ فيها اثر الحزب العربي بوجه خاص ، كما وضح من مداولاته مع واكهوب والتي سبقت اصدار المشروع بصورة رسمية . كما أن هذه الملاحظات كانت بمثابة كسوة الهيكل العظمي للمشروع بشيء من اللحم . أو أننا نستطيع أن نقول أنه كان رفضا للمجلس التشريعي بصورته الرسمية لان هـذا المجلس كان يحرم العرب من أي تمثيل حقيقي ، كما أنه كان مفرغـــا مـــن الســـلطات الفعليـــة .

وعلى أية حال فانه بالرغم من هذا الموقف الاجمالي للاحزاب فقد كـــان هنالك فروق بين كل من الحزبين العربي والدفاع في التفاصيل التي اعتمد عليها هذا الموقف الاجمالـــي .

فبالنسبة لتركيب المجلس فقد عارض الحزب العربي كلما المادة التي تنص على تعيين الاعضاء وطالب أن يكون جميع الاعضاء منتخبين . بينما نجد أن حزب الدفاع يوافـــق على مبدأ الانتخاب بتحفظ . وبينما اعتبر الحزب العربي أن توزيع المراكز الانتخابية بين العرب واليهود (٩ للعرب و ٣ لليهود) غير متناسب مع القوة العددية للطرفين ، لم ينطرق حزب الدفاع لهذا الموضوع في تعقيبه علـــى بيان ٢١ ديسمبر ، مع العلم أنه اعترض على ذلك أثناء المداولات .

ولقد ظهر الخلاف جليا بين الحزبين في موقفهما من السلطات والواجبات الملقاة على عاتق المجلس . فبينما تبنى حزب الدفاع أن المجلس ينبغي أن يكون له حق الاقتراح على المصروفات المأخوذه من الاموال العامة ، فان الحزب العربـــي تبنى وجهة النظر القائلة بأن كل القوائم المالية التي يمكن تقديمها للمجلس أو أي عـــدد من أعضائـــه ينبغي أن تقـــدم الى المنـــدوب الســـامي بعـــد أن يقرهـــا المجلـــس (٢٥٧) .

وبالنسبة لصلاحيات المجلس فقد ركز الحزب العربي على موقفه المعروف في اعتبار المجلس التشريعي مدخلا للاستقلال . ويظهر هذا بينا في موقف الحزب من الصلاحيات الممنوحة للمندوب السامي . فقد احتج الحزب العربي على منـح أي صلاحيات للمندوب السامي ، وطرح كبديل معاهدة شبيهة بمعاهدة العراق مـــع

بريطانيا . فقد لاحظ جمال الحسيني " ان اقتراح المندوب السامي لا يخول المجلس ممارسة سلطة تنفيذية وان مثل هذه السلطة ينبغي حصرها في هيئة يجرى انتخابها بحرية من قبل المجلس " (٢٥٨) وبالمقابل فان موقف حزب الدفاع لم يكن بمثل هذه القوة فقد تبنى وجهة النظر القائلة بأن حق المندوب السامي في طرح تشريعات في أوقات الطوارئ ، وعندما لا يكون المجلس في حالة انعقاد ينبغي ان يعدّل باضافة المادة القائلة : " سوف تقدم الحكومة هذه القوانين او التشريعات الى المجلس عندما يجتمع أما بعد انتهاء العطلة الاعتيادية أو بعد الانتخابات (٢٥٩).

على أن مجلس العموم كرّر موقف مجلس اللوردات من المجلس التشريعي . وهنا تعرضت الادارة في فلسطين لنكسة اخرى اصابتها كما أصابت انصار المجلس التشريعي من العرب في فلسطين . وقد عزت كثير من المصادر هذه الانتكاسة الى الجهود الصهيونية . فكما يقول جورج أنطونيوس " ان اليهود عبأوا جميع أركان الدنيا ضد المجلس " (٢٦٠) ، وكان رأس الحربة في الانتصار الصهيوني وايزمن سيّد الدبلوماسية السرّية . والذي وصلت تداخلاته الى صميم الاستراتيجية البريطانية (٢٦١) . كما ساهم بشكل كبير في احباط مشروع المجلس التشريعي الصهاينة من غير اليهود (gentile zionists)(٢٦٢) الذين يصف روز دورهم بأنه كان قتلا للزعم قبل أن يتفتح . وقد تمثل دورهم هذا واضحا في مجلس العموم نفسه فقد كتب ودجود Wedgwood أحد هؤلاء الصهاينة (من غير اليهود) رسالة لابنته يصف دوره في محاربة المجلس التشريعي في مجلس العموم بقوله " لقد كان لي اسبوع حافل بالنجاح ... ففي حقيقة الامر لقد سفكت دم الدستور الفلسطيني (٢٦٣).

وعلى أية حال فان هذه النتيجة لم تمنع واكهوب من مواصلة جهوده لمحاولة انقاذ المشروع . وقد تواكبت جهوده هذه مع جهود مماثلة من حزب الدفاع وفي هذا المجال لدينا وثيقتان تدلان على أن المندوب السامي وحزب الدفاع ركزا جهودهما في محاولة احتواء نتائج رفض المشروع . أولى الوثيقتين هي مذكرة مكتوبة من قبل قيادة الحزب والثانية هي تقرير مفصل من المندوب السامي . وكلا الوثيقتين مؤرختان في نفس اليوم ١٩٣٦/٤/١ وكلتاهما تبحثان في المجلس التشريعي فقط . ومنطلقات الوثيقتين تكاد تكون متطابقة :-

١ ـ تحاول كل من الوثيقتين أن توضح النتيجة المؤسفة لرفض مجلس العموم فبينما تبين مذكرة حزب الدفاع أن " بعض رجال السياسة البريطانية يستخدمون منصة المجلس من أجل أن يطالبوا بتثبيت الوعد (بلفور) وحرمان العرب من أن يعيشوا تحت الشمس ، وأن يمارسوا حقوقهم الانسانية والمدنية والدينية على أرضهم " (٢٦٤) . فان تقرير المندوب السامي يعبر عن نفس الشعور " لقد كان للمناقشة حول المجلس التشريعي في مجلس العموم أثر كبير على العرب ... حيث ساد قبل ذلك جو من الصداقة ، وتحول هذا الجو الان الى جو معاد تماما . فقد جعلت هذه المناقشة العرب يتحققون اكثر من أي مرة مضت قوة التأثير اليهودي في انجلترا " (٢٦٥) .

٢ ـ بالرغم من الاسف الذى يبديه حزب الدفاع الا أن مذكرته لا تنم على أن هذه الحولة هي خاتمة المطاف فهي تعبر عن الامل الذى لم يستنفد بعد . / " ان أمل العرب هو في أن سعادتك سوف تتخذ خطوات سريعة من أجل الوفاء بعهدك وتقيم في البلاد اجراءات كاملة للحكم الذاتي "self government" . وعلى هذا فان المذكرة تنتقل لتعلن عن الراى الرسمي للحزب ـ لاول مرة ـ في قبول المجلس التشريعي " بالرغم من أن الحزب واع أن الخطة تقصر عن أن تحقق آمال البلاد واهداف الشعب ، الا أن الحزب لا يزال يأمل أن هذه الخطة ستكون الخطوة الاولى نحو تحقيق المطالب الاساسية للامة العربية في الحكم الذاتي الكامل " وواضح هنا أن هذا القبول الرسمي كان تراجعا عن روح مذكرات الاحزاب والتي لخصها المندوب السامي كما أوضحنا (٢٦٦) . والتي طالبوا فيها بتعديلات جذرية لمشروع ٢١ ديسمبر ، والتي قدمت في ٩ مارس . ومهما يكن من أمر فقد ضمن المندوب السامي تقريره أيضا ما يفيد أن العرب يقبلون بالمشروع بدون تنازلات " فهم (أي العرب) الان باستثناء عدد قليل قد بدأوا يتحققون أن آمالهم في تنازلات أخرى ، من غير المحتمل أن تكون واردة ، وعلى هذا فهم على استعداد لقبول ما يقدم لهم الان قبل أن يتم سحبه " كما أن المندوب السامي أكد على أهمية الوقت " انه مما لا شك فيه أن أي تأخير كبير في التأسيس سينجم عنه اضطراب خطير " (٢٦٧) .

ويظهر أن جهود المندوب السامي مضافا اليها جهود حزب الدفاع وبالنظر لموقف مجلسي اللوردات والعموم ، وجدت صدى على الجبهة المحلية . وقد

سارعت الاحزاب ـ ما عدا الحزب العربي وحزب الاستقلال الذي أشرنا الى موقفه الرافض بصورة مطلقة للمجلس ـ الى اعلان موقفها الرسمي بالقبول . وحاولت اعتبار هذا القبول "تورطا للسياسة الانجليزية ووضعها أمام الامر الواقع(٢٦٨) .

أما جمال الحسيني فقد رفض القبول وقال أن هذه المسألة هي من مسؤولية اللجنة التنفيذية للحزب . ومع هذا فان الحزب لم يعلن موقفه الرسمي (٢٦٩) . وفي هذا الوقت كانت جريدة حزب الدفاع ـ كجزء من حملتها في صالح المشروع وزيادة في احراج خصومها ـ نقلا عن جريدة نيويورك تايمز ـ ان الحاج أمين وعدد السلطات في فلسطين بقبول المشروع (٢٧٠) .

وكمحاولة أخيرة على طريق انقاذ مشروع المجلس التشريعي دعا المندوب السامي قادة الاحزاب في ٢ ابريل ١٩٣٦ ليخبرهم أنه محول من وزير المستعمرات بأن يرسل وفدا ، يختار من قادة الاحزاب الخمسة الى لندن (٢٧١). وسيكون الهدف "وضع الفرصة أمامك لكي تضعوا وجهات نظركم أمام وزير المستعمرات (٢٧٢) . وهنا أشار جمال الحسيني انه ينبغي " أن لا يسمح لهم بمناقشة موضوع المجلس التشريعي فقط ولكن أن يضعوا أمام الوزير مجمل القضية الفلسطينية " (٢٧٣).

ولم يجب المندوب السامي اجابة شافية على هذه النقطة التي أثارها جمال فبينما أشار الى أنه لن يكون هناك تقييد للمناقشة الا أنه أعاد القول ان النقاش سيركز بصورة رئيسية على المجلس التشريعي . ومع ذلك فقد ترك الباب مفتوحا أمام قادة الاحزاب ليحث موضوع بيع الاراضي والهجرة . وفي نفس الوقت وضع تحفظا مؤداه " انه (المندوب السامي) لا يعتقد أمالا كبيرة على تعديل الوزير لموقفه الذي سبق نقله لقادة الاحزاب في (٢١ ديسمبر) " وهنا ورغم هذا التحديد المسبق لمجالات المباحثات فان جميع الحضور من القادة وافقوا بالاجماع على قبول الدعوة وطلبوا الى المندوب السامي نقل رغبتهم هذه الى وزير المستعمرات (٢٧٤) .

وقبل أن يغادر الوفد العربي سفره الى لندن البلاد ، وبتاريخ ١٤ ابريل أعلن الحزب العربي رفضه للمجلس التشريعي ، فقد أصدر الحزب بيانا قال فيه أن المجلس التشريعي " لا يتفق مع مطالب البلاد وأمانيها في الاستقلال التام والوحدة العربية " ولانه " أيضا منافي لعهد عصبة الامم ومناف لما تتطلبه نصوص

صك الانتداب "(٢٧٥) .

وفي مقابلة لجمال الحسيني وراغب النشاشيبي في ١٦ ابريل ذكر الثاني أن اربعة من زعماء الاحزاب على استعداد لقبول مقترحات المجلس التشريعي في شكلها الراهن ، ان لم يتمكنوا من الحصول على تنازلات اكبر (٢٧٦) بينما اصر الاول أن المقترحات الحالية غير مقبولة . وتساءل جمال انه نظرا لهذه الظروف ـ أي رفض الاقتراح من قبل الحزب العربي ـ أليس من الاولى أن لا يذهب ممثل الحزب العربي في الوفد لان ذهابه سيضعف من قوة الوفد في مناقشاتهم مع وزير الدولة . كما أن حضور هذا الممثل عن الحزب العربي سيبرز نقصا في الوحدة بين الاحزاب العربية الامر الذي ربما استخدم أيضا كقاعدة للدعاية اليهودية ضد المطالب العربية (٢٧٧) .

ولقد رد المندوب السامي على ذلك بانه يفضل أن يمثل الوفد جميع الاحزاب . ومع هذا فقد اضاف أنه " لو كان هناك اجماع في وجهات نظر الوفد فان موقفهم سيكون اقوى " (٢٧٨) .

وتدل وقائع اللقاء بين المندوب السامي وقائدي الحزبين ان الموضوع الذي استأثر بالاهتمام كان اختيار اعضاء الوفد حيث اقترح جمال أن يكون اعضاء الوفد هم نفسهم اعضاء الوفد السابق (١٩٣٠) من أجل تأمين الاغلبية لحزبه على أن يحل الدكتور حسين الخالدي محل الراحل موسى كاظم الحسيني واصبح هذا الموضوع مثار خلاف تجاوز ردهات مركز المندوب السامي (٢٧٩) .

وعلى أية حال فانه أثناء النقاش حول عضوية الوفد ومهماته المنتظرة حصل أن قتل يهوديان على طريق نابلس ـ طولكرم . وعلى هذا فقد بدأ أول حادث في الثورة العربية والتي استمرت حتى قيام الحرب العالمية الثانية . ولقد استتبع هذا أن اصبح النقاش حول المجلس التشريعي مسألة أكاديمية . ولم تلبث فكرة الوفد أن اجلت الى أجل غير مسمى (٢٨٠) .

حواشي الصفحات التالية

(١) Appendix 1- Translation of Arab Memorandum Handed to the H.C for Palestine on Nov.,25,1935 CO 733/297.

(٢) Note of an interview granted by His Excellency the H.C to the leaders of the Arab Parties at the Government House on the 25th Nov.,1935.

(٣) Hyamson: op. cit,p. 136.

(٤) Appendix 1; op.cit. CO 733/298.

(٥) Ibid.,

(٦) H.C to CO December 1935, CO 733/298.

(٧) Ibid.,

(٨) Forath: op.cit, Vol:II,pp.140-141.

(٩) P.A.S. 10 January 1935,FO 371/18957.
وارن ايضا فلسطين اول كانون الاول ١٩٣٥ التي تقول "ولم يظهر منه (اي الحزب) شيء بعد لانه ما زال في العهد فلسطين حتى خرج عن الطور الى العمل".

(١٠) P.A.S. 19 December 1934, FO 371/18957.

(١١) Ibid.,

(١٢) P.A.S. 10 January 1935, FO 371/18957.
وارن الجامعة العربية ٢٠ كانون الثاني ١٩٣٥.

(١٣) Ibid., 30 January 1935 FO 371/18957.

(١٤) Ibid.,

(١٥) P.A.S. 20 April 1935 FO 371/18957.

(١٦) P.A.S. 13 February 1935 FO 371/18957.

(١٧) انظر حلة : العصر الثاني ، ص ٢٦٥.

(١٨) P.A.S. 13 February 1935 FO 371/18957.

(١٩) Ibid.,: 20 February 1935 FO 371/18957.

(٢٠) يظهر هذا من حرص التقارير على تتبع النزاع الحزبي بحيث تحتل اهمية عظمى في تغطية الاوضاع السائدة في فلسطين . مما يتضمن ان السلطات البريطانية كانت تدرك هذا النزاع ، انه لم يكن بصورة او باخرى .

(٢١) P.A.S. 5 August 1935 FO 371/18957.

(٢٢) ESCO : op. cit, Vol:II,p. 777.

(٢٣) فلسطين ٤ ابريل ١٩٣٥ .

(٢٤) المصدر ذاته .

(٢٥) الجامعة العربية ١٥/١/١٩٣٥ .

(٢٦) الجامعة العربية : ١٥/١/١٩٣٥ .

(٢٧) ESCO: op.cit., p. 777

(٢٨) فلسطين ١٩ ابريل ١٩٣٥ .

(٢٩) فلسطين ١٩ ابريل ١٩٣٥ .

(٣٠) P.A.S. 20 April 1935, FO 371/18957.

(٣١) Ibid.,

(٣٢) Ibid.,

(٣٣) Ibid., فارن فلسطين ١٠ آذار ١٩٣٥ .

(٣٤) P.A.S. 20 April 1935, FO 371/18957.

(٣٥) فلسطين ١٩ ابريل ١٩٣٥ .

(٣٦) العدد ذاته .

(٣٧) انظر الجامعة الاسلامية ١٩ ابريل ١٩٣٥ .
وانظر ايضا زعيتر : يوميات ، الكراس (٧) ص ٣٢ — ٤١ .

(٣٨) P.A.S. 20 May 1935, FO 371/18957.

(٣٩) فلسطين ١٦ ابريل ١٩٣٥ .

(٤٠) المصدر ذاته .

(٤١) زعيتر : يوميات ، كراس (٧) ص ٤٤ .

(٤٢) الجامعة العربية : ٢١ ابريل ١٩٣٥ .

(٤٣) المصدر ذاتـــــه ٠
(٤٤) الجامعة العربية : ٢١ ابريل ١٩٣٥ ٠
(٤٥) المصدر ذاته ٢٤ مايو ١٩٣٥ ٠
(٤٦) المصدر ذاته ٢١ مايـــو ١٩٣٥ ٠
(٤٧) دروزة : حول الحركة جـ ٣ ص ١٧١ ٠
(٤٨) رعـــنر : يوميات ٠ كراس (٧) ص ٤٤ ٠
(٤٩) H.C to CO Aprril 1935 CO 733/298.
(٥٠) Ibid.,
(٥١) Ibid.,
(٥٢) انظر : Appendix E Extracts from weekly summary, Palestine and Jordan G.H.Q. Jerusalem 26 Feb., 1937- Short List of Arab Personalties in Palestine.

وانظر بوجه خاص ما هو مكتوب عن أكرم زعتر ٠ وصحاح موسى وشلبي عبد الرحمـــــن ٠

(٥٣) Ibid.,
(٥٤) Ben Gurion,David: My Talks with Arab Leaders (Jerusalem,1972)p. 90.
(٥٥) الخالدي: المصدر السابق ص ١٨٦ – ٢٨٧ ٠
(٥٦) فلسطين : ٢ ابريل ١٩٣٥ ٠
(٥٧) .A.S. 30 January 1935 FO 371/18957.
(٥٨) انطرالسفرى : المصدر السابق ص ٢٤٧ ٠
(٥٩) الدفـــاع : ١٩٣٥/١٠/٢٠ ٠
مارن رعنر : يوميات ٠ كراس (٧) ص ١٠٨ ٠
(٦٠) فلسطين : ٢٦ ابريل ١٩٣٥ ٠

(71) Points raised at an interview of the H.C with Haj Amin El Husseini & Jamal Effendi el-Husseihi on the quertion of the proposed Ligislative concil. 22 July 1935 CO 733/275.

(62) P.A.S. 5 August 1935 FO 371/18957.

(٦٣) Ibid.,

(٦٤) فلسطين ، اغسطس ١٩٣٥ .

(٦٥) المصدر ذاته ، ١١ اغسطس ١٩٣٥ .

(٦٦) المصدر ذاتـــه .

(٦٧) فلسطين ٨ اكتوبر ١٩٣٥ .

(٦٨) المصدر ذاتـــه .

(٦٩) المصدر ذاتـــه .

(٧٠) المصدر ذاتـــه .

(٧١) Report on Palestine and TransJordan 1935, pp. 111-125.

(٧٢) العوري : فلسطين حـ ١ ص ١٨١ .

(٧٣) Hurewitz: op. cit, p. 61.

(٧٤) P.A.S. 30 Oct., 1935 FO 371/18957.

(٧٥) Ibid.,

(٧٦) العوري : المؤامرة الكبرى ص ٧٥ — ٧٦ .

P.A.S. 30 Oct.,1935, FO 371/18957. قارن -

(٧٧) انظر وقائع هذا الاجتماع في الجامعة العربية ٢٢ اكتوبر ١٩٣٥ .

ESCO : op.cit, p. 784. قـــارن :

(٧٨) السكاكيني المصدر السابق ص ٢٧٦ .

(٧٩) Peel Report: op.cit, p. 68.

(٨٠) انظر رعنر : يوميات ، كراس (٧) ص ١٢٨ .

P.A.S. 4 Dec.,1935 FO 371/18957. قـارن :

(٨١) فلسطين ٣ نوفمبر ١٩٣٥ ، قارن رعنر : يوميات ، كراس ٧ ص ١٢٨ .

(٨٢) زعيتر : يومياته ، كراس (٧) ص ١١٧ .

(٨٣) فلسطين ١٩٣٥/١١/١١ قارن زعيتر : يومياته ، كراس ٧ ص ١٢٧ — ١٢٨ .

(٨٤) فلسطين ١٢ نوفمبر ١٩٣٥ .

(٨٥) انظر نص البيان في زعيتر : يومياته ، كراس (٧) ص ١٤٦ .

(٨٦) زعيتر : يومياته كراس (٧) ص ١٤١ — ١٤٢ .

(٨٧) فلسطين ١٩٣٥/١١/١٢ قارن زعيتر : يومياته كراس ص ١٤٧ .

(٨٨) فلسطين ١٩٣٥/١١/١٤ .

(٨٩) الجامعة الاسلامية ١٩٣٥/١١/١٤ انظر ايضا -
زعيتر : يومياته ، كراس (٧) ص ١٥٦ .

(٩١) فلسطين ١٩٣٥/١١/١٤ قارن الجامعة الاسلامية ايضا . نفس التاريخ .

(٩١) الجامعة الاسلامية ١٩٣٥/١١/١٢ كاتب المقال هو اكرم زعيتر البيان
زعيتر : يومياته ، كراس (٧) ص ١٥٦ — ١٥٨ .

(٩١) Appendix I of 25/11/1935 in H.C to CS, 7/12/1935 CO 733/278.

(٩٢) فلسطين ١٩٣٥/٢/٢ .

(٩٤) المصدر نفسه .

(٩٥) فلسطين ١٩٣٥/٢/٢٢ .

(٩٦) P.A.S. 20 April 1935 FO 371/18957.

(٩٧) فلسطين ١٩٣٥/٤/٦ .

(٩٨) Appendix B - Short list of Principal Personalities in Palestine FO 371/20824.

(٩٩) P.A.S. 5 August 1935 FO 371/18957.

(١٠٠) P.A.S. 24 August 1935 FO 371/18957.

(١٠١) P.A.S. 24 August 1935, FO 371/18957.

(١٠٢) انظر الجامعة العربية ١٢ حزيران ١٩٣٥ وأعداد متفرقة أخرى .

(١٠٣) P.A.S 24 August 1935 FO 371/18957.

فارن الموري : فلسطين ج ١ ص ١٩٨ .

(١٠٤) Ibid.,

(١٠٥) ESCO, op.cit, Vol:II, p. 776.

(١٠٦) Enclosure V of March 1935 in H.C to CS, 4 March 1935 CO 733/278.

(١٠٧) Ibid.,

(١٠٨) Ibid.,

(١٠٩) جاء في هذا التقرير ان العرب لم يعطوا بديلا عن اراضيهم التي بيعت الى اليهود ما نصه :-

" These who can be shown to have been displaced form the lands which they occupied in consequence of the falling into Jewish Hands,and who have not obtained other holdings on which,they can establish themselves or other equally satisfactory occupation"
- See French Report p. 5.

(١١٠) Anclosur V,: Ibid.

(١١١) Ibid.,

(١١٢) Enclosure ! May 14th, 1935, in H.C to CS 19 June 1935 CO 733/278.

(١١٣) Report on Palestine and TransJordan,1935, pp.16-17.

(١١٤) EnclosureII, of 25 Nove.,1935 in H.C to CS dated Dec.,7.'35 CO 733/278.

(١١٥) Ibid.,

(١١٦) Ibid.,

(١١٧) Ibid.,

(١١٨) Enclosure V, op. cit, CO 733/278.

(١١٩) Ibid.,

(١٢٠) Ibid.,

(١٢١) Ibid.,

(١٢٢) Enclosure I, op. cit, CO 733/278.

(١٢٣) Enclosure II:op.cit,CO 733/278

(١٢٤) 13 May 1935,FO 371/18957.
P.A.S. 13 May 1935 FO.
قارن فلسطين ١٨ أيار ١٩٣٥ حيث تذكر أن هذا المبلغ جمع من عدد قليل من أعضاء الحزب هم الحاج أمين سر الباشي وعبد الرحيم الحاج وشكري الناشي وموسى رهدي أبو الحسن وعبد المجيد يوسف العرعرة وعبد الرؤوف المختار ...

(١٢٥) الجامعة العربية ١٩٣٢/١/٢٨ قارن العوري فلسطين ج ٢ ص ٣٤ .

(١٢٦) Porath: op.cit, Vol:II,p.96.

(١٢٧) الجامعة العربية ١٩٣٥/١/٢٤ .

(١٢٨) الحوت : سامي موسى : القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧ - ١٩٤٨ رسالة لنيل الدكتوراه في العلوم السياسية : الجامعة اللبنانية - بيروت ١٩٧٧) ص ٢١٢ - ٢١٤ .

(١٢٩) انظر :- أ . Tegart: op.cit, Box I File 3.

ب . العوري المصدر السابق ص ٢٢٩ .

ج . Hirut: op. cit, p. 79.

د . الجامعة العربية ١٩٣٥/٣/٢٧ .

(١٣٠) الجامعة العربية ١٩٣٢/١/٨ .

(١٣١) الجامعة العربية ١٩٣٥/٤/٣٠ .

(١٣٢) Porath: op.cit, Vol:II,P. 86.

(١٣٣) العصر ١٩٣٢/٩/١٧ .

(١٣٤) الاهرام ١٩٣٤/١٢/٥ انظر حلة : المصدر السابق ص ٣٦٢ .

(١٣٥) Peel Report: op.cit, p.80.

(١٣٦) District Commissioner's Fortnightly Report, Samaria District,27 March 1944 CO 733/456.

(١٣٧) فلسطين ٢٨ مارس ١٩٣٥ .

(١٣٨) Hirst: op.cit, p.79.

(١٣٩) Ibid.,

(١٤٠) Porath: op.cit, Vol:II,p.86.

(١٤١) Acting H.C to Colonial Secretary 4-7.1935 CO 733/278.

(١٤٢) Ibid.,

(١٤٣) Ibid.,

(١٤٤) Ibid.,

(١٤٥) Ibid.,

(١٤٦) Ibid.,

(١٤٧) الدفاع ٢١/١٠/١٩٣٥ .

(١٤٨) يقدرهم عزه دروزه بعشره : انظر حول الحركه ج ٢ ص ١١٦ .

(١٤٩) يعتبر غسان كنفاني على هذا التعار " من حق القسام ان يعتبر تعاره هذا فيها تعاريا اذا جاز التعبير ، ولكن على المستوى الوطني العادي ان سلوك القسام من خلال الشهادات القليله التي تملكها عنه يدل على انه كان يدرك اهميه دوره كمفجر لثوره توريه امامه " انظر كنفاني : المصدر السابق ص ٦٢ .

(١٥٠) Bowden: op.cit, p. 150.

قارن :- Peel Report : op.cit, p. 88.

(١٥١) H.C to CO Dec.,1935 CO 733/278.

(١٥٢) الجامعة الاسلامية ٢٠ تشرين الثاني ١٩٣٥ ـ كاتب المقال اكرم زعيتر .

(١٥٣) انظر مقال محاج توبيخ من القسام في الانوار ٦ آب ١٩٣٦ .

(١٥٤) Hirst: op.cit, p. 79.

(١٥٥) ابو النصر : عمر (وآخرون) : جهاد فلسطين العربي ، بلا ط ١٩٣٦ ، ج ١ ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

(١٥٦) بل لقد اعتبر كثير من المؤرخين العرب الفلسطينيين موقف القيادة العامة لموقف قيادة حزب الدفاع والاحرار العامة بكل ما يرمز له من ممارساتها السياسية : حزب الشعارات ، والموقف الجهادي ، والتناقض السياسي والتناقض بين الشعارات المعلنة والممارسات الفعلية وهكذا ..
انظر الكيالي : المصدر السابق ص ٣٩٧ .
خلسة : المصدر السابق ص ٣٨٠ ، ٣٨٢ .

(١٥٧) انظر عميم ، عادل حسن " ثورة الشيخ عز الدين القسام " في شؤون فلسطين كانون الثاني ١٩٧٢ ، ص ١٨٨ ، حيث عمد الكاتب على رسالة له من غزة دورزة ، قارن حول الحركة ج ٣ ص ١١٦ .

(١٥٨) مجلة فلسطين (الهيئة العربية العليا - بيروت) ١٩٦١/١١/١ ، قارن العوري فلسطين ج ١ ص ٢٤٩ .

(١٥٩) المصدر ذاته ، ص ٢٤٩ ، ١٥ آذار ١٩٦١ .
قارن العوري : فلسطين ج ١ ص ٢٤٩ .

(١٦٠) العوري : فلسطين ج ١ ص ٢٤٩ - ٢٥١ .

(١٦١) المصدر ذاته ص ٢٥١ .

(١٦٢) ياسين : المصدر السابق ص ٢٥ .

(١٦٣) انظر شؤون فلسطينية عدد ٧ (١٩٧٢) ص ٢٦٩ .

(١٦٤) الانوار ٦ آب ١٩٦١ .

(١٦٥) Tegart: op.cit, Box1 File(c).

(١٦٦) Ibid.,

(١٦٧) Ibid.,

(١٦٨) Porath: op.cit., Vol:I,p.289.

(١٦٩) كنفاني : المصدر السابق ص ٦١ .

(١٧٠) انظر بوجه خاص مقابلة الرفاق الاحياء للقسام في شؤون فلسطين العدد ٧ (مارس ١٩٧٢) وهؤلاء الرفاق هم ابو ابراهيم الكبير ، الشيخ سلطان همام ، محمد عبد القادر ابو الهيجا ، وعبد الله حاج حسن حمادة وآخرون .

(١٧١) ياسين : المصدر السابق ص ٢٢ .

(١٧٢) المصدر السابق ص ٢٢ .

(١٧٣) شؤون فلسطينية العدد ٧ (مارس ١٩٧٢) ص ٢٦٩ .

(١٧٤) H.C to CO Dec.,1935 CO 733/278.

(١٧٥) فلسطين العدد ٣ ، ٥ آذار ص ٢٥ - ٢٦ .
انظر ايضا العدد ٦٤ ، ١٩٦٩/١/١ .
العدد ٦٥ ، ١٩٦٩/١/٨ .

(١٧٦) الموري : فلسطين ج ١ ص ٢٥١ .

(١٧٧) المصدر ذاته ص ٢٥٢ .

(١٧٨) Porath: op.cit, Vol:II,p.138.

(١٧٩) Ibid.,: p.139.

(١٨٠) رضا : يوميات كراس ٧ ص ١٧١ ، انظر ايضا الجامعة الاسلامية ٢٢ نوفمبر ١٩٣٥ .

(١٨١) الكيالي : المصدر السابق ص ٢٩٧ .

(١٨٢) Note of an interview granted by His Excellency the H.C to the leaders of the Arab Parties at the Government House on 25 Nov.,1935.

(١٨٣) Ibid.,

(١٨٤) الجامعة الاسلامية ٢٤/١١/١٩٣٥ - كاتب المقال هو اكرم رضا .

(١٨٥) F.A.C. 4 Dec.,50 371/13957.

(١٨٦) Ibid.,

(١٨٧) Ibid.,

(١٨٨) فلسطين ١٠/١٢/١٩٣٥ .

(١٨٩) المصدر نفسه .

(١٩٠) راجع : يوسف كراس ٧ ص ١٩٤ .

(١٩١) انظر الحوت : المصدر السابق ص ٣٨٥ والتي يروي من ضروره قوله : " سمعت بعض الناس يقولون أن القسام ارسل الى الحاج امين يستشيره في خروجه ، وان الحاج امين نصحه بعدم ذلك . أنا اعتقد بأن حركة القسام ذاتية وغير محركة من الغير ، فالقسام كان له روح الثورة ، كما أنه اشترك سابقاً في الثوره السوريه " العفاله ص في ٢٢ اكتوبر ١٩٧٤ .

(١٩٢) من كتب : المؤامرة الكبرى ، والفلسطينيون في ارض العرب ، عدا عن المقالات المختلفه .

(١٩٣) من اجل ادراك الجوانب القانونية للمشكلة الفلسطينية انظر :

J.M. Machover: Governing Palestine the Case Against Parliament 'London' 1936.

وفي هذا الكتاب توضيح لجوانب هامة من مشاريع المجلس التشريعي

Hentwitch, Norman: The Mandates System (London 1930).

(١٩٤) ESCO: op. cit, Vol:II.

(١٩٥) Enclosure V: op.cit, 4th March 1935, CO 733/278.

(١٩٦) Ibid.,

(١٩٧) Ibid.,

(١٩٨) Enclosure I of May,14th,1935:op.cit,Co 733/278.

(١٩٩) Ibid.,

(٢٠٠) Porath: op.cit, Vol:II,p.150.

(٢٠١) Ibid.,

(٢٠٢) H.C to CO 22 July 1935 CO 733/275.

(٢٠٣) Ibid.,

(٢٠٤) Machover: op. cit, pp. 259-263. انظر ايضاً
(204) N.A. Rose: The Gentile Zionists, A Study in Anglo-Zionist Diplomacy 1929-'39 (london'73)p.67.

H.C to CO 22 July 1935, CO 733/275. (٢٠٥)

Ibid., (٢٠٦)

Ibid., (٢٠٧)

Ibid., (٢٠٨)

Machover: op.cit, pp.209-210. (٢٠٩)

H.C to CO 30 July 1935 CO 733/275. (٢١٠)

Ibid., (٢١١)

Ibid., (٢١٢)

Ibid., (٢١٣)

Ibid., (٢١٤)

Ibid., (٢١٥)

Ibid., (٢١٦)

Ibid., (٢١٧)

Ibid., (٢١٨)

Ibid., (٢١٩)

Ibid., (٢٢٠)

Ibid., (٢٢١)

H.C to CO 23 July 1935 CO 733/275. (٢٢٢)

Ibid., (٢٢٣)

Ibid., (٢٢٤)

(٢٢٥) انظر : المقصد ص ص ٤٠ .

Rose: op. cit, p. 47. (٢٢٦)

H.C to CO 23 July 1935 CO 733/275. (٢٢٧)

Ibid., (٢٢٨)

Ibid., (٢٢٩)

Ibid., (٢٣٠)

Ibid., (٢٣١)

(٣٣٢) فلسطين ١٢/٨/١٩٣٥ .

(٣٣٣) المصدر ذاته .

(٣٣٤) فلسطين ١٤/٨/١٩٣٥ .

(٣٣٥) H.C to CO 25 November 1935.

وعلى اية حال فقد اجاب المندوب السامي : " ان الاحداث ستستمر ان كان الامر كذلك ".

(٣٣٦) الجامعة الاسلامية ٢٦/١١/١٩٣٥ ، كلمة المقال الكريم رئيس الاستقلالي المعروف .

(٣٣٧) Palestine Post: December 23rd,1935.

(٣٣٨) Marlowe: op.cit,p.136.

(٣٣٩) Palestine Post: Dec.,23rd'35. His Exce. Statement.

(٣٤٠) قارن النسختين الرسميتين لهذا المشروع في :-
Machover: op.cit, pp.248-252,259-263.

(٣٤١) Sykes: op.cit,p.263.

(٣٤٢) ESCO: op.cit, Vol:II,p.786.

(٣٤٣) الدفاع ٢٠/١/١٩٣٦ .

(٣٤٤) P.A.S. 30 December 1935 FO 371/20018.

(٣٤٥) انظر العسلي : فلسطين ج ٢ ص ٤٢ .

(٣٤٦) P.A.S. 30 Dec.,1935 FO 371/18957.

(٣٤٧) Ibid.,

(٣٤٨) Ibid.,

(٣٤٩) Ibid.,

(٣٥٠) Rose:op.cit, p. 58-59.

(٣٥١) Ibid.,

(٣٥٢) H.C to CO 9 March 1936 CO 733/298.

(٣٥٣) Ibid.,

(٢٥٤) Ibid.,

(٢٥٥) Ibid.,

(٢٥٦) H.C to CO 9 March,1936 CO 733/293.

Enclosure No. 1,9/3/1936 CO 733/293. قارن ايضا

(٢٥٧) Ibid.,:: Enc. No. 1.

(٢٥٨) Ibid.,

(٢٥٩) Ibid.,

(٢٦٠) Ben-Gurion: op.cit,p.42.

(٢٦١) Rose: op.cit, p. 58.

(٢٦٢) عن جهودهم في هذا المجال انظر :
Ibid.,:pp.41-61.

(٢٦٣) Ibid., p.64.

(٢٦٤) Enclosure in Jerusalem Despatch No CF/40
قارن ايضا فلسطين ٢١/١/١٩٢٦ .

(٢٦٥) H.C to CO 1st,April 1963 Fo 371/20018.

(٢٦٦) Enclosure No CF /40/46 Ibid.,

(٢٦٧) H.C to CO 1/4/1936 FO 371/20018.

(٢٦٨) فلسطين ٢١/٢/١٩٢٦ .

(٢٦٩) الكيالي : المصدر السابق ص ٢٠١ .

(٢٧٠) فلسطين : ١٩٣٦/٣/٢٧ .

(٢٧١) Note of an interview granted by the H.C to the Arab leaders 2 April 1936. CO 733/307.

(٢٧٢) Ibid.,

(٢٧٣) Ibid.,

(٢٧٤) Ibid.,

(٢٧٥) فلسطين ١٥/٤/١٩٣٦ .

انظر أ ـ عثمان : المصدر السابق ص ٢٠٧ .

ب ـ الكيالي : المصدر السابق ص ٢٠١ .

جـ ـ فلسطين : المصدر السابق ص ١٠٦ .

(٢٧٦) Note of and interview granted by the H.C on 16 April to Ragheb Nashashibi and Jamal el Hussein's.

(٢٧٧) Ibid.,

(٢٧٨) Ibid.,

(٢٧٩) P.A.S. 11/4/1936 & 6/5/1936 FO 371/20018.

(٢٨٠) Porath: op.cit., Vol:II,p.158.

الباب الرابع

ممارسات الحزبين أثناء ثورة ١٩٣٦

" دور الحزبين في الخطوات الاولى للاضراب وتكوين الكوادر القومية

ابتدا نشاط كل من الحزبين العربي والدفاع مع الايام الاولى للثورة . وقد تمثل هذا النشاط في الدعوة الى الاضراب واستمراره . كما تمثل ايضا في تكوين اللجان القومية .

جاء الاضراب مواكبا للاضطرابات التي ابتدات في منطقة يافا ـ تل أبيب . ردا على حادثة القافلة اليهودية على طريق نابلس ـ طولكرم . ومن هنا فقد بدأ الاضراب في يافا ثم انتشر ليشمل بقية أرجاء فلسطين (١) .

وتفيد المادة المصدرية التي بين أيدينا انه كان للحزب العربي دور بارز في اعلان اضراب يافا . وقد تمثل هذا الدور بمساهمة علي الدباغ ، احد اعضاء الحزب المناضلين ورئيس جمعية الشبان المسلمين في المدينة (٢) . فقد كان هو اول من دعا الى تشكيل لجنة للاشراف على تنظيم اضراب يافا كما انه كان أول من أعلن هذا الاضراب . كما انه لم يلبث أن اتصل بالقدس لتعلن الاضراب أيضا (٣) .

وعندما انتقلت عدوى هذا الاضراب الى بقية مدن فلسطين كان لحزبينا دور بارز ايضا . ففي عصر يوم ١٩ ابريل انعقد في كل من نابلس والقدس اجتماعان هامان . ففي نابلس عقد اجتماع في مصبنة (مصنع صابون) احمد الشكعة احد اعضاء حزب الدفاع البارزين في المدينة . كما انه من بين عشرة اعضاء هم ممثلو احزاب المدينة ـ دعوا لهذا الاجتماع ـ كان هنالك اربعة أعضاء من حزب الدفاع هم (بالاضافة الى أحمد الشكعة) سليمان طوقان رئيس البلدية ، وظاهر المصري ، وحكمت المصري ، كما كان هنالك عضوان من الحزب العربي وهما فريد السعيتاوي ومصطفى يوشناق (٤) . وقد قرر هذا الاجتماع اعلان الاضراب العام فورا ودعوة سائر المدن الى الاضراب حتى تستجاب المطالب الوطنية ـ او اقلها على الاقل ـ وهي وقف الهجرة ، وكذلك دعوة المدن الى تاليف لجان قومية تتولى ادارة

الحركة الوطنية في مناطقها (٥) . كما انتخب المجتمعون أعضاء اللجنة القومية الاولى في فلسطين وقد تكونت من عبد اللطيف صلاح وأكرم زعيتر وفريد العنبتاوى وأحمد الشكعة وواصف كمال وحكمت المصرى . وفي مساء نفس اليوم عقدت اللجنة القومية أول اجتماع لها صدر عنه بيان نشرته الصحف في صباح اليوم التالي يحث المدن كلها على تاليف لجان معاظة وعلى الاضراب العام (٦) . ويقول هيروويتزا ان مدينة نابلس كانت تتبع في ذلك نهج الوطنيين في مصر وسوريا (٧) .

وعندما بدأت اللجنة القومية لنابلس تتلقى ردودا لنداءها بالاضراب العام (٨) كان أعضاء حزب الدفاع والحزب العربي من أوائل من تجاوب معها . كما تكون منهما ـ مع غيرهما من الاحزاب ـ الاعضاء الرئيسيون للجان القومية في المناطق المختلفة . فمن يافا أبرق يوسف عاشور . كما أبرق فخرى النشاشيبي تأييدا للجنة القومية بنابلس والاول من الحزب العربي والثاني سكرتير حزب الدفاع (٩) . كما تشكلت اللجنة القومية في يافا من : يوسف عاشور ، وراغب أبو السعود الدجاني ، ومحمود أبو خضرا والفرد روك ، وحمدى النابلسي ، وفخرى النشاشيبي ، ابراهيم الشنطي ، وسعيد الخليل . وكما يلاحظ من تركيبها فان نصفها كان من الحزبين العربي والدفاع (١٠) . كما أبرق من القاهرة مؤيدا ، توفيق الفاهوم وحنا خليل خليف . وهما من الحزبين العربي والدفاع ويظهر أن هذا الحال اضطرد في بقية مدن فلسطين (١١) .

كان ذلك نتيجة الاجتماع الاول الذى انعقد في نابلس . وأما الاجتماع الثاني فقد عقد في القدس ، حيث تجمع عدد من الشبان بقودهم عارف الجاعوني البد اليمنى للحاج أمين بين الشباب المسلمين وقد قرر هذا الاجتماع اعلان الاضراب " واجبار اصحاب الحوانيت والمتاجر ان يستجيبوا لهذا القرار " (١٢) ولعله الى هذا الاجتماع يشير الغورى الذى يزعم أن اعلان الاضراب العام بدأ من القدس ومن الحزب العربي بالذات (١٣) . وفي يوم ٣٠ ابريل اليوم الاول للاضراب العام والذى دعت اليه لجنة نابلس القومية ، صدر أيضا بيانات بالاضراب الى أجل غير مسمى من كل من رئيسي الحزب العربي وحزب الاستقلال (١٤) .

كما أن راغب النشاشيبي الذى يبدو أنه تحفظ على جعل الاضراب الى أجل غير مسمى في البداية ، عاد ووافق أيضا على اعلانه الى أجل غير مسمى أيضا .

فقد شارك في الاجتماع العام لقادة الاحزاب الذى انعقد في القدس بتاريخ ٢١ ابريل ، والذى أعلن موافقته على التمسك بالاضراب والى أجل غير محدود . كما ان راغب الذى كان متحمسا لارسال الوفد الى لندن عدل الان عن رأيه (١٥) . ويظهر أن موقف زعماء الاحزاب هذا من الاضراب كان ردا على دعوة المندوب السامي لهم لكي يدعوا الى وقف الاضراب (١٦) ووسط الحماس الهائل والمظاهرات الصاخبة التي صاحبت الايام الاولى للاضراب تكونت اللجنة العربية العليا من زعماء الاحزاب اعضاء والمفتي رئيسا (١٧) . وقد كانت مهمة هذه اللجنة قيادة اللجان القومية والحركة الوطنية عامة والاشراف على تطبيق الاضراب ، وما يمكن أن يتمخض عنه . وقد دعا اول بيان اصدرته اللجنة العربية العليا الى " الاستمرار على الاضراب الى أن تبدل الحكومة سياستها المتبعة في فلسطين تبديلا أساسا تظهر بوادره في وقف الهجرة اليهودية . واللجنة ستعمل مع الامة مستعدة من وحيها وصادق عزمها اصرارها على تحقيق المطالب الاساسية العليا التي تطالب بها بفوضوهي :

" ١ ـ منع الهجرة منعا باتا .

٢ ـ منع انتقال الاراضي العربية الى اليهود .

٣ ـ انشاء حكومة مسؤولة امام مجلس نيابي " (١٨) .

وكان لتأسيس اللجنة العربية العليا بالاضافة الى كونه مظهرا من مظاهر وحدة الامة وتعاضدها ، اثر كبير في دعم الاضراب العام . فقد أبرق المندوب السياسي معلقا على بيان اللجنة العربية ما نصه : " ان اصدار هذا البيان قد دعم الاضراب العام ولقد اصبح استئناف العمل في مرفأ يافا امرا غير محتمل ابدا (١٩)

وفي حقيقة الحال لقد كان اصدار القرار بدعم الاضراب من قبل اللجنة العربية العليا هو الاجراء الاول ولكنه لم يكن الاخير . فقد وضعت في يد هذه اللجنة ـ منذ تأسيسها ـ امكانات وفاعليات الحركة الوطنية الفلسطينية ، اما بصورة جماعية أو فردية . وهذه الظاهرة تستدعي أن نفحص تركيب هذه اللجنة الداخلي ، واتجاهات اعضائها ، الامر الذى سيساعدنا على فهم تطور مجريات الاحداث القادمة للثورة .

١ ـ كانت اللجنة العربية العليا قيادة حزبية مائة بالمائة . بمعنى انها كانت مكونة من قادة الاحزاب ، وهذه الخلفية لتركيبها ، سيكون لها تأثيرها

على مواقف أعضائها وبخاصة أثناء ضعف الثـــورة .

٢ ـ شكل ممثلو الحزب العربي وحزب الدفاع نصف أعضاء اللجنة التي كـــان أعضاؤها عشرة . وقد تمثل الحزب العربي بالمفتي وجمال الحسيني والفرد روك . وقد انتخب الاخير ـ بالاضافة الى صفته الحزبية ـ لانه وجيه الروم الكاثوليك . كما أن انتخابه بالاضافة الى العضو المسيحي الاخر يعقوب فراج ـ وجيه الارثوذكسي ـ مندوبا عن حزب الدفاع كان رمزا لتماسك ومناعـــة الجبهة العربية بطرفيها المسلم والمسيحي . وقد مثل حزب الدفاع أيضا ، راغب النشـــاشيبي رئيـــس الحـــزب .

٣ ـ كان على قمة هذه اللجنة المفتي الذي دفع لاول مرة لقيادة العمل الوطني وبصفة رسمية . وكما يظهر فان المفتي لم يخل من تردد (٢٠) وذلك بالنظر الى ان هذا الموقع الجديد في قيادة الحركة الوطنية سيضعه وجهـا لوجـه أمام السلطات ، وربما أدى الى عزله من رئاسة المجلس الاسلامـي الاعلى وهو أمر ـ كما شاهدنا ـ كان يحرص عليه كل الحرص (راجع خطابه في مؤتمر المؤربط (ص١١٠) ولكن الذي حسم هذا التناقض في موقف المفتي لحساب الصف الوطني كان ضغط الشباب المناضل في اللجان القومية الذي انضم اليه ضغط زعماء الاحزاب وبخاصة حزب الاستقلال . كما ساهمـــت فيه أيضـــا الصحافـــة الفلســـطينية (٢١) .

٤ ـ برزت في اللجنة تحالفات داخلية ذات طابع حزبي فقد كان المفتي مدعوما بقوة من الاستقلاليين: " الاستقلاليون والفريق الحسيني يعملون معا . واللجنة ليست متحررة تماما من المصالح الحزبية " (٢٢) . وفي الحقيقة لقد كون الاستقلاليون يسار اللجنة ومارسوا دورا متطرفا في الغالب . بدا اثره في ابتداء الاضراب والمحافظة عليه . كما أن حزب الاصلاح كان أكثر ميلا نحو المفتي بالنظر لموقف زعيمه الدكتور حسين فخري الخالدي ، بعد انتخابات بلدية القدس خاصة .

وأما حزب مؤتمر الشباب فكما يظهر من مجريات الحوادث ، فكان موقفـه موازيا لموقف الحزب العربي ، ان لم يزد عنه تطرفا ، وكان التزامه بالمفتي أكثر من أي زعيـــم آخر .

ولعله من اثر هذا التركيب الداخلي ، للجنة ، جاء التاثير الواسع الـــذي

تمتع به المفتي ، خلال احداث الثورة ، وكما سنرى في الفصول التالية .

٥ ـ اما راغب النشاشيبي فان موقفه من الانضمام للجنة ، لم يخل من تـــردد ايضا ، وذلك بالنظر للموقع الذى احتله المفتي في زعامتها ، ولكنه مـع ذلك لم يكن بمنجاة من تأثير الضغط الشعبي وضغط حزب الاستقلال (٢٣)

٦ ـ لم ينته الخلاف الكامن بين الحسينيين والنشاشيبيين ، في اللجنة.فحسب احد التقارير السرّية: " اللجنة العربية لم تخل من انقسامات داخـــل صفوفها وذلك بالنظر للخصومة الطبيعية بين الحسينيين والنشاشيبيين " ومع ذلك فقد تمكن الزخم الوطني من أن يخفي تأثير هذه الخصومـــة احيانـا كثـــيرة . (٢٤)

ومهما يكن من امر فقد تمكنت هذه اللجنة من القيام بالانجازات التاليـــة في الفـــترة العسكرة من الاضـراب والثـــورة :

١ ـ تمكنت من تكوين جبهة وطنية متحدة ، وهذه حقيقة يؤكدها مالرو ، وهو من افضل مؤرخي الانتداب ، عندما يذكر " ان العرب ـ ولو لوقت ما ـ تمكنوا مـن تقديم معارضة مصممة والى حد ما منظمة للانتداب " (٢٥) . ويعزز هذا الـــرأى بودن Bowden في مقالته عن الثورة . وهو يعزوها الى الصوفية الوطنية ـ وخاصة خلال السنة أشهر الاولى للاضراب :ـ " ان الخلافات العميقة العائلية والثقافيـة والاقتصادية والانشقاقات السياسية ذابت مؤقتا في القضية العامة " (٢٦) .

وحقيقة الامر أن تغييرا عظيما أصاب حزبينا اللذين طالما احتلا مواقـــف متعارضة حيث اذا كان الواحد يقف موقفا ـ بغض النظر عن الخطأ والصواب ـ فان الاخر كان يقف موقفا معاكسا له . فقد أصبح الحال الان كما يصفه تقرير بيل : "كل الاحزاب تشكل جبهة عامة . كما ان قادتها يجلسون معا في اللجنة العربية العليا . ويتمثل فيها المسيحي العربي مع المسلم العربي على حد سواء . وليس هنالـــك حزب معارض " (٢٧) (التأكيد من قبل المؤلـــف) .

٢ ـ تظهر لنا مجريات تطور الاضراب والثورة انه كان هنالك اجتماعات منتظمة لهذه اللجنة العليا . بل لقد اعتبرها بعض المؤرخين انها أول جهاز تنفيذى للحركة الوطنية يعمل بانتظام منذ بدايـــة الانتـــداب (٢٨) .

وكانت الاداة الفعالة للجنة العربية العليا ، من الناحية التنظيمية ، اللجان القومية ، التي ضمت في عناصرها الرئيسية أعضاءالاحزاب كما تشهد بذلك المصادر

العربية والاجنبية على السواء . فبينما يذكر أحد التقارير السرية أن اللجان القومية كانت مشكلة modelled على صورة اللجنة القومية المركزية (٢٩) نجد أن مصادر المعاصرين العرب تؤكد ذلك . يقول الخالدي : " وتألفت بعض هذه اللجان القومية منذ الايام الاولى من الاحزاب . ولم تكن هذه اللجان تمثل البلد الذي تقوم فيه تمثيلا حقيقيا ، بل تغلبت فيه النعرات الحزبية بادئ الامر" (٣٠) كما أن دروزة يذكر أنه " قام في كل مدينة أو قرية كبيرة لجنة قومية تمثل جميع الميول والاحزاب " (٣١) . كما تذكر أوراق أحمد الامام وهو معاصر من حيفا أن اللجنة القومية في حيفا تألفت من ممثلين عن جميع الهيئات الوطنية والسياسية منذ تأسيسها في ٢٢ أبريل ١٩٣٦ (٣٢) .

والدارس للقوائم التي يزودنا بها أكرم زعيتر في أوراقه عن رؤساء اللجان القومية يلاحظ التوازن الحزبي واضحا في تركيب هذه اللجان القومية ، كما كان في اللجنة العربية العليا (٣٣) .

لعبت اللجان القومية دورا جذريا في تسيير الحركة الوطنية وكانت بديلا ممتازا للفروع الحزبية ـ التي سبق لنا الحديث عنها والتي لم تكن تعمل بطريقة فعالة من الناحية التنظيمية ـ بل أن هذه اللجان شكلت حلقة الوصل بين اللجنة العربية العليا ورجل الشارع أو القواعد ، لدرجة أنها أصبحت خلايا عضوية في تنظيم شامل للامة كلها .

ويعقب تقرير بيل على صورة الممارسات لهذه اللجان بقوله : " في كل بلدة هنالك لجنة قومية عربية ، والتي لها ممثلوها في القرى العربية المجاورة . أما عن سعة امتداد هذه المنظمة وعن حسن تسييرها للامور ، فقد ظهر ذلك بسلوك الاهالي العرب ككل خلال اضطرابات العام السابق (كما أن) تجربتنا كانت برهانا اكبر على هذا . فانه طالما ذكرت اللجنة العربية المقاطعة ، لم يتقدم الينا عربي وحتى عندما سحبت (هذه المقاطعة) فان الشهود الوحيدين الذين سمح لهم بان يقوموا بالشهادة أمامنا ، كانوا باستثناء أربعة ، أما أعضاء أو وكلاء عن اللجنة العربية " (٣٤) (الاقواس ليست في الاصل) .

ولعل أهمية ممارسات اللجان القومية تنبع من أنها لم تكن دائما تأخذ أوامر اللجنة العربية كحقائق مسلم بها ، بل شكلت قوة ضابطة أو صمام أمان للحركة الوطنية في مجملها قيادة وقواعد . وكان لما اكتسبت به هذه الممارسات

من صفة اللامركزية ان زاد في فاعلية هذه اللجان وحيويتها وقدرتها على المبادرة والمبادهـة . يقول المندوب السامي في تقرير لـــه :ـ

" ومهما يكن من أمر فان اللجان المحلية لم تكن بأى حال من الاحـــوال راغبة دائما في تنفيذ تعليمات الهيئة العربية العليا . بل ان أعضاء هذه اللجنـة (العربية العليا) انما يجمعهم شعورهم القوى نحو القضية الوطنية وهم الى حـــد كبير خاضعون لنفوذ الشباب والعناصر المتطرفة بينهم (أى الشباب) والمفتـي هو رئيس هذه اللجنة ويمارس النفوذ الاكـــبر " (٣٥) .

وكان الدور الظاهر للجان القومية وعملها الرئيسي هو الاشراف على الاضراب كل من موقعها ، كما أنها قامت بدور كبير في جمع التبرعات والطعـــام وتوزيع ذلك على المضربـين وعائلاتهم وخاصة الفقراء منهم . وتفيد المعلومـات المتوفرة انه كان هنالك مخازن معدة في المدن تحوى الارز والقمح والسكر توزع منها هذه المواد على المحتاجين (٣٦) ويظهر تقرير للمندوب السامي مقدار التكافـل الاجتماعي الذى ساد لدى العرب بفضل جهود اللجان القومية : " الفلاح لا يكفي نفسه مؤونتها فقط ، وانما يتبرع من محصوله لمساعدة رفاق في المدن ... العائلة الثرية تعتني بعائلة أو عائلتين فقيرتين والفرد الواحد يساعد الاخر " (٣٧) .

ولعل الدور الاهم لهذه اللجان كان الابقاء على روح الثورة حية أو مناحة ومعاقبة كل مظهر من مظاهر التخاذل سواء بالخروج على تعليمات الاضراب مثـــل فتح الحوانيت أو الغفلة عن مقاطعة البضائع اليهودية . وقد بلغ الحماس ببعـــض عناصر هذه اللجان أنها استخدمت اسلوب التهديد احيانا مع أولئك الاغنيـــاء الذين لا يريدون التبرع للثورة (٣٨) والذين على ما يظهر لم يكن يجدى معهم غـــير هـــذا الاســـلوب .

وكان اكثر عناصر هذه اللجان فاعلية وحماسا واندفاعا الشباب الذين وصفهم تقرير بيل بأنهم "حادّو الذهن " كما انهم " لا يتحركون بدوافـــع اقتصادية بل أنهم يفسرون حملتهم المقدسة باصطلاحات مستمدة من (قاموس) الصراع والتضحية وليس باصطلاحات أو تعبيرات السلام أو الراحة أو الرفاهية" (٣٩) .

وفضلا عن هذا فان هذه اللجان كانت بمثابة الاحتياطي الدائم أو المستمـر الذى تفيد منه الحركة الوطنية في كل ظرف. يقول الخالدى : " وكثيرا ما القـــت الحكومة القبض على اعضائها وزجتهم في المعتقلات فيحل محلهم آخرون يتقدمون

للعمل عن طيب خاطر " (٤٠) .

والواقع أن كثيرا من الاعضاء المناضلين لهذه اللجان تحولوا مع الزمن ـ ومع تصاعد الاضراب الى ثورة مسلحة ـ الى أعضاء في خلايا حركة المقاومة السرية في المدن ، وبصفة خاصة في القدس . اذ يذكر أحد تقارير تيجارت أن أول منظمة سرية للمقاومة في القدس تشكلت من اللجنة القومية ـ التي يقدر عددها بـ ٣٥ عضوا ـ وكانت قيادتها من رجال الحاج أمين وهم الشيخ حسن أبو السعود واسحق درويش وعزة دروزة وعارف الجاعوني وخالد الدزدار (٤١) .

ومما يتصل بدور هذه اللجان كمولد أو احتياطي للحركة الوطنية ما لمسناه مما سبق الاشارة اليه في أن اللجان القومية كانت وراء الاضراب الذى عم في أيام قليلة كل مكان من فلسطين ، ورافق تعميمه تعميما مماثلا لهذه اللجان . كما انه يعود الى اللجان القومية ـ كما سنوضح فيما يأتي من فصول ـ تصعيد الاضراب الى عصيان مدني ، والى هذه اللجان يعود الفضل في تثوير القرى كما أنها كانت هي التي وضعت المتاريس وقاومت السلطة في نابلس وغيرها (٤٢) . وبايجاز كانت اللجان القومية رأس الحربة في جميع عمليات الاضراب والثورة من البداية الى النهاية .

ـ ٢ ـ

دور كل من الحزبين في تنظير الثورة والدعوة لها

تعتبر الثورة الفلسطينية عادة بأنها ثورة بلا نظرية أو خلفية نظرية . وهي في نظر خصومها ثورة أقرب الى أن تكون بلا دماغ . فبينما تعتبرها أغلب المؤلفات العربية (٤٣) أنها وليدة العفوية ومن هنا تنبع في نظرهم اصالتها وتلقائيتها ، تلك الاصالة التي تنبع بالدرجة الاولى من كونها ثورة الفلاحين ، فانه من الناحية الاخرى لا يعتبرها كثير من المؤرخين والكتاب الصهيونيين أو المؤيدين للصهيونية اكثر من اضطرابات . (التوكيد من قبل المؤلف) . وعندما يكون انحياز هؤلاء الكتاب خفيفا أو معقولا فان هذه الاضطرابات توصف بأنها " تعبير عن الغضب " كما يقول لوكاس مؤلف " تاريخ اسرائيل الحديث " (٤٤)

وعلى العكس من ذلك وعندما يكون الانحياز كبيرا فان احداث الثورة كما يعرض هيرست تفسر بأنها انعكاس الى "بربرية الصحراء" . والثوار الا شعب ساذج يحركه ويقوده ساسه غاشمون وزعماء دينيون متعصبون ، وتساندهم فاشستيه دولية ... وهؤلاء جميعا يشنون حقده لا ترحم ضد حضارة ارقى ، حضارة الرجل الابيض تلك الحضارة التي لا يريدون ولا يفهمـــون (٤٥) .

وهاتان النظرتان : النظرة المتعاطفه التي تنادي بعقوبة الثورة والنظـــرة الاخرى المعادية التي تتهم هذه الثورة بالبربرية أو أنها تعبير عن الغضب ، هاتان النظرتان وبالقدر الذي به نحن هنا معنيون ـ في اطار دراسة الحزبين ـ غـــــير دقيقتين ، وفي غالب الامر مضللتين ، واصحابهما لا يحاولان التعمق اكثر من السطح كما انهما لا تصلان الثورة الا من الخارج . فالفريق الاول يسعى وراء اضفاء ثوب من العذرية والبراءة على الثورة ، والفريق الثاني يريد أن يسلب الثورة كثيرا مـــن فعلتها ، وبالتالي يسعى لوصمها من أجل أن يبرر ما كان من قضاء عليها وقمعها .

والدارس لهذه الثورة ، يجد لديه شواهد متعددة تؤيد انه كان هنالك توجه ايدولوجي أو على الاقل قاعدة نظرية . هذا التوجه الايدولوجي لم يكن نتاج فيلسوف معين أو منظر متخصص ، بل هو وليد التجربة الفلسطينية المتميزة الفريدة في كثير من ابعادها . تلك التجربة التي تميزت بكثير من المرارة والالم الذي نجم عن المعاملة التي تعرض لها العرب الفلسطينيون فترة طويلة من الزمن في عهـــد الانتداب . تلك المرارة والالم اللذان نأترا أيضا بعملية الاستلاب المصيرية لوطـن بحاله ، وبسطه واصرار ، من قبل الصهاينة بدعم من البريطانيين . كما تأترا أيضا بالنضال العربي والشهداء الذين سقطوا صرعى على أرض هذا الوطن ، خلال النضال في انتفاضات ١٩٢٠ ، ١٩٢١ ، ١٩٢٩ ، ١٩٣٣ . بل ان مارافق هذا النضال من تراكمات تجارب الاحباط والفشل الذي كان دائما نتيجة هذه الانتفاضات ، ترك آثاره التي لا تمحى على نفوس وعقول المواطنين العرب ، وجعلهم يفكرون في امرهم ، ومن هنا جاءت مقدرتهم على وزن تجربتهم النضالية من الناحية الفكريـة ووضع المقابل الفكري او النظري لها . ولعله من هنا ولدت كثير من القناعات العميقة التي قد ترقى الى مستوى الفلسفة الوطنية ـ ان صح القول ـ او الايدلوجيه

لحمة هذه القناعات وعمودها الفقري هو الصوفية الوطنية وسداها النضال واستخدام القوة من أجل تخليص الحق المغتصب . ونحن لدينا منجـــم مـــــن

المعلومات او المادة المصدرية ، وخاصة تلك المتعلقة بالمناضلين وخلفياتهم الفكرية . والذى يدرس على سبيل المثال ملفات دوائر التحقيقات الجنائية او التقارير البريطانية عامة ، وهي عادة تحاول الاحاطة بابعاد حياة من تتحدث عنهم ، يستطيع ان يجد خميرة صالحة لاستنتاج الافكار او التصورات الفكرية للنضال الفلسطيني . وقد اتيح لكاتب هذه السطور ان يدرس عددا من هذه التقارير وبخاصة عن مناضلي الحزب العربي ، وقد اتاحت لنا هذه الدراسة ان نخرج بالاستنتاجات التالية :

١ ــ ان بعض هؤلاء المناضلين ــ وهم شريحة من الشعب العربي الفلسطيني بصورة عامة ــ كانوا يؤمنون بالقوة او ما يسمى احيانا بنظرية العنف المستمر . ولعل هذه النظرية كانت المقابل الفكرى لعمليات التصدى المتواصل للانتداب من خلال النضال ذى الطابع العنيف ــ تظاهرات عنيفة وعصيان والعودة الى هذا النضال على الرغم من الكبت والقمع والسجن (٤٦) ويبدو ان تجربة النضال هذه تطورت الى ان اخذت شكلا نظريا لها واصبح اتباعها ــ مع الزمن ــ يؤمنون انه لا بد من العنف الثورى ليس كاسلوب فردى وانما كعمل جماعي . وليس في اطار زمنى محدود وانما مستمر وشامل . واحدالتقارير عن هؤلاء المناضلين بعد ان يتحدث عنه بانه مشاغب غاشم على اتصال بالمشاغبين المحليين ، ومسؤول مع مثيرى اضطراب آخرين عن مظاهرة غير قانونية في عام ١٩٣١ في مدينة نابلس ، والتى لم تفرق الا بعد ان فتح السلاح على الرعاع وبعد ان يصف عدد المرات التي دخل فيها المعتقل في اعوام متعددة وبعد ان توصى ايضا باعتقاله ... نصفه بهذه الكلمات " منذ سنوات " مؤيد عنيف للنظرية القائلة انه يجب اللجوء للعنف او القوة من اجل تحقيق الطموحات العربية " (التأكيد من قبل المؤلف (٤٧) .

٢ ــ والاستنتاج الثاني او البعد الثاني للتوجه الفكرى لهؤلاء المناضلين هو القناعة بوجوب محاربة الاستعمار ، المصحوبة بالكراهية العميقة لهذا الاستعمار ' وليس الانتداب فقط) . ويتناول اصحاب هذه القناعة الاستعمار من جهة صلته بالصهيونية ، وان الثانية انما هي امتداد للاول . وعلى هذا فاننا نجد ان عددا من كانوا متهمين بمحاربة الصهيونية ، وممن تصفهم التقارير بانهم من انصار المفتي ، يشكلون جماعة تحمل هذا العنوان " والجماعة المناهضة للاستعمار (anti-imperialist group)

وقد ضمت هذه الجماعة عناصر متفرقة عن نواحي فلسطين ومن مختلف المواقع الاجتماعية والمهن. ولعل الاهم من هذا أن حربهم للاستعمار ليس تعبيرا عن غضب مؤقت.. وانما ترقي حربهم للاستعمار الى مستوى الرسالة. ويصف أحد التقارير أحد افراد هذه المجموعة بانه "خطير" وأن "له تاريخا بالارتباط بالعناصر الهدامة في البلاد". وبعد أن يعدد التقرير بعض هذه العناصر ويذكرها باسمائها... يذكر أنه على صلة تنظيمية ببعضهم بعضا. وعندما ينتقل احد أعضاء هذه المجموعة الى مصر يصبح "المحرر الاول في جريدة مصرية تحارب الاستعمار" (٤٨) وعلى سبيل المثال يذكر القسم الاخير من التقرير الذي يتحدث عن "جماعة محاربي الاستعمار" عن عضو فيها هو محمد علي الطاهر صاحب جريدة الثورى فيقول: "في عامي ١٩٣٦و١٩٣٧ كان نشيطا في الدعوة لاتجاه الحاج أمين في جعل القضية الفلسطينية قضية تهدد الشعب الاسلامي بالاضافة الى أنها تهديد للعرب. ولا يزال حتى الان نشيطا ومتعصبا". (٤٩)

ويبدو أن هذا الاتجاه الذى أصبح المفتي رمزه مع اشتداد غضب الثورة ومحابيه الانكليز ـ كما سنوضح ـ جلب الى المفتي كثيرا من الانصار ممن كان توجههم الاصلي والاصيل توجيها معاديا للاستعمار كجزء من صلب عقيدته أو ايديولوجيته. ولدينا في هذا المجال مثالان لشابين من ذوي الميول الشيوعية (تصنفهم التقارير على انهما مجلسيان) هما محمد نمر عوده وفؤاد نصار اللذان كان لهما دور نضالي ممتاز ـ سنتحدث عنه فيما بعد ـ فهما تحالفا مع المفتي أو عملا تحت رايته لانه كان يحارب معركة وطنية، ضد الاستعمار والصهيونية.

٣ ـ والاستنتاج الثالث أو البعد الفكري الثالث لمناضلي الحزب العربي نجده يتكرر في كثير من التقارير "الوطنية الدينية" أو كما يسميه احدها "الحركة الدينية الوطنية" ومن يحلل المادة المصدرية في هذه التقارير، يجد أن نقمة متحاملة تسيطر عليها ان لم تكن مضللة. فهي في العادة تسمي الاشياء بغير مسمياتها. فما تسميه بالتعصب عند عشرات المناضلين الذين لديها عنهم سجلات سرية، ليس في حقيقة الامر الا اتجاها او توجها وطنيا أصيلا. ولنأخذ المفتي مثالا لما تكتبه هذه التقارير، التي تصفه عادة بالنبي المتعصب، نجد

انه لم يكن أكثر من زعيم وطني ذي نزعة قومية عربية عميقة على الرغم من خلفياته الدينية والوظيفية بل انه مما يثير الدهشة حقا أننا نجد أن هذه التقارير ـ التي تنسب التعصب الى انصار المفتي ايضا ـ كثيرا ما لا تكون متسقة .. بل انها كثير من الاحيان متعارضة . تلك التقارير التي توجد منها مئات الصفحات في مكتب السجلات العامة بلندن ولكنها لم تستطع ان تنفذ الى حقيقة المفتي الا أحيانا قليلة (٥٠) .

وانه لصحيح ايضا ـ ولعله من هنا يأتي الالتباس ـ ان كثيرا من أنصار هذا الاتجاه كما هو الحال بالنسبة للمفتي ، ذوو خلفيات دينية أو انهم كانوا رجال دين أو ذوي مشاعر دينية ـ ولدينا أمثلة على ذلك في انصار القسام الذين وقفوا مع المفتي خلال الثورة ـ الا انهم لم يكونوا شوفينيي الطابع أو انهم غير متسامحين . ولعلهم ايضا اتكأوا على الدين ولكن ليس للحقد والكراهية أو التعصب الاعمى . بل كوسيلة لتعبئة الجماهير ومن أجل اشعال روح الجهاد (الحرب الطويلة الامد) كاسلوب للنضال الوطني . ولعل لهذه الناحية الاخيرة حرى التركيز على وصم هذا الاتجاه بالتعصب وتحول الاستشهاد والتضحية والصبر الى ضده .

وهذا التقرير التالي عن قسامي سابق ومناصر للمفتي أثناء الثورة ، ويعمل كاتبا في المجلس الاسلامي الاعلى هو الشيخ محمد هاشم الخطيب من حيفا ، يتحدث عن نفسه وهو لا يتعرض هنا للتعصب بمقدار ما يحاول أن يبرز أثر الاتجاه الديني في النضال الوطني .

" استمر (الخطيب) خلال سنتي ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ في المساهمة بشكل بارز في السياسة ولقد عرف بأنه مدافع عنيد ومن أبطال نظرية الاسلام المناضل ، وخلال ثورة ١٩٣٦ استمر في التوجيه المحلي لحملة تطوير الحركة (الوطنية) عبر خطوط دينية ونضالية " ويمضي التقرير ليؤكد الاثر الكبير لهذا التنظير السياسي وكيف كان له أثره العميق في الحركة الوطنية : " ان كثيرا من النجاح الذي أحرزه العرب الفلسطينيون في وضع قضيتهم على أساس ديني وسياسي انما يعزى الى الدعاية القوية التي أعطاها الشيخ محمد هاشم الخطيب لهذه الفكرة " (٥١) .

ارتبطت النواحي الفكرية السابقة بانصار المفتي .. ولكن وجد أيضا مجال آخر ساهم به الحزبان معا وليس الحزب العربي فقط . وهذا المجال هو الدعاية

للقضية الوطنية : اضرابا وثورة . وقد عطلت هذه الدعاية بصورة أو بأخرى كجـــزء مكمل للمتنظـــير .

فمنذ الايام الاولى للاضراب نجد صحف كل من الحزبين تضع حدا لادبياتها الحزبية أو التحزبية ، لتركز بكثير من الكفاءة والحيوية والحماسة علـى القضية العامة . وانه ليس بلا مغزى هنا أن نجد أن تقرير بيل وبكثير من المصداقية يذكر أن " المنظمة الوطنية تخدمها صحافة غزيرة عارمة القـــوة " (٥٢) .

وعلى سبيل المثال نجد أن جريدة اللواء ، الجريدة الرسمية للحزب العربي والتي وصل توزيعها الى ٣٠٠٠ ـ ٤٠٠٠ نسخة في اليوم ، والتي كـــان يملكها جمال الحسيني بالاضافة الى جريدة فلسطين لسان حال حزب الدفاع والتي كانت أوسع انتشارا ، تنافستا في هذه الفترة أيهما يبرز مناحي النضال اكثر (٥٣) كما أنه كانت نغمة ثابتة في كتابتهما ، الدعوة الى الاستمرار على الاضراب . ويضيف تقرير بيل ايضا أن هاتين الصحيفتين بالاضافة الى " الدفاع " وهي لا تقل عنهما انتشارا لم تكن تنطق الا باسم اللجنة العربية العليا رغم الاختلاف علـــى التكتيك احيانا " كما انه ليس هنالك اشارة للاعتدال في لهجاتها " ومن هنا كان جزاؤها التعطيل أو الايقاف عن الصدور وقد احصيت عدد المرات التي أوقفـــت فيها هذه الجرائد فبلغت ٣٤ مرة كما لغت نظرها ١١ مرة في سنة واحـــدة هـــي عـــام ١٩٣٦ (٥٤) .

ولعله لا يقل عن أثر الصحافة في الدعاية ما قامت الادوات الحية للدعاية واعني بذلك الاشخاص الذين قاموا بدور كبير في التعبئة الوطنية أو التحريض على الاضراب والثورة . وهنا نجد أن كثيرا من انصار المفتي والذين هم في الاصل موزعون على جهات فلسطين المختلفة ، حققوا انجازا دعائيا كبيرا عن طريـــق الاتصال المباشر بالافراد والجماهير (٥٥) .ومما لاشك فيه اسماء وهم الانماذج كشفت عنها بعض التقارير والتي لا نأخذ مادتها الا بعد اخضاعها لنظرة فاحصة وشاملة تتناول هـذه التقارير فرادى ومجتمعة .. وتقيسها على الظروف الموضوعية التي مرت بها البلاد في الفترة التي تتحدث عنها : حسن حسونة : عضو فعال في الحزب العربي ، ويعمل واعظا في القرى التي تقع حول مدينة يافا ، كما أنه داعية للحزب في هذه المناطق ، هذا الرجل تصفه التقارير بالاتي : " في ١٩٣٦ ، كان قد حـــرض الفرويين للالتحاق بالعصابات المسلحة وكانت هذه الدعاية تنفذ من منطلـــق دينـــي " (٥٦) .

كما ان عادل كنعان وهو مجلسي ووطني عنيد، أصله من مدينة نابلس، وكاتب بالاوفاق يوصف بانه رجل "ذو آراء متطرفة وله تاريخ عريق مع العناصر المتطرفة" (٥٧)

وليس أقل شأنا من كنعان، قاضي غزة، الشيخ مصطفى فاضل العورى الذى تطلق عليه التقارير لقب "الخطير" وتعقب على ذلك بقولها "نشيط كمحرض على الحركة (الارهابية)، مشاغب، خطير، ومعارض للحكومة لا يشق له غبار" (٥٨)

وشبيه بالدور الذى قام به العورى هو الدور الذى لعبه الشيخ صبحي الخضرا قاضي حيفا الذى يوصف بانه "قائد سياسي ذو طبيعة متطرفة.. في خلال ثورة ١٩٣٦ كان بارزا كداعية للحركة الثورية(٥٩) ولقد أسهم في هذه الحركة الدعائية عدد من ذوى الرتب الدنيا أيضا في كوادر المجلسيين، ومن مواقعهم المتواضعة هذه تمكنوا من الاتصال بالرجل العادى وقاموا بدور نذكر أمثلة عليه أيضا: مأذون (مسجل عقود الزواج) في غزة، الشيخ حسين الشوا، يذكر انه أيضا "مشاغب خطير وعدو للحكومة" وتسع خطورته من كونه "يعرض أفكارا ارهابية" (٦٠)

كما ان آذن المحكمة الشرعية بنابلس عبدالقادر فتايح "استغل مناسبات متعددة لينشر دعاية من أجل المفتي "ويستغل من أجل ذلك اتصالات المخاتير(٦١). ومثل آذن المحكمة مراسلها يستفيد من موقعه من أجل ان ينشر دعاية مضادة للحكومة" (٦٢).

ولقد كان هنالك أيضا بالاضافة الى هذه الاساليب في الدعاية القائمة على الاتصال محاولات لتحريض الطلاب في مدارسهم والمعلمين في مساجدهم. فحمدى الدجاني، سليل عائلة الدجاني ذات الميول القوية نحو الحزب العربي، والواسعة النفوذ في يافا والذى يعمل مديرا لمدرسة دار العلوم الاسلامية في يافا. يوصف أيضا بأنه "ينفذ دعاية في صالح الحزب المجلسي" كما انه يدعو طلاب مدرسته لكي يشاركوا في المظاهرات(٦٣). ورفيق شهاب الدين المدرس في نفس المدرسة المذكورة سابقا يقوم بدور شبيه بدور الدجاني(٦٤).

كما ان اسماعيل الطوباسي وهو عضو في حزب المجلسيين ومدرس في مدرسة النهضة الاسلامية في يافا، يحكم عليه بالسجن لانه "القى خطبا سياسية في يافا" (٦٥).

كما ان الشيخ سليم اليعقوبي واعظ مسجد حسن بك في يافا "يشحن المصلين بالافكار السياسية" فهو معروف بأنه يمزج بين الاحداث السياسية ونقاشها خلال مواعظه الدينية (٦٦).

ومهما يكن من أمر فنحن اذا طرحنا جانبا اللهجة التحريضية الواضحة في هذه التقارير السابقة ـ في السطور وما بين السطور ـ على من كتبت عنهم والتي لا تدل على موضوعية أو انصاف فان هذه التقارير تدل بما لا مجال للشك فيه على التالي:

١ ـ كان خط المفتي خلال الثورة خطا معاديا للحكومة تفيد بذلك اللهجة التراكمية لهذه التقارير التي نجد فيها شخصية الحاج أمين شخصية محورية تتأثر بها دعاية أنصاره في كل موقع.

٢ ـ كانت هنالك منطلقات ووسائل متعددة لهذه الدعاية الشخصية.. من العاصي الى الكاتب الى الاذن فالمراسل عبورا الى المدرس ومدير المدرسة ولكنها مهما اتخذت من أساليب.. ومهما اختلفت المواقع الاجتماعية والجغرافية لاصحابها فانها كانت دعاية للقضية الوطنية والثورة التي يطلق عليها هذه التقارير عادة اسم الارهاب.

٣ ـ اللهجة التي صيغت بها التقارير تدل على مدى فاعلية هذا الاتجاه في الدعاية والذي ينقل من خلاله عادة أشياء، لا يمكن قولها من خلال منابر كالصحافة مثلا، ولذا فاننا كثيرا ما نجد أن هذه التقارير، وبخاصة ان بعضها كتب في أثناء الجزء الثاني من الثورة ـ يوصي باعتقال الشخص المعني أو المذكور في التقرير أو انها تذكر انه اعتقل مرة أو مرتين أو انه فصل من عمله أو انه تجرد من موقعه الذي هو فيه.

دور كل من الحزبين في المحافظة على الاضراب والمشاركة في العصيان والتظاهرات العنيفة كممارسات من ممارسات الثورة

١ - الاضراب : سبق لنا الحديث عن انبثاق فكرة الاضراب الى اجل غير مسمى من قبل اللجان القومية التي اسهم فيها نشوءا وتنظيما ، عناصر من حزبينـــا .

وكان المقصود من الاضراب بحسب استراتيجية اللجان المقاومة السلبيـة او العصيان المدني - على طريقة غاندى - من أجل اكراه الحكومة على الاستجابـــة للمطالب القوميـــة .

ولقد نجح الاضراب وكان استمرار الاضراب العام لمدة ١٨٠ يوما احد الانجازات الكبرى للثورة عام ١٩٣٦ . ولقد تم هذا الاضراب بتوجيه عام من اللجنة العربية التي ضمت زعماء الاحزاب . الا انه مع ذلك لم يكن كلا الحزبـــين العربي والدفاع من حيث الاسهام بالاضراب - داخل اللجنة وخارجها - متشابها كما لم تكن منطلقات كلا الحزبين من الاضراب كوسيلة للكفاح ، ايضا متماثلـة .

فبالنسبة لموقف حزب الدفاع نجد أنه كان هنالك حماس كبير للاضراب . فقد كان من أوائل الذين نظموا اضراب قطاع حيوى ، على مستوى فلسطين جميعها حسن صدقي الدجاني سكرتير حزب الدفاع . فبصفته رئيسا فخريا " لنقابة مالكـي السيارات والسواقين " تمكن الدجاني بالتعاون مع أفراد هذه النقابة من شل حركة النقل : " فمالكو السيارات الكبيرة (الشاحنات) والباصات والتكسيات ، الذيـن كان معظمهم يعتمد في معيشته على كسبه الشهرى لكي يدفع اقساطه ، وضعوا جانبا مركباتهم " (٦٧) وفضلا عن ذلك كان حسن صدقي الدجاني رائدا في خطوته هذه فقد سبق في اعلان اضراب اصحاب السيارات وسائقيها اللجنة العربية العليا فـي اعلانها للاضراب العام بتاريخ ٢٥ ابريل ١٩٣٦ . يقول الدكتور الخالدى " كان أول من اعلن الاضراب المنظم نقابة السواقين ورئيسهم الفخرى حسن صدقي الدجاني ، فتحملوا ما تحملوه من خسارة ، من توقف المواصلات ، ولكن النقابـة استطاعت مساعدتهم في الايام الاولى " (٦٨) ولقد ظل السواقون من أكثر النـاس اخلاصا للاضراب حتى نهايتـــه " (٦٩) .

ولم يكتف الدجاني بذلك بل كان من بين الاشخاص البارزين الذين طالبوا بأن الاضراب ينبغي أن يشمل موظفي الحكومة وبالذات موظفي المجالس البلدية والمجلس الاسلامي . ولعله من أجل هذا ـ مع عوامل أخرى أهمها ضغط اللجان القومية ـ اضربت بعض البلديات ممن كان رؤساؤها من الحلفاء التقليديين لراغب النشاشيبي مثل بلديات يافا ونابلس والرملة وطولكرم واللد . وقد قرر هؤلاء الاضراب بعد أن عقدوا اجتماعا سريا في بيت رئيس بلدية رام الله وقرروا الاضراب " باستثناء عمال التنظيف والكهرباء والماء (٧٠) وكذلك أضربت تحت هذا الضغط مكاتب المجلس الاسلامي الاعلى وأصدر المجلس الاسلامي بيانا يعلن فيه أن " دوائر المجلس والمدارس التابعة له وكذلك أعمال الانشاءات والبناء والمنافع قد أضربت كليا ولم يستثن من ذلك سوى ما يتعلق بالشعائر الدينية (٧١) وتشير بعض المصادر الى أن الدجاني انما زاد في الحاحه في المطالبة باضراب الموظفين لانه كان مدفوعا ـ الى جانب موقفه الوطني ـ بدافع اخراج خصميه الحزبيين المفتي والدكتور الحالدي ، وهما اللذان يحتلان مناصبين بارزين في الحكومه ، وآزره في موقفه هذا راغب النشاشيبي (٧٢). ولقد قام راغب النشاشيبي بالضغط من داخل اللجنة بهذا الاتجاه . ولكن جهوده هذه داخل اللجنة لم تعط نتيجة ملموسة لا سيما وان المفتي وحمال الحسيني لم يستحسنا موقفه هذا ، وهكذا فان اللجنة لم توافق على اقتراحه . واتفق على عرض هذا الموضوع على اللجان القومية للبت فيه في اجتماع يعقد في ٧ مايو ١٩٣٦ (٧٣) ، ويبدو أن الصراع بين أنصار تعميم الاضراب ليشمل موظفي الحكومة ومعارضيهم أخذ شكلا حادا حتى أن موسى العلمي أخبر بن غوريون يوم ٦ مايو أن " الاضراب والعصيان المدني الشاملين ليسا سوى حلقة جديدة في الصراع القديم بين المفتي والنشاشيبي " (٧٤) .

وهذا الموقف بين الطرفين سيجعلنا ندخل في منطلقاتهما من الاضراب ، لانه على ما يظهر لم يكن تابعا فقط من الخصومة الحزبية .

كان ولاء راغب النشاشيبي للاضراب كاسلوب في الكفاح كبيرا ، ولعله اعتبره اهم من أي وسيلة اخرى لتحقيق المطالب العربية . وفي تقرير للمندوب السامي ان راغب كان على استعداد لبغال رجلا كالمفتي اذا تردد هذا في الانصياع للاضراب : " كان لدى راغب منذ بضع سنوات ومرة أخرى منذ حوالي شهرين الى خمسة أشهر ، رجال أشداء (فتيان toughs) ممن هم على استعداد

لاغتيال المفتي اذا ما بدرت منه بوادر الخضوع للحكومة ،واخيرا التخلي عن الاضراب الخ بدون مقابل " (٧٥) . ويقارن مالرو بين موقف النشاشيبيين والحسينيين من الثورة عموما فيقول أن النشاشيبيين راهنوا على الاضراب مقابل مراهنة الحسينيين على الثورة المسلحة ، ويعلل ذلك باعتدال النشاشيبيين بالنسبة للحسينيين ويقول " انهم ربما كانوا ـ منذ البداية يفكرون بحل وسط لا يأتي عن طريق استعمال العنف ولكن بتدخل دبلوماسي عربي ، ويتضمن هذا الحل استمرار الحكم البريطاني مع تحديد جدي وكبير للوطن القومي اليهودي " (٧٦) .

ومن الناحية الاخرى فان موقف المفتي كان محكوما بعوامل اخرى ومتعددة :

١ ـ لم يكن المفتي الذي كان يؤثر السرية والتكتم في عمله ، والذي كان يرغب أيضا في الاحتفاظ بمنصبه في رئاسة المجلس الاسلامي الاعلى من ناحية ، والمحافظة على اللجنة العربية كناطق رسمي باسم الشعب العربي الفلسطيني (٧٧) من ناحية اخرى ، أقول لم يكن يرغب في مجابهة علنية مع بريطانيا . كما انه ـ على ما يظهر ـ لم يرد أن يكون سببا في تعطيل جهاز الحكومة في فلسطين ، مما كان سيجلب عليه وعلى اللجنة العربية نقمة الحكومة وربما تسبب في حلها للجنة . ولعله من هنا جاءت لهجة التقارير التي تمتدح الاعتدال الظاهر للمفتي " في الايام الاولى من اعلان الاضراب طلب المفتي عدة مرات حماية البوليس كما انه استعار من سايمز (مدير دائرة التحقيقات الجنائية) معطفا واقيا ضد الرصاص ليقيه من قبضايات الشباب " (٧٨) .

كما أن تقارير أخرى تعكس الدور المعتدل الذي مارسه المفتي في المراحل الاولى للثورة على جهاز واعظي المجلس الاسلامي الاعلى " ... ان الحقيقة التي تسترعي الانتباه ان النداء الديني لم يرفع طيلة الاسابيع الماضية وان صلوات أيام الجمعة وخطبها اقترنت بدرجة كبيرة من الاعتدال تفوق كثيرا ما كنت أتوقعه في وقت بلغت فيه حدة المشاعر عمقا كبيرا والفضل في ذلك يعود الى المفتي " (٧٩)

٢ ـ يظهر أن المفتي لم يكن يعول كثيرا على الاضراب أو على الاقل لم يكن اهتمامه به مثل اهتمام النشاشيبي ، كوسيلة للكفاح ، أو كممارسة سياسية . فالمؤرخ البريطاني ـ الذي أشرنا اليه سابقا ـ شديد الاقتناع بأن الثورة المسلحة في الجبال وليس الاضراب كانت لها الاولوية عند المفتي ، وما كان الاضراب بالنسبة له الا فقط من أجل " أن يخدم كستار واق يمكن تنظيم عصابات الثوار وراءه . فهو يخلق

ظروف الاضطراب والفوضى ، التي يمكن لعصابات الثوار أن تعمل من خلالهـا بصـورة أفضـل " (٨٠) .

ويؤيده في هذا أميل الغوري الذي يقول : " وفضلا عن أن الحاج أمـين بوصفه رئيسا للجنة العربية العليا ، كان زعيم البلاد وقائد حركتها السياسـية والمسؤول عن أعمال اللجنة العربية ، فانه كان يشغل في الوقت ذاته منصب رئيس المجلس الاسلامي الاعلى ، الذي كان أبدا ظهيرا للحركة الوطنية ومصدر قوتها . ولكن الدور الخطير الذي يقوم به المفتي ، على القدر من السرية والكتمان وتجنب الظهور ، هو دور قيادة الثورة ، فهو في الواقع زعيمها وموجهها وعونها " (٨١) .

٣ـ يبدو أن اعتدال المفتي الذي ذكرناه تحول الى التشدد بصورة تدريجية ، ولعل تطور مجريات الاحداث من اضراب الى عصيان مسلح الى ثورة مسلحـة بمعناها الكامل كان له تأثيره على موقف المفتي كما سنوضحه في الصفحات القادمة فموقف المفتي في شهري مايو ويونيه (فترة العصيان المسلح) هو غير موقفه أثناء اشتداد الثورة المسلحة (اغسطس وسبتمبر) .

٢ـ المظاهرات العنيفة والعصيان :

واكب الاضراب الشامل مظاهرات عامة منذ الايام الاولى ، وكان من اهمهـا المظاهرة الكبرى في نابلس في ٢٤ ابريل ١٩٣٦ . وقد برز في هذه المظاهرة دور أحد أقطاب حزب الدفاع سليمان طوقان ، الذي خطب في المظاهرة ، خطابا وصفته جريدة فلسطين بأنه " كان له دوى " (٨٢) وقد رد في هذا الخطاب علـى خطاب للادون ديرنكوف رئيس بلدية تل أبيب حين قال في مأتم يهودي حاشد : " اننا أردنا السلام . ولكن هناك أمة وحشية مجرمة يعتدي أفرادشعبها على الامنين منا ،ولكنهملن يخيفونا " ومما قاله طوقان في رده " .. فليعلم الادون ديرنكوف ، أن الامة التي عرفها العالم بالاباء والكرم ، وحماية الجار واللاجـيء المشهورة بنصرة الضعيف ، والاخذ بيد المظلوم ، هذه الامة التي تمتاز بهذه الخلال ليست وحشية أبدا ، بل لا يجرؤ أحد في العالم أن يصفها بهذا الوصف الا اذا كانت الطباع الوحشية متأصلة فيه " ولعل الاهم في هذا الخطاب هو التعرض للانجليز مباشرة فقد قال طوقان ايضا " اعلم يا ادون ديرنكوف انه لولا الحراب الانكليزية لما تجاسرت ان تقول حرفا واحدا ، ولكان للعرب معك شأن آخر " (٨٣)

وقد اعتبر هذا الخطاب باعتباره صادرا عن ركن من أركان المعارضة ذا أهمية معينة لانه تعرض للانتداب الانجليزى بشكل صريح .

كما أن اللجنة العربية العليا قامت في هذه الاثناء بجولات في مختلف المناطق حيث ، كما يقول دروزة " كانت تستقبل فيها استقبالات رائعة تدل على ما ذكرناه من قوة حماس الشعب واقدامه وتصميمه وما صار للجنة بفضل اندماج الزعماء والرؤساء من قوة وأثر واعتبار " (٨٤) .

كما أنه كان لانصار الحزب العربي دور كبير في التظاهرات العادية والتظاهرات العنيفة ويبدو انها واكبت موقف المفتي الذى أخذ بالتشدد مع تطور أحداث الثورة ، والتي يظهر أن لقواعد الحزب العربي دورا واضحا في تصعيدها ايضا ، وتظهر مساهمة أنصار الحزب العربي على الوجه التالي :-

أ - التنظيم والتخطيط : نذكر الشواهد - خلافا لما قد يتبادر لاذهاننا لاول وهله - ان التظاهرات كان يخطط لها بصورة مسبقة لا سيما وان الانجليز أخذوا يتعرضون للمظاهرات ويطلقون الرصاص على المتظاهرين . جرى ذلك في الناصرة والقدس وعكا وطولكرم حيث اطلق الانجليز النار على المتظاهرين من الطلاب والطالبات والرجال والنساء والعمال ... كما يذكر اكرم زعيتر في يومياته (٨٥) . ويبدو أنه كان هنالك رجال مهمتهم الاساسية أن ينظموا هذه المظاهرات فالشيخ عبد الحميد الساىح قاضي القدس ، واحد المناضلين من المجلسيين ، رجال المفتي - على سبيل المثال - تعتبره التقارير " انسانا متعصبا ومشاغبا قوى الشكيمة وتركز هذه التقارير نفسها على انه "منظم للمظاهرات" Organizer of demonstrations) (٨٦) وعلى هذا فقد كان جزاؤه الاعتقال .

ب - المشاركة الفعلية أو المادية في المظاهرات : قام بهذا الدور مناضلو الحزب الذين يوصفون بالعراقة في التظاهر ، ومن هنا فانهم يطورون التظاهرات السلمية الى انتفاضات عنيفة . وعلى هذا فانهم كانوا يتعرضون لاسلحة السلطة . وكمثال على هذا النمط من مناضلي الحزب هؤلاء ، نجد عادل كنعان - باش كاتب أوقاف القدس - الذى تصفه تقارير البوليس ضمن عدد كبير من مريدى المفتي . بالتالي " سبق الحكم عليه سنة ١٩٣١ لقيادة مظاهرة غير قانونية لم يتم تفريقها الا بعد اطلاق النار على الغوغاء " ويذكر التقرير نفسه عن عادل كنعان ايضا " " وطني عنيف ، ذو ميول حسينية قوية ، مشاغب وخصم للحكومة لا يقبل المهادنة أو المصالحة " (٨٧) .

ولدينا مثال آخر في جمال القاسم أحد اعضاء الحزب العربي النشيطين في نابلس (٨٨) الذي يوصف بأنه " خطر جدا ويجب ابعاده " وبقية التقرير عنه تبرز دوره في المظاهرات التي تصل الى درجة الاحتراف : " محرض على الشغب لا يتورع عن شيء وعلى صلة وطيدة بالمتطرفين المحلسين " (٨٩) .

كما أن هذا النمط من المناضلين يجد شبيها له في الشيخ صبري عابدين ، وهو أحد اتباع المفتي المخلصين ، وصديق شخصي من أصدقائه . ولا تعتبره تقارير الحكومة اقل من " مشاغب ، ومروج للاضطرابات ، عنيف ومتعصب وخطير" (٩٠) .

وكانت مدارس المجلس الاسلامي الاعلى ، أو المدارس المدعومة ماليا من قبله ، معاقل للمظاهرات الوطنية . ويعود دور هذه المدارس في مجال التظاهر السياسي الى العشرينات ولقد كان لمدرسة النجاح بنابلس ومدرسة روضة المعارف بالقدس اللتين كان لاساتذتهما دور كبير في توجيه طلابهما بروح قومية متطرفة ، دور بارز في مجال التظاهر . وقد برز بشكل خاص في هذه الناحية أكرم زعيتر وعزة دروزه والاول ـ على ما يظهر ـ كان له دور كبير في المظاهرات التي تلت اعلان الاضراب وعلى احياء روح الاضراب والانتفاض على الانجليز عامة طوال أيام الثورة لدرجة أن بعض المصادر ـ وكما يظهر أيضا في تضاعيف يومياته ـ تعتبره الروح المحركة للجماهير في نابلس وقراها في الايام الاولى للاضراب (٩١) . ولقد شارك مع هذه المدارس أيضا مدارس أخرى في مناطق متعددة من فلسطين مثل مدرسة دار الايتام في بيت المقدس ، ومدرسة النهضة الاسلامية ومدرسة دار العلوم الاسلامية في يافا (٩٢) . ويذكر أحد التقارير عن مدرسة النهضة الاسلامية ومشاركتها في التظاهر بتحريض من ناظر المدرسة حمدي الدجاني ما يلي : " خلال الاضطرابات ، وفي مناسبات تتعلق بالحالة السياسة يأمر (الناظر) التلاميذ لكي يقوموا باضراب " (٩٣) .

العصيان والتعرض للاعتقال وانماط أخرى من العقوبة والقمع :

تطورت المظاهرات العنيفة تدريجيا الى عصيان مدني ويظهر ان هذا التحول وقع في منتصف شهر مايو ، عندما أعلنت اللجان القومية امتناعها عن دفع الضرائب بعد مؤتمر عام عقد في القدس لهذه الغاية (٩٤) . وهنا قوبلت المظاهرات في مختلف جهات فلسطين بالرصاص (٩٥) . ويصف أكرم زعيتر يوم

العصيان المدني في نابلس بتاريخ ١٩٣٦/٥/١٥ على هذه الصورة " كان اليوم كأنه عيد ـ يهنيء الناس فيه بعضهم بعضا على البدء بالعصيان . وقد حدث في نابلس ان انسحب الجند والبوليس من المدينة انسحابا كليا ، واغلقت دوائر البوليس الموجودة في المدينة . ومنذ أمس ونحن مستقلون في نابلس استقلالا تاما ورفعت الرايات العربية " (٩٦) .

وقد كان لتطور الاضراب الى عصيان أثره في لجوء السلطات الى اعتقال من يمارسون هذه المظاهر غير الشرعية في نظرها . وفي هذا المجال نجد شهادة لمعاصر هو الاستاذ عزة دروزة مبينا تضحيات فئات كثيرة من أبناء الوطن ومن بينهم أفراد حزبنا : " مدنيين وقرويين وزعماء رئيسيين وثانويين وشبانا وأعضاء لجان قومية ومسلمين ومسيحيين ومشايخ وخوارنة ومجلسيين ومعارضة واستقلاليين وغير حزبيين ، فكان المعتقل يمثل مرحلة الكفاح القائمة التي شملت عرب فلسطين على اختلاف ميولهم وطبقاتهم " (٩٧) .

وكان بين الوجبة الاولى للمعتقلين الذين نفوا عن مناطق سكنهم الى عوجا الحفير في سيناء والتي اشتملت على الشباب من المناضلين مثل اكرم زعيتر وسليم عبد الرحمن وفايز حداد ، كان من بينهم فخري النشاشيبي وحسن صدقي الدجاني من حزب الدفاع ، وصبري عابدين من الحزب العربي (٩٨) .

وتميل بعض المصادر الى أن عددا كبيرا من المعتقلين في عوجا الحفير كان من حزب الدفاع وتقدرهم بأنهم كانوا اكثر من ٩٠/٠٠ من مجمل المعتقلين (٩٩) . ولعل هذا عائد بالدرجة الاولى الى دورهم في الاضراب .

وهنا نلاحظ أن أسوار المعتقل لم تحل دون المعتقلين والاحداث السياسية في الخارج ، بل ارتفع صوتهم موحدا قويا فقد شكل المعتقلون في عوجا الحفير لجنة قومية على غرار اللجان القومية خارج المعتقل (١٠٠) . كما أن المعتقلين في صرفند كانوا يصدرون البيانات السياسية باسم " المعتقلين في صرفند " ومنها البيان الذي أصدروه ردا على المندوب السامي الذي دعا الفلاحين فيه الى وقف الاضراب (١٠١) .

كما أن التقارير المكتوبة عن المعتقلين من مناضلي الحزب العربي تبين مبررات أو مسوغات هذا الاعتقال : فعلى سبيل المثال أحد الاعضاء يعتقل لانه يحمل افكارا متطرفة ويدعو الى استعمال القوة ضد الحكومة (١٠٢) كما أن عضوا

آخر بعتقل لانه " القى عدة خطابات سياسية في يافا " (١٠٣) .

كما انه ليس بلا مغزى ان نجد بعضهم كانت تهمته الاولى انتسابه للحزب العربي ومشاركته به كمناضل فكثير من المناضلين يطلب اعتقالهم اما لانهم " ذوو انحياز شديد للحسينيين " او انهم " ساهموا بشكل فعال في نشر ودعم سياسة الحاج امين الحسيني " (١٠٤) .

كما أن آخرين كانوا يلاحقون من قبل السلطات الى الدرجة التي كانوا يضطرون معها الى ترك أعمالهم الحالية والبحث عن غيرها . فمحمد نمر عودة (مجلسي ذو ميول شيوعية) " استقال من وظيفته بمدارس الحكومة الثانوية بعد اطلاق النار على عز الدين القسام ، وقر بعدئذ من يافا حيث تم توظيفه كمدرس " ثم كان عليه بعد ذلك أن يقر للمرة الثانية " حيث لا يعلم شيء عن مكان وجوده " (١٠٥) .

ولم يكن زعيم الحزب العربي ، المفتي ، ليستثنى من طلب الاعتقال وكان الذي طالب باعتقاله هو المندوب السامي (١٠٦) الذي طالما أشاد بصداقة المفتي له . وهذه قصة أخرى سنوضحها فيما سيأتي من فصول .

— ٤ —

الحرب والمقاومة المسلحة

لم يلبث العصيان المدني أن تحول الى مقاومة مسلحة . وكانت بدايات هذا التحول هي المجابهة المباشرة مع السلطة والهجوم على اليهود وحرق محصولاتهم والتعرض لقوافلهم وقطع أسلاك وأعمدة التلفون والقاء المتفجرات التي واجهها الانجليز بأساليب قمع عنيفة واعلنوا قانون طوارئ متشددا غير الذي اعلن في بداية الاضراب (١٠٧) . وقد تصاعدت أساليب المجابهة حتى تطورت الى مجابهة كاملة وحرب عصابات حقيقية شنها العرب على سلطات الحكومة البريطانية .

وقد ارتبط تصعيد المقاومة ، حتى بلغت درجة المجابهة العسكرية ، بموقف السلطات السلبي من المطالب العربية . فالى منتصف شهر مايو ، كان كل ما تمخض عنه الاضراب وما صاحبه من مظاهرات ، هو اعلان مجلس العموم البريطاني انه

سترسل لجنة ملكية الى فلسطين للتحقيق (١٠٨) . ومن هنا فقد تحقق المناضلون العرب انه لا بد من اسلوب آخر اكثر تأثيرا . ولعل في البيان التالي الذي اصدره الحرس الوطني ، الذراع العسكرى ، للجان القومية (١٠٩) ما يدل دلالة واضحة على نفسية المناضل الفلسطيني ، والشعور بالمرارة تجاه الاعمال البريطاني لمطالبه وان الرد على هذا انما هو ليس في اقل من الحرب ، والثورة على اساليب الكفاح السابقة : " ايها الشعب الباســـل : ـ

باسم الحرس الوطني نوجه اليك هذا النداء . فقد رأينا ان نغير اساليب كفاحنا قبل ان نطلب الى الانجليز تغيير سياستهم ووسائلنا معهم كانت احتجاجات وبيانات ، ووسيلتنا الان كفاح عملي شـــريف ...

ايتها الامة سيرى في اضرابك العظيم الى النهاية ، الرجوع قتل لوطنيتنا ، انه انتحار . مضيا الى ان تنال البلاد حقها ، واذا الانجليز استكبروا صمدنا لهم الى النهاية . فاما فلسطين عربية واما كل عربي شـــهيد " (١١٠) .

وسيرا على طريق تصعيد الكفاح الى المقاومة المسلحة عقد الجهاد المقدس اجتماعا في ١ مايو وانتهى باتخاذ القـــرار التالـــي :ـ

" وجوب التمرد والعصيان على الحكم البريطاني والقيام بثورة مسلحة عامة تستمر حتى النصر ، ويفوضون الاخ عبد القادر الحسيني ، ومكتب القيادة العامة للتنظيم في القدس اعلان بدء هذه الثورة في الظرف الى يرونه مناسبا " (١١١) .

كما ان فخرى النشاشيبي ـ ومعه ابراهيم الشنطي ـ خاطب العمال العرب في يافا وحرضهم على التصدى للجيش والبوليس البريطاني ، واخبرهم ان " فـــترة الاضراب قد انتهت وان على اى انسان قادر على حمل اى شيء ان يذهب الـــى ساحـة المعركـــة " (١١٢) .

كما ان جمال الحسيني استدعى عبد الله سمارة عضو الحزب العربي في طولكرم الى القدس ، واخبره ان على العرب ان يظهروا شجاعتهم واضاف الـى ذلك " ينبغي عليك ان تنظم العصابات ... فانه اذا فقدت هذه الفرصة فان العرب سيفقدون اى فرصة لانجـاح قضيتهـــم " (١١٣) .

وفي شهر يونيه أوعز المفتي للشيوخ المسلمين لاثارة مشاعر الجماهير ودعوتهم باسم الاسلام لكي يؤيدوا الثورة وان يلتحقوا بالثوار كما ان جريدة اللواء لسان حاله شجعت الثوار على الاستمرار في النضال " حتى يقضي الله امـرا

كان مفعولا " (١١٤) .

وابتداء عمليات المجابهة العسكرية ساهم كل من الحزبين بدور معين . فابتداء بحزب الدفاع نجد أن مساهمته لم تكن بصفته الحزبية بمقدار ما كانت جهودا فردية قام بها الاعضاء بصفتهم الشخصية ، وعلى مسؤولياتهم الخاصة . ولو أننا على ما يظهر لم نجد معارضة من القيادة ، وربما لقيت تشجيعا كما بدر من موقف فخري النشاشيبي الذي اشرنا اليه أعلاه . وعلى أية حال يظهر أيضا أن راغب النشاشيبي كان يؤيد الاضراب كوسيلة في تحقيق المطالب العربية وليس الثورة المسلحة كما أشرنا أعلاه ايضا الا أن موقفه هذا لم يمنع عناصر الحزب وانصاره ـ الذين لم يستطيعوا ان يعزلوا أنفسهم عن التيار العام للمقاومة العربية ـ ان ينخرطوا في النضال المسلح في مواقع مختلفة .

فعند وقت مبكر من نشوء العصابات المسلحة نجد أن عائلة ارشيد القوية في منطقة جنين ، والتي كانت من العائلات المناصرة لحزب الدفاع تضم جهودها الى عصابة فخري عبد الهادي ، والتي وصل عددها الى ١٠٠ شخص ، وكان مسرح نشاطها سهل جزربل ، والتحق بها عدد من العصابات الصغيرة التابعة لهذه العائلة في قرى عرابه واللجون وفاطمة (قضاء جنين) ودير شرف (قضاء نابلس) وكانت عصابة القرية الاخيرة تعمل أيضا بارشاد وتوجيه عائلة ارشيد (١١٥) .

ويتبنى الفاوقجي في مذكراته على دور هذه العائلة أيضا ويخص بالذكر مصطفى ارشيد ، ويمر بدور خاص لفطنة انسحابه في ١٠ أكتوبر ، حيث كان قد حوصر من قبل القوات البريطانية وأصبح مهددا بتصفية قواته . فقد تعاونت عائلة ارشيد مع أهالي بلدة طوباس المجاورة لمعقل هذه العائلة ، في انقاذ الفاوقجي من هذا المأزق العسكري (١١٦) .

وشبيه بدور آل ارشيد : دور عائلة طوقان في نابلس . فقد دعا سليمان طوقان أعيان نابلس وأثرياءها للتبرع بسخاء للثوار . كما أنه شخصيا زود الثوار بالمال والغذاء (١١٧) . كما أنه لقي عونا كبيرا من السلطات البريطانية بسبب سكونه على نشاط الثوار العسكري في منطقة نابلس ، وبعد اهانة وجهها اليه حاكم نابلس العسكري رد الوسام الرفيع الذي يحمله من الحكومة البريطانية ، للمندوب السامي (١١٨) .

ويمتدح الفاوقجي الجهود الطيبة في مجال الثورة لرجل آخر من آل طوقان

وهو سعدى طوقان " الذى قدم للثورة والثوار أعمالا هامة ومعلومات مفيدة ومعاونات قيمة " (١١٩) .

أما جهود الحزب العربي في المقاومة العسكرية فتظهر في النواحي التالية :

١ ـ الحشد والتجنيد : بالاضافة الى تحريض الناس على الالتحاق بالثورة فان المفتي تمكن من تجنيد المقاتلين من الخارج . ويبدو انه كان هنالك رجال للمفتي مهمتهم تجنيد المتطوعين من خارج البلاد . وقد سافر بعض هؤلاء الى سوريا وطلبوا الى رفاقهم العرب أن يأتوا الى فلسطين ليشتركوا في معارك الثورة . وعندما كانوا يجتازون نهر الاردن كانوا يستجيبون لتعليمات القيادة المحلية ـ قيادة المفتي (١٢٠) .

ويشير تقرير للمندوب السامي انه يرجح انه كان هنالك ضباط سوريون مثل سعيد العاص والشيخ محمد الاشمر ، وقد وصلا خلال أيلول نصيحة لجهود ومساعي المفتي (١٢١) . ولم يقتصر الامر على سوريا من هذه الناحية ، وانما شمل ذلك أيضا العراق وشرق الاردن ولبنان . بل وحدث قطاعات وطنية بحالها ساهمت في العمل الثوري العسكري في فلسطين بذكرهم الفورى على النحو التالي :ـ

" ابطال حي الميدان وحي الشاغور في دمشق ، ونادي المثنى وأفراد من عصبة العمل القومي والحزب القومي السوري في لبنان كانوا في طليعة العاملين لثورة فلسطين والمتطوعين للقتال في سبيل الدفاع عن الاراضي المقدسة " (١٢٢)

وفضلا عن ذلك فقد شكلت في كل من بغداد ودمشق لجنتان للدفاع عن فلسطين ، يبدو انهما لعبتا دورا ممتازا في الحض على التطوع على القتال في فلسطين . وكان للمفتي أصدقاء في اللجنتين . والى جهود لجنة الدفاع في بغداد والتي استجابت لدعوة المفتي يعزى الفضل في قيام حملة الفاوقجي . " وكانت حملة الفاوقجي من الحملات الموفقة التي تمت بمساعي الحاج امين ومعين الماضي وعادل العظمة ومساعده ياسين الهاشمي " (١٢٣) .

٢ ـ التمويل : يتواتر كثير من الادلة على أن المفتي كان القيم الوحيد على أموال اللجنة العربية العليا ، ولجانها الفرعية . كما أن معظم الاموال كانت تذهب للثورة . (التوكيد للمؤلف) . فقد ذكر أحد التقارير السرية لدائرة التحقيقات الجنائية : " ان انفاق الاموال هو في يد المفتي ، الحاج امين الحسيني ، رئيس اللجنة العربية العليا . وان اللجان القومية في مختلف المناطق تعمل تحت اشراف

اللجنة العربية العليا . ولكن كل التبرعات من داخل فلسطين وخارجها هي في يده وليس هنالك شك في أن ما يسمى أموال " الاغاثة والمنكوبين " تستخدم لدعم العمليات المسلحة من كل سبيل " (١٢٤) .

كما أن تقريرا يؤكد على نفس الدور ، ويبرز أهمية الموارد المالية في المحافظة على المقاومة المسلحة وبخاصة من ناحية شراء الاسلحة (١٢٥) .

ويبدو أن المفتي اتكأ أيضا على أموال " صندوق الامة العربية " من أجل المجهود الحربي (١٢٦) .

وتشير بعض التقارير الى دور الكوادر العالية للمجلس الاسلامي الاعلى في جمع الاموال من أجل الثورة فعبد الله سمر من القدس ، يجمع ربع عقارات الاوقاف ومع ذلك يطلب الى عرب القدس أن يمدوا الثورة المسلحة . ونصفه هذه التقارير بأنه " جامع نشيط لاموال تستخدم في أغراض ضد الحكومة " ويقوم بدور مشابه أيضا ظلال عابدين ، وصبري عابدين ، والشيخ صبحي خيزران ، من أقرب المقربين للمفتي (١٢٧) .

٣ ـ تنفيذ العمليات العسكرية : تقاسمت الاعمال العسكرية الثورية فئتان هما :

١ ـ الخلايا السرية للمقاومة في المدن .

٢ ـ العصابات في الجبال .

١ ـ الخلايا السرية للمقاومة في المدن : سبق الاشارة الى أن بعض عناصر اللجان القومية تحولت الى ممارسة دور في المقاومة السرية المسلحة ويبدو أنه كان للحزب العربي ، وبشكل خاص جماعة المفتي دور كبير في النشاط السري لخلايا المقاومة السرية في القدس . ففي تقرير لدائرة التحقيقات الجنائية تنسب اعمالا " ارهابية " لعارف الجاعوني ـ الذي سبق الاشارة لدوره في اعلان الاضراب . ويمضي التقرير " لقد علمت بصورة موثقة أن منظم الارهاب والاغتيالات حول القدس كان عارف الجاعوني . وهنالك كل الاسباب التي تدعو للاعتقاد أن هذا الانسان لم يكن يعمل أي شيء بدون غض نظر من المفتي . بل انه في حقيقة الامر اتخذ لنفسه ومعه عدد من الاخرين غير المرغوب فيهم مكانا في الحرم الشريف خلال الاضطرابات " (١٢٨) .

ولقد مارس افراد هذه الخلايا السرية نشاطهم في دائرة أحاطت بالحرم الشريف مستفيدين من الابنية القديمة لمساجد القدس وكنائسها وابنيتها عموما مع

أزقتها المعتمة . ففي مسافة تمتد من حائط المبكى الى باب الاسباط في الشمال الشرقي من الحرم ، وهي لا تزيد عن ثلاثة أرباع الكيلومتر طولا ، ومكتظة بالسكان كانت تجرى عمليات هذه الخلايا (١٢٩) حيث كان من يقومون بها يختفون بعدها بسهولة . كما يظهر أنها شملت مناطق أخرى في القدس وحولها . ففي أحد التقارير ـ والذي مثله مثل أي تقرير آخر لا يخلو من لهجة التحامل ـ اشارة الى دور هذه الخلايا على هذا الوجه : " لقد نلا الارهاب ثوب الثورة عام ١٩٣٦ ، بسرعة ، وقد أخذ شكل قتل اليهود ، وتدمير النار على المستوطنات اليهودية ، مما أصبح ملمحا من ملامح الحالة في مقاطعة القدس " (١٣٠) ويقول الغوري أيضا : " أما في داخل القدس فقط انطلقت فصائل المجاهدين وخلاياهم المخصصة للعمل داخل مدينة القدس تهاجم مراكز الشرطة والجيش وتشعل النار في دوائر الحكومة وتزرع الالغام في المناطق المحيطة وفي الاحياء اليهودية " (١٣١) .

وتصف تقارير نيجارت عن نشاطات هذه الخلايا الاشخاص الذين كانوا مستهدفين للتصفية الجسدية من قبلها ، والتي بلغ نشاطها ضدهم أقصاه في المرحلة الثانية من الثورة (١٩٣٧ ـ ١٩٣٨) ، بأنهم كانوا : رجال دائرة التحقيقات الجنائية من الانجليز والضباط العرب المتهمين بتعذيب السجناء السياسيين ، والعملاء العرب المتعاونين مع بريطانيا والمتعاطفين معها (١٣٢) .

٢ ـ العصابات في الجبال : يذهب الغوري ويوافقه على وجه الاجمال السفري العصابات ، أن التي قامت بالجزء الاكبر من حرب المواجهة أو المقاومة المسلحة مع القوات البريطانية ، كانت تحت القيادة العامة لعبد القادر الحسيني (١٣٣) ويورد الغوري بعض التفاصيل التي تؤيد وجهة نظره فهو يعتبر القادة عبد الرحيم الحاج محمد وحسن سلامة ، وبعض القساميين من ضمن تنظيم الجهاد المقدس (١٣٤) . ويقول أيضا انهم كانوا يحضرون الاجتماعات السرية التي سبقت تفجير الثورة . وتؤيد رواية الغوري على ذلك بأن زمام المبادرة في القتال على مستوى فلسطين جميعها ، كان بيد عبد القادر الحسيني ، وانه هو الذي حدد ساعة الصفر للثورة في ١٧ مايو وأطلق أول رصاصة للثورة في بيت سوريك من أعمال القدس (١٣٥) .

وتتفق مع رواية الغوري هذه روايات أخرى تنسب للمفتي والحسينيين عموما السيطرة على العصابات . فمالرو الذي أشرنا في السابق الى رأيه ، في أن المفتي كان يراهن على الثورة المسلحة ، وليس على الاضراب كوسيلة للمقاومة وتحقيق

المطالب العربية (بعكس موقف النشاشيبيين المعتدل والذى راهن على الاضراب) يقول : " ان الثورة المسلحة في الجبال كانت الاهتمام الرئيسي للحاج أمين " ويضيف مالرو الى ذلك رايه في أن اللجنة العربية العليا كانت تشرف على حملة العصيان المدني بينما من الناحية الاخرى " كانت الثورة توجه من قبل المفتي وأتباعه . بل ان السيطرة على الثورة قد انتقلت كليا الى أيدى المفتي ، ورجاله الذين كانوا يعملون مستقلين عن اللجنة العربية العليا " (١٣٦) .

وتتشابه رواية سايكس مع رواية مالرو في سيطرة المفتي على المقاومة المسلحة فهو يقول " ان اللجنة العليا فقدت السيطرة منذ وقت مبكر ، ولكن كل الشواهد تشير الى انه كان هناك تفاهم سرى وثيق بين القاوقجي والمفتي ، ولقد ظهر أن هذا موجود في سياسة الثورة " (١٣٧) .

ويظهر أن تنظيم الجهاد المقدس لم يقتصر فقط على أنصار الحسينيين ـ اثناء الثورة ـ فلاكور يذكر أن الشيوعيين ضموا جهودهم لهذا التنظيم وعمل اثنان من الشيوعيين في منصبين حساسين من مناصب القيادة . فقد شغل محمد نمر عودة دورا كبيرا في مخابرات التنظيم . كما أن فؤاد نصار شغل نائب القائد العام (١٣٨) .

ويمكن أن نضيف الى هذه الروايات أو الشواهد التقارير التي أوردنا أمثلة عنها في السابق للتدليل على دور المفتي والحزب العربي في تدعيم الثورة بالجند (المتطوعة) ، والمال ، ولا تقصر هذا التدعيم على فئة من العصابات دون أخرى .

ومن الناحية الاخرى ، هنالك بعض المراجع العربية والصهيونية التي تؤيد ان العصابات نبعت محليا ، واتخذ نشاطها شكلا محليا أيضا ، وان نشاطها هذا كان بمبادرة ذاتية من قادة العصابات ، وانهم اعتمدوا على الموارد المحلية في تغذية وتسليح وتمويل عصاباتهم . ونحن نجد أنه بينما يعزز صبحي ياسين راى الغورى في اعلان الثورة في ١٦ مايو ١٩٣٦ ، الا أنه لا يشير الى دور رئيسي للحسينيين ولكنه يركز على القساميين بصورة خاصة والشعب العربي في فلسطين وخارجها بصورة عامة (١٣٩) ويبين الكيالي أن الصدام المسلح بدأ في الاسبوع الاخير من ايار ، عندما اصطدم البوليس بالمتظاهرين في نابلس فقتل أربعة أشخاص وجرح سبعة . وعلى الاثر " توجه عدد من القرويين المسلحين الى طولكرم فاصطدموا بالبوليس

بالقرب من بلعه ، حيث جرح أربعة اشخاص بينهم امرأة كانت تحمل الماء للمقاتلين . وعند هذا الحد تحول الاضراب السلمي في لواء نابلس الى ثورة كاملة سافرة " (١٤٠) (التوكيد من قبل المؤلـــف) .

ويذهب بورات الى أن العصابات نبعت محليا واخذت طابعا مستقلا . ولا يوافق بورات الغوري والسفري في أن القيادة العامة كانت لعبد القادر الحسيني . ويرد على ذلك بقوله انه حتى عندما فكر قادة العصابات في الشمال بتكوين قيادة موحدة لهم لم يكن أحد من الجنوب من المشتركين فيها ، ويضيف الى ذلك قوله في صيف ١٩٣٦ كان فخري عبد الهادي هو الشخصية الرئيســـية في الثورة وليس عبد القـادر الحسيني (١٤١) .

ولعل هذا التعارض في الروايات والشواهد بين الفئتين اللتين ذكرناهما ، يعود الى أن موقف المفتي من الثورة المسلحة اتسم بالفردية كما اتسم بالغموض المتعمـــد .

فالمفتي الذي اتسمت تصرفاته دائما بالفردية كما سبق لنا القـــــول لـــــم يـــــرد أن يشرك معه أعضاء اللجنة العربية العليا ، في الاشراف على هذه الثورة المسلحة . ولعل هذا ما زاد في غموض دوره الذي ارتبط به هو شخصيا . كما يظهر أيضا أن المفتي كان يتعمد اغراقه في السرية لعاملين أساسيين . العامل الاول : ظل المفتي حريصا على أن يلعب دورا مزدوجا ظاهره الاعتدال وباطنه التشدد وذلك بالنظر لمنصبه .

والعامل الثاني : هو تجنيب الثورة ضربات الحكومة حتى تنمو وتقف على قدميها . ويرى مالرو أن المفتي تمكن من أن يقنع الحكومة " بأن تعتنق الفكرة القائلة ان الثورة في الجبال كانت ثانوية ، وانها مجرد نتيجة للاضراب (ومن هنا فان الحكومة) لم يظهر عليها أنها علمت يقينا أن الاضراب لم يكن اكثر من انعطاف في طريق الثورة قام بتمثيله المفتي ، من أجل أن يغطي تكوين جيش ناشر وان يخلق ظروفا ملائمـة لتطويـــره " (١٤٢) .

ولعل مما زاد من هذا الغموض أن مشاركة المفتي لم يكن بنفس الاندفاع طوال الوقت بل أنها اشتدت في اغسطس اكثر من أي وقت مضى كما سيأتي معنا .

ومهما يكن من أمر فان كلا الموقفين السابقين اللذين تدور حولهما الروايات السابقة ليس صحيحا تماما . ومن دراسة هذه الروايات ومقابلتها بالوقائع الحقيقيـة

لمجريات الثورة ترجح النواحي التالية بالنسبة لعلاقة العصابات والثورة المسلحة عامة بالمفتي :

١ ـ ان المفتي كان له اشراف ودعم عامان أو ما يمكن أن نطلق عليه استراتيجية عامة في تبني الثورة المسلحة ، وذلك من مواقع متعددة : بصفته زعيما وطنيا ، من ناحية ، سبق له أن قام بتكوين التنظيمات العسكرية الطابع ـ جيش الجهاد المقدس والفتوة ـ ودعم بطريقة أو بأخرى تنظيم القسام ، كما انه يعتبر الحل العسكري أنجح الحلول بالنسبة للقضية الفلسطينية ، وانه لا بد أن يصل بالثورة الى جميع أبعادها وأوسعها وهي الثورة المسلحة الكاملة ، وبصفته أيضا رئيسا للجنة العربية العليا التي كانت تقف على قاعدة متطرفة هي اللجان القومية وبسارها المتشدد وهم الشباب ، وبصفته كذلك رئيسا للحزب العربي ذي القاعدة الجماهيرية بين الاحزاب ، والذي لم يكن تأثيره متوقفا على منطقة بعينها ، بل كان في كوادر جيش الجهاد المقدس الشعبية وخلاياه العسكرية وقياداته كما ذكرنا عناصر من جهات مختلفة من فلسطين ، ومع أن المفتي أحاط دوره هذا بشيء كثير من السرية والتكتم ، وهما صفتان كانتا جزءا من طبيعته ومحكوما أيضا بصفته الرسمية ، فان الكثير من المصادر الحكومية والحسينية والمستقلة ، تؤيد مساهمة المفتي مساهمة كبيرة في الثورة تحريضا وتجنيدا وتمويلا كما بينا ، ولعل هذا ما جعل المصادر البريطانية تطلق عليه ـ ربما بعد أن تشكفت لها مساهمته بوضوح في آخر ايام الثورة ـ " العبقرية الشريرة للثورة " (١٤٣) . وليس بمستبعد على هذه الاسس التي ذكرنا من مساهمته أن يكون له نوع من الاشراف الفعلي أو الحقيقي على هذه العصابات .

٢ ـ ان طبيعة حرب العصابات وتكوينها تترك مجالا ليس قليلا للمبادرة الفردية وبروز القيادات المحلية وانبثاقها بصورة عفوية من مناطق مختلفة . فالتقارير البريطانية تفيد أن القادة الرئيسيين لعصابات الثورة مثل : فخري عبد الهادي وعارف عبد الرزاق ، وفرحان السعدي ، وعارف الجاعوني ، ومنير الريس ، وعبد الله الاصبح ، وعبد الرحيم الحاج محمد انما كانوا يؤلفون افراد عصاباتهم من قراهم أو القرى المجاورة لهم (١٤٤) . ولعله من هنا جاءت الآراء التي تتبنى أن العصابات انبثقت بصورة عفوية مثل مذهب بورات والكيالي كما أشرنا أعلاه . ومن هنا على ما يظهر اختلفت صلة المفتي بهذه العصابات بحسب ظروف وخلفيات نشوء

كل منها . فبينما يبدو أن عصابة فخري عبد الهادي انكبّت في بعض من فتائها على الدفاعيين وانصارهم من آل ارشيد كما ذكرنا ، نجد أن عصابات أخـــرى تنسبها ، أو تنسب قيادتها ، بعض المصادر الى المفتي مثل عبد الرحيم الحاج محمد وحسن سلامة وعارف الجاعوني . كما أن بعض التقارير السرية الانجليزيـــة وتتفق معها بعض المصادر العربية تفيد بأن صلة المفتي لم تكن مبتورة بالقساميين الذين يركز على دورهم العظيم وعلىاستقلالهم ضحى باســـين (١٤٥) .

٣ــ لا نستطيع أن نحكم على علاقة المفتي بهذه العصابات في وضع واحد ، أو وضع معين ثابت ، وانما ينبغي ان نأخذ بعين الاعتبار أن علاقة المفتي بالعصابات كانت علاقة ديناميكية تطورت مع تطور هذه العصابات واتساع نشاطها ، وحاجـــة المفتي للاستفادة من نشاطها من أجل تحقيق الاهداف السياسية للثورة الفلسطينية عامة ، وقد بدا أن عناية المفتي بحرب العصابات بلغت اشدها ، عندما أراد احباط وساطة الامير عبد الله ، الذي عمل على انهاء الثورة ووقف الاضراب . كما انه ليس بلا معنى أيضا أن المفتي صعد من حرب العصابات من أجل الحصول على القرار السياسي المناسب ، اثناء وساطة نوري السعيد ، وما تلاها ، مما سنذكره بالتفصيل عن الحديث عن الوساطـة العربيـــة .

وعلى أية حال فان العصابات لم تتطور لتصبح كما يصفها ــ هيروويتز ــ ذراع الحسينيين العسكري الا في الفترة الثانية من الثورة (١٩٣٧ ــ ١٩٣٩) (١٤٦) .

وخلاصة هذه الامور جميعا ان التزام المفتي بالثورة المسلحة كان التزاما كاملا ، ولو تعددت صور اشرافه من الناحية التنظيمية ، ومن حيث عمليات هـذه العصابات ــ التي هي من صميم اختصاصها كعصابات ــ باختلاف الظروف والاحـوال والتطـور الزمني للثورة بابعادها السياسية والعسكرية بصورة عامـــة .

دور الحزبين في الحلبة العربية والدولية

كان من الطبيعي من أجل تحقيق الاهداف الاستراتيجية للثورة الفلسطينية أن يمد الفلسطينيون أيديهم الى اشقائهم العرب في البلاد العربية المجاورة . ولقد برز أثر هذا بما استطاع الفلسطينيون أن يحققوه من دعم عربي لثورتهم تنامى وتصاعد مع تصاعد الثورة واشتداد عودها . يقول سايكس : " ان أعظم المظاهر جدية لهذه الانتفاضة (وهي الاعظم الان بين ما شوهد من الانتفاضات في القرن العشرين) هو أنها استمدت قوتها من الخارج ، وبدأت في اظهار علامات على انها ستصبح ثورة عامة عبر العالم الناطق بالعربية ، ضد الانتداب البريطاني (١٤٧) .

ويقول صبحي ياسين الذى يعزو نجاح اضراب فلسطين الى الاضطرابات التي وقعت في مصر لطرد الانجليز من وادى النيل والاضرابات المشابهة في سوريا (١٤٨) : "وكما تجاوب الشعب العربي في فلسطين فيما سبق مع الثورات العربية والتحررية في الاقطار المجاورة ، تجاوب الشعب العربي في هذه الاقطار والى اقصى الحدود مع الشعب العربي في فلسطين " (١٤٩) .

ويضرب أمثلة على هذا التجاوب بتظاهرات عمان في ٢٣ ابريل ١٩٣٦ ، كذلك اضراب المدن في سوريا ، واصدار الكتلة الوطنية بيانا تدعو فيه لجمع التبرعات لضحايا فلسطين . ومثلهما اضراب مدينة طرابلس الشام ، " الباسلة " واحتجاجها على سياسة الانجليز الهوجاء ، وصيدا ومعظم المدن العربية : دمشق وحلب وحمص وحماه وسائر مدن الاردن . كما أضربت بغداد والموصل عدة مرات . وقام الطلاب في مصر بتظاهرات صاخبة عديدة (١٥٠) .

ولقد سبق لنا الاشارة الى انه تكون في العواصم العربية مثل بغداد ودمشق وعمان وبيروت لجان محلية كان يطلق عليها لجان الدفاع ترجمت تعاونها مع الثورة الفلسطينية بمدها بالمتطوعين والاموال .

ويهمنا هنا أن نستقصي دور كل من حزبينا في تغذية البعد العربي من أجل أن يتضامن العرب مع الثورة الفلسطينية . وهنا نلمس أن دور الحزبين برز ظاهرا

من خلال اللجنة العربية وذراعها اللجان القومية ، وقد استمر هذا الدور من خلال هذا المنطلق الذى كان مندوبو الحزب العربي ـ وبخاصة المفتي ـ والدفـاع ـ وبخاصة راغب النشاشيبي ـ من أهم الشخصيات المؤثرة في تسيير شؤونها . الا أنه مع هذا يبرز للمفتي وأنصاره أو المقربين منه (من الحزب العربي) دور أكبر من أى دور آخر . ولقد شكل الانفتاح على العالمين العربي والاسلامي ما يشبه العقيدة لدى المفتي ، وذلك من أجل معادلة الخطرين الصهيوني والبريطاني ، يقول أحد التقارير الانجليزية المطولة عن المفتي والذى يحاول أن يستقصي ابعاد شخصية المفتي وسياسته على جميع الاصعدة ما نصه : " لقد كان الفضل لجهود المفتي في حمل البلاد العربية والاسلامية على الاهتمام بفلسطين ، وذلك لانه قد أدرك ادراكا تاما أن الفلسطينيين بدون دعم ابناء دينهم ، لن يكون باستطاعتهم ان يصمدوا للتآمر الصهيوني . فان نداءه الى البلاد الاسلامية والعربية للتبرع بالاموال لاصلاح مسجد عمر ، أتاح له الفرصة لتأسيس علاقات مع هذه البلاد . وسرعان ما أصبح الحاج أمين شخصية سياسية (ذات وزن) في البلاد العربية والاسلامية واعتبر بصورة عامة زعيم الفلسطينيين العرب " (١٥١) .

وشبيه بهذا التقرير ، تقرير وصل الى وزارة الخارجية من سفير بريطانيا في العراق ، يعالج موضوع الدعم الذى لم يكن يتوقعه ذلك السفير للثورة الفلسطينية ويعزو ذلك الى سياسة المفتي . بل الى أنه ليس بلا معنى أن نجد أن السفير البريطاني يعود بداية الانفتاح العراقي على القضية الفلسطينية بصورة جدية الى انعقاد المؤتمر الاسلامي في القدس عام ١٩٣١ ذلك المؤتمر الذى كان الفضل في انعقاده للمفتي بالدرجة الاولى قال السفير : " ففي خريف المؤتمر الاسلامي (المنعقد) في القدس ، والذى لم يكن مرتبطا ارتباطا مباشرا بالمسألة الصهيونية ، بدأت (عملية) احياء الاهتمام بوضع العرب في فلسطين . ولقد شارك في حضور هذا المؤتمر ثمانية من المندوبين العراقيين غير الرسميين ، والذين لقي عملهم دعاية واسعة في الصحافة العراقية . ولما لم توافق وقائع المؤتمر حوادث ظاهرة فانه لم تستتبع ذلك اضطرابات وشغب في العراق " (١٥٢) .

وفضلا عن ذلك فان العلاقات الطيبة للمفتي بالزعامات والقيادات العربية وبوجه خاص منهم ـ من بينهم ـ زعماء الاحزاب والوطنيون البارزون ومحركو

الاعصاب الحساسة ، ومفاتيح الكتل الشعبية ، هذه العلاقات التي كانت احدى نقاط القوة في شخصية المفتي ، وظفت من أجل القضية الفلسطينية .

وواقع الامر ، ان المفتي بفضل ميوله الاصيلة نحو القومية العربية ، والتي بدت واضحة في نشاطه منذ وقت مبكر في مصيره السياسي ، ورغبة منه أيضا في دور أكثر فاعلية ، تستثمر فيه الطاقات العربية ، كان شديد الحرص على تنمية صداقات سياسية تقوم على التعاون المشترك ، وتدعيم روح المناضلة والرفقة مع كثير من العرب النافذين ، في كل قطاع من قطاعات الحياة : السياسية ، المال الصحافة ، الجهد الشعبي الخ . ويظهر أن المفتي بما طبع عليه من حب السرية والكتمان كان يحرص أحيانا كثيرة على احاطة هذه العلاقات بالسرية والغموض ولعل ذلك من أجل دور يتميز بانه أكثر تأثيرا وفاعلية .

ولقد اتيح لكاتب هذه السطور أن يستوضح هذا البعد في شخصية المفتي من احد شخصيات الحزب العربي وعضو مكتبه السياسي الاستاذ كامل الدجاني والذي عايش المفتي فترة كافية عن كثب . فاجاب بأن المفتي كان حريصا على هذه الناحية ، وضرب مثلا على ذلك بالعلاقة بين المفتي والمجاهد السوري عادل العظمة ، فان العلاقة النضالية بينه والمفتي لم تشهر من قبل الدعاية ، كما انه نجم عن التعاون والتفاهم العميق بين الطرفين خير كثير للقضية الفلسطينية والعربية عامة . وقد كانت هذه العلاقة تقوم على ايمان عميق بالقومية العربية التي تشكل القضية الفلسطينية رأس الحربة فيها " (١٥٣) .

كما استطاع كاتب هذه السطور أن يتتبع هذه الظاهرة حتى الكويت ، ذلك القطر العربي النائي ، والذي كان الاتصال به وهو الخاضع للحماية البريطانية ، يشكل صعوبة كبرى ، وهناك تمكن المفتي من أن يوجد عددا من المتعاطفين معه من أجل القضية الفلسطينية ، ومن بين هؤلاء يوسف النصف ويوسف العانم وآخرون (١٥٤)

وقياسا على هذا فان الاستاذ أحمد السقاف وهو مثقف كويتي يعمل حاليا موظفا كبيرا في وزارة الخارجية ، اطلع المؤلف على رسائل تلقاها من المفتي يدعوه فيها للكتابة عن القضية الفلسطينية ، بما تستحقه ، في عام ١٩٤٨ (١٥٥) .

وخلاصة القول أن المفتي كان له مراكز ثقله ، في العالمين العربي والاسلامي التي كان يحركها في الوقت المناسب من أجل القضية الفلسطينية . ولقد بدا هذا واضحا خلال الثورة . فلقد أرسل المفتي برسله ورسائله الى كل مكان في العالم

العربي والاسلامي . نضرب أمثلة عليها بما يأتـــي :-

فقد أرسل المفتي برسائله الى محرري الصحافة المصرية واصفا لهم " الارهاب اليهودي " و " اللؤم الانجليزي " وطلب اليهم دعم " الابطـــال القوميين " الذين يتصورون جوعا . كما أنه أرسل رسلا خاصين لمخاطبة الرأي العام المصري من أجل دعم القضية الفلسطينية (١٥٦) .

ولقد لعب أمين الغوري السكرتير العام للحزب العربي أثناء الثورة دورا بارزا في هذا الشأن يتحدث عنه في مذكراته فيقول " اجتمعت خلال اقامتي فـــي القاهرة بالعديدين من العلماء ورجال الدين وأعضاء مجلس الشيوخ والنواب ، والصحفيين ورجال الحكم وغيرهم ، وباحثتهم بشأن قضية فلسطين وأهميتهـــا بالنسبة للعرب والمسلمين ... وقد لقيت منهم تجاوبا صحيحا وتشجيعا أكيـــدا ، لا سيما من العلماء ورجال الازهر الشريف والمعنيين بالشؤون الاسلامية " (١٥٧) . ويوضح الغوري دور كل من الاحزاب والهيئات السياسية في مصر : " ان رجال حزب الوفد المصري (أكبر الاحزاب السياسية في مصر) كانوا أقل اهتماما بقضيـــة فلسطين وعطفا على أهلها من رجال حزب الاحرار الدستوريين ، في حين كـــان حزب مصر الفتاة وجماعة الاخوان المسلمين (وكانت في بدء نشأتها) وجمعيـــات الشبان المسلمين ، أشد المصريين تحمسا بقضية فلسطين وتفهما لها " (١٥٨) . ومع ذلك فانه يذكر أن هنالك عددا وافرا من زعماء الاحزاب المصرية ورجالاتهـــا كانوا على خلاف مع أحزابهم كمجموعة ، وكانوا حريصين على تأييد قضية فلسطين .

ولعل تعليل موقف حزب الوفد المصري الفاتر في هذه الفترة من القضيـــة الفلسطينية عائد الى أنه كان يفاوض بريطانيا من أجل عقد معاهدة ١٩٣٦ (معاهدة النحاس ـ لامبسون) ومهما يكن من أمر ، فان الغوري يشيد بدور الصحافة المصرية من القضية الفلسطينية ، وبصورة خاصة كوكب الشرق ، والبلاغ ومصر الفتاة والمقطـــم (١٥٩) .

الا أنه ـ على ما يظهر ـ كانت أكثر الصحف تعاطفا وحماسا مع القضيـــة الفلسطينية هي الصحف ذات الاتجاه العربي والتي كان أصحابها يعودون في أصلهم الى بلاد الشام . مثل أسعد داغر " وهو من أصدق رجال الحركة العربية" وخير الدين الزركلي وحبيب جاماتي وموريس أرقش وعبد العزيز الحلبي وصبحـي الشوربجي ويعقوب خوري وغيرهـــم (١٦٠) .

وتحدثنا التقارير السرية المرسلة من بغداد الى لندن أثناء الثورة أن المفتي والحزب العربي كان لهم دور في بغداد ، مشابه لذلك الذي كان في مصر ، أو لعل المردود السياسي كان هنا أفضل . ويتحدث تقرير للمندوب السامي البريطاني في العراق عن دور كبير لاميل الغوري نفسه الذي يصفه بأنه " رجل الدعاية العربي " . وقد تمثل هذا الدور بأن الغوري " زار بغداد حيث أقام صلات وطيدة مع الدوائر السياسية " (١٦١) وعلى اثر هذه الزيارة زار فلسطين جماعات من الاعيان العراقيين والسياسيين والطلبة ، وفي الحفلات التي اقيمت على شرفهم تكررت المناسبات التي ابدوا فيها تعهد رجالات بلادهم للعرب في فلسطين للمؤازرة في نضالهم (١٦٢) . ولم يمض كبير وقت حتى عقد اجتماع عام في " الجمعية القومية الرئيسية " نادي المفتي حيث تقرر السماح لعرب فلسطين بالانتساب اليه . كما بحثت خطط من أجل مقاطعة البضائع اليهودية ، واضراب يوم واحد تعاطفا مع الفلسطينيين (١٦٣) .

وقد استجابت الصحافة العراقية بحماس كبير أيضا . واصدرت صحف " الاستقلال " و " البلاد " و " صوت الشعب " اعدادا في يوم ٢٢ مايو ١٩٣٦ ، يوم الاضراب من أجل فلسطين ، مجللة بالسواد واحتوت على مقالات افتتاحية واعمدة مختلفة عن الحالة في فلسطين " واعتبر يوم الاضراب أيضا يوم حداد على شهداء فلسطين (١٦٤) .

ويظهر أن جهود المفتي لم تقتصر على ابعاد الغوري فقط الى بغداد بل لقد أرسلت اللجنة العربية العليا أيضا بعض الشخصيات الفلسطينية الاخرى مثل معين الماضي وسليم عبد الرحمن ، الى بغداد ،واللذين لعبا دورا جيدا في تكتيل الناس حول القضية الفلسطينية ، ونجحا في عقد عدد من الاجتماعات العامة ، والتحريض على المظاهرات ، وطبع المنشورات والقيام بجمع التبرعات . كما كان لوجودهما في بغداد اثر كبير في تأسيس لجنة الدفاع عن فلسطين في العراق والتي تحدثنا عن اثرها في قيام حملة الفاوقجي بالتعاون مع المفتي ومعين الماضي وغيرهما (١٦٥) .

ويبدو أن الاثر الفلسطيني في العراق بلغ حدا ، جعل ياسين الهاشمي يقول للسفير البريطاني ، ان العلاقات الحسنة بين العراق وبريطانيا ، ستتأثر اذا سمح للاوضاع الحالية في فلسطين أن تستمر على ما هي عليه (١٦٦) .

كان ذلك على الصعيد العربي والاسلامي . أما على الصعيد الاوروبي وبالذات البريطاني ، فنجد أن اللجنة العربية العليا قد انتدبت رسلها للعمل السياسي والدعائي هناك ، مفيدة مما ولدته الثورة على أرض فلسطين من تحول نسبي في الرأى العام البريطاني . وبتحدث الغورى ـ الذى يبدو أنه كان له دور نشيط في هذا المجال ـ عن الروح التي استقبل بها في بريطانيا ـ مقارنا اياها بما كان قبل الثورة ـ كما يروى أن عددا كبيرا من كبار الشخصيات الانجليزية من اللوردات ورجال مجلس العموم والصحفيين أبدوا تعاطفا واضحا مع القضية العربية في فلسطين (١٦٧) .. ولعل أهم ما يقوله الغورى انه هو شخصيا كان يترجم عن الثورة الفلسطينية ، ويتحدث باسمها ، وانه كان مرتبطا ارتباطا عضويا بقيادة الثورة السياسية والعسكرية ، ويحاول أن يستثمر أحداث الثورة من أجل كسب الرأى العام لها : " وكنت على اتصال مستمر بالزعامة الفلسطينية ، أتلقى منها الانباء والتعليقات والبيانات ... وكنت على صلة وثيقة بقيادة الجهاد المقدس ، وبصورة خاصة بعبد القادر الحسيني ، الذى كان يوافيني باستمرار ، رغم انشغاله ، بقيادة الكفاح ، بكل أنباء الثورة ، وبأمور وحقائق كان يرى ضرورة اطلاعي عليها " (١٦٨) .

ولم يلبث أن لحق بالغورى وفد آخر مكون من جمال الحسيني وسلمي الحمل وعزت طنوس ، الذين أجروا اتصالات رسمية مع الحكومة البريطانية ، بقصد الحصول على مقابل سياسي لكفاح الفلسطينيين على أرض الوطن ، وكان هذا أول وفد عربي يصل الى بريطانيا ، للقيام بمهمة سياسية ، بعد الغاء فكرة ارسال الوفد الاول ، بسبب اندلاع الثورة .

عقد الاجتماع الاول بين الوفد ـ وقد انضم اليه الغورى ـ ووزير المستعمرات البريطاني في ٩ يوليه ١٩٣٦ . وقد رفض جمال الحسيني في هذا الاجتماع اصرار الحكومة البريطانية على ارسال لجنة ملكية للتحقيق من أجل معالجة الطلامات العربية . وقد بنى رفضه على " ان لجانا حكومية كثيرة اعترفت بضرورة تأمين أو ضمان القضية العربية ، ولكن لم يتم شيء من الناحية الفعلية " (١٦٩) ، واقترح كبديل لذلك ، ومن أجل اجراء جدى للقضاء على المخاوف العربية ، ليس القوة ، ولكن مبادرة حسن نية " (١٧٠) وكانت المبادرة الحسنة من وجهة نظر جمال الحسيني وقف الهجرة . كما فعل سابقا كل من هربرت

صموئيل والسيد تشانسلور لا سيما وقد اشيعت البلاد " وحتى على أساس اقتصادى فان هنالك سببا وجيها لايقاف الهجـــرة " (١٧١) .

وقد ردّ وزير المستعمرات على ذلك بأن علق وقف الهجرة على اخـــلاد العرب للهدوء والسكينة ومع ذلك فلم يجزم بأن الهجرة ستتوقف حتما : " الى أن يستعاد النظام فان الهجرة الحكومية من الممكن ومن غير الممكن أن تلغى خـــلال تحريات اللجنة الملكيـــة " (١٧٢) .

وهكذا فان الوفد فشل في تحقيق أي هدف سياسي ، بل جوبه تساهلـــه المسبق ـ بالقبول بوقف الهجرة فقط ـ بالتشدد البريطاني ، كما قوبل من قبـــل مطلب ماثل على أرض الوطن ، وكان سببا في تصعيد الثورة . ويستوقفنا هنا : أن هذا الوفد كان آخر وفد مكون من الفلسطينيين فقط يذهب الى بريطانيا للتفاوض عن عرب فلسطين ..ومن الان فصاعدا سيدخل العرب أو الحكام العرب طرفا في القضية الفلسطينية ، ولعل البريطانيين آثروا التعامل مع هؤلاء الحكام ، على أن يتعاملوا مع الفلسطينيين مباشرة ، الامر الذى لم يفد منه لا بريطانيا ولا الحكـام العرب ، كما لم يفد منه الفلسطينيون بطبيعة الحال . تقول البرابيت موبرو معقبة على هذا الموقف البريطاني ، وبكثير من المرارة : " لقد بدأت الثورة العربية في عام ١٩٣٦ باضراب . وأرهب هذا النمط من المقاومة الدول العربية المجاورة ، فأسرع ملوكهم بالتدخل ... ولقى هذا التصرف الذى يطلبه النظام ، ترحيبا من بريطانيا كمظهر من مظاهر الوحدة الانجلو عربية ، وهو انطباع بدا أنه ليس مخطئا تماما في بداية الامر ، ولكن هذا الانطباع أصبح بعيدا جدا عن الصحه ، عندما طعن الملـوك والباشوات المخلصون لبريطانيا بعد سنوات طويلة متأخرة " (١٧٣)

الحرسان والوساطة العربية

بدأت جهود الوساطة العربية بين عرب فلسطين وبريطانيا منذ وقت مبكر في تاريخ الثورة . وقد أخذت هذه الوساطة في مراحلها الاولى شكل التعاطف والاستجابة للنداء الفلسطيني الذي أصدرته اللجنة العربية ، بعد تكوينها مباشرة ودعت فيه ملوك وامراء العرب وزعماء المسلمين والهيئات في جميع الاقطار للمؤازرة (١٧٤) . كما أن الحاج امين ارسل برقيات استغاثة الى جميع ملوك وأمراء العالم الاسلامي (١٧٥) .

وكان اول الملبين او المستجيبين من الحكام العرب هو ابن سعود الذي ارسل بمستشاره الشيخ يوسف ياسين الى السفير البريطاني في جدة يطلب اليه بأخذ موضوع الفلسطينيين بعين الاعتبار الا ان هذه الجهود لم تنجح ونصحت السعودية بعدم التدخل (١٧٦) .

وكانت الاستجابة الثانية من قبل الامير عبد الله ، الذي لم يكن نداء اللجنة العربية هو السبب الوحيد وراء استجابته فالامير عبد الله الذي كان دائما وراء مشروع سوريا الكبرى من اجل توسيع سلطانه (١٧٧) وجد في الدعوة الفلسطينية فرصة ذهبية يتبغي اهتبالها من اجل ان يصنع السلام على ارض فلسطين ، فيفوز بمنصب الاسد . كما تكشف المادة المصدرية لهذه الفترة ان هذه المبادرة — وكما سيتضح معنا فيما سيأتي — لم تكن بمنأى عن تأثير السلطات البريطانية في فلسطين على الامير عبد الله . ولعل الوكالة اليهودية لم تكن تقل عن السلطات البريطانية اهتماما بحفز الامير على التدخل ، واثارة مطامعه في فلسطين . يذكر بوارث اعتمادا على المصادر الصهيونية ان شرتوك (شاريت) مسؤول الشؤون الخارجية في الوكالة اليهودية ، ارسل رسالة الى عبد الله ، ابدى فيها استعداد الوكالة اليهودية للاعتراف بالامير رئيسا لعرب فلسطين ، كما انه اشترط من اجل ايجاد حل للثورة في فلسطين على ان يكون الاتفاق ثلاثيا : عربيا يهوديا ، انجليزيا وليس عربيا انجليزيا فقط (١٧٨) .

كانت اولى مبادرات الامير في جهود الوساطة ان دعا وفدا من اللجنة العربية لزيارة قصر رغدان في عمان . في ١ مايو ١٩٣٦ ، حيث نصحهم

بوقف الاضراب وارسال وفد الى لندن . وهنا أخبر الوفد الامير أن الحد الادنى لمطالبهم هو وقف الهجرة مؤقتا ، من أجل أن يوافقوا على وقف الاضراب (١٧٩)

وقد جاء سفر الوفد الثاني الى عمان والذى تكون من جمال الحسيني وعوني عبد الهادى على أثر اعلان وزارة المستعمرات البريطانية بتاريخ ١٤ مايو ١٩٣٦ ، أنه لن يكون هنالك وقف للهجرة ، وان بريطانيا سترسل بلجنة تحقيق . وقد طالب الحسيني وعبد الهادى بأن يتدخل الامير من أجل أن تعدل الحكومة البريطانية عن موقفها ، وتوقف الهجرة . ويظهر ان عبد الله حاول جهده مع المقيم البريطاني في عمان ، ومع واكهوب في فلسطين ، وكتب للاخير رسالة يشعره فيها أن الوفد الفلسطيني " مكره اخاك لا بطل " وقال في رسالته " لقد تأكد لي يا صاحب الفخامة أن الوفد عملوك غير عالك ، متصرف به غير متصرف بقيادة البلاد كما كانت الحالة قبلا ، وتصل بعضهم كتب تهديد فيما اذا ضعفوا ولم يقوموا بما عليهم في خدمة الشعب " (١٨٠) ولكن هذه الجهود من قبل عبد الله لم تفلح ايضا (١٨١) .

تلت جهود الامير عبد الله في الوساطة ، جهود مماثلة لنورى السعيد . وقد جاءت جهود نورى السعيد تنفيذا للاستراتيجية العراقية ، التي قامت على ايجاد اتحاد فدرالي للدول العربية والسماح لليهود بوطن صغير enclave ضمن هذا الاتحاد ، والتي على ما يظهر كانت امتدادا لسياسة فيصل الاول . كتب السفير البريطاني في بغداد موضحا هذا المنطلق يقول :-

" لقد كان الملك فيصل راعي الثورة الهاشمية منذ البداية راغبا في احتواء الوطن القومي اليهودى ، كمأوى صغير ذي امتيازات معينة ، ضمن الامبراطورية التي كان يأمل أن يراها موحدة تحت اسرته " (١٨٢) .

ولقد عزز الاتجاه العراقي في الوساطة ايضا ، ما أصبح للعراق من مصالح اقتصادية في فلسطين ، وبخاصة بعد مد خط أنابيب البترول من كركوك الى حيفا ، يضاف الى ذلك رغبة العراق في أن يكون لها رئة تتنفس بها على البحر الابيض المتوسط (١٨٣) .

ابتدأ نورى السعيد وساطته في ٩ يونيه وكان محل هذه الوساطة وايزمن . وكان مكان اللقاء بين الطرفين في لندن . وقد أبدى نورى السعيد استعداده للقيام بتنازلات مجزية لليهود ، ضمن اتحاد فدرالي للدول العربية مقابل موافقتهم على

وقف الهجرة (١٨٤) . ويبدو أن وايزمن لمح بالموافقة على وقف الهجرة لمدة سنة ولكنه عاد فتراجع عن موقفه هذا . فعندما طلب واكهوب المندوب السامي من وزير المستعمرات ان يؤكد هذه الموافقة من قبل وايزمن ، رفض هذا الاخير رفضا حادا (١٨٥) .

وبانتهاء جهود نوري السعيد في الوساطة برزت جهود جديدة لابن سعود مدفوعا بمجانبة مشاريع نوري السعيد في الاتحاد العربي من ناحية ، ومستجيبا لرغبة بريطانيا في التدخل السعودي بالمشكلة الفلسطينية ، من ناحية أخرى . وبالنسبة لهذه الناحية الثانية فان وضع بريطانيا السيئ الذي نجم عن احتلال بريطانيا للحبشة ، واستمرار حملة الدعاية عليها من محطة ايطاليا ناري ، وتصاعد عمليات الثورة في فلسطين مما آذن بتخلخل نفوذها في الدول العربية . كل هذه العوامل حدت ببريطانيا لتغيير موقفها ، وبدلا من عدم الترحيب بالتدخل السعودي ، كما حصل في السابق ، بات البريطانيون راغبين في التدخل . ففي ٢٠ يونيه وزعت وزارة الخارجية مذكرة الى مجلس الوزراء تشير الى الضرورة الملحة للوصول الى اتفاق مع الفلسطينيين ، وأهمية أصدقاء وحلفاء بريطانيا ، السعودية واليمن والعراق في تحقيق هذا الاتفاق . كما لمحت هذه المذكرة الى أنه ينبغي ان يتسم الاتفاق بوقف الهجرة (١٨٦) .

وتدل وثيقة أخرى مؤرخة في ٧ يوليه على أن وزارة الخارجية ذهبت الى المدى الذي نادت فيه بالسماح بالوساطات من الدول العربية ، للتقدم من اللجنة العربية العليا ، بعرض وقف الهجرة ، من أجل أن يقبل العرب بوقف الاضطرابات (١٨٧) .

وقد جاء في مذكرات بن غوريون (وهي في الغالب تستند على وثائق رسمية) ان الحكومة البريطانية كتبت الى ابن سعود " اذا كان يستطيع أن ينجح في التأثير على عرب فلسطين لكي ينهوا الاضطرابات فانه بهذا لا يسدي خدمة الى حكومة جلالته فقط ، وانما أيضا الى الفلسطينيين العرب أنفسهم " (١٨٨) .

وقد وضحت استجابة ابن سعود للتأثير البريطاني عندما أرسل رسالة الى الامير عبد الله بتاريخ ١٣ يونيه جاء فيها : " هل توافقون سموكم على التقدم لتوجيه نداء عام نشترك فيه مع سموكم وجلالة الاخوين الملك غازي والامام يحيى ، ندعو فيه أهل فلسطين لوقف الاضراب ، لنفسحوا المجال للحكومة البريطانية

لانصافهم في جو هادئ " (١٨٩) ومع هذا فان الجهود السعودية لم تفلح في جعل الفلسطينيين يقبلون بوقف الاضراب ، وذلك لانهم أصروا على موقفهم في طلب وقف الهجرة ، الامر الذى لم تستطع وزارة الخارجية ـ على ما يظهر ـ أن تقتنع به أوساط الحكومة البريطانية ، وبصورة خاصة وزارة المستعمرات ، فقد كان أورمسبي غور ـ ذو الميول الصهيونية ـ طوال الوقت وراء الاصرار على وقف الاضراب بدون شروط مسبقة ، ومن هنا فقد جرى اعلام السفير السعودى في لندن بأنه " ما لم توقف الاضطرابات فان الحكومة ليست مستعدة لان تقوم بأى اعلان عن الهجـــرة " (١٩٠) .

وهكذا بدا أن جهود الوساطة وصلت الى طريق مغلق ، وكان ينبغي أن تقطع . ولكن الذى حصل كان على عكس ذلك . فقد تجددت جهود الوساطة على يد الامير عبد الله بشكل أشد ، وأكثر كثافة من المرات السابقة . وتحتل جهـود الامير عبد الله وبشكل خاص خلال الجزء الاول من شهر آب أهمية خاصـــة للعوامـل التاليـــة :

١ ـ كانت أول مبادرة يطلب فيها الامير عبد الله من اللجنة العربية القبول بأن يلقى الفلسطينيون السلاح بدون مقابل ، ولو لحد أدنى ، وهو وقف الهجـــرة .

٢ ـ اتخذت هذه المبادرة طابع الالحاح والضغط . ويظهر أن صفة الضغط والالحاح جاءت من تدخل الصهيونية والانجليز معا . فقبيل هذه المبادرة اتصلت الوكالة اليهودية بعبد الله وطلبت اليه توظيف حكمته واعتداله من أجل التوسط بين اللجنة العربية والحكومة (١٩١) . وتضيف مصادر البوليس الى ذلك أن الامير الذى كان " يفكر ببيع أراضيه لليهود " أرسل بمبعوثه محمد بك الانسى الى فلسطين تحت مظلة الوساطة " وكان هـــذا الرجل نشيطا بوجه خاص خلال المفاوضات التي جرت في وقت مبكر من هذا الشهر (آب) لقد كان من أهم مبعوثي الامير عبد الله ، ولكن مما لا شك فيه أنه في نفس الوقت كان على اتصال باليهود وكان يتلقى النقـــود منهـــم " (١٩٢) .

كما أن واكهوب رغب الى عبد الله بالتدخل ، أو التوسط ، وكعادة الانجليز بالتلويح بوقف الهجرة من دون التنفيذ ، جعل واكهوب عبد الله يفهم أن بعض

الخطوات ستتخذ بشأن وقف الهجرة بعد وقف القتال (١٩٣) .

٣ - لم يحاول الامير عبد الله من خلال هذه المبادرة ان يتعامل مع اللجنة العربية والفلسطينيين عامة ككتلة واحدة ، أو كصف واحد ، بل حاول ان يلعب على الخصومات الكامنة وتفجيرها في وقت كان فيه الفلسطينيون أحوج ما يكونون لوحدة الجبهة الوطنية . فعلى أثر اجتماع الامير باللجنة العربية في يوم ٥ آب - وهذا الاجتماع وما ترتب عليه من نتائج موثق توثيقا جيدا مما يساعد على دراسته - بدا أن اللجنة العربية قد جرى فيها انشقاق . فقد مال راغب النشاشيبي الى صف الامير عبد الله ، بينما كان الحسينيون والاستقلاليون في مقدمتهم الشيخ على طلب عبد الله وقف الاضراب والثورة (١٩٤) .

ولم يكتف الامير بايقاع الشقاق في صف اللجنة العربية بل انسحب هذا على بعض القطاعات الاخرى في الجبهة الفلسطينية . فقد ذكر تقرير للبوليس ما نصه " الامير مصر على محاولته التأثير على مختلف أعضاء اللجنة العليا والوطنيين والسياسيين الاخرين ، من اجل أن يساعدوا في اعادة النظام في البلاد لدرجة تسمح بحضور اللجنة الملكية " (١٩٥) .

وكتب المندوب السامي في تقريره لوزير المستعمرات مركزا على دور عبد الله في خلق صراع داخل المعسكر الفلسطيني يقول : " لقد نجح الامير في خلق نواة من الاعتدال ، ولقد وعد بصورة مؤكدة بالتأييد من جرائد فلسطين والدفاع والجامعة الاسلامية " (١٩٦) .

وليس بلا مغزى ان فلسطين كتبت على اثر مبادرة عبد الله تقول : " الامير في الواقع هو خير من يعهد اليه بأمر الوساطة بين العرب والحكومة ، فسموه من أحدب الناس على قضية العرب ، وأحرصهم عليها وأعلمهم بدقائقها " وأضافت ملمحة الى المفتي " وهو من الناحية الاخرى مرموق المكانة عند السلطات البريطانية ، بعيد الصيت في انجلترا ، حائز لاحترام الانجليز ورجال الحكم ، يتبسطون مع سموه بما لا يجيزون التبسط به مع غيره ، بسبب سمو رتبته بين العرب وصلاته الشخصية المعروفة بالعائلة المالكة " (١٩٧) .

ومهما يكن من أمر فقد كان رد فعل المفتي ومعه مناهضو مبادرة الامير من اللجنة العربية والقطاع الاكبر من الفلسطينيين ، ممثلا باللجان القومية ورجال

العصابات ومختلف الاحزاب ـ ما عدا حزب الدفاع ممثلا براغب وبعض الاعيان ـ ردّا عنيفـــا .

ومن أجل أن نفهم رد الفعل هذا من المفتي لا بد أن ندرسه في ظـــل حقيقتـــين أساســـيتـــين :ـ

١ ـ ان المفتي كان يراهن على الثورة كوسيلة فعالة للحصول على الاستقلال (١٩٨) وما القبول بالهجرة الا أولى البوادر في طريق الحل وليس آخرهـا .

٢ ـ ان المفتي شعر من خلال ضغوط الامير عبد الله هذه المرة أنه ـ أي المفتي هو المستهدف شخصيا أكثر من غيره فقد أحس ان هنالك حلا سيفوز به عبد الله على حسابه " لقد تكونت لدى المفتي القناعة ان هنالك حلا معينـــا للمشكلة الراهنة ، تم بحثه وانه لم يكن المحرك الاول لهذا الحل ، الـذي لو كتب له النجاح فانه مما لا شك سيؤثر على مكانته باعتباره الشخصيـــة الاولى من حيث الاهميـــة " (١٩٩) .

تمثل رد فعل المفتي على مبادرة عبد اللـــه بالتالـي :ـ

١ ـ في مفاوضاته مع الامير رفض وعود الامير الطيبة بأنه سيكون هنالك وقـــف للهجرة وافراج عن المسجونين السياسيين ، بل طالب بضمانات سابقـــة ومكتوبة من قبل الحكومـة (٢٠٠) .

٢ ـ لم يلبث المفتي بعد أن عاد الى القدس من عمان أن كتب الى عمان رسالة شديدة اللهجة وقعها عدد من أعضاء اللجنة (٢٠١) ، ويظهر أنهم طلبوا فيها من الامير أن يرفع يده عن المشكلة الفلسطينية " وان يكون الاتصال بينها (أي الحكومة) وبينهم مباشرة اذ لا علاقة له هو بالموضوع " (٢٠٢)

٣ ـ صعد المفتي من أعمال العصيان والاضطرابات . فقد أفادت التقارير أن النتيجة السريعة لمبادرة عبد الله " كانت الانفجار العاجل للاضطرابات في طول البلاد وعرضها وقد قامت جهود أكيدة لجعل حيفا تضرب اضرابـــا عامـــا " (٢٠٣) .

٤ ـ صعد المفتي وانصاره من العمليات العسكرية للعصابات وربما بلغت أعمالها حدّا لم يسبق لها أن بلغته ، في هذه الفترة ، وعلى أثر مبادرة عمان . " فقد نشطت العصابات المنحلة في الجبال وبصورة خاصة في قضاء نابلس الذي تبعه طبرية وصفد وبيسان وأماكن أخـــرى " (٢٠٤) .

كما أن الثورة لفيت في هذه الايام دعما واضحا من وراء الحدود . فالمجدات العربية للثورة الفلسطينية والتي سبق لنا الاشارة اليها عند حديثنا عن جهود المقاومة المسلحة للحزب العربي بلغت أشد كثافتها في هذه الفترة . فقد وصل الى فلسطين في هذه الفترة تعزيزات من الثوار من كل من سوريا والاردن والعراق " هنالك تقارير من البلاد المحيطة (بفلسطين)تشير الى أن هنالك عددا من الثوريين السوريين قد عبروا الحدود الى فلسطين ، ومعهم بعض التابعين ، وهم مسلحون تسليحا كاملا ، وهدفهم أن يلتحقوا بالعصابات في الجبال . كما أن هنالك عددا قليلا يعتقد أنه عبر من شرق الاردن . فعلى سبيل المثال ، فوزي القاوقجي وهو تركي سوري الاصل ، والذي قد استقال من عمله في الجيش العراقي .. " ولقد أضاف التقرير " لقد أصبح وجود غير الفلسطينيين بين عدد من العصابات المسلحة في الفترة الاخيرة واضحا " (٢٠٥) .

٥ – عمل المفتي مع العناصر الثورية على معادلة الجهود المحلية لاعداء استمرار الثورة. فقد شهدت فترة تصاعد عمليات الاضطرابات مقاومة شديدة للعناصر المعتدلة ففي هذه الفترة تعرض عدد من مؤيدي وقف الثورة ، بفعل تأثير مبادرة الامير عبد الله ، الى محاولة العدوان الجسدي أو التصفية الجسدية . فأحد التقارير يؤكد " ان الخبر عن ابعاد سليمان طوقان من الطريق خبر صحيح " (١٠٦) . كما أن عيسى العيسى الذي تولى الترويج لوساطة الامير عبد الله في صحيفته تعرض لعدوان جسدي عليه (٢٠٧) . كما قتل رئيس بلدية الخليل وربما كان ينتمي الى المعتدلين " (٢٠٨) .

ولعل هذا الموقف المتشدد نحو أنصار الاعتدال ، هو الذي جعل جهودهم تنحسر ، ويحتشرون في زاوية ضيقة . فقد ذكر أحد التقارير بصدد الاثار التي ترتبت على المبادرة يقول " ليس هنالك أية مدعاة للتفاؤل ، لا سيما وان هذه اشارات على أن الحزب المنشق (النشاشيبيون) سيجد نفسه مضطرا الى مساندة دعاة استمرار الاضراب ، وما سيترتب عليه من نتائج متفاوتة . كما أن هنالك احتمالا قويا أن كثيرا من موظفي الحكومة سيضطرون للاحتجاج عن تأديته واجباتهم العادية " (٢٠٩) .

٦ ـ لم تقف جهود احباط مبادرة عبد الله عند حد اعمال الاضطراب والعنف وتصعيد المقاومة المسلحة وحصار انصار الاعتدال من حزب الدفاع ، بل على ما يظهر اخذت شكل تاليب الرأى العام في فلسطين قاطبة . يقول ابو بصير : " ظهر الامير عبد الله على مسرح الاهتمام ، وسعى لوقف الثورة وانهاء الاضراب ، ولكن الشعب الفلسطيني الممثل في مؤتمر القدس قرر الاستمرار في الكفاح حتى النهاية " (٢١٠) .

لم يكد العرب في فلسطين يفرغون من احباط مبادرة الامير عبد الله في الوساطة ، حتى ووجهوا بمبادرة أخرى للوساطة . ففي عشرين اغسطس " هبط " نورى السعيد وزير خارجية العراق في القدس كما يذكر عزة دروزة (٢١١) . وقد رحب كل من رجال الحزب العربي وحزب الدفاع بوساطته لاعتبارات ليست متماثلة تماما . فبينما قبلها حزب الدفاع من منطلق الاعتدال الذى عرف به ،وباعتبارها وسيلة لاخراجه من المأزق الذى زج به ، بالنظر لفشل مبادرة الامير عبد الله التي أيدها ، وكان لفشلها أثر كبير في ضعف موقفه ، فان الحزب العربي قبلها أيضا لاكثر من سبب ، ولعل السبب الاول في قبول المفتي كان المحافظة على تضامن اللجنة ، والذى على ما يظهر كان قد بدأ بالضعف بالنظر لمحاولات الامير المتكررة للعب ورقة المعتدلين فيها ، أولئك المعتدلين الذين كانوا قد تضرروا من استمرار الاضراب . ومع هذا لم يكن باستطاعتهم المطالبة العلنية بوقفه من أجل حفظ ماء الوجه . يذكر هيروويتز انه " منذ وقت مبكر يعود الى نهاية اغسطس كان هنالك اشارة على وجود خلافات في اللجنة العليا . وقد ذكر ان الخالدى والنشاشيبي " قد قبلا بالاستمرار فيها من أجل الابقاء على التضامن فقط" (٢١٢)

والسبب الثاني ان مهمة نورى السعيد تمت في ظل الموافقة الظاهرة للدول العربية (السعودية واليمن بوجه خاص) وليست كمبادرة الامير التي أخذت طابعا فرديا . ولعل بعد العراق الجغرافي عن فلسطين ، لا يجعل التدخل العراقي يمثل الخطورة التي كانت لتدخل الامير عبد الله ، بالنظر للمفتي وانصاره كتكتل ، بصورة خاصة .

والسبب الثالث ان نورى السعيد صرح بأنه يقوم بمبادرته ليس بصفته الرسمية ولكن بصفته الشخصية كعربي ، وأنه لا يريد التوسط بين بريطانيا والعرب

وانما بين العرب واليهود (٢١٣) . كان اول ما قام به نوري السعيد هو تقديم مذكرة الى اللجنة العربية العليا نصت على :-

١ - الطلب الى الجامعة العربية العليا بتبني قرار بوقف الاضراب والاضطرابات

٢ - تستخدم الحكومة العراقية وساطتها مع الحكومة البريطانية للموافقة على المطالب العادلة للفلسطينيين العرب ، والتي اسفرت عن الاضطرابات الراهنة والمرتبطة بصورة جذرية بالسياسة العامة في فلسطين (٢١٤) .

وقد قابلت اللجنة العليا ، التي عقدت اجتماعا في ٢٢ اغسطس ، مذكرة نوري السعيد بالرفض . ومع أنها اشارت الى قبولها مبدأ الوساطة مع الحكومة العراقية ، الا أنها طالبت بالوقف التام للهجرة ، كما طالبت بالتعويض عن الارواح والممتلكات التي دمرها العنف البريطاني في فلسطين (٢١٥) .

وهنا رفض نوري السعيد هذه الشروط واصر على قبول مذكرته كاساس. ومن أجل الضغط على رجال اللجنة العربية لجأ الى الاستعانة بعضوي حزب الاستقلال في اللجنة وهما عوني عبد الهادي وعزة دروزة اللذان كانا يحملان ولاء لعراقي فيصل الاول وذهب من أجل ذلك الى معسكر صرفند حيث كانا معتقلين . وتذكر اوراق عوني عبد الهادي أن نوري السعيد وعد بأن تعلن الحكومة بعد مدة لا تزيد عن ١٥ يوما وقف الهجرة وقفا تاما وستمر ذلك ريثما تنتهي المفاوضات وتعطى اللجنة (العليا) تواصيها تم تعلن الحكومة مبدأ العفو العام ورفع الغرامات "على أن يتم ذلك مقابل "انهاء الاضراب والاضطرابات باصدار بيان تطلب فيه اللجنة (العربية) من الاحزاب والاهالي الكف عن أعمال العنف . وتضيف هذه الاوراق أن نوري السعيد صرح بأنه "لا يقوم بهذا التوسط الا اذا وفق بنيل المطالب المذكورة ثم هو متعهد هو وحكومته بأن يكون على استعداد للعمل على تحقيق مطالب اهل فلسطين الاخرى بكل ما يستطيع (٢١٦) .

وفي يوم ٢٣ اغسطس حضر نوري السعيد اجتماعا اللجنة العربية وبظهر انه كان لجهود الاستقلاليين عبد الهادي ودروزة اثره في تعديل موقف اللجنة (٢١٧) فقد قررت اللجنة الموافقة على الوساطة ولكنها لم تقصرها على العراق فقط بل شملت ايضا وساطة الملوك والامراء الاربعة - وغيرهم اذا امكن - بشرط أن تلزم الحكومة العراقية نفسها على احداث تغيير جذري في السياسة الرسمية في ما يتعلق بالمطالب العربية "(٢١٨) وعلى الاثر كتب واكهوب الى وزارة المستعمرات يطلب تقويضا بنقله الى نوري السعيد " بأن حكومة جلالته تتقبل بالرضا وساطته " على أساس

مذكرته السابقة " (٢١٩) .

غادر نوري السعيد فلسطين الى الاسكندرية يوم ٢٥ اغسطس ومن هناك أبرق الى الحكومة العراقية يقول " انه بعد الاتصال مع جميع الاطراف اقترحت على الطرفين قبول توسط العراق رسميا وبدون قيد أو شرط لتأييد مطالب عرب فلسطين المشروعة . وان اقتراحه أرسل برقيا الى الحكومة البريطانية للموافقة عليه فاذا تم ذلك فان مسعاه سينحصر في ما يلي :-

١ - وقف الهجرة واعلان العفو العام وتعويض المتضررين .

٢ - الحضور أثناء حضور اللجنة الملكية لتأييد الوطنيين " (٢٢٠) وقد وافق مجلس الوزراء العراقي على ما جاء في برقية نوري السعيد ظهر يوم الخميس ١٩٣٦/٨/٢٥ .

وفي نفس اليوم أجاب اورمسبي غور وزير المستعمرات تلغرافيا يعترض على اقتراحات نوري السعيد : " اقتراح نوري السعيد يختلف بكيفية جوهرية عما كانت حكومة جلالة الملك وافقت عليه بالنسبة لتدخل ابن سعود بالاشتراك مع ملوك آخرين باستخدام نفوذهم على وقف العرب للاضطرابات بدون أن تعلن عن أي أمر بشأن مطالب العرب قبل وقف الاضطرابات ... ان حكومة جلالته لا يمكنها الموافقة على وساطة نوري السعيد " (٢٢١) ويمكن فهم رفض اورمسبي غور لوساطة نوري السعيد على ضوء الاعتبارين التاليين : -

١ - ان العراق الذي سيتوسط رسميا لا بصفته الشخصية كما صرح عند قدومه ، سيحاول التدخل في الشؤون الفلسطينية بمقدار لم تكن لتسمح به السياسة البريطانية ، بالنظر لوضعها من ناحية ، وبالنظر للدول العربية الاخرى ، وبخاصة السعودية من الناحية الاخرى . (٢٢٢) .

٢ - ان هنالك بحسب مذكرة نوري السعيد نوعا من الالزام المسبق لبريطانيا في الاستجابة للمطالب العربية ، تلك المطالب التي لا يمكن التنبؤ بأبعادها أو حدودها .

ومهما يكن من أمر فان الاستجابة أو رد الفعل لوساطة نوري السعيد لم يتوقف فقط على المفاوضات معه ، بل تدلنا المادة المصدرية على أن العرب صعدوا من عمليات الثورة . فقد استمرت عمليات الثوار - التي شاهدنا أمثلة على قوتها على أثر مبادرة الامير عبد الله - في التصاعد خلال هذه الفترة توحد الثوار تحت

قيادة فوزى القاوقجي وتامت العمليات المسلحة تحت قيادته بعمليات عسكرية واسعة وجزئية . وهنا أرسل المفتي اسحق درويش أحد رجاله الثقاة الى القاوقجي الذى وصل الى فلسطين في ٢٢ أغسطس يدعوه الى تكثيف العمليات العسكرية . ويظهر أنه كان لعمليات الثوار ومعاركهم مع الانجليز في هذه الفترة أثرها العظيم على نفسية المفاوضين . يذكر القاوقجي في مذكراته على لسان اسحق درويش قوله " لو تأخرت يوما أو يومين لكانت اللجنة استسلمت الى الاقتراح بتوسط نورى السعيد ووقف اطلاق النار والصلح المأمول للشرف (٢٢٣) ويروى القاوقجي كيف كان للمعارك في هذه الفترة أثرها في تغيير دفة الاحداث فعلى أثرها " أقفل الانجليز أى باب مع العرب واخرجوا نورى باشا السعيد (٢٢٤) ويصف أكرم زعيتر اثر معركة بلعا ـ بصورة خاصة ـ على نفسية العرب عموما والمعتقلين من قادة الثورة بوجه خاص . " لم نكد نسمع هذا البلاغ (عن معركة بلعا) حتى هتفنا للثورة ، ورحنا كل رهط في كوخه ننشد الاناشيد الوطنية ، وتصاعدت الهتافات الصاخبة بسقوط المندوب والانجليز " ولعل الاهم من ذلك أن هذا المعتقل الذى خرج منه عوني عبد الهادى وعزة دروزة للمفاوضة هو الذى طرح شعار سقوط المفاوضة فقد هتف جميل وهبه أحد قادة الاستقلاليين " لتسقط المفاوضة " (٢٢٥) . في وسط هذا الجو عادت اللجنة العربية الى الاجتماع في ٢٦ أغسطس وقررت دعوة نورى السعيد من مصر الى فلسطين . وبالفعل وصل نورى السعيد في يوم ٢٧ اغسطس . وعقد اجتماع بينه وبين المندوب السامي أخبره فيه انه لا يفكر بالتدخل في شؤون السياسة البريطانية ، ولكنه أضاف انه ما من شيء يؤدى الى وقف الاضطرابات سوى وقف الهجرة . وانه اذا لم تأخذ الحكومة باقتراحه فانه سينسحب ، وان عليه أن يسافر الى أنقرة يوم ٣٠ اغسطس (٢٢٦) . ويستوقفنا هذا التحول في موقف نورى السعيد نحو التشدد . وليس له من تعليل حقيقي الا أن نورى شعر بالزخم الثورى الكبير في فلسطين من ناحية . وان لمس ـ من ناحية أخرى ـ كما تذكر المصادر العربية والصهيونية ان هنالك استعدادا لدى واكهوب لوقف الهجرة . يذكر أكرم زعيتر في يومياته ـ وهو الذى كان على اتصال وثيق بعضوين اساسيين في المفاوضات هما عوني عبد الهادى وعزة دروزة :ـ " أما بالنسبة الى نورى السعيد فهو لم يعط ضمانات للجنة العليا ، لانه هو لم يأخذ ضمانات خطية من الانجليز ، وكل ما هنالك ان المندوب السامي اكد له شفويا ان الحكومة البريطانية على استعداد لوقف الهجرة وقفا تاما حتى تعطى اللجنة

الملكية تقديرها ، وللعفو عن الثوار والمحكومين" (٢٢٧) ويؤيد بورات هذا القول ويعلله بأن واكهوب شعر أن لا بديل عن وقف الهجرة من أجل وقف الاضراب والاضطرابات الا حل عسكري حاسم من قبل السلطات البريطانية. وقد كان واكهوب دائما يؤثر الحل الاول ، ويضيف بورات الى ذلك قائلا" أن واكهوب وافق على وقف الهجرة مؤقتا من أجل انجاح وساطة نوري السعيد (٢٢٨) ويذهب بورات الى اكثر من ذلك الا وهو أن المخابرات الصهيونية سجلت مكالمة تليفونية (رفعها بعد ذلك شاريت الى وزارة المستعمرات) بين نوري والمفتي يدعو فيها الاول الثاني الى مزيد من العناد والتشدد لانه هذا هو الاجدى (٢٢٩) .

عقدت اللجنة العربية العليا اجتماعا بتاريخ ٣٠ أغسطس حضره مندوبون عن اللجان القومية في جميع أنحاء البلاد. ووافق المجتمعون على الابقاء على مبدأ الوساطة العربية قائما ولكنهم قرروا" أن الامة ستستمر في اضرابها الشامل بنفس الثبات واليقين اللذين عرفت بهما" وقد اتخذ قرار اللجنة العربية العليا واللجان القومية هذا من قبل الحكومة البريطانية سببا لعدم القبول بوقف الهجرة من ناحية ولابهاء وساطة نوري السعيد من الناحية الاخرى (٢٣٠)".

في ٣١ اغسطس غادر نوري السعيد القدس الى استانبول وأعدا بالعودة عند أية اشارة اليه بالعودة.

وفي هذه الاثناء حصل مافجر وساطة نوري السعيد على المستوى المحلي ـ في فلسطين ـ فقد نشرت البالستاين بوست في ١ سبتمبر ١٩٣٦ أن نوري السعيد ، بموافقة من المندوب السامي ، اتفق مع اللجنة العربية العليا على وقف عاجل للهجرة بانتظار أن تصدر اللجنة الملكية تقريرها ، وأن تصدر الحكومة عفوا عن سجناء الثورة ، وأن الحكومة العراقية ستمثل الفلسطينيين أمام اللجنة. ولا ندري تماما شيئا عن صحة هذه الرواية. لكن من المؤكد وكما شاهدنا أعلاه (٢٣١) طرحت مثل هذه الشروط على بساط البحث...ولكن ليس من المحتمل أن يكون واكهوب قد ارتبط بوعد لنوري السعيد بأي من هذه الشروط ، وبخاصة بعد برقية وزير المستعمرات في ٢٥ أغسطس والتي رفض فيها اقتراحات نوري السعيد واعتبرها متشددة ، كما أنه رفض تدخل العراق بصورة رسمية في الوساطة.

ومهما يكن من أمر فان بعض المصادر تنسب الى راغبستريب أخبار عن هذه الاتفاقية للناس ، وذلك لانه كان راغبا في اغتنام الفرصة لانهاء الاضراب.

ووجد في الشروط المطروحة خير سبيل لذلك ، ومن أجل أن يقطع خط الرجعة على المفتي ، سرب أخبار هذه الاتفاقية حتى يثبت للناس أن تردد المفتي في قبولها غير صحيح، وأنه أي المفتي سيضيع فرصة سانحة (٢٣٢).

حمل وايزمن قصاصة عن الخبر المنشور في البالستاين واعطاها لا ورسبي غور الذي سارع بارسال رسالة الى الدكتور وايزمن شبيهة بالرسالة التي أرسلها ماكدونالد له في عام ١٩٣٠. وجاء في هذه الرسالة: "عزيزي المستر وايزمن أن المندوب السامي لم يوافق على أية شروط مثل هذه. كما أن الحكومة لا تعرف عنها شيئا. وفوق ذلك أنه لا توجد أية معلومات كالتي وصلت الوكالة اليهودية بأن المندوب السامي فوض نوري باشا السعيد لاعطاء مثل هذه الدعوة ، وكذلك نوري باشا نفسه لم يطلب مثل هذا التفويض ، كما يقول المندوب السامي. والذي يعرفه المندوب السامي أيضا أن نوري باشا أبلغ الزعماء العرب في وضوح أنه لا يمكن اعطاء مثل هذه الوعود. أن الحكومة والمندوب السامي لم يفوضا نوري باشا السعيد بالتوسط لحل مشكلة فلسطين " (٢٣٣).

كانت هذه الرسالة التي نشرت في الصحف ، بمثابة الشعرة التي قصمت ظهر البعير لوساطة نوري السعيد. فقد أشعرت العرب في فلسطين أنه لا فائدة ترجى من هذه الوساطة. ومن هنا يقول أنيس صايغ : " فعاد العرب الى تضليلهم ورفضوا الاجتماع بالسعيد ثانية، وأخرجوه من القدس شبه مطرود" (٢٣٤) .

خلال النصف الثاني من شهر سبتمبر والعشرة أيام الاولى من أكتوبر مرت جهود الوساطة بتغيير جذري. فبدلا من أن تكون في أغلبها بمبادرة من الحكام العرب ، وأحيانا بتشجيع من بريطانيا ، فانها تحولت الى مطالب من قبل الفلسطينيين أنفسهم ، أولئك الفلسطينيين الذين طالما رفضوا ممثلين بالمفتي بالدرجة الاولى ـ أي وقف للاضرابات الا بوقف للهجرة توافقه أو تسبقه أو تتبعه بسرعة. ولعل هذا التغيير يجد تفسيره في الظروف الموضوعية التالية والتي ترتبط باستراتيجية الثورة عسكريا وسياسيا :ـ

١. على الجبهة العسكرية : على أثر فشل مبادرة نوري السعيد ، والتي رافقها تصعيد الثوار لعملياتهم العسكرية ، وأمام التشدد الفلسطيني الذي اصر على الاضراب بانتظار تلبية المطالب الفلسطينية ، أعلنت الحكومة القانون العرفي (martial law) (٢٣٥). وقد رافق هذا الاعلان جلب تعزيزات

عسكرية كبيرة من بريطانيا (٢٣٦) وعينت قائدا عسكريا جديدا هو الجنرال ديل الذي أصدر بيانا في ١٥ سبتمبر دعا فيه "الشعب الى القاء السلاح والكف عن الاضراب (٢٣٧) وأنه سيعمل بكل قوة وعزم على قمع الاضطرابات مهما كلفه الامر، ومهما كانت الخسائر فادحة(٢٣٨) وبالفعل شهدت هذه المرحلة ، أساليب بشعة من القمع البريطاني يصفها عيسى السقرى في كتابه (٢٣٩) وانصبت على القروبين حيث كان يتمتع الثوار وحيث كانوا يلجأون.

ومهما يكن من أمر فان الثوار الفلسطينيين لم يستسلموا لهذا الواقع العسكرى المتصاعد الخطر ، بل شهد سبتمبر والايام الاولى من أكتوبر أعظم الاعمال العسكرية عنفا بين الثوار والقوات البريطانية. ومع هذا فان الواقع العسكرى الجديد للقوات البريطانية ، كان له أثره في ضعف تسليح قوات الثورة الامر الذى ساهم في اضعاف طاقتها على المقاومة أو الاستمرار فيها . ففي رسالة من عبد القادر الحسيني الى أميل الغورى الذى كان آنذاك يدير المكتب العربى في لندن يذكر عبد القادر التالي عن الثورة : "اما في ما يتعلق بالثورة نفسها والمجاهدين فاننا نجد صعوبة عظيمة في الحصول على السلاح والفشك .فضلا عن أن الانجليز يتشددون في حراسة الحدود ويضيقون علينا الخناق فان سعر السندقة ارتفع الى أكثر من ستين ليرة (جنيه) " (٢٤٠) .

ولقد أثر هذا التطور السلبي في الموقف العسكرى لقوات الثورة على موقف الامير عبد الله منها . فالامير الذى آلمه احباط مبادرته للوساطة ، بما جلب من مطامع في فلسطين ، كان لا يزال يحين الفرصة السانحة ليعيد التدخل بشؤون الثورة ، والقضاء على زعامة المفتي لفلسطين . فطبقا لما يرويه القاوقجي نجد أن الامير قام بالضغط على قيادة الثوار في الجبال ، مستغلا تصاعد القوة العسكرية البريطانية ومحاولتها حصار قوات الثورة . فقد أرسل رسوله الى القاوقجي في جبال نابلس ، يحمل رسالة يدعوه فيها الى أن يغير اتجاه شراعه عن اللجنة العربية بصورة خاصة وعن الثورة بصورة عامة . فبعد أن يذكر " أن الحكومة البريطانية كانت ترجو طيلة مدة الصيف انهاء الحركة بفلسطين ، ولما قنعت الان أن الشوط بعيد ، ابتدات تنظر الى المسالة بعين الحد" ينثني الى التعريض باللجنة العربية العليا : " أما اللجنة العربية العليا ، واللجان الاخرى ، فلا يساورني الشك انهم من أرباب النية الصادقة الا أن الاوطان كانت أثمن من أن

تعرض للخطر بمجرد ملاحظات غير مدعمة ببراهين ، أو لوعود غير مدعمة بحقائق وأسأل الله التوفيق في حل الاشكال الحاضر بأسرع ما يمكن " (٢٤١) .

ويعقب القاوقجي على هذه الرسالة ويعتبرها أنها بمثابة دعوة للقيام بانقلاب على اللجنة العربية العليا" ... وطلبه حتى انعزالنا عنها ، وتسويقنا وترغيبنا في الاستسلام قبل أن تبطش نجدات العدو بنا واستدراجنا الى اعطائه اسرار الثورة " (٢٤٣) .

ويذهب بورات الى أكثر من ذلك، فاعتمادا على مصادر الصهيونية يذكر أن الامير عندما شعر بأنه لن يكون هو صانع السلام على أرض فلسطين ، مع مايستتبع ذلك من ضمها اليه ، كتب الى الوكالة اليهودية يدعوها الى التحالف معه من أجل سحق الثورة بعنف ومن أجل أن ينهار خصمه المفتي (٢٤٣) ويضيف الى ذلك قوله أن الوكالة رفضت هذا العرض لظروف تختص بها (٢٤٤) .

ومن ناحية أخرى فان موقف القاوقجي باعتباره أحد مراكز ثقل الثورة من الناحية العسكرية ، لم يكن تماما منطبقا أو متماثلا مع موقف اللجنة العربية وبالذات المفتي . فالقاوقجي الذي كان لا يخلو من نزعة المغامرة ، والبحث عن المجد الشخصي ، والذي كان أيضا يتسم بروح الفردية والتسلط ، حاول أن يسيطر على مقدرات الثورة من الناحية العسكرية ، جميعها . فقد عين نفسه جنرالا عاما للثورة . وبدأ باصدار البيانات المستقلة التي تحمل توقيعه لوحده (٢٤٥) . والأكثر من ذلك فقد خطف القاوقجي بريق الجاه والشهرة ، وأصبح اسمه يتردد على كل لسان . ومن الذكريات الشعبية عن تلك الفترة أن صور القاوقجي أخذت ترتفع في الحوانيت والمتاجر والبيوت ، كما كان الصبية يهتفون في الشوارع

صهيوني دبر حالك ... نفدوا النوار

معهم فوزي القاوقجي ... البطل المغوار (٢٤٦) .

وعلى ما يظهر فان هذا البريق والشهرة للقاوقجي مع نزعته نحو الاستقلال والفردية لم تكن مصدر رضا كبير من قبل القيادات الفلسطينية ، وبصورة خاصة للمفتي . ولم يكن هذا كل ما يتعلق بوضع القاوقجي . ففي رسالة عبد القادر التي مر ذكرها يشكو عبد القادر الحسيني من القاوقجي من ناحيتين أساسيتين : الناحية الاولى أن القاوقجي كان مرتبطا بالقيادات العربية خارج فلسطين ـ الامر :

الذى حاول القاوقجى أن يبقيه على الاقل بالنسبة للامير عبد الله كما شاهدنا — أكثر من ارتباطه بالقيادة المحلية تلك القيادات العربية التي يصفها عبد القادر بانها بانت أقرب الى خذلان الثورة أكثر من تعزيزها وتصعيدها " وأشعر أن اخواننا في الخارج أخذوا ينخلون عن الثورة ومساعدتها ماديا ، والى جانب هذا فان بعض الجهات الرسمية العربية بدأت تقف من الثورة موقفا مريبا ، وأن بعض المتطوعين وخاصة الذين يتزعمهم فوزى (القاوقجي) مرتبطون بسياسات عربية خارجية أكثر من ارتباطهم بالثورة" (٢٤٧) .

والناحية الثانية — ولعلها الاهم — هو تدخل القاوقجي في شؤون الجبهة الداخلية الفلسطينية ، وبخاصة الاحزاب ، من أجل الضغط على عصب حساس بالنسبة للحسينيين وهو جيش الجهاد المقدس فقد ورد في رسالة عبد القادر أيضا ما نصه ; " لا يتورعون (أى المتطوعون) عن اثارة الاختلافات الحزبية لاضعاف الجهاد المقدس"(٢٤٨) .

ولعل القاوقجي وقد شعر أنه نقطة استقطاب رئيسية في فلسطين بفعل سيطرته على قطاع كبير من الثوار (٢٤٩) أحس أن المنافس الرئيسي له هو المفتي والمعسكر الحسيني عامة ، ومن هنا فانه رغب في التحالف مع خصوم المفتي . فقد بدرت بالفعل عدة بوادر منه تؤيد هذا الاتجاه فقد تعاون بصورة خاصة مع عائلتي ارشيد والشعر ، كما تعاون مع عائلات طوقان والحسيني وكان نائبه العسكرى من انصار النشاشيبين أيضا (٢٥٠) وعندما دعا الى اجتماع قادة فصائل الثورة في فلسطين في ٢ سبتمبر ١٩٣٦ من أجل توحيدهم تحت رايته ، استثنى عبد القادر الحسيني وقادة فصائل الثورة الحسينيين ، علما بأنهم كانوا يسيطرون على قطاع كبير من فلسطين يمارسون فيه عملياتهم الثورية : في منطقة الخليل — القدس — رام الله ، ومنطقة الرملة — يافا(٢٥١) .

ولعله ليس بلا مغزى أيضا أن نجد أن مذكرات القاوقجي عندما تعرض للمفتي لا تتحدث عنه بنفس الحماس والثناء الذى يذكر به خصومه ، وقد انسحب موقفه هذا على المفتي خلال الحرب العالمية الثانية (٢٥٢) حيث نجده يتهم المفتي بالفردية والتسلط ، وحتى بعد الحرب العالمية واثناء عام ١٩٤٨ عندما تزعم القاوقجي جيش الانقاذ فانه أهدر دم الاشخاص الذين كانوا يتسللون الى معسكره ليدفعوا رواتب جنود جيش الانقاذ من قبل المفتي" (٢٥٣).

كان لهذا الواقع العسكري الجديد للثورة بما فيه من ضغوط خارجية وتعزيزات بريطانية ، ومحاولة للعب على الجبهة الداخلية ، مدعاة للمفتي لكي يعيد النظر في الموقف . ويبدو أنه من هنا طرحت فكرة تجميد الثورة لفترة فقد عقد المفتي والموالون له اجتماعا في هذه الفترة لتقييم أعمال الثورة وبعد أن أبدى القادة " مخاوفهم من قلة السلاح ومن الثيارات المحلية التي تدعو لوقف الاضراب" طرح شعار " تجميد أعمال الثورة ، فيتخذ هذا التجميد شكل وقفها ، وستأنف حالما تتوفر الاسلحة والاعتدة بصورة كافية" (٢٥٤) .

ومن هذا المنطلق ـ بالاضافة الى ما سيأتي معنا ـ سيسير المفتي في طريق طلب الوساطة العربية .

٢. على الجبهة الداخلية : لم تكن الجبهة الداخلية في فلسطين في هذه الفترة أفضل بكثير من الجبهة العسكرية . فالاضراب الذي كان قد طال أمده ، واستمر قرابة الخمسة شهور ، شلت خلالها الفاعليات الاقتصادية في البلاد ، ترك تأثيره السيء على قطاعات كثيرة من أهل البلاد . فالفقراء الذين كانوا يعتمدون على اللجنة العربية العليا في قوتهم اليومي ، لم يعد بالامكان تغطية حاجاتهم لا سيما وأن التبرعات التي كانت تصل الى اللجنة العربية العليا ، قد قلت أيضا . (٢٥٥) .

كما أن كثيرا من أصحاب المصالح الاقتصادية شعروا بما جلبه عليهم الاضراب من خسائر مادية : " بات عدد كبير من الاشخاص الذين لا يعيرون النقابات كبيرا للسياسة ، في حالة من السأم أو الملل الذي جلبه النزاع الطويل المدى ، بما في ذلك انعدام الامن ، والتضحية المالية التي تبعته ، وكان عدم الاشتراك في جني محصول الحمضيات ، والذي يبدأ عادة في نوفمبر سببا في عدم الرضا" (٢٥٦) .

انعكست هذه النتائج للاضراب على موقف أعضاء اللجنة العربية العليا . واهتز التماسك الداخلي لكيان هذه اللجنة كما لم يكن الامر من قبل : فراغب النشاشيبي وحزبه اللذان عرفهما التيار الوطني في الخمسة شهور الاولى الى درجة أنه أحيانا كثيرة كان يزايد على موقف المفتي (٢٥٧) بدأ الان في تغيير موقفه : (وفي نفس الوقت فانه من الاهمية بمكان أن نسجل الموقف المتغير للاحزاب الاخرى) . فقد كان ما يسمى الحزب المعتدل ولا يزال معاديا لحزب

المفتي ... ولكن الآن هنالك عدد كبير من العرب بمن فيهم راغب وكثيرون من حزبه قد ضاقوا ذرعا بالاضراب ونتائج الاضطرابات الطويلة" (٢٥٨).

ولم يكن راغب وحده من أعضاء اللجنة العربية الذي أصبح مؤيدا لوقف الاضراب بل أن عوني عبد الهادي ، مندوب حزب الاستقلال في اللجنة ـ ذلك الحزب الذي كان يعتبر بمثابة يسار اللجنة واكثر أعضائها تطرفا ـ لم يكن أقل أثرا في تدمير تماسك اللجنة من حيث الموقف من الاضراب . فعوني عبد الهادي الذي رأينا أنه بدأ في التحول بعد مبادرة نوري السعيد الى السير في طريق وقف الاضراب ، بدا في أول سبتمبر راغبا بصورة جدية بالتضحية بالاضراب . ولقد استغرب واكهوب نفسه من موقف عوني عبد الهادي : " والامر الاكثر أهمية هو تغير عوني عبدالهادي ، رئيس حزب الاستقلال . لقد أخبرني في السابق أنه ليس لدى الفلسطينيين ما يخسرونه الاحيائهم . أما الان فانه يعترف أن من مصلحة العرب أن يتوقف الاضراب وكل أعمال العنف " (٢٥٩) ولم يكن موقف حزب الاصلاح بأفضل أيضا من هذه الناحية . فمنذ أواخر شهر أغسطس لما سبق الاشارة كان موقف حسن فخري الخالدي مجرد مهادنة للجنة من أجل أن لا يتهم بأنه خرق التماسك في هذه اللجنة.

ولقد بلغت المعنويات المتدنية للجنة العربية العليا ـ باستثناء ممثلي الحزب العربي ـ حد التخلي عن الثورة بدون مقابل " ان بقية أعضاء اللجنة العربية باستثناء جمال الحسيني قد تحققوا أنه من غير المجدي أن يطلبوا أية شروط وأن وقف القتال يجب أن يكون كاملا " (٢٦٠).

وقد سجل عبد القادر الحسيني هذه الحقيقة بقوله : " وهناك أمر يحملني على التطير والخوف . فان العم (الحاج أمين) يتعرض لبعض التدخلات من الخارج . ولضغط كبير من زعماء الاحزاب لفك الاضراب ووقف الثورة " (٢٦١).

ولقد جاءت الترجمة لحقيقة هذه المعادلة الحزبية في فلسطين: المفتي وحزبه في ناحية ، والاحزاب الاخرى المؤثرة في ناحية أخرى ، أقول جاءت هذه الترجمة من واكهوب . فمن أجل أن يعزز جبهة الاعتدال ، ويطفيء لهيب الثورة وينهي الاضراب ، لا يوجد الا عقبة رئيسية وحيدة الا وهي المفتي . ولذلك نجده ينهي تقريره الذي وصف فيه مواقف الاحزاب ، وصور تعاريج الخريطة السياسية للجبهة الداخلية الفلسطينية ، وعنونه بـ " البحث في أفضلية القبض على

المفتي " أنهاه وقد ـ شاهد تصدع الجبهة الداخلية ـ " القبض على المفتي وابعاده "(٢٦٢) .

في ظل المعطيات السابقة ، العسكرية والداخلية عامة ، أصدر الحاج أمين باعتباره رئيسا للجنة العربية العليا بيانا ذكر فيه أن الشعب ولجنته العليا في فلسطين ، كانوا ولا يزالون يرحبون بوساطة ملوك العرب ورؤسائهم . وقد قبلوا بكل ارتياح وشكر ، ولا يزالون مستعدين لتنفيذ هذه الوساطة بكل ارتياح " (٢٦٣). وفي هذه الفترة ذاتها كثف المفتي عربانصالاته بالملك ابن سعود من اجل أن يعادل موقف كل من الامير عبد الله والعراق ، وكانت الاتصالات تجرى عبر القصاب ، الذي تشير التقارير الى أنه كان يقيم في القدس بصورة شبه دائمة (٢٦٤).

أما عن شروط هذه الوساطة ، فانه على العكس مما يذهب اليه بوراث في أن المفتي طلب أن تكون الوساطة بدون قيد أو شرط (٢٦٥) فان المادة المصدرية لدينا تدل على أن المفتي ظل وراء الشروط مقابل وقف الاضراب الى الساعات الاخيرة قبل وقف هذا الاضراب . (٢٦٦) فعلى اثر اتصال المفتي بابن سعود اتصل الاخير بوزارة الخارجية البريطانية وطالب باصدار العفو عن كل المساجين الذين اعتقلوا خلال الثورة (٢٦٧).

كما أن تقريرا آخر يذكر أن جمال الحسيني ـ كما سبق الاشارة ـ كان هو الوحيد ، بالاضافة الى المفتي طبعا ، الذي أصر على الشروط من بين اعضاء اللجنة.

ولقد برز موقف المفتي المتشدد والمطالب بشروط مقابل وقف اطلاق النار والاضراب من خلال اتصالاته بالعراقيين . فوثائق المركز الوطني العراقي تدل دلالة واضحة على الروحية التي هيمنت على المفتي خلال مناقشاته فالمدقق في نصوص برقية مؤرخة ١٥ سبتمبر ومرسلة من قبل ياسين الهاشمي رئيس الوزراء العراقي (٢٦٨) والذي كان آنذاك في استانبول والتي تلخص برقية أخرى سبق لياسين الهاشمي أن تلقاها من المفتي ، يستطيع أن يستنتج التالي :ـ

١. أن المفتي حاول أن يعتذر بطريقة غير مباشرة للاحباط الذي لحق بمعنة نوري السعيد عازيا هذا الاحباط للانجليز ، وأن يحيي هذه المبادرة من جديد.

٢. أن المفتي استجابة منه لمعتقلي صرفند (يعني جماعة حزب الاستقلال بصفة

خاصة) لا يزال مع الوساطة وليس ضدها : " اراد الحسيني ان يرد قول الحكومة البريطانية ان مساعي نوري لم تنجح ، وان يعزز موقفه امام معتقلي صرفند ، بانه باق على قبول الوساطة " (٢٦٩) .

٣ . ويظهر صلابة المفتي انه لا يزال وراء شروط مما تضيفه البرقية السابقة عطفا على ما سبق : " في الوقت الذي اصدر قرار الاستمرار في الاضراب بشدة بدلا من العودة للهدوء " (٢٧٠) .

٤ . فسر ياسين الهاشمي برقية المفتي بانها محاولة لاحراج العراق اذا هو حاول الانسحاب من الوساطة " ويريد ايضا ان يبقى موقف العراق في وضع حرج باعتبار ان اهالي فلسطين ما زالوا مرحبين بالوساطة ويريدون المؤازرة" (التوكيد من قبل المؤلف) . وكلمتا يريدون المؤازرة اذا ربطت بالجزء السابق لها " الاضراب بشدة بدلا من العودة الى الهدوء (٢٧١) كافيتان للدلالة على ان المفتي كان يصعد الاضراب من اجل الحصول على شروط معينة .

وقد تكرر هذا الموقف الذي يظهر انه استطاع التأثير على اعضاء اللجنة العربية لتبني موقفه ـ بالرغم من ميلهم لانهاء الاضراب الذي اشرنا اليه ـ اقول تكرر هذا الموقف من المفتي وابرق الى رئيس الوزراء العراقي يطالب بالتالي :ـ

ا ـ اعلان العفو العام .

ب ـ وقف الهجرة اليهودية مع وصول اللجنة بانتظار نتائج اعمالها .

جـ ـ ان الوساطة ستأخذ مجراها على الاسس التي اقترحها نوري السعيد (٢٧٢)

ويظهر من مراسلات السفارة البريطانية في بغداد مع وزارة الخارجية البريطانية والتي تشير ايضا الى موقف السعودية من الشروط التي اقترحها المفتي يظهر من هذه المراسلات ان ضغط المفتي لم يحقق أية نتيجة تذكر. واكثر من ذلك يظهر انه كان هنالك خطه معتمده لاحباط جهود عرب فلسطين في الاتصال بالعرب الاخرين ، من اجل الوساطة ، او بكلمات اخرى حرمان الفلسطينيين من أية فرصة للحصول على اى تنازل من خلال وسيط اخر ، فضلا ـ بطبيعة الحال ـ عن بريطانيا نفسها ، بل ان مطلب الوساطة بالشروط التي صدرت عن اللجنة العربية والتي عرضها رئيس الوزراء العراقي على السفير البريطاني قوبل بالتالي : "وكأجابة على ذلك (طلب الوساطة بشروط) اعطيت لرئيس الوزراء جوهر اجابات لمثل هذه الاسئلة التي اثارها الملحق السعودي في لندن . كما اشرت

لـه الى ان هذه الحركة لم تكن سوى محاولة لاستخلاص بعض الوعود المسبقة من اجل انهاء الاضطرابات . بل ان اللجنة العربية تحاول الان وضع العبء على اكتاف الحكومات التي طلب اليها ان توجه النداء (انهاء الاضراب) وستتحمل هذه الحكومات مسؤولية لا مسوغ لها ولا مبرر . وسيكون مصيرها الفشل اذا ما انتبهت لمثل هذه الاتصالات المتعمدة ." (٢٧٣) .

لم يرفض العراقيون ولا السعوديون . هذا التشدد الواضح من الانجليز . ولكنهم انحنوا امامه . فقد اهملت المطالب الفلسطينية في ضمان شروط مسبقة لوقف الاضراب . بل لقد جرى اكثر من ذلك . فقد تحول العراقيون والسعوديون الى محاولة اقناع اللجنة العربية والمفتي ، بالذات ، بوجهة النظر البريطانية والتي تنادي بوقف الاضراب بدون التزام مسبق ؛ كتب السفير البريطاني يقول اخبرني رئيس الوزراء اليوم انه نتيجة لاتصالات اوسع من اللجنة العربية معه (اي رئيس الوزراء) فانه اصدر تعليماته الى الفيصل العراقي في جنيف بالتلفون ليذهب الى القدس ، ويتأكد فيما اذا كان المفتي في حالة مناسبة تدل على اللين . عندئذ ، فأنني اعتقد ان هنالك امكانية ، ان الملك غازي سيقوم باصدار نداء على اساس خطوط غير مشروطة (٢٧٤) .

وفي مناسبات متعددة اخذ التشدد البريطاني شكلا يدل على الصلف والغرور ، كما كان يحمل في طياته الكثير من التهديد . فعندما حاول ـ على سبيل المثال ـ رئيس الوزراء العراقي ان يستفسر عن دور اللجنة الملكية في ضمان العدالة للقضية الفلسطينية ، لم يرد جواب السفير البريطاني عن القول :ـ

" ان من المضيعة للوقت ان نحاول تفهم ماذا ستفعل اللجنة ، او ماذا سيحصل بعد ان تكون اللجنة قد قدمت تقريرها " ولم يكتف بذلك بل اضاف والامر الوحيد الاكيد في كل هذا العمل الحزين انه ما لم يتوقف العنف ،فانه اللجنة الملكية لن تستطيع ان تفعل شيئا على الاطلاق ، بل ان كل يوم يضيع في التداول ، هو مسمار يدق في النعش العربي " (٢٧٥) .

وهكذا يظهر ان محاولات المفتي للعمل على توظيف المناقضات العربية ـ العربية ، والمناقضات الانجليزية العربية ، من اجل الحصول على شروط معينة كان نتيجتها الفشل التام .

وتدل الشواهد ايضا ، عن جهود الوساطة في اكتوبر قبيل ايام من وقف

الاضراب ، ان التحادل العراقي السعودي بلغ مداه ، وقد بلغ هذا التحادل حدا جعل البريطانيين يتدخلون في صياغة نص النداء الذي سيقدمه الحكام العرب الى الشعب الفلسطيني . وفي الواقع ان ما حصل ، بالنسبة لصياغة النداء ، كان اكثر من تدخل ، لقد كان من الناحية الواقعية فرضا لنص النداء : " واخيرا طلب رئيس الوزراء (العراق) نصا عربيا لمقترحاتهم في النداء الملكي " (٢٧٦) وتقول احدى الوثائق المؤرخة في ٢ اكتوبر " انه لن يتلقى الحكام العرب من حكومة جلالة الملك اي ذكر لاي شيء يدل ضمنا على توكيد معين بشأن ما ستعمله حكومة جلالته في فلسطين " (٢٧٧) .

ليس هذا فقط بل ان الاستهانة وعدم التقدير البريطاني للحكام العرب بلغ مداه ، فبينما كان هؤلاء الحكام يقبلون صيغة النداء من البريطانيين ، كان البريطانيون يخططون للقبض على المفتي وتنفيه كتتويج لجهود الوساطة العربية . ولعله لا يوجد اكثر توضيحا لهذا التعامل السياسي غير المتكافيء بين الطرفين العربي والبريطاني من البرقيات المتبادلة في ٨ اكتوبر فيما يتعلق بهذا النداء ففي هذا اليوم ارسل سير كلارك السفير البريطاني في بغداد الى أيدن وزير الخارجية يقول " اخبرني رئيس الوزراء أن ابن سعود يوافق على نص النداء وسيقوم بتوجيهه حالا . وسيذهب رسالة غازي اليه . ويأمل رئيس الوزراء أن يكون عدا في القدس . المفتي لديه نص النداء مسبقا . وسيذيعه بعد أن يعرضه على اللجنة " (٢٧٨) .

وفي اليوم نفسه أرسل السير كلارك الى ايدن مجيبا على اقتراح من وزارة المستعمرات بنفي المفتي . ولقد جرت البرقية على الوجه التالي : " بالرغم من أن المفتي ليس لديه شعبية شخصية لدى الحكومة العراقية ، وذلك بسبب تآمره مع الايطاليين . الا انه مع ذلك ، كان هو المفتي الذي فاوض ياسين باشا بنداء الملك غازي ، ومما لا شك فيه أن نفسه في هذه اللحظة ستحلق ابتهاجا غير جيد " .

ومهما يكن من امر فان الحكام العرب ظلوا حتى آخر لحظة متشككين بأن المفتي سيمرر فعلا عملية انهاء الاضراب ، استجابة لنداء الحكام العرب ، وعلى كل حال فان فكرة ابعاده ستبقى قائمة ولن تلغى ، ولكنها ستنتظر الظروف الملائمة . فقد كان نص برقية كلارك على الوجه التالي : " اذا اتضح بعد عدة أيام أن النداء قد فشل ، فان الاساءة ستكون أقل للحكومة العراقية من جراء عملية الابعاد . . .

أما رد فعل الجمهور فمن الصعب التكهن به ، ولكنني أتوقع أن مهمة الحكومة في السيطرة على هياج الشعب ستكون أكثر صعوبة" (٢٧٩) .

أن هذه البرقية تتحدث عن نفسها . لقد كان المفتي محبوبا من الجماهير وليس الا . كما أن المفتي كان الوحيد المستهدف من بين جميع المشاركين في المعادلة السياسية للمعسكر العربي . ولقد كان المفتي حتى النهاية يعمل ـ وهو يعلم أنه يسبح ضد التيار بفعل تفاقم الظروف المحلية والعربية ضد الثورة ـ للحصول على شروط ، ولقد كانت عملية ابعاده مقصودة لتكون خاتمة وتتويجا سيئا للثورة . وهي خطوة لا تخلو من كونها ستكون مصدر اذلال لعرب فلسطين ، بالنظر الى أن المفتي كان قد أصبح القائد الحقيقي للثورة ، ورمزا للنضال العربي . فبالنسبة لنص هذه البرقية التي تقسم المعسكر العراقي الى قسمين : الجماهير التي ستعارض النفي ، والحكام الذين سيقمعون هذا الجمهور ، يمكننا أن ندرك أن المفتي كان ضحية نوع من الاتفاق الضمني ، بين البريطانيين والانظمة العربية كل منهم يريد أن يحارب التطرف والراديكالية في المنطقة . والبرقية تدل ضمنا أيضا على أن المفتي فقد الفرصة للمناورة ، فما كان المفتي ينظر اليه كوسيلة للخلاص والانقاذ من المأزق الفلسطيني ، قد تهاوى أمام التضامن الانجليزي مع الحكومات العربية .

ومن هنا نجده يحاول أن يجنب الثورة ضربة مميتة ، ويحرم الجنرال دبل من فرصة مواتية لسحق الثورة وهو (أي دبل) الذي كان قد خطط لهجوم عام على الثوار في ١١ أكتوبر تنفيذا للقانون الحربي" (٢٨٠) وبذلك سبب ندما شديدا للجنرال " أعتقد دبل أن الفرصة قد فقدت من أجل اعادة توطيد السلام في البلاد" .

وبدلا من ذلك ، ترك للجنة العربية العليا السيطرة على الجانب العربي من فلسطين" (٢٨١).

وفي حقيقة الامر لقد تركت قوات الثورة بدون أن تمس وبالنسبة للمفتي فان انهاء الاضراب لم يكن أكثر من هدنة مسجلة.

" أعتقد العرب أن هنالك هدنة . فاللجنة العربية والمنظمات العربية بقيت سالمة ، واستبقت العصابات المسلحة تنظيماتها واسلحتها ، واحسن ما يوصف به الحال حقيقة هو أنه هدنة مسلحة" (٢٨٢).

حواشي الباب الرابع

(١) السفيري : المصدر السابق جـ ٢ ص ١٦ – ١٧ .

(٢) السفيري : المصدر السابق ص ١٢٠ .

(٣) العوري : فلسطين جـ ٢ ص ٦٥ .

(٤) رمسيز : يوميات كراس ٨ ص ٦٠ .

(٥) رمسيز : يوميات كراس ٨ ص ٦١ .

(٦) المصدر نفسه ص ٦٤ .

(٧) Hurewitz: Op.cit. p.67

(٨) فلسطين ٢١ ابريل ١٩٣٦ .

(٩) رمسيز : المصدر السابق ص ٧١ .

(١٠) رمسيز : يوميات ص ٧٠ .

(١١) فلسطين ٢١ ابريل ، ٢٢ ابريل ١٩٣٦ .

(١٢) Porath: Op.cit. Vol:II,p.162.

(١٣) العوري : فلسطين جـ ٢ ص ٥٦ – ٥٧ .

(١٤) P.A.S. 16 May 1936 FO 371/20018.

(١٥) Ibid.,

(١٦) عازر أحيا يومير : يوميات كراس ٨ ص ٧٨ – ٧٩ .

رمسيز :المصدر نفسه ص ٧٧ .

(١٧) H.C. to CS 26 April 1935 FO 371/20032.

(١٨) السفيري : المصدر السابق جـ ٢ ص ٢٧ .

(١٩) Ibid., 26 April 1936 FO 371/20032.

(٢٠) ابطر السفيري : المصدر السابق ص ١٤٢ .

العوري : فلسطين جـ ٢ ص ٥٨ – ٥٩ .

دروزة : حول الحركة جـ ٣ ص ١١٨ .

(٢١) انظر الحالدي : المصدر السابق ص ٢٢٢ .

مارن هربرت فلسطين ٢٦ ابريل ١٩٣٦ .

دروزة : حول الحركة جـ ٢ ص ١١٨ — ١١٩ .

النمورى : فلسطين جـ ٢ ص ٥٧ — ٦٠ .

(٢٢) P.R.O. c May 1936 :O 371/20018.

(٢٣) انظر دروزة حول الحركة جـ ٢ ص ١١٨ .
H.C to CO 12 September 1936 CO 733/311.

(٢٤) Pecart: op.ct, Box I File 3

(٢٥) Marlowe: op.cit., p. 139

(٢٦) Bowden: op.cit, p. 148.

(٢٧) Peel Report: op.cit, p. 132.

(٢٨) Harowitz: op.cit, p.68.

(٢٩) Tegart; op.cit, Box I file 3(c).

(٣٠) الحالدى : المصدر السابق ص ٢١١ .

(٣١) مذكرات عزة دروزة في نهوض فلسطين ١٩٧٨ .

(٣٢) احمد الامام : وثائق واوراق خاصة (مركز الابحاث — جزء ... رقم ١٤٧ صفحة : ٢١ ابريل ١٩٣٦ : .

(٣٣) رعنتر : يومنات كراس ٨ في اكثر من صفحة ، مارن الجزء ... السابق ص ٢٨٠ — ٢٩١ .

(٣٤) Peel Report: op.cit, p. 152.

(٣٥) H.C to CO 12/9/36 CO 733/311.

(٣٦) Ivgart: op.cit, Box I file 3

مارن : Porath: op.cit, Vol:II p. 172.

(٣٧) H.C. to C. 16 July 1936 FO 371/20022.

(٣٨) Tegart: op.cit, Box I File 3 (C).

(٣٩) Peel Report: op.cit, p. 134.

(٤٠) الحالدي : المصدر السابق ، ص ٢١١ .

(٤١) Tegart: op.cit, Box I,File (C).

(٤٢) الكيالي : المصدر السابق ص ٢٠٥ – ٢١٥ .

(٤٣) انظر المراجع التالية على سبيل المثال :-

١ – صبحي ياسين : المصدر السابق ص ٢٠ – ٢٦ .

٢ – رمضان : القضية الفلسطينية (دار المعارف بمصر ١٩٥٥) ص ٤٧ – ٩٨ .

٣ – دروزة : القضية ج ١ ص ١١٨ وما بعدها .

(٤٤) Lucas: op.cit, p. 102.

(٤٥) First: op.cit, p. 60.

(٤٦) Tegart: op.cit, Box I,File 3(C).

(٤٧) Ibid.,

(٤٨) انظر مثلا ما هو مكتوب عن عبد الله حلاق وما هو مكتوب عن محمود بكر أكرم رمضان وتوفيق عبد الرزاق وسليم عبد الرحيم ومحمد علي الطاهر في :- Tegart: op.cit,Box I, File 3.

(٤٩) Ibid.,

(٥٠) انظرها على سبيل المثال تقرير مطول عن العيسى في :-
Tegart: op.cit, Box I ,File 3 CO. 125.3,1933.

وانظر أيضا :-
Appendix "B" Short list of Principal Arab Personalities in Palestine FO 371/20018.

(٥١) Tegart: op.cit, Box I File 3.

(٥٢) Peel Report: op.cit, pp.132-133.

(٥٣) Ibid.,

(٥٤) Ibid.,

وانظر أيضا صبحي ياسين : المرجع السابق ص ٢٢ .
P.A.S. 12/71936 FO 371/20018.

(٥٦) Tegart: op.cit, Box I,File 3 (A).

(٥٧) Ibid.,

(٥٨) Tegart: op.cit, Box I,File 3 (A).

(٥٩) Ibid.,

(٦٠) Ibid.,

(٦١) Ibid.,

(٦٢) Ibid.,

(٦٣) Ibid.,

(٦٤) Ibid.,

(٦٥) Ibid.,

(٦٦) Ibid.,

(٦٧) Ibid.,

(٦٨) Peel Report: op.cit, p.97
الخالدي : المصدر السابق ص ٢١١ – ٢٢٥ .
فـــارن :- Porath: op.cit, Vol:II, p. 166.
Hurewitz: op.cit, p.82.

(٦٩) Porath: Ibid., زعيتر : يوميات كراس ٨ ص ١١١ فارن .

(٧٠) السفري : المصدر السابق جـ ٢ ص ٢٨ – ٢٢ .

(٧١) الامام : وثائق واوراق خاصة : سجل المجلس الاسلامي الاعلى جـ ٢ ص ٢٠٠
فـــارن : F.C to SC 17/5/36. CO 733/297.

(٧٢) P.A.-. 2/5/36 FO 371/20018.

(٧٣) Ibid.,

(٧٤) Porath: op.cit, Vol: II,p.169.

(٧٥) H.C to Parkinson 22 October 1936.
FO 371/20018.

(٧٦) Marlowe: op.cit, p. 142.

(٧٧) الحسيني : المصدر الســـابق ص ٢٢١ .

(٧٨) H.C to Parkinson 22 October 1936 FO 371/20018.

(٧٩) H.C to CC 1936 CO 733/297.

(٨٠) Marlowe, John: Rebellion in Palestine (London '54) p. 157.

(٨١) الغوري : فلسطين جـ ٢ ص ٨١ .

(٨٢) فلسطين ٢٥ ابريل ١٩٣٦ .

(٨٣) المصدر ذاته .

(٨٤) دروزة : حول الحركة جـ ٣ ص ١٢٠ — ١٢١ .

(٨٥) زعيتر : يوميات كراس ٨ ص ١٠٠ .

(٨٦) Tegart: op.cit, Box I File 3.

(٨٧) Tegart: op.cit, Box I file 3.

(٨٨) Ibid.,

(٨٩) Ibid.,

(٩٠) Ibid.,

(٩١) انظر زعيتر يوميات ص ٦٠ وما بعدها

فارن Porath: op.cit, Vol: II, p. 163.
Ibid., Vol: I, p. 204.

(٩٢) Tegart: op.cit, Box I file 3.

(٩٣) Ibid.,

(٩٤) زعيتر : المصدر ذاته .

(٩٥) الحوت : المصدر السابق ص ٤٠٨ .

(٩٦) زعيتر : المصدر ذاته .

(٩٧) دروزة : القضية جـ ١ ص ١٣٢ .

(٩٨) Porath: op.cit, Vol: II p. 190. فارن : زعيتر يوميات الكراس ٨ ص ١٩٠

(٩٩) Schectman: op.cit, p.46

فارن زعيتر يوميات كراس ٨ ص ١٩٠ الذي يذكر قد تعداد منهم من قائلات مختلفة مثل الحسيني وحسون وعبده . انظر ايضا . الحالدي المصدر السابق ص ٢٢٦ .

(١٠٠) رعيـــر : المصدر الســـــابق ص ١٩٣ .

(١٠١) انظر وثائق رعيـر : الوثيقـــة رقم ٣٢ .

(١٠٢) انظر ما هو مكتوب عن جمال الصمام في :
Degart: op.cite. Box File 3

(١٠٣) انظر ما هو مكتوب عن اسماعيل طوباسي في : Ibid.,

(١٠٤) انظر ما هو مكتوب عن احمد الطاهر وعطا ابو طاب وحسن الحسامي في :- Ibid.,

(١٠٥) Ibid.,: BoxI,File 3.

(١٠٦) H.C to CO 12 September 1936 CO 733/311.

(١٠٧) السري : المصدر السابق جـ ٢ ص ٥٧ .

(١٠٨) Marlowe: op.cit, p. 140.

(١٠٩) المصدر السابق جـ ٢ ص ٣٦ كان حسن صدقي الدجاني احد قادة الحرس الوطنـــــي .

(١١٠) المصدر الســـابق ص ٧٠

(١١١) نص القرار الكامل موجود في العوري :فلسطين جـ ٢ ص ٢٢ - ٢٧ .

(١١٢) Porath: op.cit, Vol: II,p.178.

(١١٣) Ibid.,

(١١٤) Porath: op.cit, Vol:II:.194.

(١١٥) Ibid.,

(١١٦) انظر فاسمة ، جويدة (اعداد) فلسطين في مذكرات الفاوقجي (جروب مركز الانجاب ١٩٧٥) جـ ٢ ص ٥٨ .

(١١٧) Porath: op.cit, Vol: II,p.166.

(١١٨) المصدر السابق : فلسطين في مذكرات الفاوقجي ص ٥٨ .

(١١٩) المصدر ذاتـــــه ص ٥٩ .

(١٢٠) Schectman: op.cit., p. 48.

(١٢١) H.C to CO 22/8/1936 CO 733/314.

قارن دروزة حول الحركة جـ ٢ ص ١٢٩ - ١٣٠ .

(١٢٢) العوزى : فلسطين جـ ٢ ص ٩٢ .

(١٢٣) دروزة : حول الحركة جـ ٢ ص ١٣١ .

(١٢٤) قارن :-
Porath: op.cit, Vol:II,p.188.
P.A.S. 18 August 1936 FO 371/20018.
Tegart: op.cit, Box I, File 3.

(١٢٥) P.A.S. 27 October 1936, FO 371/20018.

(١٢٦) Cohen: op.cit, pp.44 -45.

(١٢٧) Tegart: op.cit, Box I,File 3.

(١٢٨) The Palestine Police Headquarters, Jerusalem 27 Oct.,1936 FO 371/20028.

(١٢٩) Hirst: op.cit, pp.220-230.

(١٣٠) Tegart: op.cit, Box I,File 3.
قارن الكيالي : المصدر السابق ص ٢١٦ .

(١٣١) العـــــوري .

(١٣٢) Ibid.,

(١٣٣) العوري : فلسطين جـ ٢ ص ٨١ . السفري المصدر السابق جـ ٢ ص ١٤٠ .

(١٣٤) المصدر ذاتـــــه ص ٨٢ - ٨٣ .

(١٣٥) المصدر ذاتـــــه ص ٧٥ .

(١٣٦) Marlowe: Rebellion, p.157.

(١٣٧) Sykes: op.cit, p. 129.

(١٣٨) Laqueur: op.cit, pp. 96-97.

(١٣٩) صبحي ياسين : المصدر السابق ص ٢١ - ٢٦ .

(١٤٠) الكيالي : المصدر الســـابق ص ٢١٠ .

(١٤١) Porath: op.cit, Vol:IIp.106,

(١٤٢) Marlowe: Rebellion, p. 164.

(١٤٣) FO to Sir, Clark Kerr(Baghdad),Sir R. Bullard,(Jedda), Mr. Kelly (Alexandria) 7 October 1936 CO 733/311.

(١٤٤) Appendix"B" List of Arab Gang Leaders,Feb. 26,1937. FO 371/20824.

(١٤٥) انظر : أ ـ Appendix B Ibid.,

ب ـ الغوري : فلسطين حـ ٢ ص ٥٦ ـ ٦٦ .

جـ ـ Tegart: op.cit, Box I File 3.

د ـ ياسين : المصدر السابق ص ٣٢ .

(١٤٦) Hurewitz: op.cit, p.83.

(١٤٧) Sykes: op.cit, p.150.

(١٤٨) ياسين : المصدر السابق ص ٣٢ ـ ٣٣ .

(١٤٩) المصدر ذاتـــــه ص ٣٣ .

(١٥٠) المصدر ذاتـــــه ص ٣٣ .

قارن أيضا دروزة : حول الحركة حـ ٣ ص ١٣١ ـ ١٣٣ .

الغوري : فلسطـــين حـ ٢ ص ٧٦ .

(١٥١) Tegart: op.cit, Box I,File 3 (A).
DS. 125. 3H8.

(١٥٢) Enclosure No.99, Baghdad August 17,1936
received August 31,1936 FO 406/74/8251.

(١٥٣) مقابلة المؤلف مع الاستاذ كامل الدجاني سنة ١٩٧٧ .

(١٥٤) مقابلة مع عبد الله الكليب وكيل وزارة البترول والمعادن في الكويـــت سابقا في ربيع ١٩٧٧ .

(١٥٥) مقابلة المؤلف مع الاستاذ عبد الله السعاف المسؤول عن هيئـــة الخليج العربي في وزارة الخارجية الكويتية ـ مايو ١٩٧٨ .

(١٥٦) P.A.S. 5/5/1936.

(١٥٧) الغوري : فلسطـــين حـ٢ ص ١٠٣ .

(١٥٨) الغوري : المصدر ذاته ، قارن دروزه حول الحركة حـ ٣ ص ١٣٢ .

(١٥٩) الغوري : المصدر السابق ، ص ١٠٤ .

(١٦٠) المصدر ذاته ص ١٠٤ .

قارن : Porath: op.cit, Vol:II,pp 199-200.

(١٦١) Enclosure No:99,Baghdad Aug.,17,1936.
received Aug.,31,1936.

(١٦٢) Ibid.,

(١٦٣) Ibid.,

(١٦٤) Ibid.,

(١٦٥) F.A.C. 12.7.1936 FO 371/20018.

(١٦٦) Foreign Secretary Memorandum 20/6/1936. CO 733/312.

(١٦٧) العوري : فلسطين ج ٢ ص ١٠٧ — ١١٠ .

(١٦٨) فارن :— F.A.C. 15th Aug.,1936 FO 371/20018.
المصدر ذاته ص ٩٥ .

(١٦٩) Record of interview with the secretary of State. Present were Jamal Effenai Huusaini, Shibli Effendi Jamal, Dr. Izzt Tannus and Emile el-Ghuri,14 July 1936 CO 733/321.

(١٧٠) Ibid.,

(١٧١) Ibid.,

(١٧٢) Ibid.,

(١٧٣) Monroe,Elizabeth: Britain's Moment in the Middle East (London)1964 p.86.

(١٧٤) وثائق المقاومة ص ٣٨٠ ، فارن فلسطين ١٩٣٦/٤/١٧ .

(١٧٥) الجزيرة ١٩٣٦/٥/١ انظر خلة : المصدر السابق ص ٢٩٦ .

(١٧٦) Porath : op.cit, Vol:II,p. 202.

(١٧٧) F.O: op.cit, Vol II,p. 777,857.

فارن جابع أنيس : الهاشميون وقضية فلسطين (ضد) بيروت ١٩٧٤ ص ١٥٦ — ١٥٧ .

(١٧٨) Porath: op.cit, Vol:II, p. 202.

(١٧٩) Ibid.,

(١٨٠) وثائق زعيتر : الوثيقة رقم ٥٥ المجموعة الثالثة .

(١٨١) Porath: op. cit, Vol:II, p. 202-203.

(٢٠٤) Ibid.,

(٢٠٥) Ibid.,

(٢٠٦) P.A.S. 27th Oct.,1936 FO 371/20018.

(٢٠٧) Porath: op.cit, Vol:II, p. 206.

(٢٠٨) Ben Gerion: op.cit, p. 109.

(٢٠٩) P.A.S. 1st August 1936 FO 371/20018.

(٢١٠) ابو بصير ، صالح مسعود : جهاد فلسطين في حقب ثورة ١٩٣٦ ، ص ١٨٩ .

(٢١١) دروزة : القضيـــة ج ١ ص ١٢٩ .

(٢١٢) Hurewitz: op.cit, p. 71.

(٢١٣) P.A.S. 6/5/1936 FO 371/20018.

(٢١٤) Ben Gurion: op.cit, p. 110.

عارف رعنير : يوميات الكراس ٨ ص ١٠٥ .

(٢١٥) Porath: op.cit, Vol: II, p. 209.

(٢١٦) اوراق عوني عبد الهادي ، ص ٧٧ .

(٢١٧) رعنير : المصدر الســـابق ص ١٠٨ .

(٢١٨) Porath:op. cit, Vol:IIp. 209.

(٢١٩) Ben Gurion: op. cit, p. 110.

(٢٢٠) وثائق المركز العراقي وثيقة رقم ١٤٤٩/ملف ١/و/١٩٣٦ .

(٢٢١) Ben-Gurion: op.cit, p. 111.

(٢٢٢) Porath: op.cit, Vol:II, pp. 204-211.

(٢٢٣) فلسطين في مذكرات الفاوقجي ج ٢ ص ٢٢ .

(٢٢٤) المصدر ذاتـــــه ص ٢٦ .

(٢٢٥) رعنـــر :يوميات كراس ٨ ص ١١١ .

(٢٢٦) Ben Gurion: op.cit, p. 111

P.A.S. 1st, September 1936 FO 371/20018.

(٢٢٧) زعيتر : يوميات كراس ٨ ص ١٢٦ .

(٢٢٨) Porath: op.cit, Vol:II, p.210.

(٢٢٩) Ibid.,

(٢٣٠) CS to HC 2/9/1936 CO 733/314.

(٢٣١) CS to HC 1 September 1936 CO 733/297.

(٢٣٢) Cohen,J.Michael: Palestine Retreat From the Mandate(Paul Elek London 1978)p. 26.

(٢٣٣) نص الرسالة موجود لدى : زعيتر : يوميات الكراس ٨ ص ١٨٢ .

(٢٣٤) الصايغ : المصدر السابق ص ١٢٦ .

(٢٣٥) قارن : P.A.S. 28,Sept.,1936 FO 371/20018.
Peel Report: op.cit,

(٢٣٦) فلسطين في مذكرات الفاوقجي جـ ٢ ص ٢٧ .

(٢٣٧) المقطم ١٦/٩/١٩٣٦ .

(٢٣٨) العدد ذاته ١٧/٩/١٩٣٦ . قارن دروزة : حول الحركة جـ ٣ ص ١٤٢
قارن أيضا :- P.A.S. 25 Sept.,1936 FO 371/20018.

(٢٣٩) السفرى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٥٧ - ٦٠ .

(٢٤٠) الغورى : فلسطين جـ ٢ ص ٩٦ .

(٢٤١) انظر نص الرسالة في فلسطين في مذكرات الفاوقجي ص ٣٨ - ٣٩ .

(٢٤٢) المصدر ذاته ص ٣٩ .

(٢٤٣) Porath: op.cit, Vol:II, pp.213.

(٢٤٤) Ibid.,

(٢٤٥) أ . حضر ، علي محفوظ : تحت راية الفاوقجي (دمشق ١٩٣٨) ص ٢٥ - ٢٨ .
ب - وثائق المقاومة ص ٤٣٣ - ٤٣٦ .
جـ - وثائق زعيتر : المجموعة الثالثة عن ملاعات العساده العامه

(٢٤٦) الحوت : المصدر السابق ص ٤١٢ .

(٢٤٧) الغورى : فلسطين جـ ٢ ص ٩٦ .

(٢٤٨) المصدر ذاتـــه .

(٢٤٩) مركز الابحاث ضد الوثائق الملف ب/٤ رقم الوثيقة ١ .

(٢٥٠) Porath: op.cit, Vol:II, p. 191.

(٢٥١) العوري : فلسطين حـ ٢ ص ٨١ — ٨٤ .

Porath: op.cit, Vol:II, p. 192. قـــارن :

(٢٥٢) انظر فلسطين في مذكرات الفاوجي حـ ٢ ص ١٠٦ — ١٠٨ .

(٢٥٣) مقالة المؤلف لاحمد سمسة الذي كان مسؤولا عن دفع عبد الرؤف نحو المقاومة في ربيع ١٩٣٨ في الكويـــت .

(٢٥٤) العوري : فلسطين حـ ٢ ص ٩٧ — ٩٨ .

(٢٥٥) العوري : المصدر ذاته حـ ٢ ص ٩٧ — ٩٨ .

Porath: op.cit, Vol:II, p. 212. قارن :

(٢٥٦) Peel Report: op.cit, p. 101.

(٢٥٧) H.C to CS 12 Sept.,1936 CO 733/311.

(٢٥٨) Ibid.,

(٢٥٩) Ibid.,

(٢٦٠) P.A.S. 7 October 1936 FO 371/20018.

(٢٦١) العوري : فلسطين حـ ٢ ص ٩٦ — ٩٧ .

(٢٦٢) H.C to CS 12 Sept.,1936 CO 733/311.

(٢٦٣) وثائق المقاومة ص ٢٢٩ — ٢٤١ .

(٢٦٤) P.A.S. 7 October 1936 FO 371/20018.

(٢٦٥) Porath: op.cit, Vol:II, p. 212.

(٢٦٦) P.A.S 14 October 1936 FO 371/20018.

(٢٦٧) Minute by J.M. Martin 18 Sept.,1936 in CO 733/314.

(٢٦٨) وثائق المركز الوطني العراقي وثيقة رقم (١٦١/٥/١٥/١٩٣٦ - الموقع ياسين الهاشمي بتاريخ ١٩٣٦/٩/١٥ ومرسلة الى نوري السعيد

(٢٦٩) المصدر ذاتـــه .

(٢٧٠) المصدر ذاتـــــه .

(٢٧١) المصدر ذاتـــــه .

(٢٧٢) Batman to Eden 27 September 1936 FO 406/74.

(٢٧٣) Ibid.,

(٢٧٤) Batman to Eden 2 October 1936 FO.406/74.

(٢٧٥) P.A.C. 28 Sept., 1936 FO 371/20018.
Ibid.,

(٢٧٦) Ibid.,

(٢٧٧) Clark-Kerr: FO 20 October 1936 FO 371/20018.

(٢٧٨) Clark to Eden 8 October 1936 FO 406 /74.

(٢٧٩) Ibid.,

(٢٨٠) H.C to CO 3 October 1936 CO 733/314.

(٢٨١) Dill to Chief Imperial General Staff Oct., 15,1936 W.O 32/4178.

(٢٨٢) Cohen,J: " Sir Arthur Wanchope, the Army and and the Rebellion in Palestine,1936" Middle Easte -n Studies (St. Antony's College-Oxford) Vol:9, 1973, p. 2..

البـــــاب الخامـــــس

موقف الحزبين في الفترة الانتقالية ما بين نهاية الاضراب والمرحلة الاولى من الثورة (اكتوبر ١٩٣٦) الى حل اللجنة العربية العليا والاحزاب (اكتوبر ١٩٣٧)

- ١ -

ممارسات الحزبين حتى قدوم اللجنة الملكية

كانت الفترة التي تلت وقف الاضراب في اكتوبر ، كما أشرنا سابقا بمثابة هدنة مسلحة . فالثورة لم تلق السلاح . كما أن المشكلات الرئيسية التي عانى منها الفلسطينيون العرب لم تلق حلا . وعلى هذا فقد مارس الحزبان أو هياكلهما الاساسية ، وبالذات قياداتهما نشاطيهما ضمن اطار ذى طابع مزدوج : اطار الثورة التي لم تلق السلاح ، واطار ترقب الحلول . وعلى ما يظهر فقد تركت ممارسات الثورة ، وما نجم عنها من تصاعد قوة المفتي ، وبالمقابل ضعف راغب النشاشيبي أثرها على ممارسات الحزبين وقوتهما في فترة ما بعد الثورة . فتقارير السلطة عن هذه الفترة تصور موازين القوة بين الطرفين على الوجه التالي : تعاظم قوة المفتي وانصاره (وكذلك حزب الاستقلال والشباب) " خرج المفتي من الثورة وهو الرجل الاقوى أو الاول (strongman)في فلسطين " (١) . وضعف حزب الدفاع وانشقاقه على نفسه . فقد انسحب في شهر نوفمبر حسن صدقي الدجاني من الحزب (٢) كما تشير التقارير الى ان راغب فقد معظم نفوذه (٣) ويبدو أن الحزب استمر في طريق الضعف حتى وصل الى درجة الانحلال الكامل (٤) .

وكان لاختلال ميزان القوى بين الحزبين ، ولطغيان أثر المفتي في اللجنة العربية العليا ان فكر راغب في الانسحاب من هذه اللجنة وهدم الاطار الذى

تصاعدت من خلاله قوة خصمه . ولقد برر راغب موقفه من الانسحاب من هذه اللجنة بانها ـ اى اللجنة ـ انما قامت من أجل قيادة الشعب خلال الاضراب . ولما كان الاضراب قد انتهى فانه لا حاجة لهذه اللجنة . وعندما رفض هذا الطلب بالانسحاب من قبل اللجنة ازداد الحزب تدهورا (٥) . ومع ذلك فقد توقف ممثلو حزب الدفاع عن حضور اجتماعات اللجنة طوال شهرى تشرين الثاني وكانون الاول ١٩٣٦ (٦) .

ومهما يكن من أمر فقد استمرت اللجنة العربية ايضا تمارس نشاطها في قيادة الحركة الوطنية وقد تميز هذا النشاط بالتركيز على بعض الجوانب التنظيمية من قبل جمع النقود من أجل دعم الاضراب والثورة في حالة تجددهما (٧) .

كما ركزت اللجنة في هذه الفترة على تنظيم مقاطعة فعالة للبضائع اليهودية وبحسب أحد التقارير السرية ، فان الاهتمام الاساسي للمنظمات السياسية في هذه المرحلة ـ الانتقالية ـ منصب على قضيتين اساسيتين الاولى استقبال اللجنة الملكية ـ مما سنتحدث عنه تفصيليا فيما يأتي ـ والقضية الاخرى هي تنظيم مقاطعة لليهود والتخلص من آثار تجارهم (٨) . وقد سنت اللجنة العربية العليا حملة دعائية ضخمة تولى أمرها كالعادة ، الصحافة والعلماء والوعاظ من رجال المفتي الذين حثوا الناس على الالتزام بقواعد المقاطعة " (٩) .

ـ ٢ ـ
الحزبان يقاطعان اللجنة الملكية

ولكن أهم الامور التي استأثرت باهتمام الاحزاب والحركة الوطنية عامة كان قدوم اللجنة الملكية الى فلسطين في نوفمبر ١٩٣٦ من أجل تقييم أسباب ثورة ١٩٣٦ ووضع الحلول المناسبة (١٠) وقد رحب العرب بهذه اللجنة ابتداء بينما لم يرحب بها اليهود (١١) ومن هنا فقد اعدوا انفسهم لاستقبالها واعتبر الاهتمام بأمرها أولوية كبرى (١٢) : "ان نشاط المنظمات السياسية منصب على الاستعداد لعرض القضية العربية على اللجنة الملكية .. ومن أجل ذلك شكلت لجنة فرعية من اللجنة العربية جمعت مادة وثائقية كبيرة" (١٣) ويؤيد هذا الغوري ، ويقول أن اللجنة العربية شكلت لجانا خاصة من المحامين والخبراء الفنيين لاعداد

الوثائق والمستندات والدراســـات (١٤) .

ولكن هذا الاستعداد توقف وكان هذا التوقف في ظل المعطيات التالية : فقد حاولت القيادةالعربية استباق قدوم اللجنة الملكية وحذرت المندوب السامي من أنه اذا كان قدوم اللجنة لن يكون مصحوبا بوقف الهجرة فلا داعي لقدومها . فقد حذر المفتي واكهوب أنه اذا أعطى اذن بالهجرة فان السلام في البلاد سيتعرض للخطر ، كما أن جمال الحسيني أخبر المندوب السامي انه اذا كان وزيـر المستعمرات سيسمح باذن عمل جديد فانه لا حاجة لارسال لجنة ملكية لان هذا سيكون بمثابة اصدار حكم مسبق في قضية لا تزال تحت النظـر (١٥) .

وعلى هذا فقد أصدرت اللجنة العربية بتاريخ ٤ نوفمبر ١٩٣٦ بيانا ربطت فيه بين موقفها من اللجنة الملكية وموقف الحكومة البريطانية من الهجرة وقالت اذا لم توقف الهجرة فانها ستقاطع محادثات اللجنة وتدعو العرب الاخرين ليحذوا حذوهـــا (١٦) .

وعندما أعلن وزير المستعمرات في ٥ نوفمبر أن الهجرة لن تتوقف وانه سيسمح بهجرة ما اعتبره نسبة قليلة من اليهود : ١٨٠٠ ، كان لهذا الاعلان وقع سيئ على العرب كما كان مصدر دهشة واستغراب (١٧) واعتبرت جريدة اللـــواء ـ جريدة جمال الحسيني ـ هذا التصرف من بريطانيا بأنه لا يدل على أنهـــا الجديرة بالثقة ، كما أنه طعنة في الظهر ، لا سيما وانه جاء بعد أن أخلد العـــرب للهـــدوء (١٨) .

كما أن اللجنة العربية ـ بجميع أعضائها ـ اجتمعت في ٦ نوفمبر واصدرت بيانا قالت فيه أن " اللجنة تستنكر هذا الموقف وتقرر عدم التعاون مع اللجنـــة الملكية ، وتدعو الامة الكريمة ان تعمل بهذا القـــرار " (١٩) .

ولم تفلح جهود واكهوب في حمل اللجنة على التحول عن موقفها وتغـيير قرارها . وقد تولىالدفاع عن موقف اللجنة هذا أمام المندوب السامي ـ في الاجتماع الذى عقد يوم ٧ نوفمبر ـ جمال الحسيني الذى اتسم موقفه بالمعارضـــة الشديدة لاقتراح المندوب السامي بالعدول عن المقاطعـــة (٢٠) .

ولم تتوان اللجنة لحظة في الدعوة لموقفها وتجميع الناس حول المقاطعة . ففي يوم ٦ نوفمبر ـ يوم اصدار البيان بالمقاطعة ـ غادر عضوان هامان في اللجنة وهما عوني عبد الهادى والدكتور حسين خالدى الى شرق الاردن لاعلام الامير

عبدالله من الموقف من المقاطعة (٢١) ، كما يظهر أنه سادت البلاد موجة كبرى من الاستنكار تضامنا مع موقف اللجنة : " ان الحالة في البلاد تتغير بسرعة كبيرة كما أن عدم الثقة بالحكومة يعبر عنه بصورة علنيـــة " (٢٢) .

وعندما وجه بيل نداءه الى العرب قائلا " هل لنا أن نسأل اولئك الذيـــن يحبون فلسطين ويرجون الخير لمستقبلها ان يشتركوا معنا ويساهموا في اعمالنا " (٢٣) لم يسفر هذا النداء الا عن رسالة بعث بها الحاج أمين الى اللورد بيل يعتذر فيها عن عدم تمكن الشعب العربي من القيام بواجب الضيافة حسب تقاليده الموروثة ، بسبب موقف الحكومة البريطانية الاخير (٢٤) كما قال المفتي ايضا أنه لما كانـــت الحكومة البريطانية " هي المرجع والحكم في تحقيقات اللجنة ، فان العرب لم يعد لهم أمل في انصاف الحكم لهم . لهذا لم يروا ، مع الاسف ، أية فائدة في التعاون مع لجنتكم الموقـــرة " (٢٥) .

وعندما وصلت اللجنة الملكية في ١١ نوفمبر قاطع جميع المدعوين العرب حفل الاستقبال الذي أعده المندوب السامي لهذه اللجنـــة (٢٦) .

— ٣ —

اللجنة العربية تعدل عن مقاطعـة اللجنة الملكيـة

تضافرت عدة عوامل جعلت اللجنة تعدل عن موقفها من مقاطعة اللجنـــة الملكية . وقد تمثلت هذه العوامل في حملة من الضغوط الخارجية والداخلية التـي تمكنت في النهاية من ثني اللجنة عن عزمها على الاستمرار في المقاطعـة .

١ ـ الضغوط الخارجية : كانت بادرة أول ضغط خارجي على اللجنة ما قام بـــه الامير عبد الله الذي اختارته اللجنة ـ كما سبق لنا القول ـ من أجل أن تعلمه بقرارها سعيا ورا تضامنه معها ، ولكنه استنكر موقفها . ويعزو عزة دروزة هذا الموقف من الامير لضغوط انجليزية " وكان الحاج الانجليز ظاهرا في هذا الضغـــط الذي بدأ به عاهل الاردن ... حيث أرسل يخطئ اللجنة في قرار المقاطعة (٢٧) وقد جاء الامير الى القدس عقب وصول اللجنة ودعاها الى عمان كما أنه حاول في القـدس ان يقنع اللجنة بالاتصـال بها أو " تفويضـه كتابيا ليتكلم باســم

الفلسطينيين " (٢٨) . ولم يلبث أيضا أن انقلب الى الملك غازى وابن سعود ليحاولوا جميعا القيام باقناع الزعماء الفلسطينيين ان يتجنبوا هذه الخطوة المميتة مهما كان تصميمهـــم (٢٩) .

وعلى ما يظهر فان الملك ابن سعود والملك غازى لم يكونا بحاجة الى حث من الامير عبد الله . يقول عزة دروزة " منذ أبحرت اللجنة الملكية والضغط يتوالى على اللجنة العربية من عمان والرياض وبغداد وبنوع خاص من عمـــان والرياض " (٣٠) وقد وصل الامر بابن سعود ان يهدد بوقف محاولاته في سبيـــل فلسطين وقطع علاقاته مع اللجنة " وأخذت برقيات الرياض تتوالى كذلك ملحـــة بالاتصال ومنـذرة بالعواقب بقطع الصلات واعتبار المقاطعة مبدلا لمفعول النـــداء والوساطة الاولـــى " (٣١) .

ولم يجد اللجنة العربية نفعا الوفد الذى أرسلته الى الرياض وبغداد مكونا من عوني عبد الهادى وعزة دروزة وكامل القصاب ومعين الماضي ليقنع الحكـام العرب بتعزيز موقف اللجنة . بل على العكس فقد عاد الوفد يحمل رسالة الى اللجنة العربية العليا تقول : " ان المصلحة تقضي بالاتصال باللجنة الملكيـــة والادلاء اليها بمطالبكم العادلة ،لان ذلك أضمن لحقوقكم وأولى لمساعدة اصدقائكم في حســن الدفـــاع عنـكم " (٣٢) .

ومن أجل أن ندرك مقدار هذا الضغط من قبل الحكام العرب فانه ينبغي أن نتذكر أنه من جراء هذا الضغط واستجابة لما سمي " النداء السامي " ــ ضمـــن ضغوط اخرى سنتحدث عنهافي‌ماسيلي ــ حدث التغيير الكلي في موقف اللجنة من المقاطعة . ويذكر أحد المراجع أن قبول اللجنة بالمثول أمام اللجنة انما كـــان " نيابة عن الحكام العرب " (٣٣) وعلى أية حال فقد اعتبرت بعض المصادر الاخرى هذا الضغط من قبل الحكام العرب على الفلسطينيين دليلا لدى الكثيرين على أن ولاء الدول العربية " لا زال للصديقة بريطانيا أكثر منه للمصالح الفلســطينية " (٣٤) .

ولم يقتصر الضغط الخارجي على الحكام العرب بل تعدى ذلك الى بعـض أصدقاء القضية العربية وبوجه خاص في بريطانيا . فقد حث مستر بنيت وكولونيـل ستيوارت ونيوكمب ومس فرانسيس نيوتن ، العرب الفلسطينيين على الاتصال باللجنة لناحيتين : الاولى الايمان بعدالة نظرة هذه اللجنة مما سيتبعه انصـــاف

العرب ، والثانية ان المقاطعة ستجلب على العرب فقدان التعاطف البريطاني وتجعل عمل هؤلاء الاصدقاء أكثر صعوبة (٣٥) .

٢ـ الضغوط الداخلية : لم تسلم اللجنة العربية العليا من ضغوط من داخل فلسطين نفسها ،فقد سبق لنا الاشارة الى موقف واكهوب من اللجنة العربية عشية اصدار بيان المقاطعة من أجل العدول عنه . ويبدو انه مارس ـ آنذاك ـ ضغطا كبيرا حتى انه وصف موقف اللجنة" بالحمق والجنون " (٣٦) .

ويذكر اكثر من مصدر فلسطيني معاصر أنه كان هناك ضغط بريطاني في داخل فلسطين على الشعب الفلسطيني للاتصال باللجنة فالشقيري يذكر أن السلطات البريطانية"مارست ضغطا مباشرا وغير مباشر لحمل الشعب الفلسطيني على الاتصال باللجنة والعدول عن مقاطعتها" (٣٧)كما أن الغوري ينسب الى رسالة من نافذ الحسيني ، احد أفراد الحزب العربي البارزين "المساعي التي بذلتها الحكومة لحمل العرب على المثول أمام اللجنة الملكية (٣٨) ويظهر انه كان لواكهوب أثر كبير في عدول عوني عبد الهادى عن موقفه المتشدد من المقاطعة ، ليس ذلك فقط ، وانما التأثير على موقف اللجنة ككل . فبحسب احدى الرسائل الواردة في أوراق عوني عبد الهادى ـ من واكهوب ـ يذكر الاخير"ان جهوده (أى عوني) قد أثرت في اتخاذ الزعماء العرب بتقديم شهادتهم امام اللجنة " (٣٩) .

ولم يكن موقف عوني عبد الهادى وحده هو الذى أثر في تغيير موقف اللجنة العربية بل ان موقف حزب الدفاع كان معززا في زعزعة هذا الموقف . فبحسب احد تقارير البوليس نجد أن حزب الدفاع لم ينتظر طويلا حتى ينكر لموقفه من المقاطعة (٤٠) .

وقد عبرت جريدة فلسطين الناطقة بلسان الحزب عن موقف الحزب من المقاطعة بمقالة كتبتها في ١٩٣٦/١٢/٢٤ وانتقدت فيها موقف المفتي من هذه المقاطعة (٤١) ولم يلبث حسن صدقي الدجاني ان نشر بيانا أعلن فيه اعتزامه المثول امام اللجنة (٤٢) ولم تستبعد بعض المصادر اثر الامير عبد الله في موقف حزب الدفاع هذا من التنكر للمقاطعة (٤٣) . ويرى الكيالي أن موقف حزب الدفاع في العودة عن المقاطعة بأنه لم يكن استجابة لضغط الامير عبد الله بمقدار ما كان تعبيرا عن تضامن استراتيجي بين الطرفين من أجل مصالح هذين الفريقين وفي سبيل تقليص نفوذ خصومهم من السياسيين المحليين وبخاصة المفتي وأنصاره . ويوضح الكيالي التضامن الاستراتيجي بخوف كل من الدفاعيين والامير من اندلاع الثورة من جديد مما سيجعل الحاج أمين " يصبح دون شك سيد البلاد بلا

منازع (٤٤) ويؤكد الغوري بدوره أنه كان هنالك خلاف في الاستراتيجية بين حزب الدفاع والحزب العربي وأن خروج المعارضة على اللجنة لم يكن الا " لخوفهم من أن تعود اللجنة الى اضرام نار الثورة من جديـــد " (٤٥) .

كما أنه في هذه الفترة بدت في البلاد بوادر انشقاق داخلي وأخذ شكل نعرة طائفية اتهم المفتي الذين يروجونها بأنهم من "أعوان السوء وصنائع الاعداء من طلاب الصيد في الماء العكر" (٤٦) وفي البيان الذى أصدره المفتي في ٦ يناير اتهم الصهيونيين بأنهم يوعزون الى أذنابهم ومأجورييهم بتوزيع نشرات مملوءة بالدس والكيد والسم الزعاف سرا بين الناس في المدن والقرى محاولين بذلك صدع الجبهة الوطنية المتحدة بين الوطن الواحد من مسلمين ومسيحيين " (٤٧).

كان لهذه الضغوط الخارجية والداخلية مجتمعة أثرها وتفاعلاتها على الجبهة الداخلية الفلسطينية وعلى اللجنة العربية بالذات فقد بدأت بالتراجع عن موقفها تدريجيا وبانتظام .

ففي ٢١ نوفمبر اجتمعت اللجنة العربية لبحث الموقف ، وهنا نجد أنه تقرر بعد مناقشة حادة التمسك بقرارات المقاطعة . ولكن مع ذلك فقد أبقت اللجنة الباب مفتوحا . فقد قررت أيضا أنه سيعاد النظر في القرار اذا طلب ملوك العرب ذلك من اللجنة (٤٨).

وقد أبدى المفتي بعد ذلك رغبته في الاتصال باللجنة الملكية بصورة غير رسمية مع الابقاء على المقاطعة ، الا أن اللجنة الملكية رفضت الاســـتجابـــة لرغبتـــه (٤٩).

وفي ٦ يناير أصدرت اللجنة قرارها في العودة عن المقاطعة (وكانت اللجنة الملكية قد فرغت من سماع أصوات اليهود ممثلي الصهيونية) وقد نص هذا القرار " على الاتصال باللجنة الملكية نيابة عن الشعب العربي وبسط القضية على أن لا يتقدم أحد للشهادة الانفراديقدون موافقة اللجنة العربية" (٥٠).

وبالرغم من كل هذه الضغوط فقد كانت مقاطعة اللجنة ثم العدول بعد شهرين من اعلانها سببا في عدم اعطاء العرب قضيتهم ما تستحقه من الوقت والجهد اللازمين لعرضها كما ينبغي أمام اللجنة . كما أن هذه المقاطعة والعدول عنها كانت مثار نقد فقد اعتبرت مظهرا من مظاهر الخور والضعف أمام الضغـط

العربي من ناحية ، والضغط البريطاني من الناحية الاخرى .

فمن الناحية الاولى يتساءل الدكتور حسين الخالدي أحد أعضاء اللجنة ويقول : " ونفكر الان ونقول هل كنا على حق في مقاطعة اللجنة ؟ وجوابنا على ذلك بالسلب اذا اعتبرنا الاشهر التي ضاعت وكنا نستطيع فيها تحضير قضيتنا .." وعلى هذا فانه يؤثر لو استمر العرب في المقاطعة : " لقد كان على اللجنة أن تظل متمسكة بقرارها الاول ولاتتراجع عنه " (٥١) .

ومن الناحية الثانية يتحدث الشقيري عن انتقاد الرأي العام الفلسطيني " لموقف قيادته التي قررت قبل شهرين بالضبط (أي في ٦ نوفمبر) مقاطعة اللجنة الملكية ، وعادت اليوم تلغي قرارها السابق " (٥٢) .

ويستمد رأي الناقدين لموقف اللجنة في العدول عن المقاطعة أهميته من عدةنواح بالاضافة الى ما سبق ذكره . ولعل أهمها ان اللجنة كانت تفتقر الى البصيرة او الحكمة السياسية الكافية . كما يظهر أنها لم تستفد من تجربتها خلال السنوات الطويلة مع الاسلوب البريطاني واللجان التي لا تقدم ولا تؤاخر . " ولقد كان المفتي نفسه الذي قال اذا كانت بريطانيا لا زالت " هي المرجع والحكم في نتائج تحقيقات اللجنة الملكية فان العرب لم يعد لهم أي أمل في انصاف الحكومة لهم " (٥٣) . والذي يضع احداث هذه الفترة في منظورها التاريخي العام ويحاول قراءة المعادلة الفلسطينية من آخرها ، يستطيع ان يدرك أن الشهادات العربية أمام اللجنة الملكية لم تكن ذات أثر في القرار البريطاني الذي يبدو أنه كان أعد مسبقا . وان سماع للشهادات كان ، قصية رسمية فقط ذلك أن وايزمن في مذكراته يذكر أنه بعد موافقة اللجنة العربية بيومين فقط ـ ولم تكن قد أدلت بشهاداتها بعد ـ أطلعته اللجنة الملكية عن طريق أحد اعضائها على مشروع التقسيم (٥٤) .

ولعل مثول العرب أمام اللجنة الملكية اعطى لقرارها نوعا من المبرر أو المسوغ الشرعي كانوا في غنى عن اعطائها اياه .

ومن ناحية أخرى افتقدت اللجنة العربية الحس الواقعي او العملي بعدم مثولها أمام اللجنة الملكية منذ قدومها ويظهر هذا واضحا اذا قسنا موقفها على موقف وايزمن والصهيونيين من هذه اللجنة . فهنا نجد الفرق واضحا . فبالرغم من كراهية وايزمن للجنة الملكية أسوة بما سبقها من اللجان واعتباره اياها بداية

المشاكل الكثيرة " (٥٥) لم يتوان عن المثول أمامها مع رفاقه في جلسات متعددة وساعات طويلة (خمس جلسات مع وايزمن لوحـــده) .

فاللجنة العربية على هذا لم تقاطع وتستمر على مقاطعتها ، وبهـــذا تكون أكثر انسجاما مع موقفها ، ولعلها كانت ستحبط نتائج ترتبت على مثولها ، ولا هي من الناحية الاخرى اهتبلت الفرصة ، وتقدمت بمبادرة ذاتية منها ــ وليس تحت الضغوط الخارجية التي هددت بتمزق داخلي ــ للمثول أمام اللجنة .

مثل العرب أمام اللجنة الملكية ممثلو الحزب العربي في اللجنة المفتـي وجمال الحسيني بالاضافة الى ممثلي الاحزاب الاخرى عوني عبد الهادى ، وحسين الخالدى ، وعبد اللطيف صلاح ، وقد اختارت اللجنة العربية جميع الممثلـــين العرب للتحدث للجنة ما عدا حسن صدقي الدجاني الذى تقدم للشهادة على مسؤوليته الشخصية (٥٦) وقد تميز موقف الاعضاء العرب الماثلين أمام اللجنـة بالتكامل والانسجام (٥٧) كما كان نجم هؤلاء الاعضاء هو المفتي (٥٨) وكانـــت شهادته أهم الشهادات " لانها حددت الموقف السياسي للحركة الوطنية " (٥٩) ، ويصف أحد المؤرخين المفتي ووايزمن بأن كليهما كان فصيحا (٦٠) ويبدو ان المفتي أفاد من كون شهادته جاءت بعد شهادة وايزمن فركز على رفض المطالـــب الصهيونية ، فقد دعا الى تحقيق المطالب التاليـــة :ــ

" ١ ــ العدول عن تجربة الوطن القومي اليهودى الفاشلـــة .

٢ ــ وقف الهجرة اليهودية وقفا تاما وفوريـــا .

٣ ــ منع انتقال الاراضي العربية لليهود منعا باتا وحـــالا .

٤ ــ حل قضية فلسطين على الاسس التي حلت عليها قضايا العراق وسوريا ولبنان بانهاء عهد الانتداب ، وعقد معاهدة مع بريطانيا تقوم بموجبها حكومة مستقلة وطنية ، ذات حكم دستورى تتمثل فيها جميـــع العناصر الوطنية ، ويضمن للجميع فيها العدل والتقدم والرفاه" (٦١)

وعلى أثر انتهاء هذه الشهادات العربية غادرت اللجنة الملكية الى بريطانيا يوم ١٨ ينايـــر ١٩٣٧ .

موقف الحزبين في الفترة ما بين مغادرة اللجنة الملكية الى اصدار قراراتها في ٧ يوليه

ولقد أخذت الصورة السياسية شكلا معينا في الفترة ما بين عودة اللجنة في ١٨ يناير وصدور قراراتها في ٧ يوليه ١٩٣٧. فلم يمض طويلوقت على عودة اللجنة حتى بدأت ترشح أخبار مؤداها أن البلاد مقبلة على التقسيم بين العرب واليهود . وكانت اللجنة كما ذكرنا قد أخبرت وايزمن بهذا التقسيم قبل مغادرتها . كما يظهر أن العرب لم يكونوا بعيدين عن معرفة بعض المعلومات عن هذا التقسيم المنتظر . بل أن عزه دروزة ليعزو معلوماته عنها الىوقت سابق لقدوم اللجنة الى فلسطين ليس بالقصير " وقد سمعنا هذا الحديث (حديث التقسيم واقامة دولة يهودية مصغرة) من نورى السعيد بالذات في فلسطين حيث جاء لزيارتنا وزيارة رفاقنا في معتقل صرفند في شهر آب ١٩٣٦" (٦٢).

وكانت هذه الاخبار أو الاشاعات عن التقسيم ذات تأثير معين على كل من الحزبين العربي وأنصاره في اللجنة وخارجها . وحزب الدفاع وأنصاره . بل لقد نجم عن ذلك موقف متمايز لكل من الطرفين . وقد أخذ هذا الخلاف في هذه الرحلة المظاهر التالية :—

أولا — بالنسبة لحزب الدفاع : انفتح الدفاعيون على الامير عبد الله — بينما وقف أنصار المفتي موقفا سلبيا منه — ويبدو أن الدفاعيين حاولوا مد جسورهم — في ظل الاشاعات السابقة — الى الامير وضم فلسطين الى شرق الاردن . وقد بدت دلائل على ذلك . منها أنه عندما دعي الامير عبد الله في شهر نيسان ١٩٣٧ لحضور حفلات التتويج الملكية في بريطانيا كان الدفاعيون هم الذين تولوا في فلسطين حفلات توديعه واستقباله . حيث أعدوا له قبل سفره " استقبالات في القدس ونابلس وحيفا " ويعقب دروزة على هذا الموقف بقوله "ولم يشترك المجلسيون في هذه الاستقبالات مما لحس فيه بادرة جفاء . حتى صار يبدو جليا أن المعارضين أصبحوا جبهة واحدة ضد المجلسيين والمتضامنين معهم " (٦٣).

وعندماعاد الامير من لندن هب الدفاعيون للحفاوة به من دون بقية الشعب ويعقب الشقيري على أعراض الشعب بأنه " كأنما أحس بفطرتهالسليمة أن الامير

عبد الله سيكون المحور الذى يدور حوله الحل" (٦٤) وقد أولم سليمان طوقان بهذه المناسبة وليمة كبرى للامير (٦٥).

وفي يوم السبت ٣ يوليه ١٩٣٧ اجتمعت الهيئة المركزية لحزب الدفاع وقررت أن يترك مندوباها راغب النشاشيبي ويعقوب فراج اللجنة "كي يستطيع الحزب أن يعمل لمصلحة هذه الامة مستقبلا" وذلك "بحجة أن اللجنة قد تغير شكل تاليفها المتفق عليه بين الاحزاب ، كما تتطلبه حـــالات البلاد ومصالحـــها" (٦٦).

ومع هذا التبرير الظاهر للانسحاب فانه اعتبر تصرفا هادفا له ماوراءه ، بالاضافة الى كونه شقا للجنة واخلالا بوحدة الصف ولو من الناحية الشكلية أو الرسمية على الاقل.

والدارس لمصادر هذه الفترة يستطيع الترجيح على أن تصرف حزب الدفاع تم بدوافع ذاتية بحتة وليس سعيا وراء المصلحة العامة . فدروزة يذكر أنه كان لعمان ضلع في انسحاب حزب الدفاع ، ويربط هذا الانسحاب برغبة النشاشيبيين في أن يكونوا أحرارا في اتخاذ الموقف الذى يتلاءم مع خططهم ، بالنسبة لقرارات اللجنة الملكية . ويستشهد عزة دروزة على ما يذهب اليه بعدة قرائن منها كتابات جريدة فلسطين عن أثر عمان في الانسحاب وزيارات ابراهيم هاشم رئيس وزراء الاردن ، ومحمد الانسي رئيس الديوان ، المتكررة الى فلسطين في هذه الفترة . ويؤيد حسين فخرى الخالدى رأى دروزة في تأثير عمان . كما أنه يعزو الى الانكليز أيضا دورا في هذا الانسحاب للدفاعيين من اللجنة . ويعلل ذلك بأن الانكليز كانوا مقبلين على حل اللجنة ــ من أجل اتمام مشروع التقسيم ــ ويزيد على ذلك بأن حل اللجنة ــ فيما بعد ــ كان باقتراح من الدفاعيين انفسهم . وانا أورد هنا نص روايته التي ينفرد بها لوحده يقول: "وتذكرت انسحاب رئيس حزب الدفاع ونائبه فهل كان انسحابهما هذا من قبيل المصادفة أو أنهما تلقيا مثل هذه الاشارة؟"

" هذا ما اكتشفته فيما بعد فقد دعاني الجنرال ديل القائد البريطاني لتناول طعام العشاء معه في فندق الملك دواد... قال: وما تقول اذا ألقينا القبض على رجال اللجنة العليا ؟ قلت: لك أن تجرب وعلى كل أؤكد أن النتائج ستكون وخيمة العاقبة .

قال : عجبا ليس هذا رأى جميع من قابلتهم .

قلت : لهم رأيهم ولي رأيي .

قال:أوتدري أن شخصامحترما سوّ ولا رئيس حزب كبير أخبرني بعزم وتاكيد أن القاء القبض على المفتي ورجال اللجنة كان لوقف الثورة في أيام وأسابيع محدودة " (٦٧) .

كما يتعرض الخالدي لوثيقة أخرى لها علاقةبموضوع الانسحاب ، وأثر عبد الله فيه ، سنتحدث عنهافي ما سيأتـــــي .

كما أن أوراق عوني عبد الهادي ، وهو عضو لجنةآخر ـ بالاضافة الى عزة دروزة وحسين الخالدي ـ تشير الى أن الانسحاب كان بتواطؤ مع الامير والانكليز ويقول في رسالة لاحد أصدقائه : "وأظنك تذكر أنهم كانوا متواطئين مع الامير ـ وهذا مع الانكليز ـ على قبول التقسيم والترويج له قبل صدور تقرير لجنة بيـل (٦٨) .

ترك انسحاب حزب الدفاع آثارا سلبية على الموقف الوطني فالخالدي يصفه بانه " الضربة الاولى التي اصابت الوحدة بعد نضال دام عاما ونصف وبادرة الانقسام الاولى" (٦٩) . كما يعقب عوني عبد الهادي عليه بقوله "لو لم ينسحبوا لما اتخذ الانجليز واليهود انسحابهم حجة والترويج لفكرة متطرفين ومعتدلين والدعوة الى البطش بالمتطرفين فيخلو الجو للمعتدلين" (٧٠) كما انه يعتبر الانسحاب خسارة لهم من الناحية الوطنية ولو لم ينسحبوا " لظلوا في الاوج الذى وصل اليه بعضهم في تلك السنة " (٧١) .

ويذهب اميس صايغ الى أن انسحاب الدفاعيين تم بعد علمهم المسبق بقرارات التقسيم" وقد علموا محتويات قراراتها قبل نشرها بأيام وعلموا أن اللجنة ستعارض القرارات في حال اعلانها ، ولذلك وحتى يتبرأوا من معارضة الانجليز انسحبوا من اللجنة قبل صدور قرارات التقسيم بيوم واحد " (٧٢) .

ثانيا ـ بالنسبة للمفتي وأنصاره من الحزب العربي : أدرك المفتي أن البلاد

مقدمة على التقسيم ، وأنه لا بد من استباق هذا الامر ووضع العراقيل في طريقه ، أو تدارك الخطر قبل وقوعه . وكما شاهدنا فانه وقف موقفا سلبيا من تحركات الامير عبد الله ، وعلى هذا فقد بدا أن الطرفين يسلكان طريقيـن مختلفـــين .

ويبين أحد تقارير السلطة أن الخلاف ومحاولة الايقاع بالخصم عادا يسودان العلاقة بين المعسكرين الحسيني والنشاشيبي . فقد ذكر هذا التقرير أن البحث عن أسلحة في دار اللجنة القومية في القدس في ١٦ فبراير جعل حزب المفتي يتهم حزب الدفاع بأنه هو الذى وضـــع الذخائر في هذه الدار (٧٣) .

وفي ١٧ آذار عقد أركان قيادة جيش الجهاد المقدس اجتماعهم في اربد في شمال شرق الاردن من أجل المبادرة لـ "الاعداد والتنظيم . كان ذلك لانهم تبينوا أن اللجنة الملكية بعلم من اليهود والانجليز ستوصي بتقسيم فلسطين وقرر المجتمعون تخصيص جماعات من رجال الجهاد المقدس للرد على الاعتداءات اليهودية فور وقوعها " (٧٤) .

وعلى أثر انتشار "أنباء موثوقة من لندن تقطع بأن اللجنة الملكية قد انتهت من وضع تقريرها ... على أساس تقسيم فلسطين "، عقدت اللجنة العليا بمبادرة من المفتي اجتماعا في ٧ حزيران أذاعت على أثره بيانا " أكدت فيه تمسك الشعب بأهدافه وسلامة أرضه ووطنه ،وتصميمه على مقاومة كل حل يعرض لقضية فلسطين لا يحقق للعرب مطالبهم " (٧٥) وفي هذه الفترة قام المفتي بعدة سفرات للخارج . فقد سافر بصحبته عزة دروزة واسحق درويش ورشيد الحاج ابراهيم الى القاهرة والرياض " لمباحثة المسؤولين فيها بشأن "التوصية" المرتقبة ومقاومتها وضرورة اتخاذ موقف عربي موحد كما سافرت وفود أخرى الى عمان وبغداد (٧٦) .

وفي ٢٢ يونية عام ١٩٣٧ قام المفتي بزيارة دمشق يرافقه أربعة من أعوانه الضباط واستقبل هناك زعماء الحركة الوطنية البارزين وبعض العراقيين واللبنانيين وقنصل المملكة العربية السعودية ويستفاد من تقرير لقنصل بريطانيا في دمشق أن مباحثات المفتي شملت بصورة رئيسية مشروع تقسيم فلسطين . وقد اعترض المفتي على هذا المشروع كما أن أكثرية السياسيين عارضوا فكرة تنصيب الامير عبد الله ملكا على الدولة العربية المقترحة بعد التقسيم . وهنـا عقـد المفتي أكثر من اجتماع مطول مع عدد من المقاتلين السوريين والفلسطينيين مثل الشيخ محمد الاشمر والشيخ عطية كما هدد المفتي بأنه " سيعلن الحرب على بريطانيا في الثامن من يوليو " (٧٧) .

ويذكر تقرير آخر أن المفتي وضع ـ أثناء وجوده في دمشق ـ مبلغا كبيرا

من المال لاغراض الدعاية وشراء الاسلحة تمهيدا لحشد المسلحين والعصابات للعمل على أرض فلسطين " وعلى ما يظهر فان هذه الاموال احسن الاستفادة منها بصورة جيدة ، لان التقارير لا تزال ترى بأن هنالك تهريبا لكميات كبرى من الاسلحة من الشمال والشرق " (٧٨) ويعزز هذا الدور للمفتي ما يذكره وايزمن في مذكراته عن دور المفتي " في تنظيم المقاومة المسلحة " (٧٩) .

رفض المفتي بتاريخ ٣٠ حزيران عرضا سريا من السكرتير العام لحكومة فلسطين المستر هول بأن يكون رئيس الدولة الجديدة (بقية فلسطين وشرق الاردن) بدلا من الامير عبد الله (٨٠) وكان قد دبر اللقاء بين المفتي وسكرتير الحكومة ، موسى العلمي . وكان رد المفتي تركيزا على رفض التقسيم كمبدأ وليس لان الامير عبد الله سيكون ملكا . فقد خاطب المستر هول كما يذكر هو (المفتي) نفسه بقوله : " اذا كنتم تظنون أني اعارض التقسيم لئلا يصبح الامير عبد الله ملكا على فلسطين وشرق الاردن فانتم واهمون ، فالحقيقة أني اعارض مبدأ التقسيم لضرره على البلاد ، وتهديده لكيانها وتمزيقه وحدتها ولا اعارض شخص الامير أبدا " (٨١) .

على أنه لا سند لهذه الرواية الحسينية في المراجع البريطانية . بل العكس هو الصحيح . فقد كان عبد الله هو مرشحهم الوحيد . كما أنهم كانوا قد بدأوا منذ وقت مبكر بالتفكير في التخلص من المفتي أو تقليم اظافره على الاقل . وهنالك اشارات عديدة في تقرير بيل نفسه الى سعة نفوذ المفتي وانه يمكن وصفه بأنه " رئيس حكومة ثالثة في فلسطين " (٨٢) .

ولو صحت هذه الرواية فانها تكون من قبيل المناورة التي قصد منها توريط المفتي وحرقه شعبيا تمهيدا لتمرير التقسيم . ولعل هذا ما فهمه المفتي وتوضحه رواية الغوري عندما يقول : " وكنا نعتبر موسى العلمي وطنيا صادقا ، ومخلصا للحاج امين " والتي يفهم منها أن العلمي هو الذي ورط المفتي في مقابلة المسؤول الانجليزي في بيته (العلمي) بدون سابق علم من المفتي : " وأكد العلمي انه لن يأتي أي زائر في هذا اليوم الى شرفات (حيث بيت العلمي في القدس) ... وقبل المفتي الدعوة " (٨٣) .

ردّ فعل الحزبين على قرارات لجنة بيل في التقسيم

في ٧ يوليه ١٩٣٧ أعلنت قرارات لجنة بيل التي نادت بتقسيم فلسطين الى ثلاثة أقسام : عربي ويهودى وقسم ثالث يبقى تحت الانتداب البريطاني . ولقد وصف التقرير هذا التقسيم بأنه عملية جراحية (٨٤) . وقد دعا التقرير الى اقامة دولتين عربية وتشمل القسم العربي من فلسطين وامارة شرق الاردن ودولة يهودية ، وتترك بعض المناطق ذات الاهمية الاستراتيجية (٨٥) بما فيها الاماكن المقدسة تحت الانتداب البريطانـي .

ومن أجل أن ندرس ردّ فعل الحزبين العربي والدفاع لهذا التقسيم سنضعه في اطاره من ردّ الفعل الكلي للشعب العربي في فلسـطين .

كان ردّ الفعل العربي المباشر لهذا التقسيم عارما رهيبا يقول الشقيرى : " وكان يوم جعل الناس سكارى وما هم بسكارى من هول الصدمة وخيبة الامل (٨٦) " . ويصفه وليد الخالدى بأنه " حلم رهيـب تحقـق " (٨٧) .

جاءت أعنف ردود الافعال من الذين تضرروا مباشرة من مشروع التقسيـم وبشكل خاص من منطقة الجليل التي استقبل فيها القرار " بصدمة اقترنت بعـدم التصديق " (٨٨) فقد ذكر تقرير حاكم الجليل ما نصه : " لقد كان الاتحاد الـذى أبداه المسيحيون والمسلمون والفلاحون وملاكو الاراضي فيما سيتعلق برفض الاقتراح ـ أشد على الارجح ـ مما أبدوه في أى وقت مضى ، فقد كان الشعور العام الذى لدى سكان هذه المنطقة انهم ذهبوا ضحية الخيانة وانهم سيجبرون على التخلي عن أراضيهم والهلاك في مكان ما من الصحـراء " (٨٩) .

كان هذا استقبال الرأى العام الفلسطيني لقرارات التقسيم فماذا كان موقف كل من الحزبين الدفاع والعربي من هذا التقسـيم .

أولاً ـ موقف حزب الدفاع : انحكم موقف حزب الدفاع بالاعتبارات التالية : تحالفهم مع الامير عبد الله الذى كان التقسيم فرصة ذهبية له لضم ما تبقى من فلسطين الى امارته . وتعيينه ملكا عليها . وعلى هذا فقد صرح للصحفي الالمانـي شوارتز فون برك بأنه يؤيد التقسيم (٩٠) . يقول المفتي في "حقائق عن فلسطـين

اتخذ المغفور له عبد الله موقفا مؤيدا من التقسيم على أمل أن يتمكن من ضم القسم الباقي من فلسطين الى شرق الاردن " (٩١) ، ويذهب أنيس صايغ أن الامير أوعز الى بعض أعوانه ، عند صدور المقترحات بتأييدها ، فقامت تظاهرات صغيرة في نابلس ويافا حيث كان لاعوان عبد الله سيطرة محددة " تهتف باسمه ملكا على فلسطين وشرق الاردن ، وترفع صوره الى جانب الاعلام البريطانية(٩٢)

وينفرد حسن الخالدي بين الساسيين والمؤرخين العرب المعاصرين بالاشارة الى نوع من المعاهدة السرية المكتوبة بين حزب الدفاع والامير من أجل القبول بالتقسيم ، تقول : " ويقال أن حزبا كبيرا وافق سرا على مشروع التقسيم وأمضى زعماؤه واحزابه وثيقة خطية الى المسؤولين في قطر شقيق " ويضيف الخالدي مؤكدا قوله : " وقبل أن هؤلاء المسؤولين استاءوا في احدى المناسبات من موقف رجال هذا الحزب وهددوا بنشر هذه الوثيقة ، فما كان من رجال حزب الدفاع الا أن هددوا بنشر الوثيقة التي يطلب فيها المسؤولون هؤلاء من حزب الدفاع الانسحاب من اللجنة العربية العليا عام١٩٣٧ والضغط الذي استعمل لهذه الغاية " (٩٣) .

موقفهم المعروف بالاعتدال والايمان بالحلول الوسط وسياسة خذ وطالب ، ورغبتهم المعروفة بالتعاون مع بريطانيا . ولعل ما عزز هذا القبول ان مشروع التقسيم ارتبط بطموحات راغب في أن يوازن أو يعادل قوة المفتي الذي تفوق عليه بمراحل ، وذلك بأن يصبح هو رئيسا للوزراء للدولة المقبلة . ولقد كان راغب منذ خسارته لمنصب رئاسة البلدية يبحث عن منصب يليق بوجاهته أو زعامته . وقد بحث عن ذلك في المجلس التشريعي ولم يوفق كما رأينا ، ولم يعوضه وجوده في اللجنة العربية العليا كعضو ذي اهمية ثانوية ـ وخاصة اذا قورن بالمفتي ـ عن طموحاته الواسعة . وفي حقيقة الامر فاننا لا يمكن أن ندرك قبول راغب للتقسيم الا في ظل هذا التصور : التنافس على الزعامة في فلسطين،ورغبة راغب في أن يكون رجل عبد الله المقبل في فلسطين . ويشير العالم السياسي الامريكي كوانـدت الى هذه الناحية بقوله :

" لقد كان راغب بمجالسه الخاصة يشير الى أنه باستطاعته القبول بالتقسيم على أمل أن يصبح رئيس وزراء للامير عبد الله في دولة متحدة عربية فلسطينية ـ اردنية " (٩٤) .

ومع هذا فانه ينبغي أن نبادر الى القول أن التقسيم كما عرضته لجنة بيل كان أكبر من أن تستطيع معدة راغب النشاشيبي هضمه وذلك بالنظر لرد الفعل العربي المحلي على أرض فلسطين . وتؤيد الوثائق البريطانية هذا الاتجاه لدى راغب النشاشيبي ونائبه يعقوب فراج زعيمي حزب الدفاع بانهما أخبرا المندوب السامي بأنهمايرحبان " مبدئيا بالتقسيم " (٩٥) .

ولقد وجد هذا القبول المتحفظ صداه في جريدة فلسطين جريدة حزب الدفاع . فقد بادرت هذه الجريدة الى الثناء على اللجنة الملكية بعد صدور تقريرها لما فيه من انصاف للعرب . لكنها مع ذلك طالبت بمسعى دبلوماسي لتغيير الحدود فقط . ولقد نشرت هذه الجريدة بعدة فكاهية في عددهاالذي تقبل فيه مبدأ التقسيم وتطالب بتعديل الحدود ـ عنوانها " دبك الحبش بحي وبات " وبعقب دروزة على هذه البعدة بأنها كانت " للشماتة بالمفتي والارتياح للتقسيم الذي فيه القضاء على مركزه ومطامحه " (٩٦) .

ولربما كان مقدرا لحزب الدفاع أن يستمر في قبوله المبدئي بالتقسيم لولا أنه تعرض لضغوط كبرى جعلته يغير من موقفه هذا ويستطيع أن نجمل هذه الضغوط في ما يلي :ـ

أ ـ تعرض الحزب لضغوط كبيرة من الرأي العام من أجل حمله على اتخاذ موقف اللجنة العربية العليا التي رفضت المشروع رفضا كليا في بيانها الصادر في الثامن من يوليو (٩٧) . ولقد شهد صيف ١٩٣٧ عمليات هجوم واغتيال لعدد غير قليل من زعماء النشاشيبيين مثل الدكتور طه خليل طه ، وابراهيم خليل من حيفا وحسن حنون وعبد السلام البرقاوي من جنين وآخرين غيرهم (٩٨) . ولقد ارتفعت حوادث الاغتيال في الاسبوع الاول من مارس حتى أن " المقطم " نشرت مقالا بعنوان " جنايات القتل في فلسطين " جاء فيه " أن قضية فلسطين لا تحل بهذه الطريقة " (٩٩) . وتشير المصادر البريطانية أيضا الى حالة " الفوضى الامنية " التي سيطرت على فلسطين خلال عام ١٩٣٧ وحملات " الاجرام والتهديد والتخريب التي يقوم بها العرب الخارجون على القانون " (١٠٠) .

ويبدو أن راغب هدد شخصيا من قبل المفتي في هذه الفترة حتى يرتدع عن التفاوض مع اليهود بشأن التقسيم (١٠١) . بل الاكثر من هذا أن هنالك توازنا ـ في هذه التقارير ـ بين تصاعد مقاومة المفتي للتقسيم التي قابلها ضعف

راغب عن الاستمرار في موقفه من هذا التقسيم . فراغب الذي كان عازما على عقد مفاوضة مع اليهود في جنيف نفى تصريحا نشرته الصحف عن لسانه بهذا المعنى ، عندما علم أن السلطات البريطانية عدلت عن اصدار أمر باعتقال المفتي (١٠٣) .

ب ـ تعرض راغب كذلك الى ضغط القيادات السياسية العربية . ويظهر أن النشاشيبيين توقعوا أن يهب اصدقاء الانجليز من الحكام العرب لتأييد المشروع . لكن عندما عارض هؤلاء الحكام بفضل عوامل كثيرة (سنتعرض لها عندما نتحدث عن دور المفتي واللجنة في محاربة مشروع التقسيم) ظن النشاشيبيون ان بريطانيا ليست جادة في مشروع التقسيم أو أنها كانت تعارضه في السر (١٠٣) .

ولقد كان الموقف العربي هذا من القوة وبخاصة في العراق بحيث كان له ، كما جاء في أحد التقارير : " تأثير عميق على العقلية العربية في فلسطين " (١٠٤)

ومما قوى هذا الشعور لدى الدفاعيين بعض البوادر من جانب البريطانيين في فلسطين وفي بريطانيا أيضا نحو المشروع ـ ادراكا منها لعنف الرد العربي ـ الدعاية التي قامت محليا ضد المشروع مما جعل واكهوب يستقيل (١٠٥) ولقد تطور موقف واكهوب هذا الى معارضة للتقسيم الامر الذي وجد صداه في البرلمان البريطاني . يقول واربورغ : " ان تقرير بيل لقي معارضة من واكهوب والادارة الفلسطينية . وربما لهذا السبب فانه لقي تأييدا ضعيفا من قبل الناطقين باسم الحكومة عندما عرض على البرلمان " (١٠٦) وكان أكثر المنتقدين لهذا المشروع هربرت صموئيل . ويضيف الى ذلك ان " المشروع وضع حاسما من قبل الحكومة البريطانية " (١٠٧) .

ولعل هذا الموقف من البرلمان البريطاني والحكومة البريطانية هو الذي حمل حزب الدفاع أن يوقف اصدار بيانه في ٢٢ يوليه (بعد مناقشات البرلمان مباشرة) (١٠٨) كما أن رد الامير برفض المشروع من الناحية الرسمية جاء في ٢٤ يوليه .

جـ ـ وجدت قرارات التقسيم معارضة معينة من حزب الدفاع نفسه . فممن عارضوا معارضة صريحة أسعد الشقيري . ويروي أحمد الشقيري في مذكراته أن والده بتأثير منه (أي أحمد) كتب رسالة معروفة الى الامير عبد الله يقول فيها " ان الله ورسوله والمؤمنين يأبون الموافقة على التقسيم وانشاء دولة يهودية ما أنزل الله بها من سلطان " . ولعل السبب الحقيقي وراء موقف أسعد الشقيري هو أن مصالحه

سوف تتضرر لان مدينته ستكون داخل الدولة اليهودية . ومما يعزز هذا التفسير ان أعضاء حزب الدفاع الاخرين ممن لم يشملهم التقسيم بضرره ظلوا على موقفهم من تأييده . وقد بدا هذا في موقف أنصار حزب الدفاع في يافا ونابلس وجنين التي كانت ستبقى ضمن الدولة العربية المقترحة .

وقد كان لتضارب المصالح بين فئات حزب الدفاع أن الحزب ضعف الى درجة الانحلال وان راغب بقي وحيدا (١٠٩) .

ثانيا ـ موقف الحزب العربي: عمل الحزب من خلال أعضائه في اللجنة: المفتي رئيسا وجمال والفرد روك أعضاء ومع انصارهم في اللجان القومية على ابطال مشروع التقسيم . وتنسب مصادر كثيرة الى المفتي بالذات دورا كبيرا في احباط التقسيم .

وقد نبع رفض المفتي للتقسيم ـ بالاضافة الى كونه اجحافا واضحا بالحق العربي في فلسطين ـ من موقفه المعروف بالصلابة وعدم الايمان بأنصاف الحلول . فالمفتي الذى كان مع الثورة المسلحة كأسلوب للحصول على المطالب العربية ، لم يجد مانعا من العودة اليها ، عندما وجد أنها الاسلوب الوحيد الكفيل بالحقوق العربية . وقد تمثلت مواقف المفتي على طريق احباط التقسيم بما يلي :ـ

لم تأخذ قرارات التقسيم المفتي على حين غرة بل أنه كما مر معنا كان مهيأ لها حتى قبل صدورها . وقد ظهر ذلك عندما عاد الى فلسطين من سوريا قبل اصدار الوعد بيوم أو يومين من أجل ضم الصفوف بمن فيها النشاشيبيون للوقوف في وجه التقسيم .

ولعل رفض المفتي للتقسيم مباشرة بعد صدوره ـ ومعه اللجنة العربية العليا ـ كان من أعظم مواقفه السياسية ، لان هذا الرفض تناغم مع مشاعر القطاع الاكبر من أهالي فلسطين والعالمين العربي والاسلامي . فعلى أثر اصدار اللجنة بيانها بالرفض صرح حكمت سليمان برفضه القاطع لقرارات التقسيم وقال كلمته المشهورة بأن العراق " مستعد لتحطيم أكبر رأس عربي يقبل التقسيم " (١١٠) .

ويعزو زيف الى موقف العراق هذا ما كان من استقبال غير مشجع للتقسيم من قبل أعضاء البرلمان البريطاني ، ويعتبر تصريح حكمت سليمان " " المهين " بأنه كان الورقة الرابحة أو الضربة القاضية على التقسيم " (١١١)

كما أن المفتي عمل على أكثر من صعيد لتحقيق النتيجة المرجوة وهي قتل قرارات التقسيم في مهدهـــا .

١ ــ صعيد تنظيم قوات الثوار وتهيئتهم لمقاومة الانجليز بالقوة عند الاقتضاء . وقد شاهدنا ما قامت به قوات الجهاد المقدس ــ وهي كما سبق لنا الحديـــث عن اعداد المفتي على المستـــوى العربـــي في سوريا . ويذكر اميل الغوري أن " قلم المخابرات للجهاد المقدس لعـــب دورا كبـــيرا في متابعـــة ردود الفعـــل على التقســـيم محليـــا . كمـــا يعـــدد الغـــوري اسماء الاشخـــاص الذيـــن اتصلت بهـــم الحكومـــة البريطانيـــة وكيف أنهـــا لجـــأت الى اسلـــوب " التهديـــد والوعيـــد " (١١٢) .

ولم يقف تنظيم قوات الثوار على المستوى المحلي بل تعدى ذلك الى الاردن كما شملت سوريا . فقد اشتكى عبد الله لواكيوب مـــن ان قوات البـــدو ستشارك بثورة في فلسطين (١١٣) كما تتحدث التقارير السرية البريطانية عـــن تظاهرات وعمليات هياج عنيف يديرها المفتي ضد الامير عبد الله ، وانهـــا تزداد كل يوم شراسة وعنفا . وعلى هذا فان حالة الامير " تسير كل يوم من سيء الى أســـوأ " (١١٤) .

٢ ــ الصعيد المحلي والعربي : فقد نظم المفتي حملة دعائية واسعة ضد قرارات التقسيم ، وأرسل رسله الى كل مكان في فلسطين واستخدم فيها استخدم منابـــر المساجد ، كما سبق له أن فعل في كل مناســـبة (١١٥) .

أما على الصعيد العربي ، فقد لجأ المفتي الى انصاره وأنصار القضيـــة الفلسطينية ، ووظف القواعد الوطنية في كثير من أرجاء الوطن العربي توظيفـــا ممتازا في بث الدعوة ضد التقسيم . ولدينا شواهد متعددة على هذا . يذكر أحد التقارير السرية البريطانية ان المفتي يركز على هؤلاء الانصار كما سبق له في عـــام ١٩٣٦ ، وذلك من أجل استئناف النضال من أجل القضية ، والمتمثل الآن في احباط التقسيم ويتحدث أحد هذه التقارير عن " جهاز سري للمفتي الارهابي " معزز من عناصر سياسية عربية وهي على علاقة وطيدة بالمفتي ، وجماعته في فلسطين ، وتشمل هذه العناصر فيمن تشمل سعيد ثابت ، من العراق ونبيه العظمـــة من سوريا ، كما أن رسل هذا الجهاز " تنشط في التنقل بين دمشق وفلسطين ومصر وبغـــداد "(١١٦) .

وفي هذه الفترة توجه عوني عبد الهادى الى بغداد من أجل الدعوة ضد التقسيم وتذكر أوراق عوني عن لسان أحد أصدقائه أن سفره ـ أى عوني ـ الى بغداد " وما كان هنالك من الامور كان من أبرز ما ظهر من حركة في الاقطار العربية (١١٧) . كما يذكر الغورى ان اللجنة العربية أرسلت وفودا الى لندن وجنيف فضلا عن البلادالعربية (١١٨) .

ولقد جرى تركيز كبير على شرق الاردن من أجل سحب البساط شعبيا من تحت اقدام الامير عبد الله كما جرى عزله عن البدو والعناصر الثورية هناك . ولقد تمثل الاثر الشعبي في مظاهرات كبيرة قامت بها الحركة الوطنية في الاردن " وقد أضربت عمان وتظاهرت ، وأرسلت شرق الاردن بيانات استنكارية عديدة للجنة العربية العليا ومؤيدة لها ، وأذاعت لجنة الدفاع عن فلسطين في عمان بيانا قويا حملت فيه على الاستعمار واذنابه واساليبه واستنكارا له وللتقسيم وما فيه من أخطار وأضرار وذيل ذلك بميثاق نص على وجوب مكافحة الصهيونية واعتبار كل شخص أو هيئة أو دولة أو حكومة تقبل بالتقسيم عدوا للامة العربية " (١١٩) .

ويظهر أن جهود الحركة الوطنية الاردنية بدعم من الفلسطينيين نجحت نجاحا تاما ، وأصابت موقف الامير في الصميم . وبدلا من أن يكون زمام المبادرة في يده أصبح في موقف الدفاع ويقول أحد التقارير " انه تم عزله عزلا تاما (١٢٠) بل يظهر انه بات حريصا على ارضاء المفتي " عدوه اللدود " بل ارضاء الفلسطينيين عموما وقد بدا ذلك في اصداره عفوا عن أشخاص فلسطينيين ـ تصفهم تقارير المخابرات بأنهم عملاء للمفتي ـ اتهموابمحاولة اغتياله (١٢١) .

وعلى هذا فقد تراجع عن التقسيم بصورة رسمية واصدر في ذلك بيانا في ٢٤ يوليه ١٩٣٧ ـ سبق الاشارة اليه ـ وقال فيه " ان حكومة شرق الاردن ... ترى من واجبها أن تبادر الى التصريح بأنها لم تتلق من أية جهة رسمية اى تكليف بابداء رأيها في مشروع التقسيم ، وان القول بأنها تؤيده غير مطابق للحقيقة والواقع " (١٢٢) وفي العراق أخذ التأثير الشعبي عدة مظاهر ، كما شمل عدة قطاعات من الشعب .. ففي برقية من سير كلارك كير الى وزير الخارجية يصف الحالة في العراق على الوجه التالي :ـ " الانطباع الذى تركه التقسيم على العراق سيء . ـ كما قال رئيس وزراء العراق للسفير البريطاني " انه لا يوجد أحد في العراق يمكن أن يقبل هذا القرار ـ " (١٢٣) .

وفي الصحافة كتبت صوت الشعب مقالا في ١٩ سبتمبر ١٩٣٧ تحت عنوان " حرب من أجل القضية القومية " قارنت الجريدة فيه :

" الفلسطينيين العرب بعبيد الارض في العصور الوسطى ، اولئك العبيد الذين كانوا يطردون من اوطانهم ، لان بقية البيت ستعطى لاجنبي ثري اشترى ضمير الامير الاقطاعي " (١٢٤) .

وفي تصريح لحكمت سليمان رئيس وزراء العراق لصحيفة البلاد في ٨ يوليه (بعد يوم واحد من اصدار قرارات بيل بصورة رسمية) قال : " منذ الصباح الباكر حتى وقت متأخر من الليل انصبت البرقيات من كل جزء من البلاد تعبر عن دعمها الكامل لموقف رئيس الحكومة من هذا الموضوع ، كما أنها تثني وتشعر بغبطة شديدة لاحتجاجه باعتباره يمثل رغبات وآمال الامة العراقية بكاملها .

وفي اجابه على سؤال هل يتفضل معادة رئيس الوزراء في أن يبين رأيه في قرار اللجنة الملكية عن تقسيم فلسطين قال ضمن اشياء اخرى : " لن نتنازل للاخرين عن قدم مربعة واحدة . وان العرب في كل مكان مستعدون للتضحية بارواحهم عند ساعة الشدة " (١٢٥) .

كما أبرقت عدة قطاعات شعبية الى المفتي تدين خطة التقسيم . فقد ابرقت لجنة الدفاع عن فلسطين تدعو الى التضامن في هذه المرحلة الصعبة التي تمر بها فلسطين . وقد رد المفتي على هذه البرقية بقوله " ان دعم العراق لفلسطين يشكل الضمان الاكبر لفلسطين من اجل المحافظة على شخصيتها العربية الى الابد ، اطيب الشكر لكم وللعراق " (١٢٦) .

كما أبرق نادي المثنى الذي تصفه التقارير بانه منظمة عربية متطرفة " فاشية " الى مستر دي فاليرا الزعيم الايرلندي تشكره " نيابة عن الشباب العربي " على موقفه وموقف دولة ايرلنده الحرة من التقسيم (١٢٧) .

كما قامت مظاهرات صاخبة في بغداد استنكارا للتقسيم واذاع علماء الدين السنيون والشيعيون ، ندوات بوجوب مؤازرة فلسطين (١٢٨) . وليس هذا فقط بل اصدر هؤلاء فتوى دينية بتكفير كل مسلم يقبل عرض الدولة العربية الجديدة في فلسطين على اساس التقسيم وباعتباره خارجا عن الدين ومنبوذا " فلا يسمع له شهادة ولا يدفن في مقابر المسلمين وتحل عليه اللعنة الى يوم الدين " (١٢٩) .

وقد وصف عوني عبد الهادي وقفة الجمهور العراقي بقوله : " أرأيت

الامواج الصاخبة المتتابعة في اليم الهائج بين العواصف والزوابع والرياح ابان غضب الطبيعة ، هكذا رأيت الشعب العراقي هائجا مضطربا منحمسا غضبا لفلسطين" (١٣٠).

وفي السعودية ومثلها اليمن نجد أن الضغط الشعبي بفعل فعله لدرجة أنه أثر في تغيير موقف الحكام الذى اتسم في البداية بالتردد من حيث القبول بالتقسيم الى المعارضة الكاملة لهذا التقسيم . فقد أخبر السفير السعودى السلطات البريطانية أن العلماء في السعودية مارسوا ضغطا كبيرا على ابن سعود لكي يعمل ضد التقسيم (١٣١) وكان هؤلاء العلماء قد أصدروا فتوى يحرمون فيها التقسيم (١٣٢) .

٠٣ على المحور السياسي (١٣٣) : واجه المفتي ومعه أنصاره من اللجنة العربية ثلاثة أنماط من الحكام العرب : النمط الاول وهو مؤيد تماما لموقف اللجنة من معارضة التقسيم . والمتحمس مثل حماسها لمقاومته . وكان هؤلاء هم حكام العراق الذين أشرنا الى موقف حكمت سليمان كمثل عليهم . وكان دور اللجنة هنا سهلا أو ميسورا . وقد عززت هذا الموقف العراقي وأرسلت رسلها الى بغداد من أجل استمراره وديمومته ، وتوظيفه لكسب جهات عربية أخرى على مستوى الحكام . فقد وصل في هذه الفترة الوفد الذى سبق الاشارة اليه ، كما أن المفتي أرسل بسكرتيره الخاص الى بغداد حيث اكتست رحلته معنى خاصا وهاما . حتى أن أيدن وزير خارجية بريطانيا بعث ببرقية يطلب من سفيره في بغداد أن يعقد لقاء مع رئيس الوزراء العراقي "ويحذره في نفس الوقت من أن حكومة جلالته ستنظر بعين الجد اذا أعطى أى تشجيع من قبل الحكومة العراقية الى سكرتير المفتي الذى طار الى بغداد من أجل الحصول على دعم لارسال حملة الى فلسطين بسبيل مقاومة توصيات اللجنة" (١٣٤).

والنمط الثاني هو النمط المتردد وقد تمثل هذا النمط في موقف حكام اليمن والسعودية وسوريا. وقد تعامل المفتي مع هؤلاء بحنكة ودراية وتمكن من القضاء على ترددهم لصالح معارضة التقسيم . ويظهر أنه كان هنالك عاملان لعبا دورا أساسيا في القضاء على هذا التردد . فبالنسبة للسعودية أدى خوف الحكام

السعوديين من سيطرة الامير عبد الله على فلسطين بعد التقسيم (١٣٥) الى أن يعيدوا النظر في موقفهم الذى اتسم بالمواقف الصدئية في البداية . والعامل الثاني وهو الذى أثر على جميع الحكام العرب كان تأثير الضغط الشعبي الذى سبق الاشارة اليه . يقول هيرسوونز : " ان الحكومات العربية التي – على ما يظهر – استحسنت في البداية خطة التقسيم ، بدأت في العدول عن موقفها ، والتي على أية حال لم تعلن عنه بصراحة ، خوفا من الرأى العام" (١٣٦) ويعزو الكاتب نفسه هذا التغيير في موقف الحكام الى رفض المفتي " الذى لم يشارك الزعماء العرب شكوكهم ومخاوفهم من مقاومة بريطانيا " (١٣٧) .

كانت محصلة الموقف العربي انعقاد مؤتمرين هامين لتأييد القضية الفلسطينية في بلودان (١٩٣٧) وفي القاهرة . وكان الاول أكثر أهمية من الثاني وقد جاء هذا المؤتمر (الاول) تتويجا لجهود اللجنة العربية في تعبئة الرأى العام العربي . وقد حضر هذا المؤتمر حوالى (٤٠٠) مندوب من العراق ومصر ولبنان وشرق الاردن ولكن الغالبية كانت من سوريا وفلسطين . وقد انتخب رجال مشهورون بولائهم للقضية الفلسطينية كنواب له : محمد علي علوبه (مصر) وشكيب أرسلان (لبنان) والمطران حريكة (سوريا) (١٣٨) . كما كان من بين مندوبي العراق الاصدقاء العربقون في صداقتهم للمفتي وفلسطين مثل سعيد ثابت أحد أركان لجنة الدفاع عن فلسطين . وقد قرر هذا المؤتمر قرارات رسمية ، كما عقد أثناءه اجتماع جانبي ضم الوطنيين الفلسطينيين والسوريين اتخذ قرارات أخرى سرية (١٣٩) . وقد تمثلت القرارات الرسمية في اعلان فلسطين جزءا لا يتجزأ من الوطن العربي ورفض التقسيم وتأسيس دولة يهودية في فلسطين (١٤٠) ، أما القرارات السرية فقد تركزت على تهديد مصالح بريطانيا بطريقة مباشرة . فقد قرر الوطنيون الفلسطينيون والسوريون أن النضال ضد التقسيم ينبغي أن يكتسي العنف " ومواصلة الحملات على الاشخاص الموالين للسلطات البريطانية واليهود وذلك من أجل تمهيد الطريق لعمل أكثر مساسا بالانتداب فيما بعد اذا اقتضى الامر ذلك " (١٤١) .

وعلى ما يظهر كان لهذا أثر عظيم في ابطال مشروع التقسيم يقول مالرو " لقد حسم موضوع التقسيم سوريا كان هذا هو الافضل – في بلودان في سوريا حيث أعلن المؤتمرون " أن على بريطانيا أن تفهم أنها يجب عليها أن تختار بين صداقة العرب وصداقة اليهود " (١٤٢) .

ولعله مما يحمل مغزى كبيرا أن بريطانيا غيرت موقفها من التقسيم اثر هذا المؤتمر يقول روز " خلال نوفمبر ــ ديسمبر ١٩٣٧ تغير موقف بريطانيا تغيرا جذريا . فبعد أن كان مؤيدا وبصورة علنية لمشروع التقسيم ، أصبح يتميز بأنه غير مستقر على حال معين ، وفي أحيان كثيرة أخذ شكلا عدائيا غير خفي (١٤٣).

ونستطيع أن نجمل العمل على مقاومة التقسيم من خلال الابعاد التي تحدثنا عنها : المحلي والعربي والدولي على الوجه التالي :

٠١ تأثر موقف البرلمان البريطاني من موقف حكومة فلسطين التي تأثرت بدورها من عنف رد الفعل المحلي .

٠٢ أدى الرأى العام العربي الذى عمل الفلسطينيون من خلال المفتي وأنصاره واللجنة العربية العليا على استثارته ، الى تغيير موقف الحكام العرب . وقد انعكس موقف الحكام العرب هذا على بريطانيا الامر الذى جعلها ــ بالاضافة الى العوامل الاخرى ــ تعيد النظر في موقفها من مشروع التقسيم وهي التي ــ على ما يظهر ــ راهنت على موقف الحكام من قبوله عند اصدارها له يقول مالرو : " يظهر أن اقتراحات لجنة بيل تم تبنّيها من قبل الحكومة البريطانية لانها فكرت (وربما كان لها عذرها في ذلك) أن لهذه الاقتراحات مستقبلا لدى الرأى العربي المعتدل خارج فلسطين " (١٤٤) .

٠٣ انعكس موقف بريطانيا الذى تغير بفضل العوامل التي ذكرناها على موقف أنصار التقسيم في المنطقة العربية بمن فيهم أعضاء حزب الدفاع والامير عبد الله الذين تراجعوا عنه بعد أن كانوا ــ كما تشير الادلة المختلفة ــ مع قبوله (١٤٥) .

ادركت بريطانيا أن الحركة الوطنية الفلسطينية ممثلة بالمفتي واللجنة لا ترفض التقسيم فقط وانما هي وراء حل جذرى للمشكلة الفلسطينية ، وكان رد الفعل العنيف ضد التقسيم الذى اكتسى أشكالا ومظاهر مختلفة انذارا لبريطانيا بأنه له ما وراءه . وأن الثورة التي بدت بوادرها ، لا محالة قادمة ، وعلى نطاق واسع . ومن هنا بدأ رد فعلها ضد المفتي بشكل خاص وضد اللجنة العربية بشكل عام . بل أنه لدينا تقارير صريحة في التحريض على تقليم أظافر المفتي من ناحية ودعم الامير عبد الله من ناحية أخرى . فالمفتي الذى كان سببا في ارهاب عبد

الله وراغب النشاشيبي ـ كما تذهب هذه التقارير ـ وتحويل الجبهة العربية والرأى العام الفلسطيني وصحافتها الى معارضة التقسيم ينبغي أن يوضع حد لموقفه ذلك " بشل جهازه الارهابي " (١٤٦) وبالمقابل ينبغي دعم الامير عبد الله " لان امكانياته محدودة بصورة كبيرة وليس لديه امكانيات غير محدودة من أموال الاوقاف كالمفتي " (١٤٧)وتوصي هذه التقارير بعزل المفتي عن رئاسة المجلس الاسلامي فورا من أجل حرمانه من أموال الاوقاف . كما أنه ينبغي العمل على رفع مكانة الامير وتزويده بمعونات مالية خاصة من أجل الرد على دعاية المفتي وتمويل حملة دعائية لصالحه في فلسطين والبلاد العربية المجاورة (١٤٨) .

وقد بدأت المضايقات للمفتي في أعقاب اعلان التقسيم ـ فمنذ ١٢ يوليه ـ كما يذكر الغوري عقد المندوب السامي اجتماعا طارئا لمجلسه التنفيذي وقرر هذا المجلس " اعتقال المفتي وابعاده الى الخارج فيعدو في الاستطاعة تنفيذ مشروع التقسيم " (١٤٩) (توكيد المؤلف) ويظهر أن الحكومة البريطانية في لندن وافقت على هذا القرار (١٥٠) . وفي ١٩ يوليه داهمت قوات بريطانية مقر اجتماع اللجنة العربية العليا للقبض على المفتي ، ولكنه تفادى القبض عليه وفر الى بيته في ساحة الحرم الشريف (١٥١) .

وتداعت الاحداث بعد ذلك مؤدية بتصاعد العنف ضد التقسيم وبلغت قمتها باغتيال اندرور حاكم الجليل (يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٣٧) الذى كان مؤيدا بقوة للتقسيم ، صديقا لليهود كما أنه كان عدوا للفلاحين العرب يسهل بيع أراضيهم لليهود (١٥٢) وعلى الاثر حلت الحكومة البريطانية اللجنة العربية العليا واعلنت عدم شرعيتها مع العلم أن اللجنة اصدرت قرارا تنفي فيه مسؤوليتها عن اغتياله (١٥٣) . وقد بادرت الحكومة البريطانية الى اعتقال أعضاء اللجنة أحمد حلمي عبد الباقي ، والدكتور الخالدى وفؤاد سابا ويعقوب الغصين ونفيهم الى جزيرة سيشيل (١٥٤) وتمكن جمال الحسيني من الفرار الى دمشق ، كما تمكن المفتي من الفرار الى لبنان .

ويعقب دروزة على هذا الاجراء من قبل السلطة بأنه " كان وفق خطة مبيتة مرسومة وجزءا من منهج محاربة " ما يسمى بالمتطرفين " مما كانت الصحف الانكليزية واليهودية ترهص به منذ صدور قرار اللجنة الملكية " (١٥٥) وكانت هذه الاجراءات ايذانا بحل الاحزاب التي تمثلها اللجنة ، ما عدا حزب الدفاع الذى

كان قد انسحب من اللجنة ولم تمسه الحكومة بسوء . وقد عقب الحزب على موقف الحكومة بأن أصدر بيانا استنكر فيه ما كان من اجراءات ووصفها بأنها " اكثر مما تقتضيه الحالة " وأعلن أنه على استعداد للقيام بالواجب الوطني بعد فراغ الميدان من اللجنة العربية العليا واللجان القومية (١٥٦) .

لم يستطع حزب الدفاع أن يملأ الفراغ ، ومع تصاعد الثورة انحل هذا الحزب انحلالا كاملا وفرّ قادته الى خارج البلاد ليلجأوا بأنفسهم . ويعقب نيفيل باربور على الوضع السياسي في فلسطين بعد انهيار اللجنة على الوجه التالي : " كانت الظروف ، بالرغم من كل شيء ، أسوأ مما كانت عليه قبل حل اللجنة العربية في أكتوبر ١٩٣٧ . فقد ترتب على هذا تدمير القيادة السياسية الرسمية في فلسطين العربية . ولقد رافق ذلك الكسوف الكامل لحزب الدفاع الذى كان قد انشق عن اللجنة العربية مباشرة قبل نشر قرار اللجنة الملكية " (١٥٧) .

(١) P.A.S. 7 November 1936 FO 371/20018.

(٢) Ibid.,

(٣) Ibid., 11 November, 1936.

(٤) Ibid.,

(٥) Ibid.,

(٦) العوري : فلسطين ج ٢ ص ١٢١ .

(٧) Porath: op.cit, Vol:II,p.217.

(٨) P.A.S. 7 November 1936 FO 371/20018.

(٩) الدفاع : نوفمبر ١٩٣٦ .

(١٠) انظر عن هذه اللجنة وظروف قدومها
CL to H.C 23/7/1936. CO 733/311.

(١١) Barlowe: Rebellion : p. 173.
Note: op.cit, p. 124.

(١٢) P.A.S. 7 November 1936.

(١٣) Ibid.,

(١٤) العوري : فلسطين ج ٢ ص ١٢١ .

(١٥) Note on Interview grantedby the H.C to the Higher Arab Committee 24/10/1936 H.C. to CS CL 733/311.

(١٦) Porath: op.cit, Vol: II, p. 222.

(١٧) P.A.S. 7 Nov., 1936 FO 371/20018.

(١٨) Ibid.,

(١٩) عروة : النضال ج ١ ص ١٢٩ .

(٢٠) H.C to C.S 8 Nov.,1936 FO 371/20018.

(٢١) P.A.S. 7 November 1936 FO 371/20018.

(٢٢)

(٢٣) Ibid.,

(٢٤) Peel Report: op.cit, p. X.
الفتح ١٩٣٦/١١/١٩ انظر حله : المصدر السابق ص ٤٢٣ .

(٢٥) العدد ذاتـــــه .

(٢٦) الغورى : فلسطين جـ ٢ ص ١٢٣ .

(٢٧) دروزة : القضية جـ ١ ص ١٥٢ .

(٢٨) المصـــدر ذاتـــــه .

(٢٩) P.A.S. 3 November 1936 FO 371/20018.

(٣٠) دروزة : المصدر ذاتـه ص ١٥٠ .

(٣١) دروزة : المصدر ذاته ص ١٥٢ — ١٥٣ .
قـــارن .

(٣٢) حانا : المصدر السابق ص ١١ — ١٢ .

(٣٣) Survey,I, op.cit, p.29.
Hirsowics,Lukas: Nazi Germany & the Palestine Partition Plan in Middle Eastern Studies Vol:I, 1964. pp. 55-56.

(٣٥) Porath: op.cit, Vol:II, p. 224.
قارن الغورى : فلسطين جـ ٢ ص ١٢١ .

(٣٦) H.C to CS 8 November 1936 FO 371/20018.

(٣٧) الشقيرى : المصدر السابق ص ١٦٧ .

(٣٨) الغورى : فلسطين جـ ٢ ص ١٢٣ .

(٣٩) اوراق عوني عبد الهادى ص ٨٠ .

(٤٠) P.A.S. 20/11/1936 FO 371/20018.

(٤١) فلسطين ١٩٣٦/١٢/٢٤ .

(٤٢) الكيالى : المصدر السابق ص ٢٢٣ .

(٤٣) الشقيرى : المصدر السابق ص ١٦٧ .

(٤٤) الكيالى : المصدر السابق ص ٢٢٣ .

(٤٥) الغوري : فلسطين حـ ٢ ص ١٢٤ .

(٤٦) الاحوال المصرية ١٩٣٦/١/١٢ .

(٤٧) المصدر نفسه ١٩٣٦/١/١٢ .

(٤٨) المقطم : ١٩٣٦/١/٢٢ .

(٤٩) حلمه : المصدر السابق ص ٤٢٨ .

(٥٠) جانا : المصدر السابق ص ١٠ . هارـ الخالدي : المصدر السابق ص ٢٥٤ .

(٥١) الخالدي : المصدر السابق ص ٢٥٤ .

(٥٢) الشرق : المصدر السابق ص ٢٣٥ .

(٥٣) الفتح ١٩٣٦/١١/١٩ انظر حلمه : المصدر السابق ص ٤٥٧ .

(٥٤) Weizmann: op.cit, p. 385.

(٥٥) Rose: op. it, p. 124.

(٥٦) الخالدي : المرجع السابق ص ٢٥٤ .

(٥٧) Wilf, Jay: The Maps of Palestine (New York 1935).

(٥٨) Schechtman: op.cit, p. 52.

(٥٩) علوش : المصدر السابق ص ١١٨ .

(٦٠) Barbur, James P : Cross Currents in the Middle East (London 1969) p. 82-35.

(٦١) جانا : المصدر السابق ص ٢٥٧ — ٢٦٨ .

(٦٢) دروزة : القضية حـ ١ ص ١٦٢ — ١٦٣ .

(٦٣) المصدر نفسه ص ١٥٦ .

(٦٤) الشرق : المصدر السابق ص ١٧٠ .

(٦٥) المصدر نفسه .

(٦٦) الجزيرة ١٩٣٦/٧/٨ انظر حلمه : المصدر السابق ص ٤٤٢ .

(٦٧) الخالدي : المصدر السابق ص ٢٦٦ .

(٦٨) المصدر نفسه .

(٦٩) اوراق موسى عبد الهادي ص ١٠٩ .

(٧٠) الخالدى : المصدر السابق ص ٢٦٦ .

(٧١) أوراق عوني عبد الهادى ص ١٠٩ ـ ١١٠ .

(٧٢) المصدر ذاتـــــه .

(٧٣) صايغ : المصدر السابق ص ١٥٢ .

P.A.E. 24 February 1935 FO 371/20824.

(٧٤) الغورى : فلسطين جـ ١ ص ١٣١ ـ ١٣٢ .

(٧٥) الغورى : المصدر ذاته ص ١٣٢ .

(٧٦) المصدر ذاتـــــه ص ١٣٢ .

(٧٧) Macarth to Wauchope 5/7/1937 CO 733/326.

(٧٨) Extracts from a personal letter to Dr. Weizmann form a Friend in Jerusalem Dated 18 August 1937 CO 733/351.

(٧٩) Weizmann: op.cit, p. 39.

(٨٠) انظر : أ ـ الحسنى : المصدر السابق ص ٧٦ .

ب ـ الغورى : فلسطين جـ ٢ ص ١٣٤ ـ ١٣٥ .

جـ ـ أخبار اليوم : ١٩٥٧/٩/٢٨ .

(٨١) الحسيني : المصدر السابق ص ٧٦ .

(٨٢) Peel Report: op.cit, p.101.

(٨٣) الغورى : فلسطين جـ ٢ ص ١٣٤ .

(٨٤) Peel Report: op.cit, pp. 380-382.

(٨٥) Rose: op.cit, p. 87.

(٨٦) النقيوى : المصدر السابق ص ١٧٠ .

(٨٧) Khalidi, Walid : From Haven to Conquest: Readings in Zionism & Palestine Arab (Beirut 1971) p. xli.

(٨٨) The Monthly Adminstration Report for July 1937, Galilee District CO 733/332. انظر ايضا : Ibid.,: CO 733/351.

(٨٩) antonius: op.cit, p. 402.

(٩٠) Hirschfeld,Lukasz:" Nazi Germany & the Palestine Partition " Middle Eastern Studies Vol:I,1964 p. 40.

(٩١) الحسن : المصدر السابق ص ٧٥ .

(٩٢) الصايغ : المصدر السابق ص ١٤٧ .

(٩٣) العالمي : المصدر السابق ص ٢٩٢ - ٢٩٤ .

(٩٤) Khalidi: op.cit, p. 37.

(٩٥) Bruchhage to Parkinson 14/7/1937 & 19/7/1937 CO 733/351/1

(٩٦) انظر ملحق اعداد سير بولد : طرق الدورة ، ١٢٧

(٩٧) Porath: op.cit, Vol:II, p. 359.

(٩٨) المعظم : ١٩٣٧/١/٣١ .

(٩٩) المعظم : ١٩٣٧ .

(١٠٠) Survey I,op.cit,p. 39.

(١٠١) Extracts from a personal letter to Dr. Weizmann from a friend in Jerusalem Dated 15 Aug., 1937 CO 733/351.

(١٠٢) Ibid.,

(١٠٣) Porath: op.cit, Vol:II,p.229.

(١٠٤) Extracts: op.cit, CO 733/351.

(١٠٥) Bruchhage to Parkinson 19/7/1937, CO 733/332

(١٠٦) Harbury: op.cit, p.84.

(١٠٧) Ibid.,

(١٠٨) الدورة : حول الحركة ج ٢ ص ١٥١ .

(١٠٩) العمري : المصدر السابق ص ١٧١ .

(١١٠) Porath: op.cit, Vol: II, p. 229.

(١١١) العوري : المؤامرة الكبرى ص ٨٨ .

(١١٢) Elf: op.cit, p. 416.

(١١٢) انظر هذه الاسماء في فلسطين جـ ٢ ص ١٣٨ .

(١١٣) Schectman: op.cit, p. 55.

(١١٤) Extracts: op.cit, CO 733/351.

(١١٥) Porath: op.cit, Vol:II,p.228.

(١١٦) Extracts: op.cit, CO 733/351.

(١١٧) اوراق عوني عبد الهادي ص ٨٩ .

(١١٨) العوري : المؤامرة الكبرى ص ٨٨ .

(١١٩) دروزة : القضية جـ ١ ص ١٦٧ .

(١٢٠) Extracts: op.cit, CO 733/351.

(١٢١) Ibid.,

(١٢٢) Sir Clark Kerr to10 July 1937 FO 406/75/8251.

(١٢٣) Ibid.,

(١٢٤) Ibid.,

(١٢٥) Ibid.,

(١٢٦) Ibid.,

(١٢٧) Ibid.,

(١٢٨) دروزة :القضية جـ ١ ص ١٦٥ .

(١٢٩) العوري : المؤامرة الكبرى ص ٨٨ .

(١٣٠) جريدة الزمان (بغداد) ٢٤ يوليو ١٩٣٧ .

(١٣١) Porath: op.cit, Vol:II,p.231.

(١٣٢) دروزة : حول الحركة جـ ٣ ص ١٦١ .

(١٣٣) المصدر ذاته ص ١٦٠ – ١٦١ .

(١٣٤) Mr. Eden to Sir A. Clark Kerr Baghdad 16 July 1937 FO 406/74.

(١٣٥) Porath: op.cit, Vol:II, p. 231.

(١٣٦) Hirsowics: op.cit, p. 56.

(١٣٧) Ibid.,

(١٢٨) Macareth 11/9/1937 CO 733/353.

(١٢٩) Ibid.,

(١٣٠) Mr. Scott(Bazhdad) to Eden 22 Sept..1937 FO 406/74.

(١٣١) Macarath: 14/9/1937 CO 733/353.

(١٣٢) Barlowe: op.cit, pp. 145-146.

(١٣٣) Hone: op.cit, p. 85.

(١٣٤) Marlo e: op.cit, p. 147.

(١٣٥) انظر دورو : القضية ج ١ ص ١٢٢ .

(١٣٦) Extracts: op.cit, CO 733/351.

(١٣٧) Ibid.,

(١٣٨) Ibid.,

(١٣٩) الغوري : فلسطين ج ١ ص ١٤٠ .

(١٥٠) المصدر نفسه .

(١٥١) المصدر نفسه ص ١٤٠ — ١٤١ . مارلو دورو : حول الحركة ج ١ ص ١٧٦ .

(١٥٢) Barbour,Neville Nisi Dominus (London)pp. 103-104.

(١٥٣) دورو : حول الحركة ج ١ ص ١٨٢ .

(١٥٤) المصدر نفسه .

(١٥٥) المصدر نفسه .

(١٥٦) المصدر نفسه ص ١٨٤ .

(١٥٧) Barbour: op.cit, p. 195.

الخاتمـــة

لقد قدمنا في هذه الدراسة لظهور الاحزاب السياسية في فلسطين ، ثم تتبعنا نشأة حزبي الدفاع والعربي ، اللذين هما موضوع هذه الدراسة . كما عالجنا بناءهما التنظيمي : فرعا وقيادة وعضوية . كما درسنا أيضا ممارساتهما منذ نهايـة عام ١٩٣٤ الى أواخـــر عـام ١٩٣٧ .

وقد رأينا أن المؤسسة السياسية لكلا الحزبين لم تستطع أن تثبت مقدرتها من الناحية التنظيمية . فقد ظل الفرع وهو الوحدة التنظيمية الاساسية لكل مـن الحزبين ، اطارا فضفاضا لتجميع الانصار ولم يحقق الكثير من اهدافه . فالطريـق الى القيادة لم تكن عبر الانتخاب . كما أن العضوية لم تتحقق بحسب ما طمح اليه الحزبان من الناحية النظرية ، وبرز واضحا في دستور الحزب العربي وقوانينـــه التنظيمية . فلم يكن هنالك تسجيل للاعضاء ، ولا دفع للاشتراكات بصورة منتظمة ولا حرص في انتقاء الاعضاء من أجل تحقيق نوع من التجانس الحزبي . كما أن الاعضاء لم يمارسوا تجربة سياسية على مستوى الفرع تبرر وجود هذا الفرع ، وتجعل له حياة سياسية خاصة به . فلم يكن هنالك تثقيف سياسي ، كما لم يكن هنالـــك اجتماعات منتظمة . وتركز نشاط الفرع في احتفالات أو تظاهرات ذات طابع سياسي

وعليه فقد اعتمد الحزب في نشاطه على عدد محدود من الاعضـــاء الناشطين الذين ارتبطوا بالقيادة بصورة خاصة ، وشكلوا ما يشبه الحاشية أو المقربين أو ما يطلق عليه أحيانا الشلة . ولم يزد باقي الاعضاء عن قطاع مـــن المؤيدين أو الانصـــار .

ولقد تعددت روابط هؤلاء الانصار بالحزب . فكان منها الرابطة الشخصيـة التي تقوم في الغالب على جاذبية الزعامة الملهمة (الكاريسما) التي كانت تمكن الزعيم من حشد عدد غفير من الانصار حوله . والى جانب الرابطة الشخصية لعبت الرابطة العائلية دورا كبيرا وشكلت العائلية هرمية خاصة بها ربما كانت أقوى مـن الهرمية التي ربطـت الفروع بالقيـادة المركزيـــة .

على أن الرابطة الوطنية ظلت رابطة أساسية تشد الانصار الى الحزب . ومن هنا فقد تفوق الحزب العربي في عدد من أنصاره باعتباره أكثر حرصا على تبني مطالب الامة من حزب الدفاع ، الذى تميز عموما بالاعتدال في علاقته مع الحكومة وفي برامجـــه الحزبيـــة عامـة .

وكانت للرابطة الوطنية بوصفها عاملا في كسب الانصار جذور في خلفيات الحزبين . فالحزبان عندما قاما في نهاية عام ١٩٣٤ وأوائل عام ١٩٣٥ لم يريدا عن وضع لافتة على جهاز سياسي أخذ في التكون منذ بداية الاحتلال البريطاني ، وفي أطار الحركة الوطنية . فمنذ بداية الاحتلال التحم النشاشيون والحسينيون في أجنحة الحركة الوطنية من مواقعهم المتقدمة اجتماعيا وثقافيا . وساهموا مساهمة فعالة في الجمعيات الاسلامية المسيحية ، كما ساهموا في الناديين العربي والادبي اللذين كانا بمثابة طليعة الحركة الوطنية واثنين من اجهزتها الفعالة . وقد شكلت العائلة الحسينية العناصر الفعالة في النادي العربي ، كما كان للنشاشيبين نفس الدور في المنتدى الادبي .

وقد رأينا أن المواقف الوطنية الصلبة للحسينيين والنشاشيبين التي اتخذوها في بداية الاحتلال لم تلبث أن اتصفت بالاعتدال الذي ترتب على فشل الحركة الوطنية في التصدي للتحدي الخارجي والمتمثل بالاحتلال البريطاني والصهيونية ، ورسوخ أقدام هذا الاحتلال ، وتأثير هذا الاحتلال ـ مع الصهيونية تأثيرا سلبيا في الحركة الوطنية . فمنذ أوائل العشرينات مالت القيادات الحسينية والنشاشيبية الى التعاون مع سلطات الانتداب . فبينما تولى أمين الحسيني منصب الافتاء ورئاسة المجلس الاسلامي الاعلى ، تولى راغب النشاشيبي رئاسة بلدية القدس . وكلا المنصبين كان حساسا وهاما ، يتمتع بصلاحية وكوادر من الموظفين ، وله أبعاد على مستوى الوطن جميعه .

وفي هذه السنوات تولد التنافس العائلي بين الحسينيين والنشاشيبين كأقوى ما يكون . وبالاضافة الى السيطرة على المناصب أخذ هذا التنافس شكل السيطرة على أجنحة الحركة الوطنية . ومن هنا ولدت أحزاب المعارضة النشاشيبية التي تصدت للجمعيات الاسلامية المسيحية واللجنة التنفيذية والمجلس الاسلامي الاعلى التي سيطر عليها الحسينيون . واستمر هذا التنافس بصوره أو بأخرى الى أواخر عهد الانتداب .

ومع هذا فان هذا التنافس كانت تخف حدته ويسارع الفريقان الى الاتفاق والعمل معا في اطار الحركة الوطنية ، عندما يقوى التحدي الخارجي ، وتتصاعد الخطر الصهيوني والاستعماري . فالتنافس الحسيني النشاشيبي لم يظهر خلال الانتفاضات المتتالية طوال عهد الانتداب ، كما أن بدايات الثلاثينات التي

شهدت بعث الحركة الوطنية من جديد ، لم تترك سوى مساحة ضيقة للسلبيات التي تمثلت في موقف النشاشيبيين ، اثناء ضعف الحركة الوطنية في أواسط العشرينات .

والى هذا فان قيام الحزبين بصفة رسمية في منتصف الثلاثينات ، لم يخل ايضا ـ رغم التنافس الشخصي والعائلي ـ من كونه تحقيقا لبعد وطني ذلك أن الحركة السياسية الفلسطينية ارتأت ان تنظم نفسها على اسس جديدة ـ ايدلوجية وتنظيمية ـ اكثر فاعلية ، يخلصانها من الاطار الفضفاض للجنة التنفيذية وما حوت من عناصر غير متجانسة وغير مرغوب فيها كالسماسرة وعملاء السلطة .

على أن قيام الاحزاب بما فيها العربي والدفاع لم يلق ترحيبا كبيرا من قبل عامة الفلسطينيين ، بالرغم من الشعارات التي طرحها بعضها ، كالشباب والاستقلال . ذلك لان الجماهير كانت وراء الوحدة الوطنية من أجل مجابهة الخطر المشترك ، كما أن الحزبية ارتبطت في أذهان الكثيرين بمعناها العائلي أو الشخصي ، ورمزت الى الانقسام أو تشتت الجهد الوطني وضياعه في الزعامات المختلفة .

ولذا ما أن ظهرت بادرة لاول خطر حقيقي ـ بعد قيام الاحزاب ـ وهي اكتشاف ان اليهود ـ الذين دخلوا البلاد بعشرات الالوف عام ١٩٣٥ ـ يتسلحون بشكل مكثف حتى قامت الاحزاب بالائتلاف وشكلت لجنة الاحزاب الفلسطينية التي ضمت الاحزاب جميعها ما عدا حزب الاستقلال . ولم يكن قد مضى على وجود هذه الاحزاب سوى بضعة أشهر .

وعندما أعلن الاضراب العام (١٩٣٦) التحمت الاحزاب ـ جميعها ـ في كيان وطني أكثر تماسكا وقوة وهو اللجنة العربية العليا . وهنا تجلى الحس الوطني الصادق للاحزاب كاقوى ما يكون . وقاد هؤلاء الامة من خلال اللجنة العربية واللجان القومية . وهنا أيضا تفوقت الاحزاب على نفسها من الناحية التنظيمية . فالكيان الحزبي الذى قام قبل الثورة على ائتلاف تنظيمي مفكك ضم قطاعات عريضة من الشعب هم الانصار ، وتحت شعارات كبيرة ، تحول الى كيان منظم ومنضبط وتمثل ـ أحسن ما تمثل ـ في اللجان القومية التي ارتبطت بالمركز على أساس هرمي .

ومع تصاعد الاضراب الى ثورة مسلحة بفعل مشاركة الجماهير بصورة كاسحة ، وتعاطف العالم العربي ، بلغت الاصالة الوطنية للاحزاب غايتها عندما تحول بعض

اللجان القومية ـ التي ضمت عناصر الاحزاب مجتمعة ـ الى مقاومة مسلحة سرية . كما ظهرت العصابات الثورية التي قاتلت الانجليز في جبال فلسطين ، واسهم فيها بشكل بارز جيش الجهادالمقدس الحسيني . كما أسهم فيها الدفاعيون ولو على نطاق أضيق .

وقد رأينا ان الاضراب والثورة فقدا زخمهما بفعل عوامل داخلية وخارجية ، بدا معها للفلسطينيين العرب أن الوساطة العربية كفيلة بتحقيق اهدافهم . وهنا برزت الخلافات الحزبية الى السطح من جديد . ولم تكد المرحلة الاولى من الثورة أن تنتهي حتى قويت هذه الخلافات وابتعد حزب الدفاع عن الصف الوطني الممثل باللجنة العربية العليا . وبدا بالتطلع الى خارج البلاد والسعي الى التحالف مع الامير عبد الله ، تمهيدا لاقسام العاشر التي كان يتطر أن تحققها لجنة التحقيق الملكية البريطانية . ومع ذلك وبالرغم من ظهور قرارات لجنة التحقيق ومناداتها بالتقسيم ، لم يستطع حزب الدفاع أن يصمد للتيار الوطني ، الذي عارض التقسيم بعنف وقوة . وتمكن هذا التيار من جرف حزب الدفاع معه ، فبعد أن قبل هذا مبدأ التقسيم ، عاد فعدل عنه ورفضه بصورة رسمية .

ومهما يكن من أمر ، فانه على الرغم من كون هذين الحزبين جناحين من أجنحة الحركة السياسية أو الوطنية الفلسطينية عامة ،فانه كان هنالك فروق هامة بينهما . فالحسينيون ظلوا منذ بداية الانتداب اكثر التزاما بالخط الوطني . فالمفتي رغم كونه موظفا في الدولة لم يقع أسيرا لهذا المنصب الى الحد الذي تصوره البعض . فعلى الرغم من أنه كان يحتمي أحيانا لضغط الانتداب الا أنه ظل مع ذلك يدرك أنه زعيم ديني ووطني مستقل ، وليس تابعا لاحد . كما أنه حاول أن يجعل من المجلس الاسلامي قلعة للوطنية ، تقابل الوكالة اليهودية . ومع مرور الزمن اكتسب المفتي نوجها شعبيا ونجح في أنه يجمع حوله جمهورا كبيرا من الموالين وبخاصة من الفلاحين ذوي المشاعر الدينية . وعلى هذا فليس بلا مغزى أن كلمة مجلسيين صارت مرادفا للحركة الوطنية أو هم الحركة الوطنية بالفعل . ومن هنا جاءت تسميتهم طوال العشرينات ـ وكما تظهر في مؤلفات المعاصرين ـ باسم الجبهة الوطنية أو الوطنيين . وغني عن القول أن هذه الحركة حافظت ـ في معظم الاحيان ـ على المبادئ الرئيسية للامة في الحرية والاستقلال والحكومة الوطنية ورفض وعد بلفور والوطن القومي اليهودي . وفي الاحداث الهامة في فلسطين مثل

هبة ١٩٢٠ ، ١٩٢١ ، ورفض المجلس التشريعي (١٩٢٢) والمجلس الاستشـــارى (١٩٢٣) الى هبة الـبراق كان للحسينيين دور بارز وصـوت واضـــح .

وقد برز توجههم هذا أيضا في أوائل الثلاثينات وفي أحداث هبة ١٩٢٣ . كما أنه عندما بدأت الحركة الوطنية والسياسية تسير نحو التطرف وطالبت بمجابهة البريطانيين وقطع جميع الصلات معهم ، لم يتنكر المفتي لهذا التيار . فمع أنه حافظ على منصبه ، ورفض التنازل عن رئاسة المجلس الاسلامي الاعلـــى ـ تنفيذا لسياسة عدم التعاون مع الاستعمار التي طرحتها الحركة الوطنية ـ فانه كوّن من أنصاره في هذه الفترة جيشا للجهاد هو جيش الجهاد المقدس الذى كانت له غايات وطنية خالصة ، ومنهج واضح في الكفاح ضد الانجليزية والصهيونية . كما أن المفتي ـ شخصيا ـ كان وراء كثير من التنظيمات ذات الطابع المتطرف ، والحلقـات الجهاديـــة .

وحتى بعد قيام كل من الحزبين ، ورغم سيطرة الروح الحزبية أحيانـــا كثيرة ، ظل الحسينيون ملتزمين بخطهم الوطني . وقد بدا ذلك في مفاوضاتهـم مع السلطة من أجل تكوين المجلس التشريعي الذى أرادوا له أن يكون حقيقيا يمثل الامة ، ومنطلقا لتكوين حكومة وطنية شبيهة بالحكومات العربية المستقلة التي ترتبط مع بريطانيا بمعاهـــدة .

وبقيام الاضراب والثورة تمكن المفتي من تحقيق أعظم منجزاته الوطنية . وهنا لم يعد لمنصبه أثر كبير في توجيه موقفه الوطني ، وبدا أكثر تحررا من تقييداته من أى وقت مضى . ومع تصاعد الثورة تصاعدت مساهمة المفتي فيهـا . وجاء وقت راهن فيه المفتي على الثورة المسلحة كاسلوب وحيد للحل الجذرى أو التاريخي للمشكلة الفلسطينية وبذلك بلغ أعظم ما حققه في مصيره السياسي كله .

وعندما اضطر المفتي الى الموافقة على وقف الاضراب ، لم يعتبر ذلك وقفا للثورة ، بل هدنة مسلحة . ولذا لم يكن عجيبا ان يرفض التقسيم ويعود الـى استئناف الثورة على أثر قيام لجنة التحقيق بطرح قرارات لم تستجب للاهـداف الوطنية التي سعى اليهـا .

وقد جاء حل اللجنة العربية العليا التي هو رئيسها ، وطلب القبـض عليه وفراره بعد ذلك نتيجـة لموقفـه الملـتزم بالثـــورة .

أما النشاشيبيون فكانوا بصورة عامة مع الاعتدال الوطني ، ذلك الاعتدال الذي وصل أحيانا ـ ومع ضعف الحركة الوطنية عامة ـ الى درجة التخاذل أو الاستهانة بمطالب الامة . فقد كان لهم تأثير لا يستهان به في صياغة برامج الحزب الوطني المعتدل ، وسياسة خذ وطالب وبرامج الجمعيات الوطنية الاسلامية ، وحزب الزراع التي كانت تقبل بالانتداب ، وأحيانا بالتعايش مع الصهيونية . وكان الخط العام الذي ساروا عليه ـ أثناء قوة الحركة الوطنية ـ يصل دائما الى الاعتدال اذا قورن بخط الحركة الوطنية بصورة عامة والحسينيين بصورة خاصة . ومن هنا فانه لم يكن من غير المنطقي ان يطلق على النشاشيبيين اسم المعارضة ، بمعنى معارضة المجلسيين والحركة الوطنية عامة .

وفي حين أن المفتي والمجلسيين والحزب العربي كانت لهم شعبية قوية اعتمد النشاشيبيون طوال الوقت على الشخصيات النافذة أو مراكز الثقل القوية بالمال والجاه والعائلة أو بهما جميعا . وعلى هذا فقد كان توجههم ذا طابع أرستقراطي .

وقد بدا اعتدال النشاشيبيين في ممارساتهم طوال فترة الانتداب : في موقفهم من المجلس التشريعي (١٩٢٢) والمجلس الاستشاري (١٩٢٣) . وفي أحداث البراق لم يكن لهم دور بارز يضاهي دور الحسينيين . بل انهم سلكوا ما بعد أحداث البراق اسلوبا سلميا ظهر على صفحات جريدة " مرآة الشرق " وفي أحداث أكتوبر ١٩٣٣ لم يسجل النشاشيبيون موقفا يذكر بالمقارنة بموقف الحسينيين . وحتى عندما حاولوا تشكيل تنظيمات وطنية لم يشكلوا تنظيمات عسكرية ، بل تنظيمات عمالية في مدينة يافا . وهي التنظيمات التي شكلها فخري النشاشيبي .

وبعد أن ظهر الحزبان بصورة رسمية ، تميز النشاشيبيون كذلك بموقفهم الاكثر اعتدالا الذي بدا أثره في مفاوضات راغب النشاشيبي مع المندوب السامي ، من أجل تأسيس المجلس التشريعي ، وهي المفاوضات التي انتهت بقبول المجلس التشريعي ـ على علاته ـ بينما رفضه الحسينيون .

وفي الثورة كان موقفهم معتدلا أيضا . فبينما راهن الحسينيون على الثورة المسلحة ، راهن النشاشيبيون على الاضراب . ولم يخل موقفهم ذلك من كونه محاولة لاحراج المفتي وارغامه على التخلي عن منصبه .

ومع بداية انحسار الثورة ـ كما ذكرنا ـ بفعل القمع البريطاني والتدخل العربي ، كان الدفاعيون من أوائل من أبدوا استعدادهم لوقف الاضراب ولم يكونوا حريصين على شروط مسبقة ، كحرص المفتي والحزب العربي عليها . ولقد نشأ موقفهم المعتدل هذا بتأثير موقعهم الاقتصادى والاجتماعي ذلك أنهم كانوا أكثر المتضررين من الاضراب .

كما أن موقفهم بعد انتهاء الاضراب ، لم يكن متماثلا مع موقف الامة ، من حيث رفض التقسيم بلا تحفظ . ولهذا لم يلقوا من العنف والنفي والتشريد ما لقيه المفتي ورجال اللجنة العربية العليا واقطاب الحزب العربي .

وبايجاز يمكن أن نلخص موقف الحزبين بصورة عامة على الوجه التالي:

في حين أن الحزب العربي أدرك أن الارتباط بين الانتداب والصهيونية هو ارتباط عضوى ، فرفض الانتداب بصورة مبدئية ، فان حزب الدفاع أظهر قبولا للانتداب ـ حفاظا على مصالحه ـ بالرغم من أن هذا كان يعني الاعتراف بالصهيونية أو القبول بها .

ويمكننا تصنيف كل من الحزبين العربي والدفاع على النحو التالي أيضا :

" لقد كان الحزب العربي أقرب ما يكون الى احزاب الاكثرية في العالم الثالث . وهذه بالطبع في الغالب وطنية وتمثل رجل الشارع وتتبنى شعاراته . مثل حزب الوفد في مصر ، وحزب الكتلة الوطنية في سوريا ، وحزب الكونجرس في الهند التي اكتسبت اصالتها من كونها تمثل الحركة الوطنية ، وتسعى الى تحقيق غايات الامة الكبرى ، وتعتبرها أهدافا استراتيجية لها . على أن هنالك فرقا رئيسيا بين الحزب العربي وهذه الاحزاب وهو أن الحزب العربي لم تتح له فرصة خوض انتخابات أو تشكيل حكومة ، وظلت تجربته السياسية محدودة ، الامر الذى انعكس على جسمه السياسي وممارساته ، وجعل جهوده تنصب طوال الوقت على كسب الحركة الوطنية الى جانبه أكثر من تنافسه مع الاخرين على كراسي الحكم . ولعل هذا هو ما جعل بعض المؤرخين يصفونه بأنه حركة وليس حزبا .

أما حزب الدفاع فهو حزب الاقلية . وبالرغم من أنه كان ينادى بشعارات الامة أحيانا فانه كان يراعي مصلحة فئة الاقلية الارستقراطية . ونستطيع أن نشبهه باحزاب الاقلية في العالم الثالث . وأقرب شيء منه هو حزب الاحرار الدستوريين في مصر الذى كان يعرف بحزب أصحاب المصالح أو حزب الذوات .

واذا نظرنا بوجه عام الى الحزبين نجدهما من الناحيتين التنظيمية والممارسات السياسية (بمعناها الحزبي) لم يسهما اسهاما كبيرا في الحياة السياسية الفلسطينية .

وعلى اية حال فانه ينبغي القول بان الصفحة المشرقة في تاريخ الحزبين العربي والدفاع كانت ثورة ١٩٣٦ تلك الثورة التي كشفت عن اصالتهما كحركتين وطنيتين قبل كل شيء كما انهما بلغا في هذه الثورة الاوج في التنظيم والممارسة وهو الامر الذي عجزا عنه قبل ذلك .

قائمة بالمصادر والمراجع

أولا : وثائق انجليزية غير منشورة

1) Public Record Office, London
   - Air Ministry (Air)
   - Cabinet Papers (Cab)
   - Colonial Office(Co)
   - Foreign Office(Fo)
   - War Office (Wa)

2) Oxford-St Antony's College, Middle East Centre.
   - Bowman Papers
   - Cunningham Papers.
   - Haining Papers.
   - Owen Papers.
   - MacGillivray Papers.
   - Samuel(Herber) Papers.
   - Tegart Papers.

ثانيا : وثائق انجليزية منشورة

1) Davis, H.M: Constitutions, Electoral Laws, Treaties of States in the Near and Middle East, (Darham, U.S.A. 1947).

2) Hurewitz, J.C: Diplomacy in the Middle East a Documentary Record, 1914-1956 2 Vol. (New York, 1956).

   Ingrams, Doreen: (ed.): Palestine Papers 1917-1922: Seeds of Conflict (London, 1972).

3) Command Papers:
   - Great Britain, Colonial Office, Palestine Disturbances in May 1921, Report of the Commission of Inquiry with Correspondence relating there to (Cmd 1540, London 1921. The HayCraft Report).
   - Great Britains, Colonial Office, Corrospondance with the Palestine Arab Delegation and the Zionist Organization, (Cmd. 1700. London, 1922, the Churchill White Paper).
   - Great Britain, Colonial Office, Report of the Commission on Palestine, Land Settlement and Development by John Hope Simpson (Cmd. 3668, London, 1930).

- ---------,Palestine Statement of Policy by H.M.G. in the U.K. (1930 White Paper,Cmd. 3692 London,1930).
- ---------, Proposed New Constitution for Palestine(Cmd 5195,London,March 1936).
- ---------,Palestine Royal Commission Report(Peel Commission Report, Cmd. 5479,July 1937).

Reports:

- Great Britain. Colonial Office. Report by His Britannic Majesty's Government to the Council of the League of Nations on the Administr-ation of Palestine and Trans-Jordan. 1924-1936, Colonial Nos. 12,20,26, 31,40,47,59,75,82,94,104,112,129, 146,166. London: His Majesty's Stationaery Office,1925-1939.

- Government of Palestine: A Survey of Palestine,Prepared in Dec.,1945 & Jan.,1946 . . . For the Anglo-American Commission of Inquiry.

ثالثا : وثائق عربيـة غـير منشـورة

١) مركز الدراسات الفلسطينية ـ بـيروت
- أوراق خاصة ووثائـق ل : نبيه العظمـة
- وثائق فلسـطينيـة ل : اكرم زعيـتر

٢) مركز الابحاث ـ منظمة التحرير ـ بـيروت
- وثائق الحركـة الوطنيـة
- وثائق وأوراق خاصة لاحمد الامـام
- وثائق وأوراق خاصة لعوني عبد الهادى
- وثائق وأوراق خاصة لفوزى القاوقجـي

٣) المركز الوطني العراقي للوثائق ـ بغـداد
- وثائق متفرقـة

٤)

- يوميات غـزة ـ لعـارف العـارف

٥) أوراق خاصة غـير منشـورة
- يوميات خاصة لاكرم زعيتر ، مخطوطة في كراريس (مرحلة الثلاثينات محفوظة لديه فـي بـيروت .
- أوراق خاصة لحسين فخرى الخالدى ، مخطوطة ، موجودة لدى ابنته ليلى الحسيني الخالـدى ـ بـيروت .

رابعا : وثائق عربية منشورة

١) الكيالي ، عبد الوهاب (جمع واعداد) : وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية (مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت ١٩٦٨) .

٢) علي محمد علي : وثائق واوراق فلسطين جـ١ (اعداد هيئة الاستعلامات العامة ـ وزارة الارشاد القومي)

اليوميات والمذكرات المنشورة:

قاسمية ، خيرية (اعداد) عوني عبد الهادى أوراق خاصة بيروت مركز الابحاث ١٩٧٧ .

: فلسطين في مذكرات القاوقجي ١٩٣٦ ـ ١٩٤٨ جـ٢ بيروت : مركز الابحاث .

Antonius,G:
The Arab Awakenning (London 1961).
Ben-Gurion,D:
a) Letters to Paula (London 1971).
b) Talks with Arab Leaders (London 1974).
Bentwitch,N &H:
Mandatory Memories 1918-1948 (Great Britain).
Bowman,H:
Middle East Window (London 1942).
Cohen,A:
Israel and the Arab World (London, 1970).
Cohen,J.M.:
Palestine Retreat form the Mandate (London,1978).
Crossman,R:
A Nation Reborn: The Israel of Weizmann,Bevin and Ben-Gurion (London,1960).
Dalton,H:
The Fateful Years: Memories 1931-1945 (London,1957).
Duverger,M:
Political Parties (London,1964).
Esco Foundation,Palestine:
A Study of Jewish,Arab and British Policies, 2 Vol. (Yale 1974).
Francis-Williams:
Lord, A Prime Minister Remembers: the War and Post-War Memories of Rt. Hon. Earl Atlee (London 1961).
Friedman,I:
The Question of Palestine (London1974).
Furionge,G:
Palestine is my Country, the Story of Musa Alami (London 1969).
Giffries,G.M.N:
Palestine: The Reality (London 1939).
Harkabi,Y:
Time Bomb in the Middle East (Friendship Press N.Y. 1959)

Hyamson,A:
Palestine Under the Mandate (London 1950).
Hirsowics,L:
The Third Reich and the Arab East (London & Buffale, New York 1965).
Hirst,D:
The Gun and the Olive Branch, The Roots of Violence in the Middle East (London 1977).
Hurwwitz,J.C.:
The Struggle for Palestine (New York 1968).
Kimche,J:
Palestine or Israel,the Untold Story Why We Failed.(London,1973).
Kirkbride,A:
A Crackle of Thorns. (London,1956).
Kisch,F.H.:
Palestine Diary (London 1936).
Laqueur,W:
Communism and Nationalism in the Middle East (New York 1955).
Lawsen,K:
A Comparative Study of Political Parties (New York 1976).
Luca,N:
Modern History of Israel (Weidenfold Nicolson 1974).
Machover,J.M:
Governing Palestine: The Case Against Parliament (London,1936).
Marlowe,J:
a- Rebellion in Palestine (London 1946).
b- The Seate of Pilate: An Account of Palestine Mandate (London 1959).
c- Arab Nationalism and British Imper -ialism a Study in Power Politics (London 1961).
Meinertzhagen,R:
Middle East Diary,1917-56(London 1959).
Newton,F:
Fifty Years in Palestine (London 1948).
Nutting,A:
The Arabs (London 1964).
Pearlman,W.M:
The Mufti of Jerusalem (London 1947).

Porath,Y:
a- The Emergence of the Palestine National Movement . Vol:I (London 1974).
b- The Palestine Arab National Movem ent 1929-1939(London 1977).

Quandt,W.B. Jaber,F. Lesch,A:
The Politics of Palestine National (Berkely 1973).

Rose,N.A.:
The Gentile Zionists, A Study of Anglo-Zionist Diplomacy 1929-1939 (London 1973).

Sacher,H:
The Emergance of the Middle East 1914-1924 (New York 1969).

Samuel,H:
A Life Time in Jerusalem (London 1970).

Sartory,J:
Parties and Party System (Cambridge (1976).

Schectmann,J.B:
The Mufti and the Fuhrer (New York (1964).

Tibawi,A:
Anglo-Arab Relations (London: Lusac (1978).

Weizmann,C:
Trial and Error, The Autobiography of Chaim Weizmann (London 1950).

Zeine,N,Z:
The Struggle for Arab Indepencence (Beirut 1960).

Ziff,W.B :
The Rape of Palestine (New York 1938).

سادسا : مؤلفات عربية

- ابو الشعر : أمين : مجاهد من أبو ديس (عمان ١٩٧٧) .
- ابو النصر ، عمر ، (وآخرون) جهاد فلسطين العربية (بيروت ١٩٣٦)
- ابو بصير ، صالح مسعود : جهاد فلسطين في نصف قرن (بيروت١٩٦٨)
- بدران ، نبيل : التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني (بيروت ـ مركز الابحاث ١٩٦١) .
- البرغوثي ، نمرصالح ،وطوطح ، خليل : تاريخ فلسطين (القدس١٩٢٣)
- برو ، توفيق : العرب والترك في عهد الدستور العثماني ١٩٠٨ ـ ١٩١٤ (القاهرة ١٩٦٠) .
- توما ، اميل : أ . جذور القضية الفلسطينية (بيروت مركز الابحاث ١٩٧٤)
  ب . ستون عاما على الحركة القومية العربية الفلسطينية (بيروت ١٩٧٨) .
- الحسيني ، محمد أمين : حقائق عن قضية فلسطين (القاهرة ١٩٥٧)
- جانا ، محمد توفيق جانا : الشهادات السياسية امام اللجنة الملكية في فلسطين (دمشق ١٩٣٧) .

- جريس ، صبرى : تاريخ الصهيونية ، جـ١ (١٨٦٢ ــ ١٩١٧)
(مركز الابحاث بيروت ١٩٧٧) .
- الجندى ، سامي : عرب ويهود ــ العداء الكبير (بيروت ١٩٦٣)
- خدورى ، مجيد : عرب معاصرون : أدوار القادة في السياسة (بيروت ١٩٧٣)
- خله ، كامل : فلسطين والانتداب البريطاني (مركز الابحاث بيروت ١٩٧٤)
- الدباغ ، مصطفى مراد : بلادنا فلسطين جـ ١ بيروت ١٩٦٥ .
بلادنا فلسطين جـ ١ ق ٢ بيروت ١٩٦٦ .
- دروزة ، محمد عزة : أ . حول الحركة العربية الحديثة جـ٣ صيدا ١٩٥٩)
ب . العرب والعروبة في حقبة التملك التركي
(دمشق ١٩٦٠) .
جـ . القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها جـ ١
(صيدا ١٩٥٩ ــ ١٩٦٠) .
- زعيتر ، أكرم : القضية الفلسطينية (القاهرة ١٩٥٥) .
- السعيد ، أمين : الثورة العربية الكبرى (القاهرة ١٩٣٤) .
- السفرى ، عيسى : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية (يافا ١٩٣٧)
- السكاكيني ، خليل : كذا أنا يا دنيا ، يوميات خليل السكاكيني ، اعدتها للنشر هالة السكاكيني (القدس ١٩٥٥) .
- الشقيرى ، أحمد : أربعون عاما في الحياة العربية والدولية .
(بيروت ١٩٦٩) .
- الصايغ ، أنيس : الهاشميون وقضية فلسطين (صيدا وبيروت ١٩٦٦) .
- صدقة ، نجيب : قضية فلسطين (بيروت ١٩٤٦) .
- العارف ، عارف : تاريخ القدس (القاهرة ١٩٥١) .
- علوش ، ناجي : المقاومة العربية في فلسطين (بيروت ــ مركز الابحاث ٦٣
- غنيم ، عادل حسن : الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧ ــ ١٩٣٦
(القاهرة ١٩٧٦) .
- الغورى ، أميل : أ . فلسطين عبر ستين عاما جـ ١ (بيروت ١٩٧١) .
ب . فلسطين عبر ستين عاما جـ٢ (بيروت ١٩٧٣) .
جـ . المؤامرة الكبرى ، اغتيال فلسطين ومحور العرب
(ط ١ القاهرة ١٩٥٥) .

د . المعذبون في أرض العرب (بيروت١٩٦٠) .
- قاسمية، خيرية : النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه١٩٠٨ ـ ١٩١٨ (بيروت مركز الابحـــاث ١٩٧٣) .
- كرد علي ، محمد : خطط الشام جـ ٣ (دمشـق ١٩٥٥) .
- الكيالي ، عبد الهادى : تاريخ فلسطين الحديث (بيروت ١٩٧٠) .
- محفوظ ، خضر العلي : تحت راية القاوقجي (دمشـق ١٩٧٨) .
- موسى ، سليمان : الحركة العربية ١٩٠٨ ـ ١٩٢٤ (بيروت ١٩٧٠) .
- النمر ، احسان : تاريخ جبل نابلس والبلقاء ـ احوال عهد الاقطاع جـ ٢ (نابلـــس ١٩٦١) .
- ياسين ، صبحي : الثورة العربية الكبرى في فلسطين (القاهرة١٩٥٥) .
- ياسين ، عبد القادر : كفاح شعب فلسطين قبل عام ١٩٤٨ (مركـــز الابحاث ـ بـــيروت ١٩٧٥) .

ثانيا : مقالات بالانجليزية

Bentwich,N. " The Legal System of Palestine under the Mandate" Middle East Journal Vol:II,1948.

Blyth,E.M.E. " Palestine Report", Quartery Review,1937.

Bowden,Tom: " The Politics of the Arab Rebellion in Palestine". Middle Eastern Studies Vol:II,1975.

Cohen,J:

a- " Sir Arthur Wauchope, the Army and the Rebellion in Palestine,1936" Middle Eastern Studies, Vol:IX,1973.

b- " British Strategy and the Question of Palestine,1936-1939" Journal of Contemporary History,Vol:VII,1972.

Friedman,I:

" The McMahon-Hussain Correspondence, Comments and Areply". Journal of Contemporary History, Vol:V,1970.

Gibb,H.A.R:

" The Islamic Congress in Jerusalem in Dec. 1931" in Arnold Toynbee (ed.) Survey of International Affairs 1934.

Ghory,Emile:

" Arab View on the Situation in Palestine International Affairs, Sept.,1936.

Hirsowics,L.:

" Nazi Germany and the Palestine partition Plan". Middle Eastern Studies Vol:I,1964.

Hurewitz,J.C.:

" Arab Politics in Palestine." Contem -porary Jewish Record,Dec.,1942.

Mandel,N:

Turks,Arabs,and Jewish Immigration into Palestine: 1882-1914," Middle Eastern Affairs,No. 4. 1965.

McTaue,J:

" The British Military Adminstration in Palestine 1917-1920 " Journal of Palestine Studies Vol: VII,No.3,1978.

Ro'i,Y:

" The Zionist Attitude to the Arabs, 1908-1914" Middle Eastern Studies Vol: IV,1968.

Sheffir,G.:

" Intentions and Rwsults of British Policy in Palestine: Passfield's White Paper, Middle Eastern Studies Vol: IX, 1973.

ثامنـــا : مقـــالات بالعربيـــــة

- بدران ، نبيل : " الريف الفلسطيني قبل الحرب العالمية الاولى " شؤون فلسطينية ، العـــدد ٧ ، ١٩٧٢ ٠
- البرغوثي ، عمر صالح : " الاقطاع في فلسطين " ، مجلة العـــــرب ١١ / ٣ / ١٩٣٣ ٠
- الحافظ ، ياسين : " من وعد بلفور الى قيام الدولة ، دور التآخر العربـي في تأسيس اسرائيل " : شؤون فلسطينية العـــدد ٨٢/٨١آب (اغسطس) ايلول (سبتمبر) ١٩٧٨ ٠
- خلف ، علي حسين : " الشيخ عز الدين القسام معلم منفي في تاريـــخ فلسطين " مجلة الحرية كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٨ ٠
- الثعالبي ، عمار : " الطبقة العاملة الفلسطينية وتنظيماتها ١٩١٨ – ١٩٣٩ شؤون فلسطينية ١٩٧٦ ، العدد ١٥ تشرين الثانـــي (نوفمبر) ١٩٧٢ ٠
- عوض ، عبد العزيز :" متصرفية القدس في أواخر العهد العثماني " شؤون فلسطينية ، العدد ٤ ، ١٩٧٦ ٠
- غنيم ، عادل حسن : ا ٠ المؤتمر الاسلامي العام ١٩٣١ " شـــؤون فلسطينية العدد ٢٥ : ايلول (سبتمبر) ١٩٧٣ ٠

  ب ٠ " ثورة الشيخ عز الدين القسام " ، شـــؤون فلسطينية العدد ١٦ كانون الثاني (ديسمبر) ٧٢ ٠
- قاسمية : " تطور الحكومة العربية في دمشق " شؤون فلسطينية العدد ١ آذار ١٩٧١ ٠
- كنفاني ، غسان : " ثورة ١٩٣٦ – ١٩٣٩ في فلسطين ، خلفيات ، وتفاصيل وتحاليل " شؤون فلسطينية العدد ٦ كانـون الثاني (يناير) ١٩٧٢ ٠

تاسعـا : جرائد ومجلات باللغـــة الانجليزيـــة

- Egyptian Gazzette (Cairo)
- Manchester Guardian (Manchester).
- New York Times (New York).
- Palestine Post (Jerusalem).
- Times (London).
- Zionist Review (London).

عاشـــرا : جرائـــد ومجـلات عربيـــة

- الانـــوار (بـــيروت)
- الاهـرام (القاهـــرة)
- الاخوان المسلمون (القاهـــرة)
- الجامعة الاسلامية (يافـــا)
- الجامعة العربية (القـــدس)
- الجزيـرة (يافـــا)
- الحريـــة (بـــيروت)
- الدفـــاع (يافـــا)
- الزهـــرة (حيفـا)
- الزمـان (بغـداد)
- السياسة الاسبوعية (القاهـرة)
- الشـــورى (القاهـرة)
- شؤون فلسطينية (بـيروت)
- صوت فلسطين (دمشـق)
- مجلة العـرب (القـدس)
- الكرمـــل (حيفـــا)
- الكوكـــب (القاهـرة)
- الفتـــح (القاهـــرة)
- لسان العرب (القـــدس)
- نشرة فلســطين (بيروت ـ الهيئة العربية العليا)
- المقطـــم (القاهـــرة)
- النظـــام (القاهـــرة)

حادى عشـــر : مقابـــلات شـــخصية

- الســـيد أحمد نســـيبة
- الاســـتاذ اكرم زعيـتر
- الاســـتاذ عـزة دروزة
- الاستاذ عبد الله الكليب
- الاستاذ كامل الدجانـي

تصويب الاخطاء

الصفحة	السطر	الخطا	الصواب
٣٤	٢٥	٣٣مكا	٣٣ ملكا
٣٨	٣	كالنرسكي	كالغرسكي
٤٠	٦	الوفود للقلة	الوفود لقلة
٤٧	٢٨	المصرح	المقترح
٦٢	١٥	فان ضعفت	فقد كان لضعف
٧٣	١٣	سيع	سيلا
٧٥	١٧	هتفوا	وهتفوا ضده
٧٩	٢٣	الحكومة	الحركة
٨١	٦٠٥	شو وسيسون	شو وسيمسون
٨٤	١٩	انت ابوك	واطرد اباك
٩٣	١٧	التشرد	التشدد
١٣٥	٢٥	وحده	وحدةذ منه
١٤٣	١٥	للجنة	اللّجنة
١٥١	١٤	كما عرفت	كما عرفت الأمة
١٦٣	٢٤	الى ركن	الى كل ركن
١٦٣	٢١	العربي الدفاع	العربي والدفاع
١٦٥	٥	او التحشدات	النشاطات او التحشدات
١٦٨	٣	خطي	حقنـــه
١٧٣	٩	المركوية	المركزية
١٩٦	٢٠	تحذير	تخدير
١٩٨	٢١	الشهاب	الشباب
٢٠١	٢٠	الشهاب	الشباب
٢١٣	١٨	المحارب	المحازب
٢٣٣	٨	الصلطات	السلطات اوحى بان
٢٤٧	١٣	امامك	امامكم

٢٩٢٦
وزارة الأوقاف والشؤون الدينية
مكتبة المسجد العمري الكبير
بمدينة غزة
تبعدت ... ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

الحزب العربي الفلسطيني

وحزب الدفاع الوطني

١٩٢٤-١٩٣٧

تأليف

د. علي سعود عطيه